کتابخانه مجلس سنا

اسم کتاب ریحانة الباء

اسم مؤلف شهاب الدین محمود الخفاجی

خطی

چاپی ۱۲۹۴

موضوع

شماره دفتر ثبت ۱۱۷۸

شماره ترتیب درقفسه

ملاحظات

شماره ثبت ۱۱۷۸
X ۳۶
الف-۲۷

PJA
۲۱۶۴
.ر۹
۱۲۵۵

خفاجی، احمدبن‌محمد، ۹۷۷-۱۰۶۹ق.
ریحانه‌الالبا و زهره‌الحیاه الدنیا / شهاب‌الدین محمود‌الخفاجی.— [قاهره؟]: مطبعه الوهبیه، ۱۲۹۴ق. = ۱۲۵۵.
۳۲۸ص.
چاپ سنگی.
عربی.

۱. شاعران عرب - سرگذشتنامه. الف. عنوان.

PJA۲۱۶۴/ر۹خ۱۲۵۵

۱۳۱۶۲

فهرست خريدة الالبا

صحيفه

٧ القسم الاول فى محاسن أهل الشام ونواحيها
٧ أحمد العناياتى
١١ محمد الصالحى الهلالى
١٧ حسن بن محمد البوريني
٢٢ أبو المعالى درويش بن محمد الطالوى
٣٣ محمد بن قاسم الحلبى
٤١ الامير أبو بكر الحلبى
٤٢ ابراهيم ومحمد ابنا أحمد الحلبى المعروف بالملا
٤٤ يوسف بن عمران الحلبى
٤٦ سرور بن سنين
٤٧ حسين بن أحمد الجزرى الحلبى
٥٢ أبو بكر تقى الدين التاجر المعروف بابن الجوهرى
٥٣ شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار
٥٤ ابنه عبد اللطيف
٥٥ شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى
٥٧ بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى
٦٠ أبو الصفا مصطفى بن العجمى الحلبى
٦٢ تقى الدين بن معروف
٦٥ محمد بن الرومى المعروف بسماى ابن أخت الخيالى نزيل دمشق الشام
٦٧ زين الدين الاسعافى
٦٧ أبو بكر الجوهرى الشامى
٦٧ شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى
٦٩ أبو الفتح بن عبد السلام المالكى المغربى نزيل الشام
٧٥ علاء الدين بن مليك الحموى
٧٧ القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى
٧٧ شهاب الدين السكنعانى الشامى
٧٧ معروف الشامى
٧٨ نجم الدين بن معروف
٧٩ محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق

صحيفه

٧٩ فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى
٨٠ القاضى ظهير الدين الحلبي
٨٠ بهاء الدين بن الحسين العاملى
٨٣ خضر الموصلى
٨٥ المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامى الحنفى
٨٨ أحمد بن شاهين الشامى
٩٠ الامير محمد بن منجك
١٠١ الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام
١٠٣ عبد الحق الشامى
١٠٥ أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب الشافعى الفرضى الحلبى
١٠٦ أخوه محمد بن عمر الفرضى
١٠٨ عمر بن عبد الوهاب الفرضى
١٠٨ صلاح الدين السكورانى الحلبى
١١٠ السيد أحمد بن النقيب الحلبى
١١٠ القسم الثانى فى محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها
١١٠ مولاى أحمد أبو العباس المنصور بالله
١١٤ أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين
١١٧ محمد الفشتالى
١٢٧ محمد بن ابراهيم الفاسى
١٣٥ الوزير عبد العزيز الثعالبى الأديب
١٣٧ العلامة محمد دكرولة المغربى
١٣٩ حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى
١٣٩ عبد العزيز الفشتالى
١٣٩ عبد السلام بن سودن المغربى
١٤٠ السيد عبد الخالق الفاسى
١٤١ السيد يحيى القرطبى
١٤٤ ذكر مكة المشرفة ومن بها
١٤٥ ذكر الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان
١٤٥ أبو نمى بن بركات
١٤٦ شهاب الدين أحمد الشيوخى

صحيفه

١٤٧ السيد حسن بن أبي نمي
١٤٩ أخوه السيد ثقبة
١٤٩ أبو طالب
١٥١ أبو المحاسن حسن بن أبي نمي بن بركات
١٥٣ قطب الدين المكي النهروانى أصلا ومحتدا
١٥٧ جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفرايني
١٦٠ أخوه على العصامى
١٦١ أحمد المدنى المعروف بالبقيم صغرا
١٦١ سراج الدين بن عمر الاشهل المدنى
١٦٢ عبد الرحمن وعلى ابنا كثير المكيان
١٦٣ محمد بن أبي الخير بن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا
١٦٣ العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة شرفها الله تعالى
١٦٣ علاء الدين بن عبد الباقى
١٦٣ القاضى حسين المالكى المكى
١٦٤ شيخنا العلامة على بن جار الله المكى الحنفى الخطيب مفتى الحرمين الشريفين
١٦٤ على السكيزوانى المغربى نزيل مكة المشرفة
١٦٤ معين الدين بن البكا نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله تعالى
١٦٥ العلامة عبد الرحمن الخيارى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
١٦٧ ﴿نفحة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره فى هذا الزمن ممن بقى بها من الفضلا والشعرا وكان قريب العهد﴾
١٦٧ عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى
١٦٩ السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى
١٦٩ عبد الهادى السودى صاحب الديوان المشهور وفى نسخة عبد الوهاب
١٧٠ اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن على العلوية الزبيدى من ذرمى اليمنى
١٧١ ﴿القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العودة لرسومها وأطلالها﴾
١٧٢ محمد بن يس المنوفى
١٧٥ عبد الوهاب المحلى الحنفى
١٧٧ عبد المنعم المحلى الطريني
١٧٨ محمد بن الخياط المحلى

صحيفه

١٧٩ القاضى تقى الدين التميمى
١٨١ يوسف المغربى
١٨٣ يحيى الاصيلى
١٨٥ شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير
١٨٦ محمد الحنفى المفتى المعروف بالذئب
١٨٧ شيخ الاسلام على بن غانم المقدسى
١٨٨ محمد الدمياطى الحنفى تلميذ شيخنا المقدسى المفتى بمصر بغداد
١٨٩ شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتى الحنفى المفتى
١٨٩ السيد عبد الرحيم العباسى
١٩١ سراج الدين عمر الفارسكورى
١٩٢ تقى الدين بن عمر الفارسكورى
١٩٣ محمد بن أحمد الخناصى
١٩٤ شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين
١٩٥ ابراهيم العلقمى
١٩٥ أحمد بن على العلقمى نزيل الخانقاه السريا قوصية
١٩٦ شمس الدين البصير
١٩٧ عبد الله الدنوشرى
١٩٨ عبد الواحد الرشيدى
١٩٨ رمضان الهوى
١٩٩ أحمد بن عبد السلام
٢٠٠ محمد بن بدر الدين الزيات
٢٠٠ صفى الدين بن محمد العزى
٢٠١ أحمد بن على العزى
٢٠١ عمر العزى
٢٠١ رجب الشنوانى
٢٠٢ القاضى بدر الدين القرافى المالكى
٢٠٣ أحمد بن عواد
٢٠٥ عبد الرحمن بن محمد الحميدى شيخ أهل الوراقة بالقاهرة
٢٠٥ الرئيس داود الحكيم
٢٠٦ محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب

صحيفه

٢٠٧ ابراهيم بن المبلط
٢٠٨ بدر الدين بن الازهرى شاعر العصر
٢٠٩ محمد الايبارى القبانى
٢٠٩ يحيى بن الخطيب القبانى
٢١٠ شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود
٢١١ محمد البلينى
٢١٢ محمد الاسيوطى التاجر
٢١٢ القاضى أحمد المحلى المالكى
٢١٣ سرى الدين بن الصائغ الحنفى
٢١٣ منصور البلبيسى
٢١٣ عبد النافع الطرابلسى نزيل مصر
٢١٤ صاحبنا عبد المنعم المالطى
٢١٥ حسن بن الشامى
٢١٥ اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجى
٢١٦ محيى الدين الغزى
٢١٦ أحمد الغزى ابنه
٢١٦ عبد القادر الطورى
٢١٧ على بن الخزرجى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير
٢١٨ زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى
٢١٩ نور الدين بن الجزار الشافعى
٢٢٠ محمد الفارضى
٢٢٢ العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر
٢٢٥ القاضى أحمد بن الجيعان
٢٣٠ نور الدين على العسيلى
٢٣٥ السيد على وفاء وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده
٢٣٦ شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره
٢٣٦ العلامة ناصر الدين
٢٣٦ العلامة منصور
٢٣٧ السيد محمد وأخوه عبد الله
٢٣٧ الاستاذ أبو الحسن البكرى

صحيفه

٢٣٨ الاستاذ محمد بن أبى الحسن
٢٣٨ الاستاذ زين العابدين
٢٣٨ الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى
٢٤٨ على بن الحناوى بن أمر الله الحميدى
٢٥٥ عبد الباقى
٢٥٦ فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان
٢٥٧ عبد الكريم بن سنان
٢٥٧ السيد محمد بن برهان الحميدى
٢٧٢ ﴿بيان حالى فى خبر المبتدا وسبب اقتدائى بالهجرة النبوية وما عداها فيما بدا﴾
٢٧٣ أشياخ المؤلف
٢٧٦ مؤلفات المصنف
٢٧٦ المقامة الرومية
٢٨١ الفصول القصار
٢٨٦ مقامة الغربة
٢٩٠ فصل فى فوائد تتعلق بهذه المقامة
٢٩٢ المقامة الساسانية
٢٩٥ مقامة عارضت بها مقامة الوطواط
٢٩٨ المقامة المغربية
٣٠٠ فصل فى بيان ما فى هذه المقامة من الفوائد
٣٠٩ خاتمة
٣١٠ فصل اعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية الخ
٣١١ طبقات الشعراء
٣٢٥ تتمة وفائدة مهمة فى الكلام على الاعراق

﴿تمت الفهرست﴾

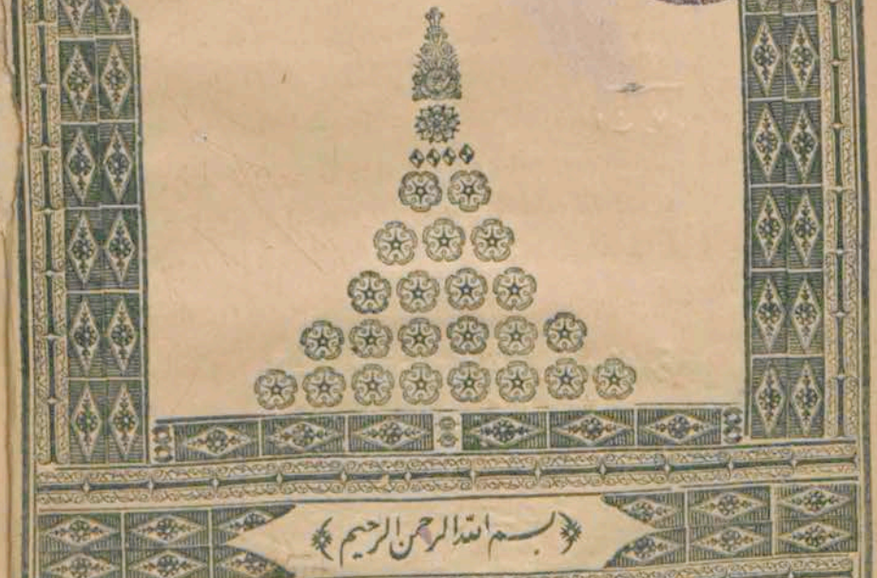
مكتبة مجلس سنسا

نمرة ثبت - ١١٧٨١
٣٤
الف ٢٧

كتابخانه مجلس شورا

هذا كتاب ريحانة الالبا و زهرة
الحياة الدنيا للاريب الكامل والاديب
الفاضل شهاب الدين محمود
الخفاجي نفعنا الله
بعلومه
آمين

كتبخانه مجلس مبعوثان



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمدا لمن سرح عيون البصائر في رياض النعم * ورياض زهر بها رياحين العقول وتفتحت بنسيم اللطف أنوار الحكم * فاجتنت منها أيدي المنى فواكه الارواح * وهز اقتطفت شقيقة بين اقاحي الصباح * والندى طرز برد النسيم ببلاله * لما رأى مجامر الزهر تحت أذياله من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

وأشكره شكرا يطوق جيد البلاغة نظيم عقوده * وينسج بنان البيان على منوال البراعة رقيق برودها * على نعم لا تفنى من معادن الوجود جواهرها * ولا تذوى من خمائل الفصاحة أزاهرها * ونهدي صلات الصلاة لناظم عقد الدين بعد نثره * المؤيد بآيات لا يزال يتلوها لسان الدهر ولو طار نسر السماء من وكره * وكانت دونها ألسنة أسنة الطاعنين * وحميت حديقتها بشوكة الاعجاز فلم تطمها يد أفكار المعارضين * فصار السابقون في حومة البلاغة المأهورون في صناعة الصياغة * مابين ساكت ألفا * وناطق خلفا * ومشمر ذيله ومدرع ليله * تسربل سابغة دجى * قتيرها نجوم ليل دجا * حتى اشتفت نفس الاسلام من داحم * وزال كلب الكفر بما أريق من دمائهم * فبيوتهم خاوية * ونفوسهم على أثر تلك البيوت قافية * وعلى آله الذين تفتحت لهم كمائم المعاقل عن زهر النصر * وتحلى بعقود عهودهم جيد كل عصر

فنون

فجنوا الهم ثمر الوقائع يانعا * بالغر من ورق الحديد الاخضر

لا زالت سحب الرحمة المطنبة بالقطر مخيمة على مراقدهم * ولا برحت نحايا المزن مهيمة بلسان الرعد على معاهدهم * ماسقى غدير الحجرة روضة السماء * وزهانرجس النجم تحت بنفسج الظلماء * هذا وانى كنت قبل أن تشيب منى الخطوب الذوائب * وتصبح كبدى وأحشائى بلظى النوائب ذوائب * والزمان ربيع * وروض الشباب مريع * أعددت الادب عنوان صحائف الشمائل * وبيت القصيد فى ديوان المآثر والفضائل * انفق نقد عمرى فى اقتنائه واقتناص شوارده * وأملأ صدف المسامع مما يستخرج غواص الافكار من فرائده * وأشيم بارقة السحر من نقائه * وأشم عبير السرور من أردان نسمائه * وأرتشف من طبى مابنم على ثغر الزجاجه * وأشتف منه ما أسرته الجدود من ذؤابة خفاجه صبابة مجد لم يكدرها فى جام المشارب * ورد الخطوب وازدحام الشوائب

فانى من العرب الاكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

ومازلت على هذا الحال * مذ فارقنى الحال * لاداب الى الاتلقى وفوده لاستهداء تحف الاخبار * التى هى ألطف من دمع الطل فى وجنات الازهار

ومن يسأل الركبان من كان نائيا * فلابد أن يلقى بشيرا وناعيا

من أحاديث يشتفى بها الغليل * ويصح مزاج النسيم العليل * تتفتح منها فى رياض المسامره * من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزاهره * ويحسو فم السمع منها ماء حياة بطيل عمر المسرة * وتكتحل منها المآثر بما هو لعيونها قره * من كل من هو لتشييد المجد أكرم بانى * حتى تكفل الثناء له بعمر ثانى * يشيب فى وجه السماء حاجب القمر هلالا * ويشتعل منه رأس الشمس شيبا ولم نره مثالا

اذا ما روى الانسان أخبار من مضى * فحسبه قد عاش من أول الدهر

وحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كل الدهر من عاش عالما * كريما حليما فاغتنم أطول العمر

وسواء تلفت المريض للطبيب * وفرحة الاديب بلقى الاديب * لاسيما اهل العصر * الهاصرى أغصان المنى ألطف هصر * القائلين فى غيانها * الواردين عين حياضها * فقد سرت كلماتهم مسرى الارواح فى الاجساد * وأثنى عليها ثناء نسيم الرياض على العهاد * وقد انتصر لكل عصر من أحيائه * وعمر من دارس عهوده بنيه * كصاحب اليتيمة وقلائد العقيان * والدمية والذخيرة وعقود الجمان * وحمية المرء لعصره * وقيامه على منابر نصره * من آيات الفتوه * التى هى على لسان الحمية متلوه * فليس منا من لم يقتد بدر المجد فى مهاده * ولم يفتخر فى المحافل باستاذه واسناده * الا أن الادب فى هذه الاعصار قد هبت على رياض مريح ذات اعصار * حتى أخلقت عرى المحامد * واسترخى فى جريه عنان القصائد * وتقلصت أذيال الظلال * وخطب البلاء على منابر الاطلال * وعفا رسم

الكرام * فعليه مني السلام

ومما أعان على الزمان * عفاف يدي وعلو الهمم

والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون * وليس فيهم من صفات الشعراء الا أنهم يقولون مالا يفعلون * واذا كذب مادح أحدهم اهتز وطرب * وجازى من سراب وعده بكذب على كذب * وبالوعد الفطير لا يخمر الخمير * وبأحسنت لا يباع الشعير * وبرعد الوعد * لا يسقى غرس الحمد فلا تلوموه في وعد يرده * في وقت مدحي له علمته الكذبا

ومع هذا فكم هبت لهم أنفاس معطرة بالنجاح * حزربة في وقتها بأنفاس الصبا في الصباح * يهزلها السماح هيف معاطفه * ويفشر تحت أقدامها الزمان بساط عواطفه * تتمسك كف الشمال بأذيالها * وتتقيأ العشاق في هجير الاشواق صافي ظلالها * وترد صافي زلالها * من كل حديث تليد وطارف * له وشي على كاهل المجد ولا كوشي المطارف * تزهو به الطروس على صفحات الخدود المحسنات بالسوالف * في كل ورقة منها خمائل * تسوغ مياه فصاحتها في لهوات الجداول

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وينبت في أطرافها الورق الخضر

من كل من ألحق المتأخر بالمتقدم في تطبيق مفاصل معانيه * واخراج مخبآت عطره من جونة مبانيه * وان تأخر عصره فلا باس * في تأخر النتيجة عن القياس * والخدم تتقدم بين يدي السادة * والسنن أمر بتقديمها على الفروض في العبادة * وتقدم الآحاد * يرقى مرتبة الاعداد أوما ترى أن النبي محمدا * فاق البرية وهو آخر مرسل

فيا أدلاء الهدى اني آنست من جانب الطور نارا بها تهتدون * أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فان لم يترك الاول شيأ للآخر * فخير من الكثير الغائب القليل الحاضر * ويا من هم في محيا الايام حسنة * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة * فلا يزري بالغرة تأخره عن غراس أغصانه * ولا يكل مضاء السنان كونه في أطراف مرانه * على أنه قد تساوى الاصائل والبكر * وتتشابه طررا لعشيات والسحر * وليس الا الحسد رغبة الطبائع * عن محاسن لاهل العصر هي ملء الافواه والمسامع

وما شكرهم لليت الا لانه * بما حل في أيديهم غير طامع

ولله در ابن رشيق في قوله

أولع الناس بامتداح القديم * ويذم الجديد غير الذميم

ليس الا لانهم حسدوا الحي * فرقوا على العظام الرميم

والحي ان حصل تهاء باديه * فستغدو محاسنه على رغم الخمول باديه * ولنا في ذمة الدهر ديون بأوقاتها مرهونه * فاذا جاء اباانها فلك الزمان رهونه * على اني أستغفر الله من دهر كات فيه مرهفات الطباع * ونفضت الآمال فيه يدها من غبار الاطماع * وافيناه على الهرم * وقد لمع ضرس الندم * بعد ما اكل باكورة الكرماه * وشابت بالصباح لياليه الدهماء *

ودب خرفا على عصا الجوزاء * وكنت لماذبل بالنوى عيتي النضر * وليت سباحة الامانى فصرت خليفة الخضر * تهادتني التنائف * وقدفتني الامانى في لهوات المخاوف * كأني قذاة بأجفان الدهر * أوسفاة بوجه نهر * أوكرة لاعب * أوسهم محارب * طورا أشق قلب الشرق كأني أفتش على الفجر * وتارة أخرق كيس الغرب حتى كأني اريد أن أخرج منه دينار البدر * أفلي لمة ليل دجا * شاب فوقها افرق ابن جلا * يخيل لي أن البلاد مسامع أنافهامر الملام * أوفكر بليد أناحوالة معنى دق أن تتصوره الاوهام * غريب في عيون الظنون * كأني بيت حسان الثابت في ديوان مجنون * أومصحف في بيت زنديق * أوعابد في صومعة بطريق * أو بكر معنى سار في مثل * أوغض عمر جرى خلفه رائد أجل * أوخبر لم يصح له سند * فلم يقبله من الثقات أحد

كأن له دينا على كل مشرق * من الارض أوثارا على كل مغرب

أرد موارد الحوب * مكدرة بغصص الخطوب * فلم أرب يبدو ولا حضاره * كأني من الشهب السياره * وقد قيل تنزل الالقاب من السما * فلكل من اسمه نصيب انحط أوسما

وطني حيث حط العيس رحلي * وذرا عي الوساد وهي مهادي

فكل جولي بين ابراق وارعاد * وأماني في مهامه الحيرة بين اتهام وانجاد * والزمان يضمر سلب ما أولاه بخلا ان جاد * وألسنة أبنائه عن الاجابة صمت * وآذانهم عن سريخ الاستغاثة صمت * فقد خلا من المكارم مغناها * وأصبح لا يجاوب البوم الا صداها * لكنني مع أهواله * ودر وس رسوم السرور في أطلاله * وان توسدت ذراع الهم في دياجيها * وقطعت ظلمة الشدائد في سنا بدر أمانيها * أتعلل بأن السيف لا يقطع في قرابه * والليث لا يصل الغرض الفرائس في غابه * ولولا مفارقة القوس ما أصاب سهم * ولولا بعد الدر عن الصدف لم يظفر من الغيد بأوفى سهم * فلذلك أشاحك مباسم الامانى * وأغازل عيون الآمال والتهاني وأنزه طرفي في رياض الدفاتر * ولم أقل مع السرور الا في ظل طائر * فزمان مسراتي أقصر من عمر الكرام * وفؤادي لم يهتد الى طرق سلوة المدام * في أوقات أثقل من السؤال * وأطول من عمر الآمال * أشأم من وجه خناس * وأثقل من غريم ملح على افلاس * ولم يكف الدهر ما وثبه من الحرمان * حتى ابتلاني بعد الاثبات بالنفي كأني نسكت أم الزمان * وأنا استغفر الله جل وعلا * ولا أرتضي بمعرة أبي العلاء في قوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بان الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

فانه كفر من وسوسة الشيطان * وغلو منه في خلعه ربقة الايمان * بل أقول ما قال ابن عنين

انقوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفي كل من صدقا

وللحسين بن أبي عقابة في الرد عليه (اي على أبي العلاء)

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له * وفى غيره لغو كذا جاء شرعنا

فلا سمير لى أجالسه * ولا نديم لى أوانسه * سوى أوراق كنت خلعت عن منكب الاقبال بردها الخليع * وجعلتها كبيت العروض ادخارها للتقطيع * فوجدت فيها بغيتى من المحاسن أسرها الدهر فى خاطره * شاهدة لقول معدن الحكم أتمنى كالطر لا يدرى الخير فى أوله أم فى آخره * ممن جرّ عليه الزمن أذيال الفنا * وأسكنه تحت أطباق الثرى * فهو مخيم البلى كأنه سرّ فى صدره * ومن باق على هامة الليالى تعيق أنفاس الرواة بذكره * ممن ركبت لرؤياه مطايا أم عمرى * أو نابت عنى فى مشاهدته أهل عصرى * فاجتلوت محياه أو رأيت من رآه * حتى طربت على الاستماع * وعلمت أن الذكرى طيف الاجتماع * واذا كان الحب منوع * فالصب قنوع * يتعلل ببارقة تسنيه * وتكفيه لمحة اشارة أو تحييه

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعونى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينى على النأى هاديا

فجمعت منها ما هو لطرف الدهر حور * وجيد الادب عقد يتبسم منظومه هزؤا بعقد الدرر * ولكاس الادب ختام * ولعقد حبابه نظام * تذكر العهود والمودّه * وتطلع فى وجنة الوفاء وردة * وتنتدب من أتى للبلاء قياده * وتلبس عليه وجه الطرس حداده * وتسيل فى عاتق المحاسن غواليا * وترق فلا يدرى أ لفظ رقّ أم دمع ترقرق جاريا * وتسجد الاقلام فى محراب طرسها الذى هو للمحاسن جامع * ويودّ كل عضو اذا تليت أحاديثها لو أنه سامع * وهى وان كانت عقدا ينتثر درّه * وأفقا تبدّد صباح زهره * ونورا تنشره كف الشمال فانتظم على ترائب الماء السلسال * فلربما نثر العقد المفصل * ليعود أحسن فى النظام وأجمل * فهذه ذخائر من خبايا الزوايا * فيها فى الرجال من البقايا * تنفس الدهر بها عن نفحة عنبريه * وهبت بها أنفاسه الندية ندية * تنفس الروض فى الاسحار * عن أفواه النور والازهار

يسرى على ريحانها نفس الصبا * سحرا فيوهم أنه ذكراها

فلذا سميتها (بريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا) فانى شممت بها رائح الشباب * ونظرت فى مرآتها وجوه الاحباب * وتذكرت غابر الايام * اذا العيش غض والزمان غلام * من أعلام شيم الاتوف ان دعى بهم بنو الصغار تشمخ * فى غرر أيام تقام بها مواسم الدهر وتؤرخ وجعلت مسك الختام * ذكر سادة من العلماء الاعلام * فانه بصبا أنفاسهم يتضوع غمام الغمه * ويذكرهم فى ناديا تنزل الرحمه * فان عذبت موارده * فانثرن بالدعاء فرائده * فان عثرت منها على كبوه * فليندل لها اللبيب عفوه

على انى راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علىّ ولا ليا

وها أنا ذا أمتع الاسماع * ببريع أحوى الظلال ألمى التلاع * فاذا رأيت كلا من الأهل العصر لم تنح أعطافه لهذا النسيم * فتمتع من شميم عرار نجد فما بعده من شميم * فليس

من

من ليلى ولا سمره * ولا مما يهدى النادمن الادب باكورة نثره * فكم من اشعار * للتخجيل فيها أعذار

تالله ما بخل الكرام وانما * لبرودة الاشعار جمد الندا

فما كل مرتفع بنجد * ولا كل وادينبت الشيح والرند * وما كل سوداء تمره * ولا كل صهباء خمره * ولا كل بيضاء شحمه * ولا كل حمراء لحمه * ولا كل نبت يملو بقمائه * ولا كل برق يجود بمائه * اللهم بحرمة سيد الانام * كما يسرت الابتداء يسر الختام * سارفا عنا سوء القضاء * ناظرا الينا بعين الرضاء

﴿القسم الاوّل﴾

فى محاسن أهل الشام ونواحيها * ومن برز من سرقبا هاو بطن واديها * وتغذى بنسيمها * وتربى فى حجر رياض نعيمها * وقال فى ظلال أغصانها المتعانقة هوى ووداد * وتعطر بأنفاس شمائلها التى صارت للنديدا * وطعم من مائها العذب * وروى بذوب لؤلؤها الرطب * وهو ماء الحياة فى سائر الصفات * الا أنه فى نور التقديس وهو فى الظلمات

﴿احمد العنابانى﴾ صديق الصدق وخدن الصلاح * شقيق الندى وترب السماح * روض سجيته غض ناضر * لو رآه المتنبى لقال ما هذا الا ساحر * خلب الاسماع بنغانه * ونسج على منوال الرقة حلل عنابانه * ذو حسب تليد * وباع فى المجد طويل مديد * لم يسطر منل محاسنه فى كتاب الزمان * ولم تملأ بأنفس من جواهره حقاق الآذان * فيالها جواهرا اذا شاهدها مفتقر الى البيان * أغناه يا قوتها وجوهرها عن خرائد جمعت له بين الحسن والاحسان * مخبرها يطيب * ومنظرها كبدر على قضيب * تغرد على قضب براعته براعة حمائمها * وتفوح أنوار بلاغته اذا فضت الطروس عنها عبق كمائمها * طلعت شمس الادب من أفق أشعاره * وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره * وهو الآن فى جهة الشام غره وفى حدائقها النضرة زهره * وفى سمائها كواكبها الزاهية زهره * وقد حلى بحلل الزهد كماله * ورأى برأيه الصائب أن سماله أسمى له * لم يحتفل بأمر غد * فانها ظل الخمول نكد أم رغد * قائلا فى خمائله الرحاب * عف السريرة طاهر الاثواب * لم يشرق بسؤال * ولم يغص بندامة الآمال * ولم يألف سكنا * ويتوطن مسكنا * كما قيل

ومن عجيب أنا كون شاعرا * وليس لى فى الناس بيت يعرف

كما وصف نزيه فى قصيدته الرائية بقوله

اذا لم أعز فى ذا يعز * وفقرى وقنعى كنز وحرز
لبست من اليأس فى الناس ثوبا * عليه من العقل والفضل طرز
ولست أرى الذل الا اذا * كان فى الحب والذل فى الحب عز
ومثلى حر غناه عباه * اذا استعبد الناس خز وبز

﴿ومن غرره قوله﴾

قلبي على قتلك المشوق بالهيف * طير على الغصن أم همز على الالف
وهل سويداؤه خالك بخدك أم * خويدم أسود في الروضة الانف
وهذه غرة في طرة طلعت * أم بدر تم بدا في ظلمة السدف
تخفى النجوم بنور البدر وهو بنور الشمس وهي بنور منك غير خفي
يا بدر قلبي وطرفي فيك منتصف * بالوصل منك وهذا غير منتصف
القلب واصلت فيه وصل ممتزج * والطرف صدّيت عنه صدّ منحرف
ظبي تألفت منه غير ملتفت * غصن تعطفت منه غير منعطف
شفاء حر غليل بردريقته * والبرء من دنفي في لحظه الدنف
ويلاه من ورد خدّ غير مقتطف * منه ومن خمر ريق غير مرتشف
عذلت عاشق عذلي في محبته * فاعجب لذي شغف يلحى على الشغف
يظن أن سواه منه لي خلف * أنّا في الظن هل للروح من خلف
عذري عشقي عذري فيه متضح * كوجهه وهو مثل الشمس في الشرف
قلبت سقما بخصره منه مختصر * فيه وطرفي ونومي غير مختلف
يطير قلبي الى ألحاظه شغفا * فاعجب له كيف يرمي السهم بالهدف
يا أيها الرشأ الضاري على مهج الآساد بالسيف من جفنيه لم يخف
بما بحسنك من تيه ومن صلف * وما بعشقي من ذل ومن كلف
الله في كبد للوجد في كمد * اليك أسرف فيها الشوق في السرف
ومغرم ماله من مسعف لعبت * به اللواعج لعب الريح بالسعف
أشفي محاق الضنا لما هجرت به * على التلاف ولو واصلته لشفي
يا باخلا بلقاه باذلا لدمي * فالوعد يخلف منه والوعيد في
حزت الجمال ألا تولي الجميل فقد * يصادف الحسن بالاحسان في الصدف

(تتمة) اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز واجيب بان له وجها هو أنه وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه وهم قد شبهوا الطير على الغصن بالهمز والغصن بالالف ولما شاع هذا التشبيه به القلب وقد الحبيب وهذا في باب التشبيه كالمجاز على المجاز والكناية على الكناية كما قيل في وصف قصيدة همزية

والقوافي اليك حنت حنيني * فتأمل فهمزها ورقاء

وقوله والبرء من دنفي الخ معنى مشهور كقول ابن مطروح

اشتكي سقمي الى أجفانه * ومتى يشفي سقام بسقم

وقوله ورنا الى بطرفه فكأنما * أهدى السقام لمدنف من مدنف

وقول ظافر الحداد

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه * لما كنت أدري السقم كيف يكون

واصله قول المتنبي

أعارني سقم عينيه وحملني * من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

وقوله فاعجب له كيف يرمي السهم بالهدف نوع من البديع يسمى العكس بديع في بابه وهو كقول الذهبي

يطير فؤادي لألحاظه * غراما وشوقا وفيها التلف
فيا من رأى قبلها أسهما * يطيرا شبابا فاليها الهدف

ونحوه قول ابن نباتة المصري

صرت نومي مثل عطفك نافرا * وتركت عزمي مثل جفنك فاترا
وسكنت قلبا طار فيك مسيرة * أرأيت وكراقط أصبح طائرا

ومما أنشدته له قوله أيضا من قصيدة

يا أيها الملأ الملاح افتوني * من ذا أباح لكم دم المفتون
من كل أسمر سن قتل محبه * وسنان أحور طرفه المسنون
قلبه في القلب أشرف منزل * أن المكان مشرف بمكين
روض نضير لم يرده ناظر * الا ورد عيونه بعيون

العيون جمع عين بمعنى الباصرة وبمعنى الجاسوس

يحمي بنرجسه أقاحي ثغره * ويصون ورد الخد بالمرسين
وحياته وهي اليمين وانها * وحياته عندي أبر يمين
ما خنته اني وشخص جماله * حيث اتجهت على مثل أمين
قرن الوداد له فؤادي بالاسى * أكذا يجازى وذ كل قرين
فاز لث حديث شجون من قتل الهوى * قبلي وخذ مني حديث شجوني
قسما لوان العامري معمر * ماجن الا معجبا بجنوني
والعقل مني ضاع في ثغره له * فيه الثنايا بين ميم سين
ياذا الملاحة والذي بجبينه * في كل ليل ملامة يهديني
لا يطرقن اللوم باب مسامعي * وعليه من صد غيك كالزفين
بالاثمي للذي الملامة دينك الواهي كمالي في الصبابة ديني
لم يخطر السلوان عنه بخاطري * الا ورد من الجوى بمكين
كم خضت بحر الموت دون وصاله الغالي ولم ألك قانعا بالدون
وشفيت جوالوجد من برد اللمى * علما بان الماء لا يشفيني
متعجبا من خده بالماء يرويني أسا وبناره يوريني
وبخط عارضه أسا ورأرقا * منه فأقرأ منه ما يرقيني
ويظنني حاشاه أسلو حبه * والله من ظن العذول يقيني

وهي عراض قصيدة الرئيس أبي منصور علي بن الفضل الكاتب المعروف بصريدر

أكذا تجازى كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسي روح كل حزين
وان كتمتم مشفقين فقد درى * بمصارع العشاق والمجنون
فوق الركاب ولا أطيل تشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون
هزت قدودهم وقالت للصبا * هزوا أعند البان ميل غصوني
ووراء ذاك المقبل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون
اما بيوت النحل بين شفاههم * منضودة أو حانة الزرجون
ترمي بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق حيا على جيرون
شكوا الي من ليل التمام وانما * أرقى بليل ذوائب وقرون
ومعنف في الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعي والجفون جفوني
ما نافعي ان كان ليس بنافعي * جاه الصباوشفاعة العشرين
لا تطرقن نجدا للومة لائم * ما أنت أول حازم مغبون
أأسومهم وهم الاجانب طاعة * وهواي بين جوانحي يعصيني
ديني على طبياتهم لا ينقضي * فبأي حكم يقبضون رهوني
وخشيت من قلبي الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين
كل النكال أطيق الا ذلة * ان العزيز عذابه بالهون
ياعين مثل قذا الرؤية معشر * عار على دنياهم والدين
لم يشبهوا الانسان الا أنهم * متكونون من الحما المسنون
نجس العيون فان رأتهم مقلتي * طهرتها فترحت ماء عيوني
انا ان هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دوني
لا يشتمت الحساد أن مطامعي * عادت الى بصفقة المغبون
ما يستدير البدر الا بعدما * أبصرته كالضمر في العرجون
هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي * والبيم قاذف فلكي المشحون
فاذا عميد الملك حل بربعه * ظفرا بفال الطائر الميمون

قوله أأسومهم وهم الاجانب طاعة البيت هو من قول البحتري

ولست أعجب من عصيان قلبك لي * بعدا اذا كان قلبي فيك يعصيني

ومنه قول الشريف الرضي

أروم انتصافي من رجال اباعد * ونفسي أعدى لي من الناس أجمعا
اذا لم تمكن نفس الفتى من صديقه * فلا يجدن من خلة الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثة

قلبي الى ماضر بي داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي

وقوله ياعين مثل قذا الرؤية معشر الخ هو معنى بديع وقد سبق اليه قال الثعالبي اتفق لي في زمن الصبا معنى بديع لم أسبق اليه وهو

قلبي وجد امشتعل * وبالهموم مشتغل
وقد كستني في الهوى * ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هند في قوله

يقولون لي مابال عينيك مذرأت * محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه * فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو علي الفارسي لست أعجب من توارده وانما أعجب من قوله لم أسبق اليه وقد قال أبو الطيب في الحمى

اذا ما فارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا ومافي هذا لفظه من الخنا * لكن معنى ماقاله أصح لانه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى جرى بينهما مايقتضي الغسل وان قيل ان قوله عاكفان على حرام من لغو الكلام وهذا ذكر ازاينتين اثنين ولو قال زنى ناظري أو لحظي كان أحسن قلت هذا كله كلام ناء عن حسن الادب وهو سخف ولكن أي الرجال المهذب ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدمهم ومعناه أفصح وديباجته ألطف وأوضح كقول يزيد بن معاوية

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك يا ليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع للخاشع

ثم مشى على أثرهم الناس وولدوا معاني لا تحصر كقول السراج الوراق

ياناز ح الدار من نوحي يعاودني * فقد بكيت لفقد الظاعنين دما
أوجبت غلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

﴿ محمد الصالحي الهلالي ﴾

هذا مع بعد الهمة قريب منال مياه الجمة له دراري شيم هي غرر دهم الليالي وبنات أفكار لم ترتضع غير در المعالي فلا أقسم برب المشارق والمغارب انها شموس لم تزل طالعة من سماء المناقب وهي الآن شامة في وجنات الشام وروضة تفتحت أنوارها بثغور ذات ابتسام ومن سنته الاعتزال عن الناس وتقديم الوحشة على الاستئناس منقطعا الاقطاف ثمرات العلوم يمد القرى الاسماع موائد المنثور والمنظوم في زهد مخل بخلاله تدق صفات المدح عن معاني جلاله بعزم هو أبو العجب لو قدح زنده لهب له لهيب وخط تسربه النفوس وتوشي بديباجه الطروس شعر

خط زهت أزهاره * كالروض ينبته السحاب

وشعره شقيق الرياض المطردة الحياض تستخرج الجواهر من بحوره وتحلى لبات الطروس بقلائد سطوره لم يصرفه لمدح كريم ولا تغزل بمليح كريم ولعمري انه قطع منه ميدانا لم يصل اليه الكميت ونفى ألفاظه وهذب معانيه فلم يقل فيه لو ولا ليت وبالجملة فهو في عصره امام الادب المقتدى به والبليغ الذي لا تثمر أغصان الاقلام الا في رياض آدابه ولما قدم القاهرة أفاض على لباس مودته لم تبل عهودها ألا حبذا اخلاقها وجديدها وورق الدنيا خضر وعود الشباب غض نضر والادب لم يعف مناره ولم تخب أناره وأنواره لا كاليوم الذي خام قوم حول حماه فوقعوا في ظلمات ليس فيها عين الحياة وهو اذ ذاك استاذ وملاذ تذوق أفهامنا من موائد فوائده أنواع الملاذ فأتحفني بطرف أشعاره ونزه أحداق فكري في حدائق آثاره فأكرمني بسلافة أدارتها كؤوس بيانه وتقلدت بمذهب البحتري في اجتناء الورد من أغصانه واسمعه من قاله تردده * عجبا لحسن الورد في أغصانه

طالعت له فصلا في ديوانه الذي سماه صدح الحمام في مدح خير الانام ذكر فيه منبذا من صفاته ومعاهد أنسه ولذاته ومسارح آرام تربه ولذاته هو اني لما نشأت بمكة المشرفة والاماكن التي هي بالجوزاء ممتطقة والثريا مشتفة وكاني الزمان قشيب برده وطفقت أرفل ما بين عقيق الحمى وزرود وغصن الصبا بأيام السعادة مورق وبدر الشباب في سماء الكمال مشرق لا أدأب لي الا توسم رفود العلوم في سوق عكاظها ولا شغل لي الا استكشاف وجوه المعاني المخبأة تحت براقع الفاظها ثم لما بطلت حركة الدور وتنقل الزمان من طور الى طور أهملنا حروف النجائب تنص بنا البيداء في سراها * ولطمنا خد الارض باخفافها الى أن براها السرى في براها * فكم جاوزنا جبالا شوامخ زاحمت بمناكبها أكتاف السحائب * وذرعنا بأذرع النجبات شقة تقفر لم تطوا الا بأيدي الركائب * فكم من راسلته وراسلني براثق شعره وسجعه وأدار وأدرت كؤوس قوافي شعري على أفواه سمعه ورقصت عليه عرائس أفكاري استجلابا لوداده وتلوت عليه غرائب أسماري استفتاحا لنواري زناده

وهن عذاري مهرها الود لا الذي * وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

انتهى فهذه نبذة من نثاره وسأقرط سمعك بجواهر شعره وكنت كتبت له قصيدة تائية ملغزا من شعر الصبا الذي يحسد مهلهل برده في رقته نسيم الصبا لا كما قال الباخرزي هو التمر بالليا فهو باكورة ثمرات الآداب بل الروض الاريض الذي سقى بماء الشباب فأجاب وأجاد وصفى من قذى الكدر موارد الوداد وهاهي كواكبها المشرقة في دياجي نقسه وثمراتها الزاهية في رياض طرسه

طالت وقد قصرت عنها العبارات * وحازت الحسن هاتيك البراعات
غراء فائقة باللطف رائقة * تحلو الخلاعات فيها والصبابات

اخت الغزالة اشرافا وملتفتا * لها لدى السمع لذات ونشآت
نسيبها أطرب الاسماع موقعه * ومدحها ماله في الحسن غايات
كأن حرمعانيها ورقتها * في لفظها الخمر تجلوه الزجاجات
يحلو المكرر من ألفاظها ولكم * مل المكرر طبعا والمعادات
أتت الى بدر الفكر منخسف * وماله في سما الادراك هالات
وللهموم المطرادفي الفؤاد كما * ضمت عناق المذاكي الجرد حلبات
أسامر النجم في الليل الطويل ولا * أغفو ووكم لعيون النجم غفوات
فقمت في الحال اجلالا لها وسرت * عني الهموم وزارتني المسرات
وظلت منتصبا لما ارتفعت بها * وكان عندي بذل النفس كسرات
قبلتها ألف ألف ثم زدت فلم * أحسب وكم لكثير العد غلطات
وكان أفق زماني مظلما فبدا * فيه شهاب لنا منه انارات
شهاب علم ولكن نوره أبدا * بالذات ما عرضت فيه الاضاآت
غذى بدر لبان الفضل مذ زمن * فشب كالنار لا تعروه فترات
شيخ العلوم ومفتاح الهموم وغلاب الخصوم اذا عنت ملاحاة
باهت به أرض مصر وازدهت فلذا * قد كاد أن تحسد الارض السموات
قد شاد بيت العلا فوق الهضى وله * من فوق ذاك مقامات عليات
تستن أقلامه في الطرس من مرح * كأنها عند نفث السم حيات
فيها النقيضان من نفع ومن ضرر * ذاك الامانى اذ ذاك المنيات
مهما اغتدت طوع باريها ملازمة * للخمس تغدو لها في الطرس سجدات
أشعاره الغر مثل الدر قد نظمت * منها عقودا ولكن لؤلؤيات
ما ان حسا كاس سمعي من سلافتها * الا اعترتني لفرط السكر نشوات
لله أحجية منه أتت فسرت * منها الى السمع نفحات ذكيات
وأذكرتني بان القد من سكني * وبان بالبان من شكواي ميلات
والورق رقت لما ألقاه ساجعة * كأنها فوق غصن البان قينات
وأنت يا أفضل العصر الذي اجتمعت * فيه العلوم وفي الدهماء أشتات
سامح اذا هفوة للذهن قد عرضت * فكم لمثلي بالتقصير هفوات
فسيف فكري لا لاقيت فيه صدا * وكم له عندما أجلوه نبوات
والجسم في غربة والقلب في وطن * لم تدنه منه أيام وليلات
والبال في قلق والنفس في شجن * يعتادها الفراق الالف فرقات
فأي شخص بهذا الوصف متصف * تطيعه من قوافي الشعر أبيات
يقيت مفرد علم للهدى علما * يجلى به الجهل عنا والضلالات

قوله منها الى السمع الخ في نسخة من عودها الرطب اه

ودمت طود حجى فى الجود بحر ندى * تأتى اليه المعالى والكمالات
مالاح نجم على الخضراء منقد * وما رعته الجياد الاعوجيات

قلت فى قوله رعته استخدام لعوده الى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى الثبات وقد يتعدد ذلك كقول ابن الوردى

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فاكلها * بطلعتها ومجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير من غير استتار أيضا كقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد يكون بالضمير المستتر فى حال ونحوها كقوله

بذات العين جارية * مكحلة وظالعة

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير كقوله فى هذه القصيدة أخت الغزالة اشراقا وملتفتا

وقد يكون باسم الاشارة كقولى رأى الصفيق فأجرى ذا لناظره وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير أبدا حديثى ليس بالمنسوخ الا فى الدفاتر

فذكر النسخ بمعنى الابطال واستثنى منه بمعنى الكتابة وهو استثناء غريب يحتاج الى نظر دقيق فى ادخاله فى أحد نوعيه وله من قصيدة

فتجردت بيض الصفاح وألبست * علق النجيع كلة حمراء
والسمر مذ سقت الدماء زجاجها * أضحت ثمارا أرؤس الاعداء

وله من اخرى كأنما الخيل فى الميدان أرجلها * صوالج ورؤس القوم كالأكر

ومن رسالة لابن عبد الظاهر أصبح الاعداء كأنما خز أجسادهم جزائر يخللها من الدماء السيل ورؤسهم أكر تلعب بها صوالجة الايدى وأرجل الخيل وله من اخرى

سقى طلا حيث الاجارع والسقط * وحيث الظباء العفر ما بينها تعطو
يزيد هموم الودق مرتجس له * بافنانه من كل ناحية سقط
ولو أن لى دمعا تروى رحابه * لما كنت أرضى عارضا جوده نقط
ولكن دمعى صار أكثر دما * فأنى يرجى أن يروى به قحط

ومنها كأن انسياب الرمح فى الدرع صالح * من الرنش فى وسط الغدير له غط

والبيت الثالث كقول مهيار

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء اكثره دم

وقول الابيوردى سقى الله ليل الخيف دمعى والحيا * أريدا لحيا فالدمع أكثره دم

والاخير كقول المعرى توهم كل سابغة غديرا * فرنق يشرب الحاق الدخالا

﴿وله من اخرى﴾

مالاح فى افق المحاسن اذ سرى * الا حسدت بليل طرته السرى

عقد الازار على كثيب من نقا * فغدا اصطبارى وهو محلول العرى
لا تذكر الغزلان عند كناسها * معه فان الصيد فى جوف الفرا

وله أيضا الى كم امنى القلب والقلب موجع * وأزجر طرف العين والطرف يدمع
وحتى متى أشكو وفراق أحبة * عفا بالنوى منهم مصيف ومربع
وأستعرض الركبان عنهم مسائلا * عسى خبر عنهم به الركب يرجع
تصيرت عنهم وانثنيت اليهم * ولم يبق فى قوس التصبر منزع
أراعى نجوم الليل أرقب طيفهم * وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
ومازلت أبكى اثوا بعد بينهم * الى أن بدا مرجان دمعى يمنع
وما كان تبكى العين لولا فراقهم * عقيقا ولا يشفى الفؤاد طوالع
فلا حاجر بين الاحبة حاجر * ولا العلع مذ فارق الحى العلع
غربن شموسا فى بدور أكلة * فليس لها الا من الخدر مطلع
وشابهن غزلان الثقا فى نفارها * ولكنها بين الترائب ترتع
لها من مهاة الرمل عين مريضة * وجيد كجيد الظبى أغيد أتلع
ومن قضب البان الرطاب معاطف * تكاد عليها الورق تشدو وتسجع
وتغدو سيوف الهند لما تشبهت * بألحاظها فى الحرب تقرى وتقطع
ذكرتهم والقلب بالهم طافح * لبينهم والبحر كالليل أسفع
وما تنفع الذكرى لمن حم قلى * ووصلهم قطع وفيهم تمنع
ولا عجب فالبخل فى الغيد والدمى * طبيعة نفس ليس فيها تطبع
كما العيب كل الجود والود * بجيبة ذات ليس فيها تصنع

﴿وله من اخرى﴾

وركب ملاح صاحبوا النجم فى السرى * ترامى بهم فى السير بيد وتعنف
يخوضون بحر الآل يطفو عبابه * طفو دياجى الليل والليل مسدف
كأن المطايا والأكلة فوقها * سفين بأيدى الارحبيات تجدف

وكان له نديم أحدب يسمى أبا الخير يعده عيبة أسراره وجهينة أخباره وهو يديره عليه شمول وداده ويحنى اليه من كل وادٍ ثمرات فؤاده وينشده ترجمان لسانه عن محجب جنانه

ولقد جبلت على محبة وده * ما الحب الا للامام الصالح

جميع اخوانه اليه يلجؤن ومن كل حدب الى جزوته ينسلون خفت روحه فألفت بدنه خلقه ظهريا واتخذت ماسواه شيئا فريا كانه خاف الخطوب فهو متجمع حذر الوثوب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه متجمع لوثوب

وله به عز أنعس فى ربوة المعالى يغرس وطيفه بالظرف يسيح أخصب وفى أمثالهم أظرف من أحدب فهو سنام اللطف وغاربه وبحر أحدب الامواج يدانيه عجائبه ولم يزل

بعقام وداده حتى قبضت جواهر عمره يد الدهر النقاده

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

قلت ولم أسمع فى وصف أحدب ألطف من قول ابن المنجم فى ابن حصينة المصرى

يا أخى كيف غيرتنا الليالى * وأطالت ما بيننا بالمحال

حاش لله أن أصافى خلا * فيرانى فى وده ذا اختلال

زعموا انى نظمت هجاء * معربا فيك عن شنيع المقال

كذبوا انما وصفت الذى حزت من الفضل والبها والكمال

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * وهى فى الحسن من صفات الهلال

وكذا القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى

واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال

وأرى الانحناء فى منسر البازى * لم يعد مخلب الربيال

كون الله حدبة فيك ان شئت من الفضل أو من الافضال

فأنت ربوة على طود علم * وأنت موجة بحر تو ال

مار أتها النساء الا تمنت * لو غدت حدبة لكل الرجال

وأبو الغصن أنت لا شك فيه * وهو رب القوام ذو الاعتدال

عد الى ودنا القديم ولا تصغ لقيل من الوشاة وقال

وتذكر لياليا حين وات * أودعت حسنها عقود اللآلى

أترى بالدعاء يجمع شملى * أم رجائى مخيب وابتهالى

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزورنا فى الخيال

وعلى هذا النمط نسج ابن دانيال قوله فى رجل أحدب يسمى حسانا

قسما بحسن قوامك الفتان * يا أوحد الامراء فى الحدبان

أنت الحسام زها برونق حدبة * فزها على الخطية المران

يا مخجلا شكل الهلال بقده * حاشاك أن تعزى الى نقصان

ومماثلا قد القضيب اذا مشى * من حدبتيه يميس كالريان

ما عاب قامتك الحسود جهالة * الا أجبت مقاله ببيان

هل يحسن الجوكان الا أن يرى * مع أكرة فى حلبة الميدان

أو هل يزين المتن الا ردفه * حسنا فكيف بمن له ردفان

والعود أحدب وهو ألهى مطرب * ولقد سمعت بنغمة العيدان

وكذا سفين البحر لولا حدبة * فى ظهره لم يقو للطوفان

واذا اكتسى الانسان قيل تمثلا * فى المدح قامت حدبة الانسان

ومدار الاكبر يدعى أحدبا * فى علمه للقسط فى الميزان

يفديك فى الحدبان كل مكرم * يمشى الهوينا مشية السرطان

متجمع الكفين أقنص قد بدا * فى هيئة المتجمع الصفعان

ومن بدائع ابن خفاجة الاندلسى فى ساق أحدب أسود قوله

وكاس أنس قد جلتها المنى * فبانت النفس بها معرسه

طاف بها محدودب أسود * يطرب من يلهو به مجلسه

خلقته من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

ولعبد الله بن النطاح فى أحدب

قصرت أخادعه وغاص قذاله * فكأنه مستوفع أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

واذ جررنا ذيل البيان وسحبنا برد سحبان على الحدبان فنقول قوله وأحس ثانية الخ كقول ابن دانيال متجمع الكفين الخ وهو معنى بديع فى بابه لان متوقع الضرب يتضاءل من خوفه ونظيره من يريد الوثوب يتجمع ليثب فهيئته كهيئة من يريد السكون ولقد أجاد صالح البشتر يني من شعراء المغاربة فى قوله

نحاذر أحداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب أديب

ونرتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وهو مأخوذ من قول الآخر

سكنت سكونا كان رهنا لوثبة * تثور كذاك الليث للوثب يلبد

وقول الآخر قد قلت يا قوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

فى المثل الدهر ارود ذو غير قال الجوهرى أى يعمل عمله فى سكون لا يشعر به ويقال تلبد خير من التصيبئ يقال لمن يتشاجع ويضرب مثلا للفرار كما قاله الاصمعى وفى معناه قولى

أقول للائم العقلاء جهلا * تنبه كم فساد فى صلاح

وكم رجع الزمان عن الرزايا * رجوع اليأس أقصى للنطاح

(حسن بن محمد البوريني) ديباجة الدنيا ومكرمة الدهر ونكتة عطارد التى يفتخر بها الفخر حسنة اعتذر بها الدهر عما جنى ودوحة فضل غضة الانوار والجنى وزهرة الدنيا التى أنبتها الله تعالى برياض الشام نباتا حسنا فجعل الادب لروض فضله سياجا وأثار بدره فى سماء الكمال سراجا وهاجا ولم تزل مسائله الركان تقتفى بهديا أخباره ونسيم المسامرة يهب معطرا بنفحات آثاره وأنا أؤمل اجتلاء بدره المنير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فمن قصائده وغرر لعاته قوله

يقولون فى الصبح الدعاء مؤثر * فقلت نعم لو كان ليلى له صبح

فيا عجبا منى أروم لقاءه * وفى جفنه سيف ومن قده رمح

فى نفحة الشريف فى خوزه

وانسان عيني كيف ينجو وقد غدا * يطول له في لج مدمعه سبح
وان كان يوم البين يسود فحمة * ففي نفسي نار وفي مهجتي قدح
وليس عجيبا أن دمعي أحمر * وفي كبدي قرح ومن مقلتي رشح

وفي البيت الاول معنى حسن قال انه ترجمه من الفارسي مع أنه مشهور في كلام العرب قديما وحديثا كقول ابن شبيب

هوى صاحبي ريح الشمال اذا سرت * وأهوى لنفسي ان تهب جنوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب

ومثله قول ابن أذينة

قالت وأبثتها سرى فبحت به * قد كنت عندي تحت السر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

وتابعه الباخرزي فقال من قصيدة

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

وللبهاء زهير جعل الرقاد لكي يواصل موعدا * من أين لي في حبه أن أرقدا

وللعرجي وزعمت أن الدهر يعقبني * صبرا عليك وأين لي صبر

وفي معناه قولي

يقولون لي لم تبق للصلح موضعا * وقد هجروا من غير ذنب فمن يلحى
صدقتم وأنتم للفؤاد سلبتم * ومالي قلب غيره يطلب الصلحا

وقلت أيضا مذ أودعوا قلبي سر الهوى * خافوا من الواشي على حبي
فانتهبوا قلبي ولم يقنعوا * بالقلب حتى أخذوا لبي

عودا على بدء وله أيضا

وكنا كغصني بانة قد تألفا * على دوحة حتى استطالا وأينعا
يغنيهما صدح الحمام مرجعا * ويسقيهما كأس السحائب مترعا
سليمين من خطب الزمان اذا سطا * خليين من قول الحسود اذا سعى
ففارقني من غير ذنب جنيته * وأبقى بقلبي حرقة وتوجعا
عفا الله عنه ما جنى فلقد حفظت له العهد القديم وضيعا

وله أيضا أحول وجهي حين يقبل عامدا * مخافة واش بيننا ورقيب
وفي بالمنى والله أعلم أعين * تلاحظه في أضلع وقلوب

وهذا مما تداولوه كثيرا كقول أبي عبادة

أحنو عليك وفي فؤادي لوعة * وأصد عنك ووجهه وذي مقبل

وقوله أيضا حبيبي حبيب بكتم الناس حبه * لنا حين تلقانا العيون تلوب

يا عدني في الملتقى وفؤاده * وان هو أبدى لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أعين حين نلتقي * وتخرس منا ألسن وجنوب

ولابي تمام ولذا الثقيل من الظنون جلية * علم وفي بعض القلوب عيون

وأحسن منه قولي

تنازع فيه الشوق قلبي وناظري * فأثرنيه الطرف والقلب واجب
وتنظره من قلبي الصب أعين * عليها لمخنى الضلوع حواجب

وله في ترجمة معنى من الفارسية

ورق الغصون دفاتر مشحونة * مملوءة بأدلة التوحيد

وله أيضا قوله الناس نحو معادهم ومعاشهم * يسعون في الاصباح والامساء
وأنا الذي أسعى للذة نظرة * من وجهك المزري بدر سماء
والناس يخشون الصدود وانما * أخشى سلمت شماتة الاعداء

وأحسن من هذا قولي في رباعية

ما بي مهما رضيت عني باس * والصبر بمرهم لجرحي آس
لكنني أخشى اذا طال النوى * أن يشمت في الرجا مني الناس

وله أيضا أما ينقضي هذا الغرام من القلب * أما ينطوي هذا الملام عن الصب
ألا حاكم بيني وبين عواذلي * فيسألهم ماذا يريدون من عتبي
ألا راحم في الحب أشكو ظلامتي * اليه فقد زادت يد البين في حربي
ألا ساعة أخلو به فأبثه * لواعج نيران أقامت على قلبي
أما في الورى من فيه رقة رحمة * فيبدي له حالي ويوصله كتبي
لقد ضاقت الدنيا علي ببعده * على رحبها من غاية الشرق للغرب
اذا لاح تبدو وقفة في تلفتي * وأغدو لما ألقاه أحير من ضب
فمالي افصاح ولا فيه رحمة * فيسأل عن حالي ويفرج عن كربي
ولا أنا ذو نكر صحيح يدلني * على سبب التأنيس أو سبب القرب
واني الى مولاي أنهيت حالتي * فغاية شكوى العاجز بن الى الرب

وله أيضا الهي أدم حاكم الحب فينا * مطاعا وكل البرايا أساري
الهي وزد ذلك القدر ينا * واشرب سقيم الجفون العقارا
الهي على ضعف أهل الهوى * أنل لحظه في القلوب اقتدارا
الهي جنود الهوى أعطها * على قوة الصابرين انتصارا
الهي على الحب ألفيت صبرا * وعن حسنه ما أطقت اصطبارا
الهي أجبت رسول الهوى * ولم أتق منذ دعاني اختيارا

الهى رضيت بما ترتضى * بسرى وسلمت أمرى جهارا
الهى لى الجبر فيما ترى * وان ظنه العاذلون انكسارا
الهى أعد ليل هجرانه * بصبح الوفا والتلاقى نهارا

أقول هذا اسلوب من أساليب الفصاحة لطيف كما بيناه فى كتابنا المسمى بحديقة السحر وهو نقل الكلام من طريق الى آخر كاستعمال ما عهد استعماله فى الدعاء والمناجاة فى التغزل كما هنا ومثله لابن الوكيل

يارب جفنى قد جفاه هجوعه * والوجد بعصى مهجتى ويطيعه
يارب قلبى قد تصدع بالنوى * فالى متى هذا البعاد يروعه
يارب فى الاظعان سار فؤاده * يا ليته لو كان سار جميعه

ولم يزل يكرر يارب حتى أتم القصيدة ومنه استعمال ما ورد فى الرسائل والمكاتبات فى غيره كقول الشاب الظريف ابن العفيف

أعزز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون

ومن شعر صاحب الترجمة قوله

لها فى ربى قلب المحب مقيل * وظل باحناء الضلوع ظليل
وان ظمئت فالورد من ماء دمعه * يبل به عند الهجير غليل
فكم ألفت هذا الفؤاد كأنما * فؤاد المعنى بالسقام نحيل
أجل ان عفا من بعدهم فكانما * يجر عليه للجنوب ذيول
منازل هذا القلب كن أواهلا * وهاهى من بعد الفراق طلول
لله يا ابن الاكرمين أيشتفى * فؤاد لهين الظاعنين عليل
ويا ظبى هل بعد التفارق ألف * ويا بدر هل بعد الافول قفول
ويا منزل الاحباب أين ترحلوا * وهم فى فؤادى ما حييت نزول
يميلون عنى للوشاة وانى * اليهم وان طال الصدود أميل
أيجعل فى أحباب قلبى غدرهم * بغدرى وما غدر المحب جميل
على أنهم حفظ الوداد ان جنوا * وليس الى نقض العهود سبيل
وظبى أراد العاذلون سلوه * وأبعد شئ ما أراد عذول
وقد ضاع قلبى مذ رأيت جماله * فهل لى عليه فى الانام دليل
وما هاجنى الا ابن ورقاء صحرة * له فوق أفنان الرياض هديل
بردد فى صحف الرياض فصائدا * من الشوق يملها النا ويميل
تخيل أن البين آذى فؤاده * وكيف ولما يأته عنه خليل
ولم نختكم فيه الليالى ولم يبن * عليه لبين رقة ونحول

أما والهوى لو ذقت ما ذقت فى الهوى * لما ازدان بالاطواق منك تليل
على أنه ما فارق الالف ذهره * ومالى الى وصل الحبيب وصول
تنم غصنا فى رياض أريضة * تهب عليها شمأل وقبول
يصفق جذلان الفؤاد كأنما * تدار عليه فى الكؤس شمول

وأنشدنى له بعض الادباء رباعية هى

يا قلب الى متى عدالة النصح * كم تمزح كم جنى عليك المزح
كم جارحة عداعليها الجرح * ما تشعر بالخمار حتى تصحو

قلت ليست هذه له فانها فى ديوان محمد بن على كما ذكرناه فى ديوان الادب ومن شعر صاحب الترجمة

الا سامح أخا لك اذا تعدى * وأنق اليه فى الحرب الملاما
فمن يعتب على الخلان يتعب * ومن لزم المسامحة استراحا

وله أيضا

صاحبى من يودنى بالفؤاد * لا قريبى فى حلتى وبلادى
ليت شعرى اذا تناءت قلوب * أى نفع لصحبة الاجساد

وله أيضا

خبأتك فى عينى لتخفى عن الورى * لذلك قالوا ان فى العين انسانا

وأحسن منه قولى

خبأتك فى العين خوف الوشاة * وكم شرف الدار سكانها
ومن غيرة خفت أن يفطنوا * اذا قيل فى العين انسانها

ومن فوائده أنه سئل عن قول صاحب الهمزية

شمس فضل تحقق الظن فيه * أنه الشمس رفعة والضياء
فاذا ما تحمى محاذوره الظل * وقد أثبت الظلال الضحاء
فكان الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفاء

فذكرنا للشارحين فيه من الكلام الذى لا محصل له فخالفهم فيما قالوه من أن الدفاء بفاء بين وأظلت فيه بالظاء المشالة وذكر كلاما لا طائل تحته مبناه على أن أضلت بالضاد من الضلال بمعنى الاضاعة والدفاء بمعنى جماعة مسرعين من الجيش أو الملائكة وفيه خبط وخلط والذى عندى فيه انه تحرف عليهم أجمعين وانما هو هكذا

فكأن الغمامة استودعته * مذ أظلت من ظله الدفعاء

فاستودعته وأظلت مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ومذ بميم مضمومة وذال معجمة والدفعاء بدال مفتوحة مهملة وفاء وعين مهملة ثم مد بمعنى الارض وثراها كما هو مصرح به فى كتب اللغة والمعنى أن الغمام أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذ وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه وفى قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والآخر مذ صارت الارض كلها فى حمايته لانه ظل الله وفى معناه رباعية لى

ما جر اظل أحد أذيال * فى الارض كرامة كما قالوا

هذا عجيب وكم له من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وفى الثانية المنسوبة للسبكى التى نظم فيها معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وشرحها بعض المتأخرين

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الارض ماقى فانطوى لمزية

وأثر فى الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل حل بطحاء مكة

قال شارحها قيل انه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الارض لانه نور روحانى

ما الطه رأى البرية ظلا * هو روح وليس للروح ظل

والنور لا ظل له وكذا الروحانيات كالملائكة لانها أنوار مجردة قيل ولهذا أظهر الأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه ولا يخفى مافيه وقيل لم يرظله لان الغمام يظله وقيل هو تكريم له لئلا يقع ظله على الارض فيوطأ بمحله ونقل أن بعض اليهود كان يطأ ظل المسلمين اهانة لهم فعين له لئلا يمتهن وقيل غير ذلك وأما كون قدمه الشريف يؤثر فى الحجر دون الرمل فكان فى ذهابه الغار ثور مع أبى بكر كان يقول له ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم عليه لارادة الله تعالى لاخفاء أثره ممن يطلبه من المشركين ولان له الحجر اظهارا لانه لا يستعصى عليه ولتكون فيه سمة ينجو بها من النار التى وقودها الناس والحجارة ودلالة على شدة قسوة قلوب الكفرة الخ

﴿أبو المعالى درويش بن محمد الطالوى﴾ وحيد له الحزم ترب واللطف قرين وماجد ماله فى قصب السبق رهين ورئيس قضب المروة فاتح حصون الملمات عنوة سليل المعالى والكرم رفيق حواشى الطباع والشيم فكم فى علاه مسرح للمقال ومجال لمضمرات الامانى والآمال

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل مايعجبك

فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

حسان عصره وأبو عبادة دهره له فى المجد زند ورى وللاسماع من مورده العذب شرب وري نور محياه فى ظلمة الخطوب هادى وصيت كرمه لو كان للآمال حادى وبحر فكره المديد سريع ونسج طبعه أبهى وأبهج من وشى الربيع اذا حلى اجياد الغصون بعقود درر الغمائم وألبس هامات الربى من النبت مخضر العمائم فكأنه بسحر البيان أعدى عيون الغيد الحسان نجيم تجلى عليه المعانى صورة فصوره وتتلى عليه آيات الفضل سورة بعد سوره واذا كاتب بألفاظه الرقيقه وذات السحر لو كان فنه ورقيقه فكم سرح طرف طرفى فى رياض المنثور فجنى من حدائقه بيد الفكر غض الزهور ففاح نشر بلاغته فى ليل حبره ولا بدع للنثور اذا عبق فى عنبر الظلماء عبير نشره فخليت لسانى بعقود انشائه الدرية وأشرق على من فلك المساهرة كواكبها الدرية ورأيت سبع سطورها فى يد المجد وخيلان نقطها ترين من وجه الطرس صفحة الخد فسبحت عجبا من درلونه السواد ومن رياض كافور تنبت مسك المداد فكأن أسطره غصون حديقة * ومن القوافى فوقهن حمام

وهو فرع من شجرة آل طالو الذين فاقوا فى رتب العلى وطاولوا

ان حاربوا ملأوا البلاد مصارعا * أو سالموا عمروا الديار مساجدا

طلعوا فى ربى الجياد غصونا مورقة بالسلاح فبيضت فروعها من بيض الصفاح وسمر الرماح صبروا أكفهم للمكارم معدنا وأبوابهم لوفود السعادة موطنا فكم من راكب عجل استوقفته فوقف وأهدى الى من آثاره تحفا بكل طرفة تحف حتى ورد على بالروم فقر به نظرى ولم تسمع أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى فطار غراب البين من وكر العنا ونثرت على قوادم يمنه نثار الثنا وأناثت غريب الوجه واليد واللسان وليست الفرقة فقد الاهل بل فقد الاحبة والخلان فدار بينى وبينه كؤس محاورات تسكر الاذهان ويحتسى حياها فكر كل لبيب بأفواه الآذان ويوسم بها عقل الدهر وتغضى حياء منها عيون الزهر فما كتبته اليه لا ستمطر سحائب طبعه الغر وأستجدى كرما من رقيق خلقه الحر وأستمرى منه ماء الحياة على غلة قطرات لو وقعت فى بحور الاشعار لم يكن فيها علة قولى

قبلت مصطبحا شفاه الأكؤس * والصبح يبسم لى بثغر الأعبس

حتى غدت منها الغزالة واختفى * مسك الدجى عند الجوارى الكنس

والنهر سيف والنسيم فرنده * وله حمائل من خمائل سندس

أوصد رخود فتحت أطواقها * أوشقفت للوجد حلة أطلس

والطير تشدو والغصون رواقص * فى وشى ديباج الربيع السندسى

وعلى الخلاعة ليس جيدى عاطلا * من حلية المجد العزيز الانفس

ولواحظ مرضى بها اعتل الصبا * والصب بالسقم المبرح مكتسى

فتنت بأنفسها ففيها علة * من وجدها وفتورها مجورنسى

فلكم قطفت ثمار لهو أينعت * وغفلت عما قد جنى الدهر المسى

وطمردت آمالى براحة عفتى * ان التمنى رأس مال المفلس

رام التلمس بذل شعرى برهة * فطرحته كصحيفة المتلمس

وكلت طرفى بالسهاد صيابة * ووهبت نومى للعيون النعس

ونظرت خد الورد لما احمر من * خجل وقد بهتت عيون النرجس

وأظن خجلته لخد الطرس اذ * أمسى بوشى عذار شعر لمكتسى

ياعقد جيد الدهر غرة فخره * ولطراز ماحاك العلا من مابس

بل كعبة نجبت لها آمالنا * فدنت الى حرم الكمال الاقدس

من آل طالوتية طالوا الورى * بذرى أشم من المعالى أقعس

بمناقب تليت لنا آياتها * عنها يكاد يبين نطق الاخرس

ورياض فكر بالفضائل أثمرت * فغدت تحدثنا بطيب المغرس

أسكرتنا بسلاف شعر لفظه * كأس له فكرى بسمعى محتسى

وسرت نسيمات سحيرا أرقصت * لطربا بها عقل اللبيب الاكيس

فاعجب لها من أكؤس ما أبرزت * الا رآها الذوق نقل المجلس
وسهام أقلام له تصمى العدا * وتظل بين مسدد ومقرطس
ناجيته وظلام فكرى قد دجا * وصباح صفوى عنه لم يتنفس
فخلا السرور له بثغر باسم * طلق الجبين كوجه يوم مشمس
فاليكها مني قوافي دوحها * زاه بغير يد النهى لم يمسس
بكرا الى كف ترف ومعصرها * نقد الجواب براحة المتأنس
لازات في حلل المسرة رافلا * ما أحدقت ليلا عيون الخنس

فأجاب خذ تورد من لهيب تنفس * أم قد معسول المراشف أعس
من ريم وجرة أو وجآذر جاسم * لبس الشباب الروق أحسن ملبس
متوشحا خطى قامته فان * ماست فيا خجل الغصون الميس
فاذا رنا فاللحظ منه بابل * هاروت منه نطقه كالاخرس
أم عقد غانية الحسان زهت به * تيها على زهر الجوارى الكنس
أم لؤلؤ رطب تواثم زانه * حسن النظام بجيد ظبية مكنس
أم روضة غناء غنت في ذرى * أغصانها ورق بلحن مؤنس
حاكت لها أيدى الجنوب مطارفا * وكست معاطفها غلائل سندس
تابين أصفر فاقع أو أحمر * قان وأبيض ناصع ومورس
أم غادة هيفاء أذكرت الصبا * صباتنا سى العهد منه ومانسى
وافت وأفراس الصبا قد عريت * والقلب أقصر عن هواه وما أسى
وافت وفي بقية ألهوبها * من شرخ ماضى تعلة مفلس
من ماجد وشهاب فضل ثاقب * حلو الشمائل بالفضائل مكتسى
فظننت ريعان الشباب أعادلى * حتى الوصال من الحبيب المؤنس
فطفقت أهصر بانة من قدها * والقلب بين توجس وتهجس
حتى اطمأنت فاجتليت بوجهها * قمر السماء بليل شعر حندسى
لما بدا خفيت له شمس الضحى * في ثوب غيم ترتديه وتكتسى
نطقت مناطقها فأخرس دونها * نطق الفصيح وحارة فكر الكيس
لم لا وناظمها الشهاب من اعتلى * شهب العلى بكمال فضل أقعس
فرع نماه الى خفاجة محتد * والفرع ينبئ عنه طيب المغرس
وافت لنا منه حديقة روضة * خجلت لها سجتها عيون النرجس
طرس به زهر النجوم كأنه * صبح وهن به بقايا الحندس
لثمت شفاه الغيد قد مانقسه * فغدا له فيه حياة الانفس
اني لأعجب من شهاب قدسما * متبوأ العلياء أرفع مجلس

والشهب تطلع في السماء وحدها * فلك الثوابت وهو فوق الاطلس
لازلت في حلل الفضائل رافلا * متوشحا برد الشباب الأنفس
خذها وان كانت مقصرة فمن * شأن الكرام قبول عذر من مسى
شامية يعنو لها هر حسنها * وجه الغزالة والغزال الأعلس
وانعم بها لازلت ترشف سمعنا * من راح نظمك مترعات الاكؤس

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة له

يراعك أمضى من شفار الصوارم * ورأيك أجلى من بروق المباسم
مضاء يقد المرهفات وعزمة * لها في ضرام الخطب فعل الضراغم

ومنها ديارة مثل النجوم طوالح * قوافي لعمرى أخجلت كل ناظم
تساقط في الاسماع أولؤ لفظها * تساقط لطل فوق زهر الكمائم
بقيت لهذا الملك تحمى ذماره * بسمر براع الخط لا بالصوارم
جنابك محروس وبابك كعبة * لبطحائها حجى وفيها مواسمى

وله أيضا كفى به جائرا في الحكم ما عدلا * لو كان يسمع في أحبابه عذلا
وراح يضمر سلوانا بخاطره * عن مايدات قدود تخجل الاسلا
بل كيف يصحو غراما أو يفيق هوى * من بات بالاحور العينين مشتغلا
فما الهوى غير أجفان مهدة * تهمى بقلب بنيران الاسى شعلا
ولا الغرام سوى وجد يكابده * الى الحمى ياسقى الله الحمى نهلا
حمى دمشق سقاها غير مفسدها * صوب الغمام ورعى روضها اهلا
حتى تظل م الأرجاء باسمة * ويضحك النور في اكمامه جذلا
وخص بالجانب الغربي منزلة * لبت فيها الشباب الروق مقتبلا
مغنى الهوى ومغانى اللهو حيث به * مها اذا طلعت بدر السما أفلا
تلك المنازل لاشرقي كاظمة * ولا العقيق ولا شعب الغوير ولا
ديار كل مهاة كم أقول لها * والصبر ينحل في جسمى كما نحلا
بما بعينك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأمانات صددت فلا
الله يعلم اني بعد فرقتها * فارقت شرخ الصبا واللهو والغزلا
ما كنت لولا طلاب المجد أهجرها * هجر امرئ مغرم بالراح كأس لا
ولا تخيرت أرض الروم لى سكنا * ولا تعوضت عنها بالصبا بدلا
ولا استطبت عتاق الخيل رامية * بى المواسى تجوب السهل والجبلا
من كل طرف يفوق الطرف سرعته * وسابح مثل سيد الرمل ما عسلا
اذا تطلع من لج السراب يرى * بدرا غدا بهلال الافق متصلا

ومنها متى أقبى بى أرض الروم منتجعا * روضا أريضا وماء باردا وكلا

وقال بشر الروض الفضل قلت له * روض ابن بستان مولانا فقال بلى
هو الجواد الذى سارت مواهبه * تدعو العفاة الى نعمائه الجفلى
ومنها وهاكها من بنات الفكر غانية * شامية الاصل مهما سائل سألا
غريبة فى بلاد الروم ليس لها * كفؤ سواك فأنقد مهرها عجلا

وكتب له بعض أحبابه قصيدة هزت بنسيم عتبها عطف آدابه فأجابه بقوله عفا الله عنه

توشحت كالنجوم الزهر فى الظلم * بسمطين من لؤلؤ رطب ومن كلم
وقلدت جيد آرام النقا در را * بزت بهن دراری الافق بالقلم
وأقبلت فى مروط الزهر رافلة * تجر تيها فضول الربط من أمم
جيداء مصقولة القرطين مائسة * العطفين مخضوبة الاطراف بالعنم
كأنها حين وافت والفؤاد بها * صب صبا بنشر خزامى كالحلم
فالروض يبكيها القطر ليلته * بكاء طرف قريح بات لم ينم
شوقا لطيف خيال بات يرقبه * من ناقض العهد والميثاق والذمم
يضاحك المزن فيه الاقحوان ضحى * عن ثغر مبتسم بالدر منتظم
فالورق صادحة والروض ضاحكة * ثغوره بين منهل ومنسجم
تجاذب الريح أطراف الغصون بها * فتثنى والهوى ضرب من اللمم
يوما بأحسن مرأى من شمائلها * وقد أتت بعتاب من أخى كرم
مهذب القول الا أنه أذن * يصغى الى قول واش بالنفاق سمى
لا يعرف الود الا مذ ق ساعته * والشاهد العدل ما يتلوه من قسم
هيهات ما الود ممن كنت أعهده * باق ورقد حال عن عهدى ولم يدم
فيا له من عتاب لم يفه أبدا * بمثله أحد فى سالف الأمم
سوى امرئ ساء ظنا فى سنائمه * فساء ظنا بخل غير متهم
وشاتم العرض فيما قيل كن فطنا * من بلغ القول لا من ذا الذى عنه نمى
لا يعزين ذا للاحسان والنعم * بل ذا الذى يعزى لهم القاع والنعم
كم من أخ صارم ودى صبرت له * حتى ارعوى ووداد غير منصرم
يا من تعمر منه بيت باطنه * وظاهر الامر أن البيت لم يرم
يا من له من ودادى كل خالصة * أصفو بها صفوة الأخلاق من شيمى
أصخ لقولى واسمع ما أقول فلى * صبر له ركن رضوى غير منهدم
قد كنت ربحانة العيش التى بسقت * أغصانها فى حمى المعروف والكرم
فصوحت وذوى الغصن الرطيب فلا * دار بجزوى ولا ربع بذى سلم
ولا معاج على سقط اللوى وبه * جآذر قد كحلن الودق بالسقم
ولا على طلل دمع يراق ولا * يؤرق الجفن ذكر البان والعلم

خذها عقيلة فكر بنت ليلتها * وشاحها النجم عقد غير منفصم
واسلم على حالتى ود وصدق ولا * ملزان عقد نظام جوهر الكلم

وكان له غلام تعصره من شمائله سلافة اللطافة قد عجمته فى خدمته خفة النشاط الا أرداه أحلى من ظفر عانى وألذ من حديث الامانى لو قيل للحسن تمن المنى تمنى انه مثله لشغفه به سلم له قلبه فسرى به ربطه وحله فسلبه منه الزمان أبو البدائع وما كل خرق اذا وهى له رافع فكتب الى الشريف أمير الشام يستعديه على أعدائه وأقسم عليه بالحمية الهاشمية المور وثة من آبائه بقوله

بالله يا نشر العبير سرى بروضات الغرى
طاف المشاهد واثنى * نشوان من كأس روى
وأقام بالزوراء منها فى رياض الخابرى
منزل الآى الكريم ومهبط الوحى النبى
ان جئت ربع الشام فاقصد ساحة الشرف العلى
أعنى الشريف ابن الشريف ابن الشريف الموسوى
متحملا عنى السلا * م كمالك دارين الذكى
لجناب مولانا الوزير ولى مولانا على
ثم اشرحن من حال مو * لاه المحب الطالوى
ماذا التقى فى ثغره * صيدا من الدروز غوى
دين التناسخ دينه * لا بل يدين بكل غى
ويرى الطبائع أنها * فعالة فى كل شى
واتى بمكتوب الشريف اليه من بلد قصى
يوصيه فيه كأنما * أوصاه فى أخذ الصبى
فسقاه يوم فراقه * لا كان بالكاس الردى
وغدا الحشا من بعده * يبكى بدمع عندمى
فى غربة لا يشتكى * فيها الى خل وفى
لا جار يحميه ولا * يأوى الى ركن قوى
الا الى ركن الشريف الطاهر الشيم الزكى
حامى حمى الشرع الشريف بكل أبيض مخذمى
مولاى لى حق عليك فخذه من غير لى
بولاء حيدرة الوصى أخى النبى الهاشمى
لا تهملن من أخذ ثارى من كفور بالنبى
وابعث اليه مقانبا * فيها المكمى على المكمى
لو حاربت جند القضا * ء ثنت سراه عن القضى

جرافة لم تبق فى * الطلالة غير النؤى
وأشيعث ينمى الديار مع ابن داية فى النمى

قلت هذا بردسابرى أو محرساهرى تجرى منه مياه الفصاحة وتزهو من محياه أنوار الملاحة وفيه نفحة علوية وشكاية من ابن سيفاء وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتناسخ على رأى الحاكم بامر الله ويقال لهم درزية نسبة لحسين الدرزى وهو صاحب دعوة الحاكم ومعنى الدرزى الخياط وقوله الوصى هو على رضى الله عنه زعم الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة حين تآخى معه فى غدير خم وهو أمر مخالف لاهل السنة الا أن ممدوحه كان يقول بذلك فجرى فى شعره على معتقده والله أعلم بالسرائر وقوله لو حار بتخلو كان ينبغى تركه والغرى موضع بالكوفة دفن فيه على كرم الله وجهه والنؤى بضم النون والهمز جمع نؤى وهو ما يحفر حول الخباء حتى لا يدخله المطر والمراد باشيعث تصغير أشعث وهو الوتد لانه يشعث اذا دق وابن داية كنية الغراب والمراد أنه لا يبقى لهم أثرا ومما أنشدنيه قوله وقد أرسلها من الروم الى الشام

أنسمة الروض المطير * بالعهد فى زمن السرور
وأنيق أيام الشبا * ب وعيشه الغض النضير
ورنيق أيام التصا * بى يا لمعهدها الخطير
ومعاهد كان الشبا * ب وشرخه فيها يسير
هتفت فيه فصاح بى * داعى الصباح المستنير
فطفقت أنظر منه فى * أعقاب برق مستطير
فكان حسان المرا * بع فيه حسان البدور
أيام غصن شبيبتى * ريان من ماء الغرور
وذؤابتى شرك المها * وحبالة الظبى الغرير
حيث الشبيبة روضة * غناء صافية الغدير
فتناء رائدها المها * ة الرود من ريم الخدور
من كل مخطفة الحشا * كأخى الرشا أخت الغرير
طلعت بليل ذوائب * أبهى من القمر المنير
بيضاء وشحت الترا * ئب والنحور من الثغور
فكسى معاطفها الشبا * ب الرونق حسان الحبير
تمشى أناة الخطو فيـ * ـها رعية الظبى النفور
قويت على قتلى وفى * ألحاظها ضعف الفتور
وبما جرى يوم النوى * من درّ مدمعها النثير
كالعقد أسلمه النظا * م من الترائب والنحور

ويوقفنه التوديع والأنفاس تصعد بالزفير
ويدالفراق تشب فى الأحشاء نيران السعير
الا سريت مع الصبا * يا نسمة الروض المطير
فاجتزت من أرض العرا * ق على الخورنق والسدير
ووقفت بالزوراء وقفة زائر أو فى مزور
وحملت للكرخ النحيـ * ـفة من أخى شجن أسير
ونزلت من نهر الابا * ة والصراط على شفير
وأتيت فى شط الفرا * ت بملتقى العذب النمير
وسمعت هينمة الريا * ض وصوت جاذئة الخرير
وجذبت فى تلك الحدا * ئق طوق ساجعة الهدير
حفت بسرو كالقنا * ن تلفعت خضر الحرير
ولثمت خد الروض فيـ * ـه نبات ريحان نضير
وثنيت عطفك والصبا * ح يكاد يؤذن بالسفور
وأتيت بابل فاصطبحـ * ـت بمثل مصباح منير
يغنيك متهمة ومنجـ * ـدة سناها عن خفير
ثم انبريت مع الجنو * ب وحدت عن مسرى الدبور
حتى نزلت على الارا * كة أو رسيت على ثبير
فسقطت من أرض الحزا * مى والبشام على الخبير
وطلعت نجدا والدجى * يستل من أثواب قير
ومشيت فوق عراره * ما بين حوذان وخير
وهبطت غور تهامة * والشهب مالت للغور
ونزلت فى سفح الارا * ك رشفت زاهية البرير
وسلكت من وادى العقيـ * ـق فى منابت النجم الشكير
وأملت فيه ذوائب الاغصان من طلح نضير
وهصرت باتات النقا * ء هصر الرادف للخصور
فحملت منها من غوا * لى المسك فاغمة الزهور
وعبرت دارين العطا * ء وشمت غالية العبير
وازددت من أرج البكا * ء ورنده عند المسير
وجزعت وادى السحرليـ * ـلا وانثنيت مع البكور
والصبح يخطر فى الدجى * كلوحى يخطر فى الضمير
والفجر فيه واقع * خوف الصباح لدى الوكور

وكواكب الجوزاء تمـ * ـسكة الأعنة عن مسير
خافت سهيلا فانتضت * سيفا من الشعرى العبور
والنجم يهوى للغرو * ب كأنه كف المشير
فهبطت ربع الشام دا * ر اللهو بل مغنى السرور
ونزلت بالوادى المقدس شاطئا غير الشطير
وخطرت من بطحاء وادى النيرين على الصخور
و وقفت فى تلك الربى * ما بين روض أو غدير
وقرأت سكان القصو * ر بها السلام بلا قصور
لاسيما شيخ العلو * م مفيد أرباب الصدور
شمس الهداية والدرا * ية شيخ جامعها الكبير
كشاف أسرار البلا * غة عمدة الفتح القدير
معلى منار الشرع مغـ * ـنى المعتفى كنز الفقير
ورئيسها قاضى جما * عتها المحكم فى الامور
الفاضل اللسن المفـ * ـوه والمنزه عن نظير
أعنى به القاضى محب الدين ذا الرأى المنير
مولى أراع يراعه * قلب الطروس مع السطور
يبدى بديع وشى مخجـ * ـل وشى البديع أو الحرير
وأبو الضيا حسن حليف الفضل والادب الغزير
عجبا له فاق الاوائـ * ـل وهو فى الزمن الاخير
أدبر وقد لمتل زهـ * ـر الروض غب حيا مطير
ومشيدى أركانها * أمراء معلمها الخطير
منهم جناب الطالوى سليل أرتق ذى السرير
محيى مكارم حاتم * بين الانام بلا نكير
والمنجكى محمد السـ * ـامى على الفلك الاثير
فهو الامير ابن الامـ * ـير ابن الامير ابن الامير
ذكرتهم الانواء ذكـ * ـرى بالعشى و بالبكور
وكساهم خلع الشبا * ب الرونق مقتبل الدهور

منها

وقد عارض بهذه القصيدة مائى الحماسة وللناس على منوالها قصائد كثيرة أحسنها للشريف الرضى وهى

نطق اللسان عن الضمير * والسر عنوان الصدور

وعلى منوالها لأبى بكر الخوارزمى قصيدة مطلعها

ان الالى خاف الخدور * هم فى الضمائر والصدور

وقع

وقع الغبار عليهـ * ـم نقدا يتبعه على العبير
لما مشين على الثرى * تاه التراب على الاثير
ياسائلى من فى الهوا * دج والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنيـ * ـة والفطام عن السرور

وأنشدنى من قصيدة أخرى له

ذكر العقيق فسال من أجفانه * فاشتفه وجدا الى سكانه
واشتم فى ريح الصبا أرج الصبا * فصبا حليف جوى الى أوطانه
وثنى عنان مسجور الفؤاد الى الحمى * ورق سواجع هيجن من أحزانه
تملى من الورق الغرام وطالما * درست فنون العشق من أفنانه
فهن سالمة الحشا من لوعة * لم تدر طعم الوصل من هجرانه
تمسى وتصبح فى أرائك أيكها * مع الفها والعمر فى ريعانه
ترتاد أرض الشام أخصب منزل * حيث العرار سقا الى حوذانه
حيث المغانى مشرقات بالدمى * والغانيات يطفن حول معانه
فى ظل متجس اللجين جرى به * ذهب الاصيل يسيل من عقيانه
أحوى الظلال كأن سمرته لمى * عذب المراشف ناعم غزلانه
بيناترقد فيه من عذب الى * عذب يتوق الى العذيب وبانه
مع صفو عيش اذ رمتهانية * للروم فاجتها بسود رعانه
هبطت بها الاقدار أرض لم يكن * فيها نزول الوحى مع فرقانه
سوداء مظلمة الرحاب كأنها * قلب الحسود علته ظلمة رانه
فغدت تنوح على البلاد بمدمع * سح يبارى الغيث فى تهتانه
مأسورة القلب المعنى من جوى * مستجورة الاحشاء من نيرانه
تبكى اذا ذكر الحمى حيث الحمى * روض تغرد فى ذرى أغصانه
تنفك تنثر لؤلؤا من أدمع * كالدر ينظم فى عقود جمانه
حتى ترى روض الحمى أو تجتلى * وجه ابن بستان وحيد زمانه
ذو رتبة فى المجد رام بلوغها الـ * ـفلك المحيط فلج فى دورانه
سبقته فاستعدى علينا لماويا * لعجائف الاعمار فى سرعانه

وله من أخرى

لى فيكم كدرارى الافق سائرة * هى اللآلئ الا أنها كلم
من كل شامخة العرنين تحسبها * فى الشعر لبنا لها من نفسها أجم
تبقى على صفحات الدهر خالدة * كالانجم الزهر عقد ليس ينفصم
أوغادة حسنها قيد النواظر فى * ألحاظها اسقم فى أنفاسها تعم

﴿وله من أخرى﴾

حمى الشام جاد الغيث ماحل تربه * مغانى الهوى فيها معان أحبتى
وبلغت بأعلى النيرين مع الصبا * تطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب قد جرى * خلال سمار وضاته كالجمرة
يجاوب سجاع الحمام خريره * فتصغى له الورقاء من فوق أيكة

ولله در أبى الحكم فى قوله فى هذا المعنى

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * بجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء سرا مضمرا

﴿وقوله من أخرى﴾

بياض طرس جرى ذوب النضار على * لجينه للآل حيرت فكرى
كاللؤلؤ الرطب الا أنها فقر * غير الاديب اليها غير مفتقر

﴿ومنها فى السفن﴾

ركائب ليس ترضى بالجديل أبا * لكنها من بنات الماء والشجر
ثم العرانين دهم ما بها وضح * الا نجوم الليالى موضع الغرر
مازلت أجدف طوفان الخطوب بها * وأتقى حادث الايام والضرر

ومنها خذها فدتك نفوس الشعر قاطبة * فقد علته بمدح فيك معتكر
طائبة الاصل الا انها نشأت * بربوة الشام فى روض على نهر

ورأى نيلوفرة صدف الدر السحاب وحقق بجوهر الندى المذاب كأنها بوتقة أذاب بها الجو نضاره أو كأس فى يد مصطبح بداوى بها خماره أو مقلة صب كئيب قد نخاها على الغفلة الرقيب بعد ما امتلأت بدمع الهوى وتردد فيها الدمع من حيرة النوى وقد طفا عليها الماء الزلال فبلغ حافاتها وماسال بل لخشية فراقها تشبث بأهداب أوراقها فقال مضمنا وأجاد

ونوفرة كعين الصب شكرى * تجسم الماء خشية أن يراقا
ذكرت لها النوى يوما فاضت * وصارت كلها للدمع ماقا

وشكرى شين معجمة بمعنى ممتلئة وهو من قصيدة للمتنبى أولها

* نظرت اليهم والعين شكرى * فصارت الخ وأنشدنى له أيضا

شام برق الشام بالروم خدوعا * فانبرت أجفانه تذرى الدموعا
هب من عليا دمشق موهنا * هبة المصباح فى الليل ذريعا
جزع الآفاق فى هبته * وأتى الروم سرى الايم جزوعا
خفقت راياته فى أفقه * خفقان القلب قد أمسى مروعا
وتعت شعلته وسط الحشا * وسناه طار فى الجو رفيعا
ليس يدرى ونعما غير شح * فارق الاوطان مثلى والربوعا
أو معنى بهوى تيمه * من غزال راح للوصل منوعا

يجعل الشمس سناء وسنا * ومهاة الرمل جيدا أو وليدا
أسهر الجفن خليا عن كرى * مقلة لاتطعم النوم هجوعا
كيف يكرى ناظر فارقه * ناضر العيش من الليل هزيعا
وشباب شرخه مقتبل * كان للصب لدى الغيد شفيعا
لم يكن الا كحلم وانقضى * أو خيال فى الكرى مر سريعا
أزعجت حسرته لاتنقضى * آه ما أسرع ماولى زعيعا
لست أرضى منه بالسقياله * وسحاب الجفن يسقيه النجيعا
والذى هاج الهوى قمرية * بالضحى تهتف بالأيك سجوعا
كلما ناحت على أفنانها * هاجت الصب غراما ولوعا
واذا عنت له غنت له * ذكر الشام فزادته صدوعا
ياسقى الله حماها وابلا * مسبل الطرف من الغيث هموعا
حيث ربع اللهو منه آهل * والغوانى فى مغانيه جميعا
كل رود لست شرخ الصبا * وهوى ان تدعه لبى مطيعا
كم لثاف بين من بهنانة * ولع القلب بها خودا شموعا
لست أنسى ساعة التوديع اذ * وقفت فى موقف البين خضوعا
وهى تذرى لؤلؤا من نرجس * فوق ورد كاد طيا أن يضوعا
علقت ذيلى وخانتها الهوى * فانثنت من وقفة البين صريعا
وأفاقت وبها حر الجوى * ثم قالت وشكت دهرا خدوعا
لارعى الله المعالى مطلبا * كم نرى صابها مغرى ولوعا
كنت لى بدرا منيرا فاختفى * فى سرار بعد ما سرى طلوعا
وشبابا لاح برقا عندما * أشعل الرأس سناه راح سريعا
أيها الظاعن والقلب على * اثره مذ سار مازال هلوعا
لاتكن للعهد بعدى ناسيا * ياحياتى واعطفن نحوى رجوعا

وهى طويلة ذكر فيها اغتربه بالروم واشتياقه للشام

﴿محمد بن قاسم الحلبى﴾ يتيمة الدهر وبيضة البلد ممن نزلت فضائله بين العلماء والسند أخ لمن تجنبه الدهر شقيق جر العرض على أنه عبد الصديق فكم له من يد خضراء تبتهاد بيضاء كما اخضرت الهضاب من أبيض نسج خيوط السحاب

تمد على الآفاق بيض خيوطه * فتنسج منها للثرى حلة خضرا

وله شعر راق بجيد الدهر عقده وعذب على لسان الدهر المحلى بالفصاحة ورده وزهاى يانع الرياض البهية شقيقه وورده مع فضل حلا فى أفواه الليالى تناؤه وأثنا فى دجى المشكلات سناه وسناؤه * له صائف أخلاق مهذبة * منها الحجى والعلا والفضل ينتسخ

(محمد بن قاسم الحلبى)

وكانت أخباره تغدو على مسامعي فتتشوق الى لقياه أجفان عيون مطامعي حتى لقيته بالروم فاهتزت به أعطاف المسره ونلت به ماهو للروح قوت وللطرف قرة وعود الدهر المورق يختال فى غلائله وفينان روضه كأنما سرق الحسن من بعض شمائله بطبع أرق من برد النسيم هلهله الشمال وأصفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال فدارت بيننا شمول آداب ظل لها ثغر الأنس باسما وانتظمت عقود عهد كان لها كف المودة ناظما ولما لم يرض مقامه بحلب وفطم أمله مما أدر الدهر له بها وحلب لأن زاجر الحى لا يطرب وما كل حاملة اذا نتجت تنجب سار عنها وسلك الطريق حتى نزل بين وادى العذيب والعقيق فلما أخذ الله كريمته وعوضه جنة عدن لديه تربعت أقدام اقدامه وقد سقط فى يديه فقعد ينتظر دعوته حتى تلقاه وان كان مع الركب اليمانين هواه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فما دار بيننا من كؤس الادب ما كتبته اليه وقد قدم من حلب

حمام يغرد فى صدوده * والصبر قد كثرت جنوده
سكران من ألحاظه * قامت على قلبى حدوده
وسقيم طرف لم تزل * أبدا لواحظنا تعوده
برقت بوارق وصله * والهجر قد خرست رعوده
غصن تميد به الصبا * فى كثب أرداف تؤده
لم أدر فاتر جفنه * والخصر أسقم أم عهوده
نشوان يعبث بى كما * عبثت بآمالى وعوده
لولا مياه الحسن جا * ت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه * يسعى لأحرقه وقوده
يخفى الهوى وعيونه * بغرامه الماضى شهوده
شهادة ليست ترد * فليس ينفعه جحوده
فى روض الحسن من * دمى حبابه فى مديده
زمن يجيد الله وقد * نظمت على نسق عقوده
اذ دوح أنسى يانع * بكؤسنا انفتحت ورده
والكاس نجم لاح فى * تلك المسرة لى سعوده
يصفو فيحكى ذكر من * قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى * مازال فى تعب حسوده
رقت به حلل العلا * وزهت بطلعته برده
مازال يسقى من ميا * ه الفضل حتى اخضر عوده
فيكاد يورق بالسعا * دة مثمرا منها ونوده

قد كاد ذه رى عاطلا * حتى تحلى منه جيده
مجد طريف يغرق الافكار اذ يبدو تليده
يا بالكارق القلو * ب فتكها حبا عبيده
بل جنة فيها بطيب ثنائنا أبدا خلوده
فى الشعر ليس يبالغ * أدنى بديهته وليده
قد كان فكرى صائما * حتى طلعت وأنت عيده
فأبيكها عقدا لجيد الدهر زينه نضيده
بكرا يروم جوابها * مهرا تروق لها نقوده
ولئن تمكن قيد اللهى * فالحب تسحلى قيوده
فالبس لباس مسرة * فى الدهر لا يبلى جديده

فأجاب وأجاد

لاظبى افتنه وجيده * والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى * فى ثغره منه نضيده
وبوجهه شرك العقو * ل فأى عقل لا يصيده
فى كل يوم للهوى * من حسنه معنى يزيده
روض سقاه الله ماء * الحسن فاحمرت خدوده
يستوقف الابصار حتى * لا يسوغ لها ورده
ملك تحكم فى الجما * ل فنال منه ما يريده
وجرى بأسرار الهوى * للناس من دمعى بريده
مازال يسطو فى الورى * من فعل مقلته جنوده
* حتى ظننا انه * بالاجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما * صانعته عنه يعيده
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغنى جحوده
وهو النهار اذا بدا * من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا شهاب الفضل اذ طلعت سعوده
مازال يسمو فى سماء المجد زينها وجوده
حتى تقطعت المطا * مع عنه واستعفى حسوده
وقاد ذكر أى خطب ليس بطوقه وقوده
كرمت له همم الى * غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما * ن بما يقلده فريده
من كل بحر من مزا * يا الحسن قد نظمت عقوده
واذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لبيده

قد كنت أجهد فى ابتغا * ء لقاء أيام تفيده
حتى وفت لى بالذى * قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى ان يفرقها وفوده
مولاى عذرا انها * من خاطر قد جف عوده
تعدت بقول الشعر فى * عهد الصبا حينا عهوده
لبى دعاك وأى مو * لى لا تلبيه عبيده
ماضره عبد نأى * مادام من اقبالك عبده

ومما أنشدنيه قوله

متعنا يومنا بحبو * بس على السرمته ستر
كأن فى الجو منه كنزا * سال على الارض منه تبر

وقوله فى مليح مصفر العذار كأنما خاف الدهر على ذهاب حسنه فقيده بسلاسل النضار أو ملك الجمال بلغ كماله فتلثبكاة صدغه سلسلة الغزاله

لما التحى تمت محا * سن وجهه وصفت طباعه
وغدا بلطف عذاره * قمرا أحاط به شعاعه

ومما رويناه فى معناه قول الخطيب الخطيرى

وأشقر الشعر من لطافته * يجرح لحظ العيون خديه
فان بدا من يشك فيه فلى * شاهد عدل من لون صدغيه

وله أيضا كأن صدغيه فى احمرارهما * قد صبغا من مدام وجنته

وله أيضا ما احمر شعر حبيبى أن وجنته * سقته من صبغها خمرا ولا خجلا
وانما الفحت خديه من كبدى * نار فدبت الى صدغيه فاشتعلا

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة

قد دعاه الهوى وداعى التصابى * لاذكار الاوطان والاحباب
فأتت دون صبره من أليم الوجد نار شديدة الالتهاب
فذوى غصنه الرطيب وجفت * من رياض الصبا مياه الشباب
شعر المرء نسخة العمر والايام فيها من أصدق الكتاب
فاذا تم منه ما كتبته * ترتبه من شيبه بتراب
لست آسى على الصبا انما أذ * كر حقا لأقدم الاصحاب
قد سقتنى عهوده العيش صفوا * وكستنيه مونق الجلباب
ومنها بحر فضل لو قيس بالبحر كان البحر فى جنبه كلمع السراب
مزج الفضل بالسخاء كما ما * زج ماء الغمام صفو الشراب
واذا قيل خلقه الروض أضحى الروض ملقا بذلك الانتساب

ما عسى أن أعد من مكرمات * ضبطها قد أعى على الحساب
واذا ما الافكار أمعنت فيها * غرقت من بحارها فى عباب
أنت من ناظر الزمان سواد العين والناس منه كالاهداب

قوله شعر المرء نسخة العمر الخ معنى بديع ونحوه قولى

لعمرى ان الدهر خط بمفرقى * رسائل تدعو كل حى الى البلا
أرى نسخة للعمر ستودها الصبا * وما بيضت بالشيب الا لتنقلا

ونحوه قول الارجانى

وقد علت غبرة الشيب الشبيبة لى * فبت للاجل المكتوب مكتليا
كتاب عمرى اللبالى ترتبه وما * أدنى المترب أن تلقاه منطويا

وللامير العاصمى وهو شاعر معاصر للصاحب وان لم يذكره فى اليتيمة

تعجبت حين راع شعرى * من بعد نضوى الخضاب حالى
قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدا لى
فقلت لا تعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى

قلت لولا مشاكلة الطاحونة الاولى ودورها معها لقبحت هذه الاستعارة جدا وللغزى

مسحت عارضى وماذاك الا * أنها ظنت الشيب غبارا

قال العماد تشبيه الشيب بالغبار حسن وكنت أظن انى ابتكرته فى قولى

ليل الشباب تولى * والشيب صبح تألق
ما الشيب الا غبار * من ركض عمرى تعلق

قال وشبهته أيضا بالتتريب فى قولى

أصد ودا ولم يصد التصابى * ونفارا ولم يزعك المشيب
وكتاب الشباب لم يطوه الشوق ولا مس نقشه التتريب

ولمحمد القيسرانى

لا تنكرى وضحا بست تثيره * ركض الزمان أثار هذا العثيرا

وقوله كنت أظن انى ابتكرته عجبت منه مع قول ابن المعتز

صدت بر وأزمعت هجرى * وصغت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وهو مسطور فى ديوانه وقد نازعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم العماد لكنه طفيلى وقد حذا حذو فى قوله

اذا كتب الشباب سطور سلك * وأثبر بهن كافور المشيب
فيا أسفى وما أسفى وحزنى * سوى طى الصحيفة عن قريب

وعلى ذكر التتريب فما أحسن قول الطغرائى فى وصف كتيبة من قصيدة له

عليها سطور الضرب تجسم بالقنا * صحائف يغشاها من النقع تتريب

وللمهذب الموصلي

تردى الكتائب كتبه فاذا غدت * لم تدر أنفذ عسكرا ام اسطرا
لم يحسن الترتيب فوق سطورها * الا الأن الجيش يعقد عثيرا

ومن انشاء ابن الاثير صدر هذا الكتاب والفتح غض طري لم تنصل حمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره تترب بغبار عجاجه ممثلة بضرب خطيه وانجاء زجاجه وقلت مع زيادة حسن التعليل

جيش كان الارض من تحته * صحف غدت أقلامها من الرماح
مذ سطر الجند على وجهها * تربها النقع فلاح الفلاح

حديث تتريب الكتاب

وأصل هذا ما رواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليترب به فانه أنجح للحاجة رواه أبو داود وقد تكلم الناس فيه وقيل انه موضوع وفي النهاية معناه ليجعل عليه ترابا وقال الطيبي ليسقطه على التراب حتى يصير أترب الى المقصد اعتمادا على الله في ايصاله اليه وقيل معناه التواضع في خطابه والمراد بالتتريب المبالغة في التواضع انتهى ومما أنشدنيه

يا ربع سقاك كل مزن غادى * قد كنت محل انسنا المعتاد
هل يلحظني الزمان بالاسعاد * يوما فتعود فيك لي أعيادي

فائدة عربية

(فائدة) قال السيوطي في شرح السنن الاسعاد المعاونة في النياحة خاصة وفي غيرها المساعدة وأصله من وضع الساعد على الساعد انتهى وعلى هذا فالاسعاد هنا ليس مستعملا فيما وضعته العرب وان صح على انه مجاز مرسل في مطلق المعاونة لكن الفصحاء يستقبحون مثله وقد بينا في كتاب قرض الشعراء المسمى بحديقة السحر فانظره ثمة ومما أنشدنيه أيضا قصيدة في تهنئة بختان واخترت منها قوله

فوائد في الختان وفي تعليم الاطفال وغيرها

أعلامة الوقت مولى الموالي * وقرة عين العلا والكمال
تبوء من المجد أعلى مقام * وضع نعل مسعاك فوق الهلال
فقد أيقن المجد أن المجيء * بمثلك في الدهر عين المحال
نبشري لكم بالختان الذي * به لبس المجد ثوب الجمال
هو الشمع ان قط لا غروان * أنيرت به حالكات الليالي
وظفر بتقليمه لاتزال * أكف المكارم منه حوالي
وتشمير ذيل لدى الاستباق * لنيل الامانى وكسب المعالي
وما للبراع اذا لم يقط * فضل يعد على كل حال
ومن بعد بري الغصون ازدهت * عليها أسنة سمر العوالي
فلا برحت من مزاياكم * بجيد الزمان عقود اللآلي

وفي معناه للقاضي الفاضل الحمد لله الذي أطلعه بثنيات الكمال وبلغه غايات الجمال

ويسره

ويسره لدرجات الجلال ونقله تنقل الهلال وشذبه تشذيب الاغصان وهذبه تهذيب الشجعان وأجرى فيه سنة من لها الحديد فنقصه للزيادة واستخلصه للسيادة ودربه للاصطبار وأدبه للانتصار وألقى عنه فضلة في اطراحها الفضيلة وقطع عنه علقة حتى منعها أن لا تكون بمثله وصوله فلم يزل التقليم منوها بالاغصان ومنها الثمر الوسنان ومبشرا بالنماء وميسرا للنشء والانتشاء ولابن فضل الله في ختان الملك الناصر

لم يرق له الختان جنانا * مذ أصاب الحديد منه حديدا
مثل ما تنعش المصابيح بالقطف فتزداد في الضياء وقودا

وأصله قول الغزي

تمالك ودي حين قلت رأسه * قياسا على الاقلام والشمع والظفر

ولابن مطروح

اقد سرت البشائر والتهاني * الى الثقلين من انس وجان
وبصغر كل مبتهج اذا ما * نسبناه الى هذا الختان
تود الزهرة الزهراء فيه * لو اتخذت به احدى القيان
وأن البدر طار في يديها * وأن مراسلها الفرقدان
وتستملي من الافلاك لحنا * فما قدر المثالث والمثاني
وتسقى بالثريا فيه كأسا * ولا أرضى لها بنت الدنان
ولكن من رحيق سلسبيل * بأيدي عبقريات حسان
وبصغر خادما يجرام فيه * على ما فيه من بأس الجنان
فلولا انه فرض علينا * لما مدت لختانه يدان
وقطع الشمع يكسبه ضياء * وقطع الظفر زين للبنان

وللصنوبري أيضا

أرى طهرا استبشر بعد غرس * كما قد تثمر الطرب المدامه
وما لم يمغن عنك الا * اذا ما ألقيت عنه القلامه

فائدة لغوية بالطهور والطهر

قلت الطهر بالضم والطهور بالفتح والتطهير كنايات عن الختان استعملها المحدثون كقولهم للاعور ربع كما ذكره الثعالبي في كتاب الكناية وفي كتابه المسمى بمرآة المروآت وغيره ومن شعر صاحب الترجمة

ما كنت أحسب أن يكون كذا افترقنا سريعا
قد كنت أنتظر الوصال فصرت انتظر الرجوعا

وله أيضا

والله لولا حصول معنى * في خاطري منك لا يزول
ما كان بالعيش لي انتفاع * ولا الى مطلب وصول

وله

قد كنت أبكي على من مات من سلفي * وأهل ودي جميعا غير اشتات
واليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المودات
فما حياة امرئ أضحت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

وله
و يسلى من المعرض لا قسوة * لكن لاقوال العدا والوشاه
ماراح للعين سنا وجهه * الا ونهاها من رقيب قذاه

وله مضمنا
صب على الشنب المعسول ذاب أسى * و بات من حر نار الشوق فى شعل
كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من محبة النار أم من فرقة العسل

وكتب الى فى مرض اعتراه فسلم أعده لمرض أصابنى تعتب على ولم يدر ما عاقنى عن العيادة سيدى ومولاى يعلم أن القلوب وهى حصون المودة لا تفتح عنوة والدهر لم يرق للصلح موضعا تتملك منه يد الامل بعروه

ووادى كما عرفت ودادى * وفؤادى كما عهدت فؤادى

وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وان للبيت ربا يحميه وقد عرض من السقم ما عاق عن العياده وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عبادة وكيف يصح بدن روحه سقيمه فلذا أنشدا سان حال المودة السليمه

رأيت الفضل فى الدنيا غريبا * ضعيفا فى معالمها نحيفا
فلما أن سألت الدهر عنه * أجاب ملاحظا معنى لطيفا
وقال لى ابن قاسم المفدى * وعين الفضل قد أمسى ضعيفا
فقلت له حمى الله المعالى * بصحته وآمنه المخوفا

وكتبت مع ذلك شعرا عرضته عليه وهو قولى مضمنا

يزيد اشتياقى نحو مصر وأهلها * كما زاد مد النيل حتى تفجرا
أذاب النوى صبرى وأفنى مدامعى * فقالوا سلا عن حبنا وتسترا
ولم يبق لى الا تفكر نيلها * ولو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

قولى
ان وجدى بمصر وجد قديم * وحنينى كما تراه حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى * زاد عن فكرتى ففاضت عيونى

وقولى ناسجا على منوال شعر الزمخشرى المشهور

وقائلة ما هذه الأبحر التى * جرت من مآقيه ولم تك غائضه
فقلت لها أنهار مصر التى ثوت * بخاطره أمست من العين فائضه

ثم من لى معنى آخر حال الكتابة وهو

يا كوثرا ان سدت عنه مسمعى * تلقاه فيه قد جرى بخريره
لحديث نيلك مصر أنحى مصغيا * حتى يحوضوا فى حديث غيره

فاجاب أبقاه الله
أتتنى رقعة من ذى ولاء * وفى نشر أمر أدنفانى شعيفا
أبانت منه معذرة بسقم * ألم به وصار له حليفا
وشاطرنى السقام ولم يزل بى * على طول المدى برا رؤفا
وذاك أبر فى من التصابى * وأوفى من عبادته ألوفا

تفيه السوء نفسى فهو من لم * يزل يكسى به الفضل الشفوفا
شهاب ثاقب محت الليالى * بطلعته من الدهر الصروفا

مولاى فكرى الكليل عليل والاستقصاء فى مجاراة سيدى ما اليه سبيل وسلامتكم غاية المسؤل والعذر عندكم ان شاء الله تعالى مقبول والسلام

﴿وقال جوابا عن كتاب﴾

ورد الكتاب مبشرا بقدوم من * ملأ النفوس مسرة بقدومه
فطربت بالاسجاع من منطوقه * وتمثلت بالجريال من مفهومه
وسجدت شكرا عند مورده على * اسعاد هذا العبد من مخدومه

وقال أيضا
قال لى العاذلون لم ملت عمن * بحياه يخجل الاقمارا
قلت كان الفؤاد عشاله اذ * كان قرطا وحين ريش طارا

وقوله رباعية
يا حيرتا فى حلب الشهباء * من يوم فراقكم سرورى ناءى
قدمت لبعدكم غراما وأسى * لقد غلطا أعدى الاحياء

﴿الامير أبو بكر الحلبى﴾ المعروف بابن حلالا أمير جيشه الهمم وبحر تغترف منه الديم تسكر من ألفاظه المدام فاذا ساقط الحديث سقاط الدر أسلمه النظام أو بدا روض أدبه فاحت له الأغصان فى الرياض على الأقدام وحبب ساحة الصدر وصليب قناة الصبر لم يعقد حبوة رأيه الا بيد الحزم ولم يحل الدهر ما عقده الا براحة العزم فلا يدخل الطيش حلمه ولا تحل يد النوائب حزمه أدبه أرق من دمع السحاب وأصفى من ماء الحسن فى رياض الشباب الا انه اقتصر عليه وجعل جملة متاعه فى يديه والادب روضة ذات أفنان لا تزهو الا اذا كانت ذات أنواع وألوان فلذا مل ما روى شعره من ماء النضاره واكتسى غصن لفظه ورق الغضاره ولم يحضرنى منه الآن غير قوله

أيا بحرا غدونا من نداه * نقدم بعض أنعمه لديه
كذاك البحر ينشأ منه غيث * و بعض سحابه يهدى اليه

وهذا معنى مشهور وروى فى معناه قول البديع

أهدى لمجلسك الشريف واغما * أهدى له ما خزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وقد ضمنه بعضهم ونقله من الجد الى الهزل فقال

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماءذا * كالبحر يمطره السحاب

وقد حضرنى فى معناه ما كتبته مع سمك أهديته

أهديت حوتا نحو من * فاتت عزائمه السماك
فاقبل بعفلك عذر من * أهدى الى البحر السماك

ومن الفصول القصار المهتد لمن فوته مهتد للبحر بالشرق وللحوت بالغرق

ابراهيم ومحمد ابنا أحمد الحلبي المعروف بالملا هما من دوحة الكمال غصنان بل روضان أنبتهما مرجان ولا أقول نهران فهما بحران يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كل منهما جواد يفرغ الخزائن بجوده فيملأ بالغيظ قلب حسوده طويل الباع عذب المورد اذا ظمئت الاسماع عرف فكره صقيل الطبع و بحر كرم متموج هبوب نسيم ذلك الطبع رقيق حواشي المجد أرق من عبرات أسالها الوجد وضاح المحيا تحمر خجلا منه خدود الحميا صنفا وألفا ولاحا كغصني بانة قد تألفا نشآ في حجر الفضل والحسب ورتعا في روض النجدة والادب في زمان شحت فيه الجهل بالفضل ورقى صهوة عزه كل قدم تذل نجمان بأيهما اقتديت في طرق المعالي اهتديت فهما في مغرس الكرم صنوان وثمراتهما صنوان وغير صنوان وروضا محامد يسقيان بماء واحد ووالدهما مهما ألف وأفاد وعدت موارد افادته للوراد له تآليف كثيرة منها شرح مغني اللبيب طرز بتحريره حواشيه ودخل جنته من أي باب شاء من أبوابه الثمانيه فمما أنشدته لمحمد ابنه

في الليل وفي النهار حرّ اكبدي * مقتول ضني بجائر ليس يدي
ترشي عيني جواهر الدمع على * لقياه تظن أنه طوع يدي

وهو معنى مترجم من الفارسية ومنله قول صاحبنا محمد القاسمي

لقياك سرور قلبي المحزون * والوحشة من هواك لا تعدوني
يا ويح عيوني خشيت شقوتها * مني فأتت بدرها ترشيني

وقريب منه قول ابن الرومي وهبت له عيني الهجوعا * فاثابها منه الدموعا

وأحسن منه قول الارجاني

لولا طروق خيال منك منتظر * يلم بي راقدا ما ساء في سهري
كأن جفني اكراما لزائره * أمسى على قدميه ناثر الدرر

ولابراهيم من قصيدة قرظ بها شعرا ليوسف بن عمران

أطرسك هذا أم لجين مذهب * ونظمك أم خرلؤلؤ منسكب
وثلاث سطور أم عقود جواهر * وزهر سماء أم هوالروض مخصب
وثلاث معان أم غوان ترقرق للعيون و باللحن السامع تطرب
فيا حبذا هذي القوافي التي بمن * يعارضها ظفر المنية ينشب
لقد أحكمتها فكرة ألمعية * فكلت اماما من رقة النظم أشرب
فكم غزل قد هز ذا سلوة الى النصابي فأضحى بالغزال يشبب
فيا بحر فضل فائضا بلآلئ * لها فكرك الوقاد مازال ينقب
ظننت بأني للخطاب مؤهل * فأرسلته شعرا النظمي يخطب
فعذرا فان الفكر مني مشتت * وعقلي بأيدي حادث الدهر ينهب

وكان العماد بينه و بين أحمد مودة صافية وفي بعض الاحيان تجري بينهما مداعبات وأحماض فكتب له مرة وقد رأى ميله لمعذركان من جملة خدامه يستفتيه في رأي أهل الموصل

ماتقولون ياذوي الافضال * وأولي العلم والحجى والكمال
في أناس يرون في حلب الشهباء رأي الهوى وحب الجمال
قد تحيرت في هواهم زمانا * فاكشفوا لي عن شهتي وسؤالي
أي ذنب للامرد الناعم الخد * الذي فاق ربة الخلخال
بحياة مثل الغزالة حسنا * و بطرف أزرى بلحظ الغزال
وبعقول وجنة قد تسامت * بضياء على بديع اللآلي
فلماذا أعرضتم عن هواه * لذقون كأنهن المخالي
من نتيف محفف ذي اعتلال * ناقص الحسن مصدر الأفعال
أفلا تنظرون مرآة وجه * لاح بدرا مكملا بالدلال
دون ذي لحية كسته ظلاما * خارجا عن مطالع الاعتدال
فاكشفوا شبهتي فأية داع * لاتباع الهدى وترك الضلال
لا برحتم في نعمة وسرور * ناجحي القصد بالغي الآمال

فأجابه بقوله

ياهما ماسماء برج الكمال * واماما حوى فنون المعالي
وأديبا أتى بكل بديع * من نظام أزرى بعقد اللآلي
وعلى أصله المكارم جادت * بثناء يفوق ريح الغوالي
ولعمري ان العماد امام * فاق أقرانه بحسن الخصال
باله فاضلا وأحسن مولى * في صحيح الهوى خلا عن مثال
هذبته أيدي الليالي الى أن * رق طبعا فقاق صفو الزلال
قد أتى منه لي لطيف سؤال * بيد بيع الفنون أصبح حالي
تمقته أيدي القريحة حتى * حار طفا قد تم بالاعتدال
جاء في طيه بنشر ذكي * دق عن ذوقه فهوم الرجال
سائلا من معاشر من بني الحب بشهبائنا رضوا بالمحال
عدلوا عن هوى صقيل المحيا * من بخديه جال ماء الجمال
وله بهجة بوردي خد * ولحاظ تروي عن الغزالي
ناعم الوجنتين معسول ثغر * ويح قلبي من قده العسال
فلماذا أعرضتم لسواه * من ذقون كأنهن المخالي
تارة تنتحون حب نتيف * ناقص أجوف الحشا ذي اعتلال
واذا الامرد الجميل الفتى * لاح لم تقصدوا هواه بحال
وطلبتم مني الجواب وفي الآن والعهد ليس لي من مجال

كيف والفكر في خمول وهم * والحشا في تحرق واشتعال
غير أني أقول قولا وجيزا * وعلى الله في القبول اتكالي
انني مغرم بكل جميل * حسن الوصف والثنا والفعال
أمردا كان أو فتى ذا عذار * فاق في الحسن ربة الخلخال
سيح المسلسل ورد خديه لما * خاف أن أنا صيبه بالنبال
وتجلى من هالة في عذار * وجهه البدر ذو البها والجمال
ذا غرامي ومذهبي واعتقادي * انه مذهب من القدح خالي
اذ رأينا ممن تقدم قوما * قدروا في العلا ذرى الآمال
سلكوا في هوى الفريقين سبلا * وأتوا بالبديع من كل قال
وطباع الورى تخالف فالبازل فيهم وفيهم كل عالي
هاجوابي ولست أزعم أني * ذو صواب فارقت نهج الضلال
فعلى الفاضل الاديب مليك الفضل من جاءنا بهذا السؤال
الامام العماد نشر اعتذاري * وقبول يقاد من غير قال
دام في نعمة وأرغد عيش * ونعيم وبهجة واعتدال
ما انتحى المرد والمعذر صب * عادم الصبر واجد البلبال

﴿يوسف بن عمران الحلبي﴾ أديب نظم ونثر فأصبح ذكره جمال الكتب والسير أكثر من الرحلة والنقله على تيقظ لا تطمع فيه الغفله فقاضت عليه مصائب من الثناء مكوب مزجها رياح الشكر مما يصحبه الصبا والجنوب الا أنه في أواخره داست ساحته النوب فأحاط به الفقر لما أدركته حرفة الأدب فأصبح بعد النعيم المقيم يؤسه أبا الهجب

لو كان يدري المرء أن ابنه * يحرم بالآداب ما أدبه

وقد صحبني فرأيته شعره معجبا طروب اذا سخ له معنى فكأنه قميص يوسف في أجفان يعقوب فرحني بعدة قصائد وأهدى الي منها ما هو على آدابه شاهد وطلب مني يوما تقريظ شعره فقلت بديهة

لشعرذا الحبر يجري في تبحره * يهدي لأسماعنا روحا ورياحانا
ذو منطق ساحر مطرف واعجبا * للسحر ينشئه وهو ابن عمرانا

وكان من خزائن الادب نهابا وهابا يطرب بألحانه وان رجح على من سواه بأوزانه فمن عذب خطابه وقلائده المنتظمة في جيد آدابه ما أنشدنيه من قصيدة له

أثار بأحشائي البنان المطرف * رسيس هوى يقوى اذا الصبر يضعف
وأرقني من حي سلمى حمائم * غدت فوق أغصان المعاطف تهتف
وثغرا اذا ما افتر بي دي ابتسامه * برونقا بها أبصارنا تتخطف
وخمر سقى ماء الشباب رياشه * بألحاظ نامنه جنى الورد يقطف
ودينار خد كامل الوزن حسنه * على جمره وحي النفيسة تصرف

وجسم

وجسم صفا حسنا يكاد أديمه المنعم من فرط الطراوة يرشف

وقوله من اخرى

حذار ترم الوصل من ساحر الجفن * فكم مشرفي دونه سل من جفن
واياك من خطي عامل قده * فكم أثخن الاحشاء طعنا على طعن
ألا أيها الريم الذي بات برتمي * حشاشة نفس الصب لا روضة الحزن
بخدك ما في مهجتي من لظاهما * يجسمي المعنى ما يخصر لثمن وهن

ومنها لثمت له جيدا طلى الظبي دونه * وثغر الماء العذب أحلى من المن
وألصقته بالصدر عند عناقه * كما ضمت الأحلام جفنا الى جفن

وهذا كقول القاضي الفاضل

فيا جفني قاعتنقا انطباقا * ويا نومي قدمت على السلامه

وله من اخرى كأن زهور الروض حين تساقطت * لتقبيل اقدام الأحبة أفواه

وله من أخرى ربيع عدل به أيامه اعتدلت * فالشاة والذئب في أيامه اتفقا
لا تختشي الطير من ملقى الشباك لها * ولو اليها بألفي مقلة رمقا

وفي معناه قولي من قصيدة

قد بتلك يا من بالشجاعة يقتدى * وليس لغير السمر في الحرب يغرس
فان عشق الناس المها وعيونها * من الدل في روض المحاسن تنغس
فدر علك قد ضمنت لك ضمة عاشق * وصارت جميعا أعينا لك تحرس

ومما أنشدنيه أيضا قوله

ما ان عصبت العين بعدهم سدى * الا لأمر طال منه سهادي
لما قضى نومي بأجفاني أسى * لبست عليه العين ثوب حداد

وقد كنت لما ذكر لي هذا ذكرت له نتفا في معناه فأعجبته فمنها

لا تنكروا رمدي وقد أبصرت من * أهوى ومن هو شمس حسن باهر
فالشمس مهما ان أطلت لنحوها * نظرا تؤثر ضعف طرف الناظر
ولقد أطلت الى احمرار خدوده * نظري فعكس خيالها في ناظري

ومنها رمدت جفوني عند ما فارقت من * قد كان كحلا في نواظر عبده
وسرقت حمرة ناظري وسقامه * عند النوى من مقلتيه وخده

ومنها حين خبرت أن في الطرف منه * رمدا زاد في ذبول المحاجر
جئت كيما أزوره من وجه بدري * كعبة الحسن تحت سود الستائر

ومنها ما احمر طرف العين ضعفا ولا * نرجسه بدل منه الشقيق
لكنه من حمرة الخد قد * أصبح سكرانا فلا يستفيق

ومنها انظر الى أجفانه الرمد * تبدل النرجس بالورد

تحمر لا من علة انما * تأثرت من حمرة الخد

ولابن المعتز قالوا اشتكت نرجسا طرفه * قلت عداه السقم ما كانا

حمرة ورد الخد أعدتهما * والصبغ قد ينقض أحيانا

وكتب ابن الخيمي الى البعموري وهما أرمدان

أبلك يا خليلي أن عيني * غدت رمداء تجري مثل عين

حديثا أنت تعرفه يقينا * لانك قد رمدت وأنت عيني

فأجابه كفاك الله ما تشكو وحيا * محاسن مقلتيك بكل زين

وافى من شفاءى فى يقين * لانك قد شفيت وأنت عيني

ومما قاله أيضا أشكو اليك جفونا قد رمدن وقد * فارقن مرآ لشيا من فقده حيني

والقلب منقلب عن راحة وهنا * والعين مثل اسمها معتلة العين

ولنقصر عنان الاختيار فقد طال والشئ بالشئ يذكر ومما أنشده لى أيضا قوله فى بخيل

بخيل لو بثوم منه جادت * أنامله لغالته الندامه

ولو فى النار ألقى ألف عام * لما عرفت له يوما سلامه

ولو صارت بسفرته رغيفا * ذكاء لما بدت حتى القيامه

وقوله أفدى حبيبا تفوق البدر طلعته * لانها الغريب الحسن قد جمعت

حالك الجمال عذارا فوق وجنته * غزالة الصبح فى أشراكه وقعت

وأنشدنى لنفسه فى معناه

لطمت الصبا الماء على النهر قد جرت * وعكس ذكاء لاح فيها المرتقب

شباكها صاد النسيم غزالة * ألست تراها دائما فيه تضطرب

ومما يعجبنى هنا قول القائل

غدوت مفكرا فى أمر أفق * أرانا العلم من بعد الجهاله

فما طويت له شبك الدراري * الى أن أظفرتنا بالغزاله

وقول الشهاب محمود فى عقاب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

وللجمار انظر الى النهر فى تطرده * وصفوه قد وشى على السمك

توهم الريح صفوه فغدا * ينسج فوق الغدير كالشبك

وأحسن منه قولى

ما الغصن مال على الانهار جعدها * مر النسيم فألقى فوقها حبكا

بل مد منه يدا لما رأى سمكا * من صفوه طرحوا من فوقه شبكا

﴿ سرور بن سنين الحلبى ﴾ شاعر سمح السجيه له أنفاس ندية تذيه كانت نسمات المسامرة

(سرور بن سنين الحلبى)

تهب بنفحاته وأفواه الاسماع تحتسى فى نادى الادب سلافة أبياته ونور روضه يتبسم فى الاكمام فترى منه ما هو ألذ من نظر معشوق فى وجه عاشق بابتسام فتستعذب فى مذاق الأدب وتتلقى بضائعها من الركبان القادمة من حلب ثم رأيته لما ورد الروم الا أنه لم يطل مكثه بها فقد ما يروم * وآفة التبر ضعف منتقده * فرجع قائلا لكل يوم غد ولكل سبت أحد فلم ترعين أمله سرورا ولم يذق كأسا كان مزاجها كافورا ولم يلبس برد العمر قشيبا حتى احتضر غصنا رطيبا فمما أنشدنى من شعره قوله من قصيدة

وليل هدت فيه غرة الفراقد * لحاجات نفس هن أسنى المقاصد

وقد صرفت زهر الدراري دراهما * تمد الثريا نحوها كف ناقد

وباتت تناجيني ضمائر خاطري * تقرب نيل المطلب المتباعد

لحى الله طرفى ماله الدهر ساهرا * لمكتحل الاجفان بالنوم راقد

حبيب كأن البعد يهوى وصاله * معى فهو لا ينفك فيه معاندى

أخذت الهوى من لحظه وابتسامه * بما قاله الضحاك فى مجاهد

وقوله حبيب الخ كقول أبى الطيب

كأن الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقول المعرى لئن عشقت سوارمه الهوادى * فلا تعدم بما تهوى اتصالا

وفى معناه ما قاله

لك الله من دمع كشمل مبدد * وطرف بنعسان الجفون مسهد

لئن عشق التسهيد أجفان مقلتى * لهجرك فليمنع بوصل مخلد

ومن تقريظ له على شعر ابن عمران

حملت الينا يا ابن عمران روضة * من النظم يسقيها الحجى صوب وكفه

خميلة شعر يزدرى البدر نورها * وينأى عن الشعرى العبور بعطفه

كأن غصونا أودعت فى سطورها * لها ثمر يلتذ سمعى بقطفه

اذا ما مشى ليل المداد بطرسها * نهارا زهت فيه كواكب وصفه

فكانت كما زارت معطرة اللمى * مبردة من حر قلبى ولهفه

ووافى الى الصب الكئيب شويدن * لوجرة أحوى فاحم الشعر وحفه

فاحببه عبل الروادف خصره * يجوع اذا غص الازار بردفه

﴿ حسين بن أحمد الجزرى الحلبى ﴾ أديب له أوصاف حسنى ومناقب من الوشى بهجة وحسنا اذا أصغت له أذن أديب حلت منه بواد خصيب

سحر من اللفظ لو دارت سلافته * على الزمان تمشى مشية الثمل

رأيته بالروم وهو شاب يجر رداء شباب وآداب وهلاله مشرق فى افق غمائه وغرة صبحه تؤذن بوجه ذكاء كائنه وقد سلك للمجد طريقة غير مطروقة بهمة غير همة وخليقة

(حسين بن أحمد الجزرى الحلبى)

غير خليقه وللدهر فيه عدات يرجى انجازها وحلل منشورة سيلوح طرازها فلم ينبسط
برده حتى انطوى ولم يورق قضيبه الرطيب حتى ذوى والدهر يقول والنجم فى مطلع العمر
هوى

أبكى اناء شبيبة * فى وقت ما امتلأ انكفى

فما أنشدنى فى صديق مسرورا السابق ذكره

وخلك ما تركتك عن ملال * وبغض أيها المولى الامير
ولكن مذ ألفت الحزن قدما * ألفت مواضعا فيها سرور

وهذا من قول المتنبى

خلقت ألوفا لو يعاودنى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومنه أخذ ابن زهير قوله

وألوفا لو أفارق بؤسى * لتوالت افقدها حسراتى

وقد أجاد القائل فى منتابعته

ألفت الضنا من بعدكم فلوانه * يزول اذا عدتم حننت اليه
وصار البكا لى عادة فلوانه * تغيبتم عن عينى بكيت عليه

﴿ومما قلت فى المعنى﴾

مذ هجرتم هجر الطيف ولى * ناظر لم يدر ما طعم الوسن
فى هواكم ألف الحزن فلو * لم يعده مات من فرط الحزن

وله ديوان بليغ طالعته فاخترت منه قوله من قصيدة

اعطى سرائرك النحول اللوما * والحب ليس بممكن أن يكتما
وشنى ونم عليك دمعك عندما * وشى بعندمه الخدود وتمما
أفرمت نهم واضحا من سره * والدمع منتضح به ما أبهما
أم خلت أن أساك تمحوه الأسى * كلا ورب جراحة لن تحسما
ان المحبة محنة لا منحة * ومن الغرام يرى المحب المغرما
وشكيتى شاكى السلاح جفونه * مر العذاب الشهد فى عذب اللمى
ظبى ظبا لحظاته بمضائها * أناموقن لا شك تردى الضيغما
أخشى الهلال توهما من بأسه * ولربما هلك المحب توهما
وأظل صادى القلب خيفة صده * ولوانه بنعيم وصل أنعما
واذا منعت الماء أول مرة * ووردته اخرى تذكرت الظما
بأبى وان كان الأبى تبى رشا * قد الغصون رشاقة وتقدما
كالصبح فرقا والغزالة طلعة * والبدر وجها والثريا مبسما
يزداد ورد خدوده وجوانحى * من نارهن تضرجا وتضرما
صافى الأديم ترى ترافة جسمه * ماء ويأبى الماء أن يتجسما

كيف الهداية لى وفاحم فرعه * قد ظل يجهد أن يضل ويضعما
كلا فعرفان على قضيب كثيبة * لا يرتجى لسليمه أن يسلما
أنا من أباح يد الغرام زمامه * فمشى به أنى يشاء ويمما
فعسى الحبائب أن تخفف عبأها * فلقد حملت من النوائب أعظما
فى كل يوم روعة أو لوعة * والله تقعده الحوادث توأما
شيان لست بآمن عقباهما * أن تحسب الدنيا وتدنى الأرقما
فلا بلغن نهاية فى قدحها * ان لم تبلغنى الأبر الأكرما

ومنها

ولوان ادراك المنى بيد المنى * وطئت نعامة أخمصى الأنجما
ومتى يصح سقيم جد أخى الحجى * يوما اذا كان الزمان المقعما
فالحمق ألين والخداع موافق * والمكر أرفق ما ترافق منهما
أبناء دهرك بالنفاق نفاقهم * أفيرتضونك بالهدى متكاما
فالم تنافق فاتخذ نفقابه * ترجو السلامة منهم أو صلما
لا يفقهون وشر من صاحبته * أن تحسب الأعمى الأصم الأبكما
ولقد ملئت تجار با وتجاربا * لم تلقنى الا اناء مفعما

ومن قصيدة

لا تلحن الا قدار فى اعرابها * قد ترفع الاسماء بالتقدير
مكسورة قد حاولت اكسرها * من جابر والجبر للمكسور

وله من اخرى

وليل كأن الصبح فيه مآرب * تؤمل ان تقضى وخل نصادقه

وله من أخرى

ولم أنس ليلا ما تبلج صبحه * ولا لاح فى يافوخه وخط شائب
عدمت ابتسام الفجر فيه كأنه * ساتو فؤادى اووفاء حبائبى

وله من أخرى

فاسلم بدهر عصمت منه به * وعش بعلياك عمر أعصمه
تأسو برؤياك من أساءته * لا يصلح القرح غير مرهمه
فان هذا الزمان محسنه * كفارة من ذنوب مجرمه

وله من اخرى

وبى مضاضة عيش مسنى اغب * منها وساورنى فى كرها سغب
حتى تصورلى منها على ظمأ * أن المنية فى ثغر المنى شنب

ومن أخرى

عسى شمس هذا الدهر تأتى بوفق ما * نرجى وشمس الوفق فى شرف الشمس

وله يطلب فرسا

أبتك أن لا طرف لى أقتضى به * ديونى وأعيانى الغريم بطله
فجد لى بما أرجوه ان شئت ملجما * وان رمت تجميل العطا فبجله

وله من أخرى

ورب غيبى كنت أحسن ودّه * وتعج لى أقواله والفعائل
تغافلت عن أشياء منها وربما * يسرك عن بعض الأمور التغافل

وهذا كقول بعض الحكماء الكرم مكيال ثلثاه التغابى ولا بى فراس

ليس الكريم بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

ومما قلته أنافي نحوه كم قد سعيت للمعالى جاهدا * فزاد فى سعيي اليها الغبي
ولست فى فهمي غبيا أبدا * وانني ان عن سواي الغبي

وله من أخرى ولا عيب فيهم غير أن صلاتهم * تغرق آمال العفاة بحورها
وأن سيوف الهند فى كل معرك * بأيمانهم حاضت دماء ذكورها

وله من أخرى يلبيك من قبل السؤال نواله * ويأتيك دون الانتظار نضاره

﴿وله من أخرى﴾

وقبلك صاحبت الزمان وأهله * فما شاقني خل ولا راق موضع
يقدمني عزمي وحظي مؤخري * ويوصلني حزمي ودهري يقطع
ولاذ نب لي الا الفضيلة انها * من الجهل فى الايام أشنى وأشنع
وهمي من الدنيا المعالى ونيلها * وماهم قلبي الرقمتان ولعلع
ولا نسمة سحرية شجرية * ولا بارق من بارق وهو يلمع
ولا عذب ماء للمذيب على ظما * بمض بجرعاء الحمى يتجرع
ولا رشأ أحوى ولا صوت قينة * ولا قدح فيه الرحيق المشعشع
ولكنه لدن وأجرد سابح * ومسرودة زغفا وأبيض يسطع
وائتلاف ما أحوى على طلب العلا * وهذا طريق للمكارم منبع
واني من خلي بأيسر وده * أمر وأسرى ما دعاني وأسرع
قليل مودات الرجال كثيرة * وأيسرها عند النوائب تنفع
أبر لك من يلقاك بالبشر وجهه * وواسالك فى الضراء من يتوجع
ولكنني لم ألف غيرك وافيا * وأكثر من تلقى يخون ويخدع
فحاولت أن ألقى المنايا أوالمنى * لديك وعرنين العدا بك أجدع
تملكت مني جانبا لا أضيعه * لغيرك فى الدنيا وغيري المضيع
لسانا طريا بالمديح وأنملا * سجاياتها من نفثها لا تقشع
وقلبا على حفظ المودة عامرا * ولكنه ان ممته الضيم يلقع
وصيرتني عبد الامرك طائعا * واني الاك الانام أضيع
ولي رتبة فوق الثريا محلها * ودون ثراها فيه نعالك توضع
وسلسال لفظ سائغ الورد عذبه * له مشرب صاف نمير ومشرع
وما قصدت الاك قبل قصائدي * ولم يرها قوم سواك فيسمعوا
مفقة تزهو على زهر الربى * وتشرق كالزهر الوادي وتطلع
لو اعتبر الراءي مواقع لفظها * تيقن أن السحر فى الشعر يجمع
وغيري طفيلي القوافي وأشعب المعاني له فى كل ما عن مطمع

وله من أخرى ان خصني بالبؤس دهري دائما * دون الورى فأنا بذلك أفضل

هذي عقاقير العطارة كلها * لم يحترق منهن الا المندل

وله من أخرى أرى اليأس عزا والرجاذلة الفتى * وطول المنى عجزا وحب الغنى فقرا
فلا تجبرن من حالة مستحيلة * كما نلتها عسرا استتركها يسرا
وان الفتى كالغصن ما دام نابتا * فآونة يكسى وآونة يعرى

وله من أخرى اذا ما كنت مصطنعا جميلا * فحاول من يروقك بالصنيع
ولا تكرم به الا كريما * رماه الدهر عن مجد رفيع
ولم أر نعمة تسدى فتزرى * بمسديها سوى رفع الوضيع

وقوله غير بدع اذا ظلمت بدهر * رزق الغمر فيه حظا عظيما
فالهواء الصحيح يدعى عليلا * والمديغ المصاب يدعى سليما

وقوله ما سئمت الزمان الا لحرما * ن كريم فيه وحظ لئيم
وتراءى اللئيم أقبح فى العينين * من رأى من افتقار الكريم

وله ومستخبر عني بغير جهالة * يراني وفى عينيه عن حالتي عمى
تنكر مرتابا ولم يدر أنني * شهدت مذاق العيش شهدا وعلقما
اذا ما استردّ الدهر مني هباته * فسبحان ان أعطى كثيرا وأحرما

وله لا يضر الكريم قلة مال * لا ولا باللئيم يجدي الثراء
فشبام رهف الجبان كليل * وبصنديدها تعد العصاء

وله لا تحسب الارزاق تقسم باطلا * كلا لقد ساوى المهيمن بينها
فاذا رزقت الجهل أدركت المنى * واذا حرمت الجد أعطيت النهى

وله حاذر عداك الاقربين من الورى * فاضرها القرباء والقرناء
وثق من كيد الحقود وان ما * يبدي فقد يصدي الحسام الماء

وله أبعد ما يطلب ادراكه * نيل المنى بالفضل انسان
وكل شئ وله غاية * وغاية العرفان حرمان

وله ويدلك ان بعد الضيق مخرج * وصبرك عنده أجمى وأبهج
وكم من كربة عظمت وجلت * وعند حلولها الرحمن فرج

وله كفى حزنا أني أراك قريبة * ويقصيك عني بائنين أمور
أراك ولكن لا سبيل الى اللقا * وكل يسير لا ينال عسير

وقوله اسقني قهوة بن * واخرج القهوة عودا
فهي للصفراء والبلغم تحسو وهي سودا

وقوله وأغيد أورثني بعده * ثوب الضنى فيه وفرط السقام
رثى لي العاذل فى حبه * حتى اذا خط عذاره لام

وله مذ خط آيات عذاره * نقطها من مسك شامته

ولاح فى اصداغه وجهه * كأنه البدر بها لانه
وأرسل اللحظ نذيرا وقد * كلم قلبى بمناجانه
لم أستطع كفرانها انفى * آمنت بالله وآياته

وله فى الصيف قد هجم الصيف وولى الشتا * منهزما تابع آثاره
مبتدعا يسلب أثوابنا * ويخرج المسالك من داره

وله أرانى بسر مستوعيك سرا * مخافة أن تسر الى مريب
أتم من السؤال على عديم * ومن درن السفار على غريب

وله لا أشتكى الحب تصبنى مصائبه * ولى عن اللوم فيه أذن أطروش
فاست أول من ألقاه ناظره * فى صبوة شوشته أى تشويش
كالنسر أرداه سهم فاستعذله * عذرا وقال رمى قلبى بهريشى

وله أيضا بروحى من أبصرت صفحة خده * وأبصرت وجه الشمس أغبر أسودا
كأنى أراها دونه متلثما * سواها اذا ما شامها الطرف أربدا

وله من أخرى منير المحيا كلما شمت وجهه * أعاد اليك الطرف جدة كليل
كذا الشمس مهما شامها المرء لم يعد * وان صح منها الطرف غير عليل

وله من قصيدة قد كان ليل ذوائبى لى شافعا * واليوم صبح الشيب من رقباءى
فى الملتقى بيض الصفاح أحب للبيضاء * من ذى لمة بيضاء

ومنها ولئن خبرت بنى الزمان رحلة الآباء * تفتح خشة الابناء
ايالك تركن منهم لماذق * يبدى الوفاء ولات حين وفاء
وتحنن من لين ملمس عطفه * فالعضب يصدأ متنه بالماء
ولطالما أصفيت قبلك خلتى * من لا أراه موافقا لاخاءى
وبلوت منه وده فرأيته * متلونا كتلون الحرباء
فغدوت أحترز الانام وغدرهم * ان الطبيب يخاف مس الداء
وقطعت باليأس الرجاء لديهم * واليأس يجدع أنف كل رجاء

وله من اخرى أواه كم لوعة بقلبى * تغدو وكم روعة تروح
ان الهوى داؤه عياء * يعجز عن برئه المسيح

وله من أخرى يصف قصيدته
وكأنها فى كل بيت شمته * منها تضم من القريض مهندسا
والشعر ما شاقتك منه حكمة * لا ما يشوقك الكثيب الأوعسا

﴿ أبو بكر تقى الدين التاجر المعروف بابن الجوهرى ﴾ من زهت زهرة حياته بالشام فنظر من مطالع آفاقها بوارق الفصاحة وشام واسعدته الجدود فبدت عرائس أفكاره موردة الخدود ودارت من شمائله الشمول فسرت بها قلوب القبول وعيون العقول كما رفض

عرق الطل الهتان على رؤس الغضب ولمرور الريحان وله فى الأدب والشعر تجارة ان تبور الا أن طبعه كأم الصفره فلات نزور فمن عقوده وجواهر نقوده قوله

هذى المنازل قبلنا * كم ذاقها أولها الأناس
كم صدعت ملكا وكم * من مدع وضع الاساس
غرسوا وغيرهم اجتنى * من بعدهم ثمر الغراس
دول تمر كأنها * أضغاث حلم فى نعاس

وهو من قول أبى تمام

أعوام وصل كاد ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت * نحوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وكانت نزلت بى شدة ليس لها غير لطف الله عدة فكان فى كل يوم يدلينى الاحباب بذكر مبشرات بحصول الفرج فقلت وقد كثر ذلك

وبلاء من زمن كأن نهاره * نفضت دجاه عنه صبيح ظلام
من بعد ما كانت لبالينا لها * نور يرينا صفوة الايام
زمن كأحلام تقضى بعده * زمن نعلل فيه بالاحلام

﴿ شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار ﴾ جواد فى حلبة الأدب سابق مخلط هزل فاتق راتق وقد كانت تنجاذب الاخبار شمائل فضائله وتهتز الاغصان اذا هبت نسمات شمائله ومن طاب عرفه طاب من عرفه الشميم ومن كان غصنا فى رياض المعالى هزه مرور النسيم الا أن شعره شعر العلماء وأدبه أدب الفقهاء وما كل ثمر خور نق وسدير وما كل وادفيه روضة وغدير على أنه كانت تقيمه على سائر البقاع رقاع الشام و يفتخر به عصره على سائر الليالى والايام فلا تزال تصدح ورق الفصاحة فى ناديها وتسير الركبان بما فيه من المحاسن راتحها وغاديها وأقلام الفتوى منه مرة من شمس افادته ارتفعت فيا لها من قضب أثمرت بعد ما قطعت ونور فضله بادى ومواقده ممدودة لكل حاضر وبادى

كالشمس فى كبد السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولم يزل ناويا فى فلك السعادة حتى كسفت شمس حياته فليس الدجى عليه حداده فمن نفحات أسراره ولمعات أنواره قوله للقاضى محب الدين وهو بمصر

من يوم بينك كل طرف دامى * لم تكتحل أجفانه بمنام
لما رحلت ممتعا بسلامة * ومصاحبا للسعد والاكرام
خلفت بعدك كل خل هائما * يجرى الدموع حليف فرط غرام
سكران من كأس الفراق معذبا * ياصاح بالهجران والآلام
يشدو بذكرك من تؤاتيه اذا رأى العشاق فى ركب لكل مقام

مولاى بعدلك قد تفرق شملنا * وضياء نادينا تحى نظام
قد كنت واسطة لعقد نظامنا * حتى انفردت فحل عقد نظامى
وضياء وجهك فى النهار اذا بدا * فالشمس تستر وجهها بغمام
هذا وعبدك ضاع بعدك صبره * فاسلم ودم فى السعد والانعام
وعلى حمالك من المحب تحية * لاتنتهى وعليك ألف سلام
وسقى الاله ديار مصر وأهلها * أنواء سجم من يديك عظام
لما حللت بها تضاحك نورها * فرحا وبدل نقصها بتمام
لازلت ترفل فى ثياب سيادة * وتجر ذيل العز فوق الهام
ماحق المشتاق طرس رسالة * بحديث أشواق وبث غرام

﴿ابنه عبد اللطيف﴾ ولما ارتحلت عن مصر فارقت أترابى ولداتى ومن بهم من ذخائر آمالى وكنز حياتى وطير بلاد أرضعتنى بمائها * وأنفاس نسماتى ومهد ديارى

مررت بدمشق الشام فرأيت من بها من الكرام كان من نعمت بلقياه ووقفت على هضبات علاه هذا الاديب الحسيب والروض الاريض والمربع الخصيب فحيانى بانفاس من أنفاس الخزامى أندى وهبت منه نفحات أنس كنفحة روض من قبيل الصبح بللها الاندا فعطر بفضائله المجامع وفكه بثمرات آدابه المسامع وأهدى الى فى مشرفة قصيدة حيانى بها وهى

بأفق دمشق قد طلع الشهاب * أضاءت منه هاتيك الرحاب
همام جد فى طلب المعالى * فأحرز شأوها منه الطلاب
ومولى شأنه تحرير علم * وتقرير المباحث والخطاب
حواشيه منقحة المعانى * ومن فن البيان بها اللباب
فيدر علاه مكتمل منير * يفيض بدرها منه العباب
ففى التفسير مجتهد وفيما * نحاه رأيه أبدا صواب
فلا يأتى له فيه نظير * وليس له سوى النحرير داب
أتى من مصر مجتازا فطابت * بمقدمه معالمها الرحاب
وعاد الى دمشق وهو ثان * عنان العزم واقتبل الاياب
فقلد جيدها بعقود فضل * ووشى روضها ذاك الجناب
وجاد بى دمشق وساكنيها * يصيب سيبه الهامى سحاب
فقرت أعين وسعت مقاما * وقد راقت مشاربها العذاب
وغنت لى قيان الطير بشرا * فكان من القبول لها جواب
وماست غادة الروضات زهوا * فألقى عن محياها النقاب
وقد بسمت ثغور النور فيها * وأسكر من ثناياها الرضاب
وكأس الورد فى راح الروابى * لطفا فيه من الآندا حباب

فنعم الوقت وقت جاء فيه * وخير الدهر عيش مستطاب
فدام ممتعا فى ظل عيش * لطيف لايكدره الذهاب
وعمر بنيه فى الدنيا طويل * يتيه بعده فيه الحساب
له منى ثناء كل وقت * جزيل أو دعاء مستجاب

﴿شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى﴾ ماجد طويل النجاد له بيت كرم رفيع العماد من غير قدح فيه وارى الزناد ممن رفع فوق هام السماك مهاده اذا شيد بيت الشعر وعمر ربع الأدب فهو عماده واذا بدى ربيع طبعه نشر على البقاع وشائع يحيى دارس الفضل فيصبح وهو مشهور بها وشائع وجواد قريحته ملآن العنان سباق الى مغارس نصب الرهان يعذب مشرب كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فاذا ريح الشمال وما الراح الشمول وماء جنات الورد خشتها راحة القبول له لطف خلق يسعى اللطف لينظر اليه ورقيق محاسن يقف الكمال متحيرا لديه ألذ من اغفاءة الصباح وأحلى من مذاق الظفر من ثمرات النجاح وأناوان لم تقع لى عليه عين فسماع الاخبار احدى الرؤيتين على أنى ان لم أر الاسد فقد رأيت شبله وسيأتى مابينى و بينه من المحبة والخلة لما زلت بظل الشام فى روضة أظلت على نهر تفتر مباسم النور فيها عن لآلئ المطر وكان صدر الكل ناد حتى قرض الدهر منه رفيع العماد

وزهرة الدنيا وان أينعت * فانها تسقى بماء الزوال

وللطالوى فيه مدائح و بينهما محاورات منها قوله

عهد السرور وريعان الهوى النضر * سقالك عهد الحيا فراق منحدر
وجادر بعلك وسمى تكرره * ريح الصبا بين منهل ومنهمر
وغردت ببالك الورق وانتكرت * بلحن معبد تلوطيب الخبر
ولا برحت مغان للحسان ولا * رمتك أيدى النوى بالحادث الغدر
ولا أغبتك أرواح النسيم ولا * عدت مغانيك أحلاف من المطر
كم لى بها وشبابى الغض مقتبل * من منزل آهل بالشوق والذكر
كم اجتليت بدورا من مطالعها * قد لحن تحت سناها من سناقمر
من كل رعبوبة تهفو بمصطبرى * قد زانها الحسن بين الدل والخفر
رودكستها يد الايام ثوب صبا * وصيرتها الليالى فتنة البشر
هيفاء صب الصبا ماء الشباب على * أعطافها وكساها حلة الخضر
قامت تعانقنى عند الوداع وقد * قلدتها من دموعى رائق الدرر
تقول والبين تغشاها ركائبه * بمدمع فوق روض الخد منهمر
لاتعتب الدهر ان حالت خلائقه * فصفو رونقه لم يخل من كدر
وان ترم تتقى من صرفه نوبا * فالجأ لظل عماد الدين تستتر
مولى غدا الامن منه للروع كذا * جنابه ظل مأوى الخائف الحذر

لازال يسمو الى العلياء مرتقيا * بسودد مجده عال على الزهر
حتى امتطى صهوات المجد سامية * يختال فى حلل الاوضاح والغرر
همة تجتلى كالليث ذا أشر * وعزمة كمضاء الصارم الذكر
ما فاضل قط جاراه الى أمد * فى البحث الا انثنى بالعى والحصر
أقلامه السمر فى بيض الطروس اذا * سمت أرتك فعال البيض والسمر
له سجايا كزهر الروض غب ندى * وقد توشح بالانهار والغدر
يلقاك طلق المحيا وهو مبتسم * بمنطق ورده أحلى من الصدر
ما الروض جادت له الانواء بالبكر * فكللت وجهه المخضل بالزهر
جاد الغمام له سحا بوابله * وقد كسته الصبا من رقة السحر
تختال زهر الاقاحى فى خمائله * زهر المجرة صينت عن يد الغير
تشدو الحمام على أغصانه سحرا * فتبعث الشوق فى أحشاء مستعر
يا فاضلا قد جلت أبكار فكرته * غر المعانى بها فى أحسن الصور
يا ابن الكرام ومن شادوا بعزمهم * ركن العلا سامیا فى سالف العصر
و يا عمادا لبيت الفضل يرفعه * وكان من ضعفه يلقى على خطر
الى ذراك انتمت فاقبل على دخل * نحيها يا رئيس البدو والحضر
لازلت فى نعمة تسمو بسودها * هام السما كين حيث النسر لم يطر
ما ناح بالايك قمرى وما سجعت * ورق الحمائم بالآصال والبكر

فاجابه بقوله أحلى حوراء أم عقد من الدرر * أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم الحباب على راح مروقة * أم نغمة السحر ذى أم نسمة السحر
أم نظم درر زهت آيات منطقه * فاعجزت كل ذى نظم ومنتثر
يا نافث السحر من فيه بمعجزة * عقدت ألسن أهل البدو والحضر
و يا مديرا سلافا من بلاغته * هلا ترفقت بالالباب والفكر
و يا ابن طالو وان طال الزمان بنا * لنا بلوغ الى علياك فاقتصر
أخذت فص المعانى من معادنه * وغصت فى أبحر الآداب للدرر
وحزت جمع المزايا وانفردت بها * ولم تدع للسوى شيأ ولم تذر
وجئت من كل معنى رائق حسن * بكل ما قد حلا فى الذوق والنظر
كأنه ضرب قد شابه شنب * أو عاتق عابق من ريحه العطر
وقد شهدنا بما أوتيت معجزة * جمع الفضائل فى فرد من البشر
أهديت لى غادة جلت محاسنها * وقد نجلت لنا فى أحسن الصور
رعبوبة من بنات البدو قد خطرت * قلبى بها صار من وجدى على خطر
حيت فأحيت بالفاظ مفقة * وغازلتنا بلطف الدل والخفر

وأسفرت عن سنا برق وعن شفق * وعن ضياء وعن شمس وعن قمر
زارت على حين أشواق لجهتها * ومتعتنا بذاك المنظر النضر
وضاع نشر شذاها عند مابرزت * مسكا وعطرت الاقطار بالقطر
سألتها قبلة ألطفى بها حرقا * شبت بقلب شديد الوجد مستعر
فأومأت بشتيت زانه شنب * وأنعمت بلذيذ الورد والصدر
وناد متنى بليل قد سررت به * لكنه ساءنى والله بالقصر
وبت أنشد مدحانى محاسنها * ماقاله شاعر فى سالف العصر
يا نزهة النفس يا من زان منطقها * قس بن ساعدة المشهور فى السير
خذها اليك وان كانت مقصرة * فشأن مثلك ستر العيب بالستر
وان تكن أوجزت فى المدح واختصرت * فالعذب يهجر للافراط فى الخصر
وان تكن من بديع القول عاطلة * فقد تحلت بعقد من مديح سرى
فاعذرفانى تركت الشعر من زمن * لشاغل عنه غشى مقلة الفكر
لازلت تسمو على الاقران مرتديا * ثوب البلاغة فى أمن من الحصر
ما طرز الطرس قمرى البراع بما * يزهو على الروض أو يعلو على الزهر
أو شب المادح المطرى بمدحتى * بيت من الشعر فى روض على نهر

﴿بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى﴾ فريد الدهر واوانه وابن عباس فى زمانه وسلمان آل بيته وحسان قصيدته وبيته صاحب الفنون وغيث الافادة الهتون جمال المكتب والسير سيد أهل الحديث وعين ذوى الاثر ممن حازت به أقطار غزه شرفا باذخا وعزه وابنه شبل الاسد ذو الرأى الصائب الاسد وفرند نصله المصقول الحد وهما كركبتى البعير فى كل معنى صارم أو كالحلقة المفرغة أو كعذارى صارم وبدر طلع من أفق كمال والده مبتدرا وكرع من بحر فضله البرماء الحياة قبل أن يبدو نبات عارضه خضرا وتحيط بمشارق أنواره فى ابان طلوعه هالة عذاره حتى أمد شمس الفضل بما يحيى النفوس فهل سمعت ببدر تستمد من أنواره الشموس فتكاف البدر اذ حكاه وضاهاه سناه وسناه (ولا عجب للبدر أن يتكلفا) وله من شعر العلماء ما صدحت من أقفاص سطوره الحمائم وتحملت الصبا نشره فتلقفته الزهور بثغر باسم ولم يزل مشرقا فى منازله البدرية حتى ألم بسنا عمره سرار المنية لازال ثاويا فى قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران فما لمع من نور كماله وسطع من نجوم أفواله قوله

اذا كان حمد العبد مولاه انما * يكون بالهام من الله للعبد
وذلك مما يوجب الحمد دائما * فلا حمد حقا من سوى ملهم الحمد

وقوله لنا أمير فريد فى خلائقه * كم من كرائم أموال لديه حوى
له التفات لرزق الناس معتنيا * يرى الفقير لديه والغنى سوا

وقوله
من رام أن يبلغ أقصى المنى * فى الحشر مع تقصيره فى القرب
فليخلص الحب لخير الورى * المصطفى والمرء مع من أحب

وقوله
بالحظ والجاه لا بفضل * فى عصرنا المال يستفاد
فكم جواد بلا حمار * وكم حمار له جواد

وقوله
يقبل الارض حماها الذى * ألثمها أفواه أهل العلا
عبد اذا كاتبته ثانيا * يزداد رقا لكم أولا

وكتب اليه الفاضل النحرير عبد الرحيم العباسى ملغزا بقوله

يا اماما له الفضائل تعزى * وهماما أضحى لراجيه كنزا
ما بسيط حروفه ليس تحصى * وهو حرفان لا سوى ان تجزا
كل جزء منه استوى القلب فيه * جاء معنى أوجاء لفظ يعزى
نصفه ربعه ولا ربع فيه * وسوى الخمس منه ما تم أجزا
واذا ما تحذف البدء منه * فهو وصف لكامل نال عزا
أنعم القلب غاية ان تحف * آخرا فهو قوله حين تهزا
وعى حمل صخرة ذو اقتدار * ثم عن حمل ابرة نال عجزا
هاكه واضحا بدون خفاء * لغزه ظاهر وان كان رمزا
دمت فى نعمة وحفظ الهى * للندى ما حصنا حصينا وحرزا

فأجابه البدر
زادك الله بالدراية عزا * فلقد قمت للهداية كنزا
يا بديع الالفاظ عذب المعانى * صار منك البيان للدهر طرزا
من يجاريك فى العلوم يجارى * السيم والجد من تجريه يهزا
ان لغزا أرسلته فاق بدر التم حسنا وأورث الفكر عجزا
من يفتش فاليس يلفى له ثم نظيرا فقد تفرد رمزا
ثم من يبتغى مضاهاته لا * تسمع الاذن منه فى الذكر كزا
وتراه وقد تحير عما * ناله للفرار يحمز حمزا
من يطق يلمس السماء و يأتى * بالدرارى حتى يحاكيه لغزا
قلت لما أجبت عنه اذاما * ابل لم تكن لدى تحزى
غيرانى بالله منه وثيق * فاليه كل الفضائل تعزى
دام فى نعمة وظل سعود * ما أمال النسيم غصنا وهزا

وقوله
ان اطاف الهوى * لى قالت خل عنكا
لا تدبر لك أمرا * أنا أولى بك منكا

وقوله
من أطلع الاحمق فوق الهوى * ينزله للمنزل السافل
وغير بدع فعله حيثما * يقابل الباطل بالباطل

وأنشد له بعضهم
ما فى زمانك واحد * لو قد تأملت الشواهد
فاشهد بصدق مقالتى * أولا فكذبنى بواحد

قلت ليس له وهو من شعر أبى عامر الجرجانى أحد شعراء اليتيمة وفى معناه قول ابن حيوس

قد مات فى دهرنا الكرام ومن * يعرف قدر الثناء والمدح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

ومما أنشده الخوارزمى مما يشبه هذا وان لم يكن من جميع الوجوه

أمسى بلا عظم لديه تعاظم * فكأنه ابر الحمار القائم
و يقول ان الناس كلهم أنا * والناس كلهم لديه بهائم

ولابن تميم
أيا معشر الاصحاب مالى أراكم * وذم جميع الناس جل مناكم
لئن كان ذم الناس أضحى شعاركم * لعمرى الناس الا أنتم لسواكم

ومما قلته فى معناه

تفردت فى ذا العصر بالفضل والنهى * بزعمك يا من زاده علما جهلا
فأين لنا فى الدهر غيرك عالما * يصدق ذى الدعوى ويعرف ذا الفضلا

ومن شعر والده
ان خلا من منا * خلنا بالله منه
هو لا يسأل عنا * ما لنا نسأل عنه

وللتقى السبكى رباعية فى هذا المعنى وهى

يا قلب من الغرام قد زدت وله * من خانك خنه أو تعوض بدله
فالنفس عزيزة على من هى له * لا يصلح لى من كنت لا أصلح له

ولابن الوردى
اذا كرهت منزلا * فدونك التحولا
وان جفا الصاحب * فكن به مستبدلا
لا تحملن اهانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فمرحبا * ومن تولى فالى

ومما أنشده له
ان تسل عن حال الذين اجتباهم * ربهم عاجزا وتطلب قربا
أحب الله والذين اصطفاهم * تبق معهم فالمرء مع من أحبا

وللحافظ ابن حجر العسقلانى فى المعنى

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حبى لخدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وكنت قلت قبل أن أسمع هذا

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

واعلم أنه وقع فى حديث صحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال

حديث المرء مع من احب

أبو الصفاء مصطفى بن الحجمى الحلبى

يارسول الله أنت أحب الى من نفسى وأهلى ومالى وانى اذا ذهبت لداري لاتطيب نفسى حتى آتيك وأراك فاذا مت أنت كنت فى أعلى مقام فأخشى أن لا أراك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقلت فى معناه رباعية

حبى لمحمد حبيب البارى * فى طينة خلقتى وروحى سار
والمرء من أحب فى الخلد معا * طوبى لى ان غدوت عبد الدار

﴿أبو الصفاء مصطفى بن الحجمى الحلبى﴾ روض وريق أغصان المروة ريان من ماء المكارم والفتوة فارس الشهباء نبلا وأدبا طبعه أخوانه العنب صفاء وطربا أردان شبابه باللطف مذهبه وكؤس آدابه المجلوة للقلوب محببه اذا ابتسمت عقود ألفاظه كسد نظيم الجوهر وخيل أنها الرقتها من خدود الغيد تعصر أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل وقصرت عن ادراك لطفه النسيم وهو عليل مع سباحة محبايهز أبالروض الوسيم اذا عطرت بجامر نفحاته أذيال النسيم نفحت فى برود الزهر نشرا وعبثت بمباسم النور الضاحكة بشرا

ثمل من سلافة الطل فى الزهر وناهيك طيبها من كاس

ولم تزل كؤس أدبه على الندامى مجلوة حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه

(وأى صفا لايكدره الدهر) فقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه فمن شعره ما أنشدنى له الطالوى من قصيدة اخترت منها قوله

ما اجتاز بارق ذاك الثغر مبتسما * ولا النسيم بأخبار الحمى نسما
الا وعاوده من وجده طرب * حتى كأن به مايشبه اللمما
متيم لعبت أيدى الغرام به * فغادرته كأنفاس الصبا سقما
تبيت منه على الاحشاء كف ضنى * تضم صدرا خفوق القلب مضطرما
أيا خليلى لازالت مجللة * من البوارق تهمى فى عراصكما
حتى تظل لها الارجاء باسمة * تبث من سرها ما كان مكتتما
أما ونسمة الزاهى بمنتسق * يزرى مفلجه بالدر منتظما
وافتنة تذر الآرام شاردة * أيدى سبا وتردّ الفكر منقسما
لاحلت عن حبه الأنهى الى كبدى * من الزلال وكادت أن تذوب ظما
ولا تبدلت انسانا سواه ولو * أضحى وجودى كصبرى فى الهوى عدما

ومنها

لله ما أنت فى الآفاق تنشره * وهى اللآلئ ظنتها الورى كلما

ومنها

من كل زاهية الالفاظ زاهرة * لاترتضى الشعر أن يعزى لها شمما

﴿وله من قصيدة يرثى بها العماد﴾

عظيم مصاب مقعد ومقيم * له كد بين الضلوع مقيم
وقادح خطب حارب الصبر والكرى * فأصبح كل وهو عنه سقيم

وحكم

وحكم أذل الفضل عند اعتزازه * وأوهى عماد الدين وهو قويم
الا انما عين المعالى غضيضة * وان فؤاد المكرمات كليم

ومنها

أقامت على قبر له عاطر الثرى * سحائب رضوان فليس تريم
الى أن يعود القبر أنضر روضة * بها الروض شتى يانع وهشيم

وكان له بحانى أصدقاه تسكر بشمول شمائلهم الراح وتهتز بالذكر هم معاطف الاريحية والسماح فتخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد وتضىء فى سماء معالمهم كواكب المجد من كل مصطبح بكاسات المسرة مغتبق ولولا نداه كادمن نار الذكا يحترق * فلما ارتحل الى الشهباء غلبه الشجن ونافسته الشجون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وكتب اليهم

يقبل الارض صب مغرم علقا * بكم وذلك من تكويته علقا
حلف الصبابة أما قلبه فشج * من الفراق وأما جسمه قلقا
يشتاقكم كلما هبت يمانية * ولا محالة أن يشتاق من عشقا
به من البين مالو حل أيسره * يوما بأركان رضوى هدّ أو طفقا
فهل تعود أو يقضات بكم لفتى * دموعه خددت فى خده طرقا
الله يعلم ما ان عن ذكركم * الا تناثر درّ الدمع واستبقا
ولا تغنت على غصن مطوقة * الا أهاجت لى الاشجان والأرقا
ياليت شعرى والايام مطمعة * والدهر فى عكس ما يهوى الفتى خلقا
هل لى الى عود أيام بكم سلفت * رجا فأظفر أحيانا بما افترقا
لله أيامنا والشمل مجتمع * أيام لا فرقة أخشى ولا فرقا
واذ بكم كان عيشى أخضرا نضرا * وأسود الليل منكم أبيض أفقا
ياصاحبىّ فلا زلتما بنوى * وعنكما ظل جفن الدهر منطبقا
ان جئتما الجامع الزاهى بروضته * سقاه من غاديات السحب ماغدقا
ميمين له عوجا كذا كرما * لنحو قبته الشماء وانطلقا
فبالغا لى سلاما من محبته * لم تبق لى منذ حلت مهجتى رمقا
وخبراه بما ألقى بعيشكما * من فرط لاعج أشواق أتت نسقا
انى الى ذلك الغنى المشوق كما * أشتاق صحبى اخوان الصفا خلقا
لاسيما الاروع المحمود سيدنا * المسكت اللسن المطرى اذ انطقا
طورا تراه بكأس الحمد مصطبحا * وتارة من سلاف المجد مغتبقا
ياغائبين فما ودى بمنتقض * منكم ولا حبل عهدى واهنا خلقا
تحدوه ريح الصبا وهنا لارضكم * يزرى شذاها بريا مسكه عبقا

فأجابه أبو المعالى الطالوى بقصيدة أنشدنيها وهى

وافت فارّجت الارجاء والافقا * أمنية من شذاها فطرنا عبقا

راح كأن الصبا باتت تعلها * بالسحر بين رياض طلعها بسقا
أم نفحة من ربى دارين عاطرة * أهدت لنا أرجاء جنح الدجى عبقا
هيفاء تهو بقد زانه هيف * نكوط بان غضيض مثمر بنقا
ترنو الي بطرف كله حور * مهما انبرت بفؤادهام أو عشقا
لو شاهد ابن عفين حسن طلعتها * لاذكرته زمانا يبعث الحرقا
أو انبرت للبيد وهو ذو لسن * أزرت به وكذا سحبان ان نطقا
يا حسنها حين زارتنا محيرة * قد نظم الدر في لباتها انسقا
أهدت تحية ود من أخي ثقة * يزري شذاها بريا المسك ان عبقا
لا غرو أني مشوق في الانام له * فالحر يشتاق اخوان الصفا خلقا
اشتاق رؤيته الغراء ما طلعت * شمس النهار وأبدى صبحه شفقا
وكلما سحرا هبت شآميه * بسفح جلق أو برق الحمى برقا
أحبابنا والذي أرجوه مبتهلا * بأن يمن علي مضنا كم بلقا
ما ان تذكرت معنى راق لي بكم * الا ورحت بدمعي جار هاشرقا
ولا شدت بغياض الغوطتين ضحى * ورقاء تندب الفا نازحا شفقا
الا وغاض اصطباري أو وهى جلدي * ففاض من مقلتي الدمع وانطلقا
اذ جانب العيش غض رائق بهج * والدهر قد غض عنا الجفن فانطبقا
تلهو بكل كحيل الطرف ساحره * يزري بغزلان عسفان اذا رمقا
لا سيما ان غدا بالكأس مصطبحا * أو راح من وله بالطاس مغتبقا
ليت الزمان الذي فينا الغداة قضى * بثت ملومنا والدهر ما خلقا
فهل أوبقاتنا اللاتي بكم سلفت * تعود يوما فأحظى منكم بلقا
عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة تبعث الاشجان والحرقا
تهديه ريح الصبا بي نحو أرضكم * كما ثدارين يزكو كلما نشقا

﴿تقي الدين بن معروف﴾ سماء فضل باطلاع نجوم الكمال معروف وشموس معارفه لا يعتريها كسوف ورياض علمه أنيقه ودوحة مجده وريقة الظل وريقه اذا مس الاقلام سجدت في محاريب الطروس شكرا ومادت من مدام مداده هائمة سكرا فكم لليل حبره المسكي الانفاس يديض الله به محيا القرطاس (تخبر أن المانوية تكذب) وله في علم الفلك أنظار تنم باسرار كواكبه وان كتم قلبه على لسان أسرار صاحبه توآه الله منه مكانا عليا فتلا لان رامه سواه أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فكم سعده بخطوات فكره وسعا واتخذ خطوط جداوله للعروج اليه سلما فكلما طارت حمائم النجوم من بروج أقطارها جعلها بطاقة تطير في الآفاق لتبليغ أخبارها فلو كان لعطارد الخيار كان بدنانير الدراري له مشتري ولو أراد مدحه أطراه بقول ابن الرومي غير مفتري

أعلاكم في السماء مجدكم * فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الا * مر الى أن بلغتم زحلا
لم تدركوا قط بالحساب بل الأ * حساب علما لكم ولا عملا

ولم يزل متقادا بصارم القضا قانعا من معشوقته الدنيا بحالتي الصد والرضى حتى أراد أن يجدد لاستاذ نا رصدا وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا غافلا عن حركات الفلك حتى قيل له نبهك الله ما أغفلك فدارت دوائره على مدارها وصارت زاوية قبره حادثة بعدما كانت منفرجة في أقطارها وشكل العروس من زخرف الحياة له أطماع وهو لمن تأمله شكل قطاع (والموت للانسان بالمرصاد) وقد طالعت له رسائل فلكيه وبعض تحريرات هندسيه تدل على علو كعبه فيها ورتبه من حضيض الخمول الى سماء معاليها وله شعر وسط ونثر غريب النمط كقوله في مدح العلامة أبي الفتح المالكي

يا كعبة يؤمها اولوالنهى * وسدرة الفضل اليها المنتهى
لأنت في العالم فرد علم * بل أنت كل الخلق علما وهدى
والفضل لما قال ان مالكي * بالشام كل قد أقر بالولا
رفعت قدرا وعلوت رتبة * وفزت بالتقديم حال الابتدا
وفقت أهل الارض بالعلم الذي * أوتيته مولاي من رب السما
يصرف لب المرء نحو لفظه * اذ يعرب الفضل على هذا البنا

وقوله من قصيدة في مدح استاذي سعد الدين الشاعر

صباح الامافي صباح مكارم * تجلت على عرش الجلالة والحمد
مطالع ما زالت طوالع بالسنا * تعمم آفاق المكارم بالسعد

(فائدة مهمة) سئلت عنها في حال تحريري هذه الرجعانة وهي انه منع بعض المالكية من الالقاب المضافة للدين كسعد الدين وعز الدين فقلت قال العارف بالله ابن الحاج في كتابه المسمى بالمدخل الذي استقصى فيه أنواع البدع ما نصه من ارتكب بدعة ينبغي له اخفاؤها لقوله صلى الله عليه وسلم من ابتلي منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر والعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لانه ربما يقال ان عنده علما بجواز ما ارتكبه فيقتدي به غيره كما قال أبو منصور الدمياطي في قصيدة له

أيها العالم اياك الزلل * واحذر الهفوة فالخطب جلل
هفوة العالم مستعظمة * ان هفا أصبح في الخلق مثل
وعلى هفوته معتمدهم * وبه يحتج من أخطا وزل
فهو ملح الارض ما يصلحه * ان بدا فيه فساد أو خلل

فما ينبغي التحفظ عنه من البدع الأعلام المخالفة للشرع المضافة للدين لما فيها من تزكية النفس انتهى عنها كما صرح به القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى ولافضل بن سهل قصيدة في ذمها

بحث في تسمية الرجل ولده عن الدين وسعد الدين

فهما قوله فيمن لقب بعز الدين وفخر الدين

أرى الدين يستحيي من الله أن يرى * وهذا له فخر وذاك نصير
فقد كثرت في الدين ألقاب عصبة * هم في مرامي المنكرات حمير
واني لأجل الدين عن عزه بهم * وأعلم أن الذنب فيه كبير

فمن نادى بهذا الاسم أو أجاب به فقد ارتكب ما لا ينبغي لانه كذب وفي الحديث عليكم بالصدق فانه يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة والكذب فجور والفجور يهدي الى النار الحديث فاذا قال أحد محيي الدين يقال أهذا الذي أحيى الدين فاذا أخذ صحيفته وجدها مشحونة بالكذب ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين زينب قال لها ما اسمك قالت برة فكره صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لا تزكوا أنفسكم وسماها زينب ولا يقال انها خرجت عن أصلها بالنقل الى العلمية لانه لو كان كذلك ما كرهوا تركها مع ما فيها من التشبيه بالجعل المنهي عنه وهذه التسمية أول ما ظهرت من متغلبة الترك مضافة الى الدولة وكانوا لا يلقبون أحدا الا باذن السلطان وكانوا يبذلون عليه المال ثم عدلوا عنه بالاضافة الى الدين ونقل عن النووي انه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول لا جعل الله من دعاني به في حل ولذا تحاشى عنه بعض العلماء وهذه نزغة شيطانية من أهل المشرق ولما كان في أهل المغرب من التواضع كانوا يغيرون الاسماء لما هو منهي عنه أيضا فيقولون لمحمد حمود ولاحمد حمدوس ولابوسف يوسو ولعبد الرحمن رحمو ونحو ذلك انتهى أقول أما كون هذه بدعة حدثت بعد العصر الاول فلا شبهة فيه وأما كونها ممنوعة شرعا أو مكروهة فلا وجه له وما تشبث به أو هي من بيت العنكبوت وما نقله عن النووي وغيره من السلف لا أصل له وكذا ما نقل عن شيخ والدي ناصر الدين اللقاني أنه كان يكتب في الفتاوى ناصر لهذا وقد غرق في ذلك مدة ثم رجعت عنه لعدم ثبوته وكونه كذبا يكتب في صحيفة مجازفة لا ينبغي أن يقال مثله بالرأي وهذا لم يضعه الانسان لنفسه وانما سماه به أبواه في صغره وعدم تكليفه وكونه تزكية لنفسه أيضا غير صحيح لأن الاضافة تكون لادنى ملابسة فهو مضاف للسبب تفاؤلا فعز الدين بمعنى يعزه الله بالدين وكذا محيي الدين بمعنى محيي نفسه بالدين فقياسه على برة قياس فاسد مع الفارق ولو صح هذا منع أحمد ومحمد وحسن وهو محمود وقد قال المحدثون اذا اشتهر اللقب جاز وان كان ذما كاعرج وأعمش وماذكر تضييق وحرج في الدين وفي هذا الكتاب كثير من هذا النمط فايالك والاغترار به والاعلام انما تدل وضعا على الذات والتفاؤل بالامور المستحسنة مستحب لقوله في الحديث كان يحب الفأل ويكره الطيرة ويحمد قائله لا يعتقد ثبوت ما يقال به وانما سمي به فلا كذب والاعلام لا حجر فيها والتشبيه بالجعل فيما لا يزاحم الشرع غير منهي عنه الا للعصبية المذمومة بدليل حديث الخندق ويدل على ما ذكرناه حديث تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وأما حديث برة ان صح فانما فعله صلى الله عليه وسلم لكونه من أعلام الجاهلية أو لمعنى آخر بدليل انها كانت برة في نفسها اه

﴿ محمد بن الرومي المعروف بماماي ابن اخت الخيالي نزيل دمشق الشام ﴾ شاعر توقدت جمرات أفكاره وتوردت في رياض الشام وجنات أزهاره وابتسمت في ناديه ثغور أنواره لكنها خدود لم يترقرق عليها دمع القطار ومباسم لم ترشف الشمس منها ريق الأمطار فلله دره من فصيح لم يعالج بمياه عروق القيصوم والشيح ولم يغذ بلبان العربه ولم يتفكه بثمار العلوم الجنيه لانه من بني الأصفر ومن قاسي الفقر الأسود وهو الموت الأحمر الا أن للبقاع تأثيرا في الطباع فلما تغذى طفل جبلته ماء الشام ونسيمه و برغ هلاله فيه بعد ما أميطت عنه هالة التسمية انسقل طبعه الموهف فانبرت شمائله أرق من الشمال وألطف لاسيما وأبو الفتح ماشطة عرائس فكره ولم تشعثه نظمه ونثره اذا أنس طبعه لحنه أو طرق طرق ذهنه طيف هجنه وقد طالعت ديوانه فرأيته يعتريه علل وفتور ويدخل في مغاني معانيه وبيوته القصور فمن شعره الذي اخترته قوله

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا * يقول هلموا اسمعوا نص أخباري
فباسمي تسمت قهوة البن في الملا * ولكنها لم تحك أصداغ خماري
فمن كذبها فدسود الله وجهها * وعذبها بعد الاهانة بالنار

﴿ ومنه قوله مضمنا ﴾

قد قالت القهوة الحمراء وافتخرت * كم قد ملكت ملوك الاعصر الاول
وقهوة القدر ان قدراء على علت * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

ومنه قوله جليت عروسا في عقود حبابها * وقد بت تطيبا بالسرور حبابها
طلعت عروسا تجتلى في كأسها * وكفى كفوف الغيد نقش خضابها
بكرا ذا باكرتها للتو لدت * بشر السرور لدى حضور جنابها
أخذت من العقل النفيس جواهرا * مهرا لها والنفس من خطابها
راح حلالي شربها في جنة * والنص في الجنات حل شرابها

وهو مأخوذ من قول الارجاني كأس من السحر الحلا * لي بشربها للقوم سكر
في مجلس هو جنة * ولذاك فيه تحل خمر

وقوله يقول حبيبي ما الطرف لك أحورا * كأنك يا حيران في نشوة التيه
فقلت له اشراق خدك قد بدا * وقابله طرفي فخيله فيه

وأحسن منه قول الامير مجير الدين بن تميم

اقول للحب لما أنكروا أثرا * من احمرار بدا في باطن المقل
عاتبت ألحاظ عيني عند ما نظرت * الى سوى الحب فاحمرت من الخجل

وقوله ولما انقضى شهر الصيام بفضله * تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره * يشير انا بالرمز للأكل والشرب

وهو مأخوذ من قول العقيلي فم هاتها وردية ذهبية * تبدو فتحسبها عقيقة اذ ابا

أوماترى حسن الهلال كأنه * لما تبدى حاجب قد شابا

الا أن قوله من طول عمره تكميل حسن ومما قلته فى بعض الرسائل شاب شاب حاجب الهلال وما داناه كمالا واشتعل رأس الشمس شيبا ولم نره منالا ومما يضاهى هذا ما قلته لما رأيت قول الثعالبى فى مدح قصر بناه الصاحب ابن عباد

لله قصر ترى كل الجمال به * وأسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنما جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تجميلا لصاحبه

ورأيت ما فيه من الغفلة فان تجميله بالدخول لها انما يكون بالموت ففيه ايهام لا يليق بمثله ففلت فى هذا المعنى وأتيت فيه بنوع من الاحتراس سميته بالتهذيب

بنى دارا يعار الوصف فيها * ونحواها المحاسن والمسره

كأن الجنة اشتاقته حتى * له نزلت أطال الله عمره

وقد يقال فى قوله نزلت احتراس تام لكنه خفى والمقام يأباه ومن ديوانه قوله أيضا

كيف السبيل الى كتم الغرام اذا * كاتبتكم وأردت السر تكتمه

وقد غدا الطرس بالوجهين مشتهرا * وباللسانين أمسى يعرف القلم

وقوله وقد مرض الجهول له فعدنا * ونحن اذا أناس راحمونا

فظن بأننا عدناه خوفا * فان عدنا فانا ظالمونا

وقوله أيضا اذا دفن الانسان فى الرمس برهة * وعاودته تلقاه بادثناياه

وما ذاك الا انه متبسم * على كل مغرور بأحوال دنياه

ومما يضاهى هذا أن المولود يولد باكيا مقبوض الكف فاذا مات فتحها فقال الحكماء انه اشارة لحرصه حيا وانه خرج منها بغير شئ كما قيل

وفى قبض كف الطفل عند ولاده * دليل على الحرص المركب فى الحى

وفى بسطها عند الممات اشارة * ألا فانظروني قد خرجت بلاشئ

وكم فى الكون من اشارات فهو جميعه ناطق بالعظات ولكن لمن يسمع ويبصر وأنشدنى له بعض شعراء الشام

رأيت الكائنات خيال ظل * محركها هو الرب الغفور

فصندوق اليمين بطون حوتا * وصندوق الشمال هو القبور

وليس له فانى رأيته منسوبا للشيخ ابن عربى وهو معنى مشهور لكنه تصرف فيه عباءة وردة ديباجة وأصله من قول الآخر

رأيت خيال الظل أكبر عبرة * لمن هو فى علم الحقيقة راقى

شخوص وأشكال تمر وتنقضى * وتفنى سريعا والمحرك باقى

ومنه ولد ابن الوردى فى الحمام قوله

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تبصر لكن أين من يتبصر

يجرد

يجرد من أمواله ولباسه * ويبقى له من كل ذلك مئزر

﴿ومما قلته فيه﴾ ان يكن يحكى خيال الظل فى * فعله دهرنا بيدى العبر

فعساه عن قريب مظهرا * صورا أحسن من هذى الصور

وقلت أيضا هى الدنيا خيال الظل تحكى * يحركها القضاء كما يقدر

ولولا الستر ممدود عليه * من الغفلات ما ألهى ونامر

﴿زين الدين الاسعاردى﴾ فاضل ابن العود ماجد الأعراق حلو الشمائل عذب الاخلاق له آثار على أكف القبول مرفوعة وكلمات كثمرات الجنان لا مقطوعة ولا ممنوعة محبنى وهو يقطف نور التحصيل وللفضل الى معالمه انتظار وتأميل فتجاذبنا أهداب المذاكرة وجرنا ذيول المناشدة والمحاورة فمما أنشدنيه من شعره قوله

كتبت وأفكارى وحقك مزقت * كما قد بدت فى الحب كل ممزق

ولو حم لى التوفيق كنت تركته * ولكننى أصبحت غير موفق

اذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى * فلا تنكرن هذا المقال وصدق

﴿وهذا كقول الآخر﴾

سألته ما عن فؤادى أين مسكنه * فانه ضل عنى عند مسراها

قالت لدى قلوب جمة جمعت * فأيها أنت تعنى قلت أشقاها

﴿أبو بكر الجوهرى الشامى﴾ شاعر عذب الكلمات حسن الذات والسمات عرائس افكاره صباح وجواهر نفثاته صحاح ورد الى مصر مرتديا حلل الشباب مطرزة بطراز أخلاقه العذاب متعاطيا للتجارة صارفا لها فقد عمره

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب

فمن جواهر كلماته الصحاح التى هى أرق من نفس الصبا فى الصباح قوله فى مليح اسمه داود ورقيب له اسمه عمرو

أفدى غزالا له خال بوجنته * مع عارض شبه واو العطف ممدود

كأنما الخال فوق الخد يحرسه * حذار سرقة عمرو واو داود

﴿ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داود﴾

قد كنت جلدا فى الخطوب اذا عرت * لا تزدهينى الغانيات الغيد

وعهدت قلبى من حديد فى الحشا * فالآن بعـــــد فؤنه داود

﴿وللملك الناصر فى داود﴾

منى بطيفك بعد ما منع الكرى * عن ناظرى الدمع والتسهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن * لى والحديد ألا نه داود

﴿ومما قلته فيما قاله﴾

وحاسد يريم فى صحيفة * فضلى ويخفى الذكر اذ يطرأ

فاسمى لديه واو عمرو ولذا * يكتب فى الخط ولا يقرأ

﴿وأصله قول أبى نواس﴾

أيها المدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى﴾ والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق هو فى ميدان الفضل وحلبة الشهباء سابق وأى سابق وعصره كان مسك ختامها وبحر لبابها وأصيل أيامها تورت حداثتها بغوادى شمائله وتحلى معصم مجدها بسوار فضائله حيث التقا نفس الافاحى والصبا * وترنم الحسناء والورقاء
وجرى النسيم بحر فضل ردائه * نشوان يعثر فى غدير الماء

درس فيها وأفتى ولمعى بحر فضائله فترك الحساد يضربون الماء حتى وله نظم كما انتظمت دراى الزهر ونثر كما نثرت يد الشمال على وجنات الرياض لآلئ القطر وله تصانيف جمة تزينت بها البلاد وأمست تمائمها منوطة بأجياد الأجواد فهو نسيج وحده آثاره فى حلل الفضل طراز مذهب واسد فى مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب وله محاضرات لو ذكرت للراغب اسمى لها راغبا أو لسحبان وائل لذيل الخجل على وجهه البسيطة ساحبا فما هيبت به صبا أسحاره وغردت به على كراسى الربى حمائم أخباره قوله

يلومونى فى ترك ضم قوامه * ولا ذنب للانسان فى الضم واللثم
نعم بيننا جنسية الود والصفا * ولكننى لم ألفها علة الضم

وقوله يقولون لى والشيب لاح بمفرقى * عناقك عذراء الحمى غير جائز
أعن نار خديها التى هى مثيتى * أميل وأستغنى ببرد المجائز

وله قوامك يا بدر الفلاة كأنه * قنا أو قوام السرو أو أنف الوصل
وعينك فاقت كل عين بكحلها * فما أنت الا زيد مسئلة الكحل

وقوله لكم هممٌ نلتم برمى شباكها * مرامكم لما قطعتم بها اليدا
وعدتم الى المضى بما نلتم وقد * توليتم صدافكان لكم سيدا

وقوله كما سمعنا بأوصاف لكم كملت * فسرنا ما سمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم * والآن تعشق قبل العين أحيانا

وهو لبشار وأوله (يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة) وفى معناه قول الحلى
وهو يتكم قبل اللقاء كما * تهوى الجنان لطيب الاخبار

ولصاحب الترجمة أيضا رباعية وهى

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل * مقلى وأنا العليل من أجل عليل
من ضعفى قد صرفت ميلى لهما * والجنس الى الجنس كما قيل يميل

قوله والجنس الخ من أمثال مولدى العجم ومثله قولهم الجنسية علة الضم وهو كما قيل

قوله خذ ما فيها الى حاب العلوم من سابق الكلام ولا حقه اه

(ان الطيور على أجناسها تقع) (وشبه الشئ منجذب اليه)

وله من أبيات المعانى فى مليح من بنى تميم

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب * فأجاب ما تنسل المحب حرام

وله مضمنا حمى ثغره الضحاك صمصام جفنه * كما صين بالتعذير خد مورد
أخذ حبيبى لاترد زردية * خصمك والضحاك سيف مهند

والضحاك اسم ملك معرب لكنه وافق صيغة المبالغة من الضحك ومثله من نوادر العربية ومن فصوله القصار انما تبقى المحاضر الى كريم العناصر لتجعل الدنيا للآخرة ذخره ومن ينكح أمة على حره ما أخس الكلب العواء وان سعد الى السماك والعواء المحترأس المال وربحها حسن الاعمال تذكير المواعظ صاون لمن هم عن دنس الاخلاق صاون اذا كان الندى مات فالسؤال من أعظم المدامات

﴿أبو الفتح بن عبد السلام المالكى المغربى نزيل الشام﴾ نادرة الفلك وهدية الزمان ونكتة عطارد المدونة فى صحف الامكان وبرهان من قال من الحكماء بتعدد نوع الانسان وليس الغريب من تناءت داره بل من فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره وهو غريب فى فضله ومجده وان ملك من الأدب ما لا كالا ينبغى لأحد من بعده ولما أشرقت بالمغرب شموس علمه وآدابه وزهانورها اذجرى فى عوده ماشب بابه أسفر وجهه صباحه وجلاله الظفر غرة نجاحه فحل عقد عزيمته بالشام كما حل الربيع نقابه عن منظر بسام

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تثنيه وسنان

فألقى بها عصا تسياره ونفض عن بردهمته غبار أسفاره وبنى أمره على السكون وماشى حاله على الفتح وقد شدت ورق فصاحته بها بأطرب ترنم وصدح فمضى زمن ونور الادب لا يجتنى الا من رياض كلامه وسورة الفتح مجار بها لا تتلى بغير ألسنة أقلامه وانثمر اودها كل البصائر وتحف آثاره بتلاقى ركبانها كل بادوحاضر حتى فى نادى الفضاء تربع واحتبى وأصبح طراز مذهب مالك به مذهبا

وصار فيهم غريب الفضل منفردا * كبيت حسان فى ديوان مجنون

فأنار له الحالك وتصرف فيه تصرف مالك بأخلاق تعصر منها شمول الشمائل وفضائل جمة المآثر يحبان عندها باقل الا أنه مع تلك جواهر العلوم وتقلد جيد كماله بعقود المنثور والمنظوم عاداه دهره وصافاه فقره فظل يعترى صبابة عيش لو أنها نوم ما شعرت بها الاحداق ويتحمل من أثقالها مايوهن ويوهى القوى والاعناق ولم يزل كذلك حتى غار ماء حياته وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته فانفتحت له أبواب الجنان فسقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان ونزه عيون رجائه وأمله فى رياض الجنان بين الحور والحسان فمن نظمه الذى حشى الاسماع سحرا وملأ أفواه الرواة درا قوله

بأبى ألعس المراشف أمى * ملئس القد ناعس الاجفان

سرق الجيد واللحاظ من الظبي ولين القوام من غصن بان
عطفته الصبا الي ومالي * بالصبا بعد ماتراءيدان
فتحاشيت اثمه خيفة الاثم وأطلقت مقلتي ولساني
آه لولا التقي ومعترك الشيب لطاوعت في الهوى شيطاني

﴿وله من قصيدة﴾

حاز الجمال بأسره لمحبه * في أسره لم يرض حمل وثاقه
فسما بصبح جبينه لوزارني * جنح الدجى وسعى الى مشتاقه
لفرشت خدي في الطريق تعثرا * بفم الجفون مواطئ استطراقه
وصفحت عن زلات دهري كلها * وعناده فيما مضى وشقاقه

وقوله بفم الجفون الخ كقوله ايضا في أرجوزته المشهورة

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشرب بها مسامع الحفاظ

وهذا نوع من البديع غريب بيناه في حديقة السحر وله نظائر كثيرة وهو على نهج قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب كما أشار اليه في الكشاف وقد أوضحه الغزي بقوله في بعض قصائده

ان لم أمت بالسيف قال العذل * ما فيه السيف الذي لا يقتل
وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

ومنه ما أنشده اناصر ديننا الطالوي لنفسه

أرود بلحظي ورد خديه والذي * جنى لحظه ورد الخدود لها أخطا
وأرشف بالالحاظ خمرة ريقه * لأني امرؤ آليت لا ذقت اسفنطا

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نقل البحتري في قوله

تفاح خد اذا احمرت محاسنه * مقبل يخفي اللحظ مغضوض

وقوله مغضوض بدل من قوله مقبل وهو غيره وليس بدل غلط فانظره فانه من سحر البلاغة
ومما نحن فيه قول ابن الرومي بدر كأن البدر مقرون عليه كوكب
عذبت خلائقه فكا * دمن العذوبة يشرب
(ولابن هند في عود البخور) رأيت العود مشتقا * من العود بايقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان
ولابن المعتز في فرس يكاد لولا اسم الاله يحبه * تأكله عيوننا وتشرب به
وللشريف الرضي فانني ان أرى الديار بطرفي * فلعلي أرى الديار بسمعي

ومنه أخذ القاضي الفاضل قوله

مثلته الذكرى لسمعي كأني * أتمثى هنالك بالاحداق

وأجاد أيضا حيث قال

الجود أمدح ممن قام يمدحه * فالناس ما نطقوا الا من النظر

وقول ابن خفاجة المغربي الاندلسي وهو من رماة الحدق

وأهيف قام يسعى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي * وكدت أشرب خده

ولناصح الدين الارجاني

ورشفنا مدام نظم ونثر * من كؤس تذاق بالآذان

وقلت أنا نرجس الروض قد زها العيون * لا أرى المشي فيه للطراق
قلت لما أتيته خليلي * امش ياساح فيه بالاحداق

والشيء بالشيء يذكر هذا في معنى قولي قديما مضمنا

ياساح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها * ولأجل عين ألف عين تكرم

ولصاحب الترجمة من قصيدة مدح بها العلامة عليا الحنائي وعاتبه على قطع مرتبه له

ان قطع السيد عن عبده * ما كان قد رتب من رفده
فالعبد لم يقطع دعاء له * رتبه كالجزء من ورده
ولا ثناء حسنا نشره * كالمسك والعنبر في ندده
أو كرياض راضها وابل * فابتسم اليانع من ورده
وانتظمت من نثر أزهارها * جواهر الانداء في عقده
وهو غني عن ثناء امرئ * ظل كابل الذهن من فقده
اذ مهد الحق له رتبة * عظيمة مذ كان في مهده
ونال ما شاء من المجد لا * يسعى انسان ولا كده
فهو على لا يمدح النور * لكن يناسده
وانما أوجب مدحي له * تتابع النعماء من عنده
وما حباه الحق سبحانه * من العلا الزائد عن حده
والعلم والتحقيق والفهم والتوفيق والتدقيق من قصده
والشكر للمنعم فرض به * يأمن ذو الايمان من طرده
وفيه لاشك مزيد لمن * لازمه والكل من عنده
هذا وان العبد يبغي الرضى * في قربه الأقرب أو بعده
وما له في غيره رغبة * والعبد مجبول على قصده
وليس ذا خزن لما فات من * دنياه قد سبق الحرشده

سبان فقر وغنى عنده * لماهو المعهود من زهده
وما تصدى لصدى آلة * وبيجة تفضى الى صده
سوى لزوم البيت مستوحشا * من الورى حتى ذوى ودّه
مشتغلا بالعلم مستغرقا * أوقاته فيه وفى سرده
قد لزم العزلة لكنه * لصحبه باق على عهده
أقسم لا يبرح من بيته * حتى يوارى فى ثرى لحده
ان مات لم يترك له درهما * يجوزه الوارث من بعده
ولا أثاثا لا ولا ملبسا * يصلح للبيع سوى برده
وفروة جرداء من عتقها * أضلاعه ترعد من برده
وطيلسان خلق دمعه * من عتقه يجرى على خده
ولم يكن يترك شيأ اذا * فارقه يأسى على فقده
غير بقايا كتب رثة * أكثرها قد مات فى جلده
يباع فى تجهيزه بعضها * والبعض وقف لا على ولده
هذا العمرى عرض حالى على * من أجمع الناس على حمده
لا برحت أعتابه قبلة * يؤمها العافون من وفده
ما هملت أنمله بالندى * من راحة كالبحر فى مدّه

تكملة فى قوله مستغرقا الخ فوائد منها أن الاستغراق أصل معناه طاب الغرق ثم استعمله الناس فى أخذ الشئ وتحصيله ومنه قول العامة استغرق فى الضحك اذا أطاله وهو غلط وصوابه فى الضحك استغرب لا اغترب أيضا كقول البحترى

وضحكنا فاغترب الاقاحى من ندى * غض وسلسال الرضاب برود

قال الآمدى فى كتاب الموازنة قوله اغترب يريد الضحك والمستعمل استغرب فى الضحك اذا اشتد فيه وأغرب أيضا أخذ من غروب الاسنان وهى أطرافها وغرب كل شئ حده اذا المعنى امتلأ ضحكا انتهى والسرد أصله نسج الدرع وتتابع الكلام وتعداد الاشياء والعامة استعارته لتتابع نعاس الجالس وليس بعربى وهو الذى أراده هنا وهو كقوله

لداود من برش كساء سفاهة * مطرزة من صفرة الوجه والخدّ

ومازال درع الكيد للحب ناسجا * ولوناعسا أمسى يقدر فى السرد

وقوله مات فى جلده استعمال معروف عامى وجه استعماله ركيك والبليغ قول العرب للمغلوج سجن فى جلده وحسن هذا وصف الكتاب به كما قال ابن نباتة المصرى

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات فى عقدها
كل تصانيف الورى عنده * تموت للنجلة فى جلدها

عودا على بدء ومن شعره أيضا

قوله آلة فى نسخة حالة اه

قف على قوله استغرق فى الضحك غلط واستغرب صحيح

مرحبا بالحمام ساعة يطرا * ولو ابتز منى العمر شطرا
حبذا الارتحال عن دار سوء * نحن فيها فى قبضة الاسر أسرى
واذا ما ارتحلت يا صاح عنها * لاسقى الله بعدى الأرض قطرا

وهذا كقول الامير أبى فراس الهمدانى من قصيدة له

أرا لدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهى عليك ولا أمر
تعللنى بالوعد والموت دونه * اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

ونحوه قولى فى مطلع قصيدة

ان لم تجد لى الصبا غله * فلا شفى الله لها علله

وله أيضا

ويمكن وصل الحبل من بعد قطعه * ولكنه يبقى به أثر الربط

وأحسن منه قولى فى بعض الرسائل أنت وان وصلت بعد القطع حبل المودّة ففيما بقى من أثر ذلك فى القلب عقده وقلت من قصيدة

يا واصلين حبالا * كانت تشدّ المودّه
لا تقطعوها ببعد * قد غير النأى عهده
فان تقولوا وصلنا * من بعد ذا القطع شدّه
يبقى وحقك فيها * من ذلك القطع عقده

وهذه الاستعارة معروفة قديما وفى حديث العقبة ان الانصار قالوا ان بيننا وبين القوم حبالا أنراهم قاطعيها وقد حققه فى الروض الانف وكتب للقاضى معروف وقد أهدى له حلة

مخدومنا قاضى قضاة مدينتى * صفد أحق الناس بالتفضيل
العالم الحبر الذى معروفه * تزرى زيادته بحمر النيل
أهدى لنحوى من مخيط ثيابه * جلا فأغنانى عن التفصيل

والتفصيل بلسان العامة يعنى قطع الثياب الجديدة ففيه تورية كقول ابن نباتة المصرى

كم جملة وصلت لى من نداكم * تفصيلة ألبستنى أجمل الحال
حتى لقد غدت المداح حائرة * بين التفاصيل من نعماك والجمل

وقوله أيضا

قد نكس الرأس أهل الكيمياء خجلا * وقطروا أدمعا من بعد ما سهروا
ان طالعوا كتبا للدرس بينهم * أضحوا اهلوكانوا هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع * وكم فتى منهم قد غره القمر

تشبيه المحدب بالاجرع

وقوله فى أحدب كانه أترجة الظرفاء وكرة اللهو بيد ان الندماء للطفاء وكان أبو الفتح يكرهه ولم يعمل فيه بقول الباخرزى

وصانع الدهر فيكم دولة * صاغت من السلحفاة أترجه

فقال فيه

اذا غفر الله ذنب امرئ * فلا غفرت زلة الأحدب
شديد النكاية مع ضعفه * قياسا على ابرة العقرب

قف على هذه النكتة

قوله الهمدانى هو ابو فراس الحمدانى من آل حمدان اه

ومن ظرفاء الحدبان القاضي الفاضل وفيه يقول القائل

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بعهد النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

وعلى نمطه وان لم يكن من بابه قول ابن جلنك لما امتدح القاضي الزملكاني فأجازه بخبز فكتب على حائط بستانه

لله بستان حلانا دوحه * في روضة قد فتحت أبوابها
والبان نحسبه سنانيرا رأت * قاضي القضاة فنفشت أذنابها

وهذا غط عجيب وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنف كراسة في لطائف هذه المقطوعة ووجوه بلاغتها ولم أرها وهو جدير بذلك ووجه حسنها انه قصد به تشبيه زهر البان وأدمج فيه هجو القاضي لان السنانير انما تنفش أذنابها اذا فزعت من الكلاب فكأنه قال انها ظنته كلبا ونحوه مامر في القاضي الفاضل والايماء لحدبته وهذا النوع يشبه المدح بما يشبه الذم وعكسه ففي صريحه تشبيه لطيف كني به عن هجو قبيح وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر فانه صريح كما حققه السيد في فن البيان بل لامور قصدها وليس هذا محل تفصيلها فان أردتها فانظر كتابنا حديقة السحر وله أيضا يذكر من وعده بتاسومة وهي نعل معروف كالداس

رب تاسومة بها قد وعدنا * فاذا قربها من النجم أبعد
رب يسر حصوله المحب * عنه للكلب يرقى ويصعد
عملا في الورى بقول حكيم * ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وهذا مثل مشهور بمعنى قول علي رضي الله تعالى عنه صاحب من أقبل جده تسعد وقد قلت في مثال نعله صلى الله عليه وسلم

لمثال النعل الشريف لطه * شرف قدره من النجم أبعد
وسمعنا الامثال قالت قديما * ضع مكان السعيد رجلك تسعد
وسعيد من كان من قبل هذا * أو عليه قد مرغ الوجه والخد

وما أحق هذا أن ينشد له قول أبي العتاهية

نعل بعثت بها لتلبسها * قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح أن أشركها * خدي جعلت شراكها خدي

ولابن هانئ الاندلسي في قبقاب وهو نعل يصنع من الخشب وهو محدث بعد العصر الاول ولفظه مولد أيضا لم يسمع من العرب كما قاله الازهري

كلام في القبقاب

كنت غصنا بين الرياض رطيبا * ماس العطف من غناء الحمام
صرت أحكي عداك في الذل اذ صر * ت مهانا أداس بالاقدام

وله يذكر معاهدا نيطت بها تمائمه وغردت على أغصان شبابه حمائمه يندب اخوانه وينعى أوطاره وأوطانه

سلوا البارق النجدي عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران

ولا

ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة أشواقي اليكم وأشجاني
فحالي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بالواني
فيا طال بالاسحار ما قد تكلفت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل وبعبولا ولمان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا هرت على الرند والبان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت * لتبليغ أحبابي السلام وجيراني

وقد نحا نحو قول ابن مليك الحموي في قصيدة له

سلوا فاتر الاجفان عن كبدي الحرا * وعن درة أجفاني سلوا العقد والنحرا
مليح اذا مارمت عنه تصبرا * يقول الهوى ان تستطيع معي صبرا

وهذا الشاعر وان لم يكن من أهل العصر فانه قريب العهد فينبغي ذكره هنا فنقول هو علاء الدين بن مليك الحموي هذا شاعر رحماه ومن كلام سرح الادب بهاوحماه رآه أبو الفتح المالكي وقدر في شرف علمه وحمى وهو بحانوت له يبيع الاسمى وأقلامه قضب على جداول الطروس مياله أسبل على وجه دوحها الزاهي ظلاله بل لواه على ملك الكلام أو عمود نصب عليه من السحر خيام وهو يخلب الاسماع بسحره ويريق حلومانه على صناعة شعره ثم رفعته حرفة الادب عن حضيض دكانه الى ان صار ملك الادب بديوانه فنادى لسان قريضه النظيم ماهذا مليك ان هذا الا ملك كريم وقد وقفت على ديوانه فجنيت من ثمرات حسنه واحسانه قوله من قصيدة له

ذكر الغضا فجنت عليه أضالعي * وبكى العقيق فساقطته أدمعي
لله در دموع عيني انها * رقعت من الاجفان أحسن موقع
من لي بقلبي يوم كاظمة وقد * ودعتهم لو خلفوا قلبي معي
رحلوا فكان القلب أول راحل * والصبر آخر ظاعن ومودع

وقوله من أخرى

مر ازدلف العذار من رقه * ودر دمعي بقيه من نظمه
وخاله فوق كنز مبسمه * بالمسك قفلا عليه من ختمه
من لي به ساحرا لجفون سطا * ظلما على صبه ومارحمه

وقوله من أخرى

يا ربقا بالحمى قد لمعا * حي عني البان والأثل معا
فبذاك الحي لي غصن نقا * طائر القلب عليه وقعا
يا له من غصن بان يانع * صادح الحلي عليه سجعا

وقوله من اخرى

أحيا الربيع الارض بعد مماتها * وحلا بسكب القطر عود نباتها
والزهر قد ألقى النثار كأنما * أدت كنوز الارض بعض زكاتها
وحكت جداولها خلاخيلا وقد * أضحى خرير الماء من رناتها

علاء الدين بن مليك الحموي

وقوله من أخرى سقيا لارض بعد كوثرتها * ما اشتاق قلبي للموارد منهلا
لولا بقاياه وحقك في فمي * ما قلت شعرا في المسامع قد حلا

وهذا من قول ابن حجة من قصيدة

ولولا بقايا طعمهم في مذاقتي * لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

ومن تتف له مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حمل الاثم والنصب
ان لم تكن صلة منكم لذي أدب * فاجرة الخط أو كفارة الكذب

وقوله أيضا لا تعجبوا من صديق كنت أمدحه * وقد هجاني وما في ذاك من عجب
بل اعجبوا من ذكاء فيه كيف درى * أني كذبت فجازاني على الكذب

وقوله أيضا يكاد لرقة أعطافه * من اللين يعقد لولا الكفل
فان قيل بدر فقل عيده * وان قيل شمس الضحى قل أجل

ونحوه قول ابن حجر حبيبي لا تحتفل بالعذل * وصل مغرما للقضى قد وصل
وحقك ان العذول الأقل * وأنت الحبا وأنت الأجل

ومن قصيدة له وفوق ظهور الخيل ماتوا فأصبحوا * وفي كل سرج فوقها لهم قبر

وقد توارد في هذا المعنى مع ابن حجة في قوله من قصيدة وكنت لما طالعت ديوانه لم أر له معنى ابتكره غيره وهو ماتوا على تلك السروج مخافة * فكانها تيك السروج مقابر

وهو تشبيه لطيف لان هيئة دفتي السرج كهيئة جانبي القبر المصنوع من الحجارة في هذا الزمان وقد سبق اليه ابن نباتة في مرثية له

وما الناس الا راحل بعد راحل * اذا ما انقضى عصر مضى بعده عصر
تبدت لدى البيداء طايا قبورهم * ليعلم أهل العقل انهم سفر

ثم رأيته في أشعار المتقدمين لكنه هذبه فان أبا نواس قال في قصيدته التي أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير

ومنها اليك أتت بالقوم هوج كأنما * جاجها تحت الرحال قبور

قال الصولي اي ابل كأن بها هوجا لنشاط في سيرها وهذا التشبيه بالقبر حسن لكنه أخذه من قول الوليد كأنها ما بها قبر على شرف * يمد للسير أوصالا وأصلابا

انتهى وههنا أمر نفيس ينبغي الاصغاء له لان الجماجم الرؤس ولو شبه أسنمتها أو الرحال التي عليها بالقبور لكان من المعاني التي لا نظير لها فاستحسان الصولي ليس بحسن وكان المتأخرين اذ كانوا رأوه تنبهوا لهذا وهذا من حسن الظن بالسلف والا فلا مقال مجال فاذا فطنت لما قلناه وفهمته علمت أن هذا كما لا يصل في الحسن الى درجة من درجات قول من قصيدة لي اذا جئت دارا قبل لقيا أهلها * ألاقي قبورا للكرام أولي المجد
عليها لقد حط وارحالا بمنزل * وكم هودج من بينها مر تخبي الشد
لينتظروا من خلفه مبدورهم * ليلحقهم قبل القيام بلا جهد

يقولون جد وافي الرحيل فان من * تبقى أناس أرضعوا اللؤم في المهد

وقوله قبل لقيا الخ اشارة الى أن قبور كل بلدة خارجها فكل قادم لا بد أن يلاقيها أولا والى هذا المعنى أشار القاضي الفاضل في قوله

المدن ان رجع المسافر أو اذا خرج المسافر
ما استقبلته ودعته بغيرها تيسك المقابر

﴿القاضي محب الدين بن تقي الدين الحموي﴾ نزيل الشام وشامة من بها من الوجوه والاعلام ذو كمال وأدب ومجد تناوله عن كتب فكان غرة من نظم ونثر وكتب وشعرا اذا حل بناد تهلل صدره وانشرح وتزينت بدر كلماته عقود الملح وترنمت أطيارها وتفتحت بنسيم خلقه أنوارها مجاورات له تحمر خدود الكاسات منها خجلا وتفتح أزهار الخمائل لها آذانا ومقلا الا أنه وافى رياضها عشية فحيته من أنفاسها بأطف تحيه فحمدها وشكر بما طار بين سمع الارض والبصر ومن شعره قوله في الشام

أتينا فسلمنا عليها عشية * فغنى لنا فيها الحمام وحيانا
وأبدى لنا ثغر الأقاحي تبسما * وأحسن ملقانا وأكرم مثوانا
وما هي الا جنة قد تزخرفت * ألم ترفيها العين حورا وولدانا
ومن تحتها الانهار تجري وكلها * عيون الى الروضات ترسل غدرانا

ومن فصل له يقبل الارض بعد دعاء ترصع في تيجان الاجابة درره وتضرع تقف في ديوان الاخلاص فقره ومما وقفت عليه من آثاره شرح شواهد التفسير وهو كتاب حسن لكنه لم يشبع فيه الكلام

﴿شهاب الدين الكتعاني الشامي﴾ شاعر عصري لم أقف له الا على ما أنشده شيخنا العنابي من قوله

يحسب كل الناس أمثاله * من بات في مهد نعيم ولمي
أما ترى الشبعان يا سيدي * يفت للجيعان قلبا طمي

وهذا مثل عامي من أمثال العوام تضرب به للمترفه الذي لا يدري بحال من كان في بؤس وشدة فيظنه مثله ولفظ الجيعان أنكره أهل اللغة فقالوا المسموع فيه جائع وجوعان لكن الامثال لا تغير

﴿معروف الشامي﴾ هو ممن اتسم بالادب في الحديث والقديم وسرى ذكره كما سرى في الرياض النسيم فصحت مقاصده وعذبت مصادره وموارده فليس للربيع نضارة تلك الشيم ولا للغيث شيم ذلك الكرم فروضة مآثره يانعة الزهر ونسخة محاسنه مخلدة في صحائف الدهر لا زال جدثه روضة من رياض الجنان ومنزلا تحل فيه قوافل الغفران ما بكى المطر لفراق الغمام فضحك النور على بكائه في الاكمام فمما أنشدت له قوله

يا مفردا أضحت ظواهر شأنه * ما فوقها في الحسن غير الخبر
يا ساليا قلبي الشجي وما اشتكى * منه الجفاء الى العميم الميسر

مني اليك مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك أذفر
من منطق يزهو بحسن براعة * تزرى حلاوته بطعم السكر
فكانها وكأنه وكأنها * من جوهر في جوهر في جوهر
يبدى التداخل في الجواهر عنوة * لبصيرة المقدام لا المتحير
فكانما قرطاسها أسرارنا * والبين بينهما سواد الاسطر
أرجو على قرب المزار بقرب البارى تعالى موردى من مصدرى
في ذلك الشرف المعلى المنتهى * طرب المشوق وجنة المتذكر

﴿ونقل لى عنه فصل فى كمال صورته﴾

فلان انتهى الى فوق ما يضرب به المثل ان قيل يسرق السكحله من العين فهذا يسرق العين من السكحله فقد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجد معجزة القميص الدوسى فلو مر به على ناظر تقرح جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى لعين الشمس ولشمس العين مزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة انتهى وأنا أظن أن هذا من كلام القاضى الفاضل ومنه قول مويا فى طبيب كحال

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا نظرت رأيت من عميانه * أعمى على أمواته قراء

﴿ومنه أخذ الزعارى قوله﴾

أعمى الورى بكحله * والموت من وصفاته
فكثير من عميانه * يقرا على أمواته

وانما خصوا العميان بالقراءة لانهم معروفون بكثرة الحفظ وقد قيل أنه ما أخذ الله من عبد حاسة الا نقل قوتها لغيرها ولابن عنين

لو أن طلاب المطالب عندهم * علم بانك للعيون تغور
لاتوا اليك بكل ما أملته * منهم وكان لك الجزاء الاوفر
ودعوك بالصباغ لما أن رأوا * يغشى العيون لديك ماء أصفر
وبكفك الميل الذى يحكى عصا * موسى فكم عين به تتفجر

ولمحمد بن الا كفانى ولقد عجبت لمن أتى بالسكميا * فى كحله اذ جاء بالشنعاء
باقى على العين النحاس يحيلها * فى لحة كالفضة البيضاء

وأحسن منه قولى كحل كحالتا غدا اكسيرا * منه قد علم الورى السكميا
فحديد الابصار باق عليه * عاد فى الحال فضة بيضاء

﴿نجم الدين بن معروف﴾ أديب اذا نظم حرك الهوى وقال الشعر والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى فقد سلك سبيل الرغائب واهتدى باعلام المناقب فهو نجم بزغ من سماء الكرم وشمس اهتدت بانواره سراة الامم تقلد سيف الاماره فلاحت عليه من السعادة كل أماره فلله نجمه الثاقب برفعته لدرى الكواكب فمن أنواره الساطعة من

طيف فيمن لا يضع بحسن حرفة الكحاله

(٧٩) ابن معروف نجم الدين

مشرق فيه ما كتبه للقاضى أبى الفتح يستدعيه

يا أيها المولى الذى فتحت له * فيضا خزائن كل علم مغلق
ووفود أرباب الفنون تعبدوا * بولاه اذ هو رب فضل مطلق
واذا أتاه الفاضلون بجملة * من فضلهم لاقاهم فى فيلق
العبد يرغب أن تشرف بيته * ليصير أشرف بقعة فى جلق
لازلت يازين الوجود ممتعا * بعوارف منها المعارف تستقى

فاجابه يا ماجدا نحو العلاء يسبق * ومهذبا حاز الكمال بجلق
لبيك من مولى تفضلا داعيا * لمحبه بل عبده المتملق
وافت بدائع نظمه تحكى عقو * د الدر فى سلك البيان الموثق
تدعو لحضرته البديع صفاتها * ببلاغة فاقت بافصح منطق
سعيا على الاحداق نحو كماله * وجماله المتوقد المتألق
نحو الفضائل والفواضل والثنا * نحو المكارم والندا المتدفق
لازلت محروس الجناب ممتعا * بلقائك الفضلاء دون تفرق
ملاح نجم فى الدجنة ثاقب * أوفاحت الروضات للمتنشق

﴿محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق﴾ شاعر رأيته وله شعر لم يتابع على تهذيبه فهو وساوس لفكرة تتهذى به وقد أنشدت قصيدة سماها لامية الروم منها

حتى م أنظم من دمعى ومن غزلى * أدلة وحبيب القلب معتزلى
يرى خلودى فى نار الصدود فهل * رثت حين جعلت العشق من عملى

﴿فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى﴾ أديب فاضل له طرف وملح وشعر صحيح طبعه منه بماسخ وله مجلس من مجالس القصاص والنصاح ينادى به كل طالب حى على الفلاح رأيته وقد قدم الروم بحجة الوزير نصوح وشمس فضله من أفق معاليه تلوح فانقطع عن الاختلاط وربما حرك السكون ردى الاخلاط وله شعر وشعور هما من خير الامور كقوله

يقولون ناقى أو فوافق مرافقا * على مثل ذا فى العصر كل اقدرج
فقلت وأمر ثالث وهو قول أو * ففارق وهذا الامر أسلم للحرج

وقوله فى بعض منازل الحج المسمى باكره ويقال لها أكرى بالقصر أيضا

تعففت عن زاد الرفيق ومائه * وسرت لبيت الله أهدى له شكره
ووفرت ماعندى احترازا وانى * لصونى ماء الوجه لم أرما أكره

ومن أمثاله المرسلة رب داء أضر منه الدواء وله

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة البخل قدم نحوه العلفا

وقوله أنت كالنخل الذى صار يلقى الصفو للناس بمسكة للنخاله

وهذا مما وقع معناه فى بعض الكتب الالهية كما نقله الامام الرازى وقد كنت قلت فيه

معنى لطيف

فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى

محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق

الدهر كالغربال فى * خفض ورفع لامحاله
ان حط لب ابابه * رفع الخثالة والنخاله

والبيلونى لقب جده وهو نسبة للبيلون وهو طين أصفر تسميه أهل مصر بالطفل انتهى

القاضى ظهير الدين الحلبى

﴿ القاضى ظهير الدين الحلبى ﴾ أديب ورده معين واتمد مداده مما تكتحل منه عيون اليقين صحبته بالروم فكان لى منه ظهير ومعين فاقتطف سمعى جنى أزهاره لما جلى على نتائج أفكاره فرأيت كبراها وصغراها فى الحد الأوسط ومنها ماهو عن رتبة الانتاج منحط فمن غض ثمراته و يانع زهراته قوله من قصيدة تنبوية

نسيم الصبا من حاجر ونواحيه * سرت فأزالت صبرنا عن صياصيه
ومن بارق شام المتيم بارقا * بدا فتداعى شوقه من أقاصيه
ومن ذكر أيام العذيب تكدرت * مشارب صب ضل عنه مناجيه
اذا قفل الحجاج زادولوعه * وأرسل دمعا فانيا من أماقيه
و بى من غدا يختال عجبا بقده * وطلعته سكران من خمرة التيه
وفى القرب أخشاه وفى البعد قاتلى * فواحر با من بعده وتدانيه
يفوق من جفنيه للقلب أسهما * بأوهنها يرمى الكمى فيصميه
بذلت له روحى فأعرض معجبا * وقال أملكى عاد ملكا تهديه
وبالشعب من وادى النقا خير جيرة * غدت بغيتى والله من غير تمويه
اذا ذكروا يرتاح قلبى كأنما * أنت نحوه تنقاد سرا أمانيه

بهاء الدين ابن الحسين العاملى

﴿ بهاء الدين بن الحسين العاملى ﴾ الحارثى الشامى أصلا ومحتدا الفارسى منشأ ومولدا فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده التمير عذبه ورائقه لايدرك بحر وصفه الاغراق ولاتلحق حركات الافكار لو كان فى مضمار الدهر لها السباق زين بمآثره العلوم النقلية والعقلية وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية لاسيما الرياضات فانه راضها وغرس فى حدائق الالباب رياضها وهو فى ميدان الفصاحة فارس أى فارس وان كان غصنه أينع ورى بربوة فارس فان شجرته نبتت عروقها بنواحى الشام الزاهية المغارس والعرق نزاع وان أثر الجوار فى الطباع ولما تدفق ماء كرمه خرج منها سائحا بعد ما ألقى دلوه فى الدلاء مستحا لابساً خلع الوقار عاطفا من رياض السكون ثمرات الاعتبار فجاب البلاد وأتى ارم مصر ذات العماد فنعم متاع نضل به التجر والمعالى فى كفالات السفر فاجتنى نورا انفتحت كمائمه وسرى بمراقلب الوجود كاتمه * وسر دهره وصدره وصدر له بعالم ذى نجدة عامل

وفى أثناء ذلك نظم عقود أشعار حقاقها العقول وجمع من ازواد فضله مجموعة سماها الكشكول طالعتها فرأيت فيها ماتنشرح له الصدور وتحل عقد الاشكال عن كل مصدور وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم لايصدر الا عن رأيه اذا عقد ألوية المهم الا أنه لم يكن على مذهبه فى زندقته والحاده لانتشار صيته فى سداد دينه ورشاده الا انه علوى

بلامين وهو عند العقلاء أهون الشرين فانه أظهر غلوه فى حب آل البيت وجارى حلبة ولاء الكميت وأنشد لسان حاله لكل حى وميت

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

وشعره باللسانين مهذب محرر و بالفارسية أحسن وأكثر ولما ساح فى البلدان واجتمع بمن بها من الاعيان عاد بدر ذاته لفلك أقطاره فعانق فى أوطانه عفائل أوطاره وهو الآن قرة عين مجدها وغرة جبين سعدها تطوف بحرمه وفود الافاضل وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاضل بنعيم مقيم تحدث عنه طروس الاسفار وتكتحل بإثمد مداده عيون الطروس والاسفار فمن أنوار كلامه التى أطلعتها غصون أقلامه قوله من قصيدة

ياندمى جهجتى أنديك * قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعة * أفسدت عقل ذى التقى الفسيك
خمرة ان ضلت ساحتها * فسنا نور كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داوبها * قلبك المبتلى لكى تشفيك
هى نار الكليم فاجتلها * واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم * فى احتساها مخالفا ناهيك
عمرك الله قل لنا كرما * ياحمام الاراك مابيكيك
أترى غاب عنك أهل منى * بعد ماقد توطنوا واديك
ان لى بين ربعهم رشأ * طرفه ان تمت أسى يحييك
ذوقوام كأنه غصن * ماس لما بدا به التحريك
لست أنساه اذ أتى سحرا * وحده زائرا بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا * قلت من قال كل مايرضيك
قلت صرح فقال يجهل من * سيف ألحاظه تحكم فيك
قمت من فرحتى فقمت له * واعتنقنا فقال لى يهنيك
بات يسقى و بت أشرب بها * خمرة تسترك العقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد * خامر الخمر طرفه الفتيك
* قال لى ماتريد قلت له * يامنى القلب قبلة من فيك
قال خذها فذ ظفرت بها * قلت زدنى فقال لا وأبيك
ثم وسدته اليمين الى * أن دنا الصبح قال لى يكفيك
قلت مهلا فقال قم فلقد * فاح نشر الصبا وصاح الديك

وله من أخرى مدح بها الاستاذ البكرى وقد اجتمع به وهو مما يدل على سلامة عقيدته قوله

يامصر سقيا لك من جنة * قطوفها يانعة دانيه
ترابها التبر فى لطفه * وماؤها كالفضة الصافيه

قد أخجل المسك نسيم لها * وزهرها قد أرخص الغاليه
دقيقة أصناف أوصافها * ومالها فى حسنها ثانيه
منذ أناخت الركب فى أرضها * أنسيت أصحابى وأحبابيه
فياحماها الله من روضة * بهجتها كافية شافيه
فيها شفاء القلب أطيارها * بنغمة القانون كالزاريه
ومنها من شاء أن يحيى سعيدا بها * منعما فى عيشة راضيه
فليدع العلم وأصحابه * وليجعل الجهل له غاشيه
والطب والمنطق فى جانب * والنحو والتفسير فى زاويه
وليترك الدرس وتدريسه * والمتن والشرح مع الحاشيه
الى م يادهر وحتى متى * تشقى بأيامك أيامیه
تحقق الآمال مستعطفا * وتوقع النقص بآمالیه
وهكذا التفضل فى كل ذى * فضيلة أو همة عاليه
فان تكن تحسبنى منهم * فهى لعمرى ظنة واهيه
دع عنك تعذيبى والا فأشكوك الى ذى الرتبة السامیه

ولهر باعيات لطيفة منها

أغتص بريقى كحسى الحاسى * اذ أذكره وهو لعهدى ناسى
ان مت وجمرة الهوى فى كبدى * فالويل اذا الساكنى الأرماس

وله كم بت من المسا الى الاشراق * من فرقتكم ومطرب أشواقى
والهم منادمى وتقلى ندمى * والدمع مدامتى وجفنى الساقى

ومنها لاتبك معاشرا نأى أو ألفا * القوم مضوا ونحن نأتى خلفا
بالمهلة أو تعاقب نتبعهم * كالعطف بثم أو كعطف بالفا

ومنها من أربعة وعشرة امدادى * فى ست بقاع سكنوا ياهادى
فى طيبة الغراء مع سامرا * فى طوس وكربلا وفى بغداد

ومنها للشوق الى طيبة جفنى باكى * لو صار مقامى فلك الافلاك
أستنكف ان مشيت فى روضتها * فالمشى على أجنحة الاملاك

ومنها هذا النبأ العظيم مافيه كلام * هذا لملائك السموات امام
من يمم بابه ينل مطلبه * من طاف به فهو على النار حرام

ومنها هذا حرم يفضله العقل أقر * فيه لملائك السموات مقر
كل منهم يقول يازائره * أبشر فلقد نجوت من نار سقر

ومنها يارب اذا أتيت دار الاحباب * قبل عنى تراب تلك الاعتاب
ان هم سألوا عن الهاشمى فقل * قد ذاب من الشوق اليكم قد ذاب

ومنها يارب أقص قصة الشوق اليك * ان جئت الى طرسوفبالله عليك
قبل عنى ضريح مولاى وقل * قدمات بهواك من الشوق اليك

ومنها أهوى رشأ عرضنى للبلوى * ماعنه اقلب المعنى سلوى
كم جئت لأشتكى فذا بصرنى * من لذة قربه نسيت الشكوى

ومثله قولى لو تسمع لذا للمعنى الشكوى * لامن بذا وليس عنه سلوى
كل بهواه مبتل ذو دنف * قالوا وتطيب اذ تم البلوى

ومنها يانائب عن عينى لاعن بالى * القرب اليك منتهى آمالى
أيام نواك لاتسل كيف مضت * والله مضت باسوء الأحوال

وفى معناه ووزنه قول الارجانى

لابأس وان أذبت قلبى بهواك * القلب ومن سلبته القلب فداك
وليت وقلت أنعم الله مساك * مولاى وهل ينعم من ليس يراك

﴿خضر الموصلى﴾ كعبة فضل مرتفعة المقام تضمنت ألسنة الرواة التزام مدحه فلله ذلك التضمن والالتزام رأيته فى عنفوان العمر والدنيا كلها رياض والأيام كلها أعياد واعراس والأوقات كلها سحر والاشهر كلها نيسان

فلو بعت يومامنه بالدهر كله * اذكرت دهرا ثانيا فى ارتجاعه

وهو حسنة فى صحائف الأيام والليالى وروضة تنبت الشكر فى رياض المعالى والعيش كله نضر وقد قيل لكل زمان خضر

اذا ماذكرنا جوده كان حاضرا * نأى أودنى يسعى على قدم الخضر

وأقام بمكة مع بنى حسن مخضر الاكناف وصنف باسم السيد حسن كتابه شرح شواهد الكشاف شرحا تثبت بأذياله السحر وناط به تميمة معلقة بجيد الدهر وقد ملكته وطالعته فرأيت فيه مايدل على سعة اطلاعه وطول باعه وهو تلميذ والدى وكان يسلك معه طريق الادب ويجثو بين يديه على الركب وأنشدنى قوله مضمنا

تبدل عن البرش المبادبا لطلا * فعالم أهل البرش غمر وجاهل
فما البرش ان فتشت عن كنه سوى * دويهية تصفر منها الانامل

وللاسعد بن عمانى مما أنشده فى كتابه سلافة الزرجون

ندمى لاتهز أيمشمولة فان * بدالك منها بهجة وشمائل
ورأقت منها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وهذا من قصيدة لبيد التى أولها

الا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد ضمن زكى الدين بن قريع منها أيضا قوله

تأمل صحيفات الوجود فانها * من الجانب السامى اليك رسائل
وقد خط فيها ان تأملت خطها * ألا كل شئ ماخلا الله باطل

وفى معناه قول العلامة الشيخ حسن البورينى

ورق الرياض اذا نظرت دفاتر * مشحونة بأدلة التوحيد

وفى معنى شعر أبى نواس المشهور ومما مدحت به حضرة مولانا خضر المذكور

وصبا من كؤس ذكرك سكرى * لك حملتها ثناء وشكرا
ولوجدى رقت كطبعك لطفا * واستعارت من طيب ذكرك نشرا
معلك القلب حيثما سرت يسرى * فاسألنه فذاك عنى أدرى
من أولى العزم لى فؤاد كليم * فى النوى لايزال يتبع خضرا

﴿فصل﴾ فيمن لقيته بالشام فى رحلتى لمصر راجعا من الروم لما منيت بغربة قارظية ودعانى الشوق الى العود الى القاهرة المعزية وعنان مطايا العزم بين ثان وحادى وطوارق الوساوس بين رائح وغادى بدا لى بها وجه جؤ قاطب وسامرت بها ليلا عمر الكواكب يتعثر بالعواء وتضربه بعصى الجوزاء ونهار صباه سموم كأنه قلب سب مغموم أو نفس فقير مظلوم نفضت بها الآمال بساط القرار واسترجعت نزاعها للامصار اذلم تجد حرا ترتجيه ولا أخا وجد تطارحه هوى نجد وتجار به كما قلت

ياويح مصر ترحلت سكانها * وتعطلت تلك المجالس والمدارس
طعنوا ومن بركاتها وجمالها * كنست وهاتيك النخيل بها مكانس

فمكان الكرام أوراق خريف لونته الاعاصير وبدله الشتات ورسومها خط بها البلاء آيات المواريث وصحف الفرائض فلا يذكر فيها غير الاموات فاذا رجع أو خرج منها المسافر ماودعه واستقبله غير المقابر

عليها لقد حط وارحالا بمنزل * وكم عوديج من بينها مر نخى الشد
وقد كنت أدأب فى الترحال * لأحط برعها المخصب رحال الآمال رجاء لقاء أشياخى واخدانى ومغازلة من بها من خرد أوانس الأمانى ممن سافته بواديها وساجلته بدلاء المجون فى بواديها وقد تنزل من حصن طودها الاوابد كما قال كشاجم فى كتاب المطارد ان الوحوش قد تألف العمران وتلجأ للانس اذا كلب الشتاء وعبس بالجدب وجه الزمان فعدمت الاقوات واخفى الجمد والثلج الماء والنبات فشاب منه الوليد كما قال مسلم بن الوليد

فان أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فمالوحش بدنيها من الانس المحل
يذكرنى سلمى الخير والشر والتقى * وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك فى مذمومها متنزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل

فعاد الرائد خائبا والبشير ناعيا ناعبا اذ بدت مقفرة الارجاء مبرقعة باليأس وجه الرجاء

من دار أمواتها أشراف وأحياؤها أجلاف بها ضعاف عقول يزعمون أنهم ألفوا وصنفوا كأنهم بقية من أهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا فجئت زائرا مقابر أطلالها وقد خيل لى أنها أول منزل سفر يصرو جهاو رحالها ينتظر بها السابقون اللاحقين فقلت السلام عليكم دار قوم مؤمنين فردوا وصاحوا بها واها وأنشدنى بديهة صداها

يارا كبا حث المطى لارض مصر تنتهيها
جز بالقرافة واقرأن * منى السلام لساكنيها
وقل السلام على الكرا * م الاكرمين الفاضليها
لم ألق بعدهم بها * الا جهولا أو سفيها
فكأنما الدنيا البخيلة بالعطاء المجتديها
صرفت دنانير اليها * بخاس نحس من بنيها
سادت بها فرق العبيد فأى حر يرتضيها
فلذا هجرت مقامها * وطلبت أرضا أصطفيها
فاذا مررت فلا تسل * عمن نأى من قاطنيها
وقف المطى بجانبى * ان الكرام الغرقفيها
عرفت بعرف المجد هاتيك الربوع لساكنيها

فرحلت الى الوادى المقدس طوى والعزم بأيدى المطايا شبر شقة البين وطوى حتى نزلت تربة تجنت بماء الوحى على رغم انف النوى ومسحت بها المحيا وحييت أكرم محيا بين الصخرة والطور والبيت المتلألئ فيه سجحات النور

قطعنا فى مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

ولما رأيته طشت ذهب عملوا بالعقارب غسلت يد الامل فيه من الرغائب وانثنيت للشام شامة وجه البلدان وجنة الله فى أرضه المحفوفة بالحور والولدان المفروشة بسندس النبات والاشجار اللابسة حلل الرياض المزررة بالانوار المجففة بزرق الانهار فقالت لى أهلا وسهلا ومدت كرما ونزلا وتلقتنى بصدر رحيب فبت فيها بين تكريم وترحيب

من فوق اكمام الربا * ض وتحت أذيال النسيم

ولقيت بها من فضلائها الاعيان وأدبائها النقية الاذهان والاردان كل كريم تحدق عليه العيون الآذان هو العين المجد فقره ولوجه المكارم غره ولقلب الدهر فرحة ومسره فكان ممن اجتلاه ناظرى وعكف عليه فى حرم كرمه خاطرى

﴿المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامى الحنفى﴾ وهو اذذاك مفتيها وناشر لواء الافادة بناديها ومحيى من رسوم المدارس كل داثر بها ودارس ان جاد فجوده تميمة للعدم أو وعد فوعده للغنى سلم مع صدق مقال تعقد منه الاقوال بالافعال اذا ذكر مافيه من محاسن الصفات سجدت له الخناصر كأنه آيات سجدات أو مرت نعوته فكل نعت مقطوع وكل

وصف تابع له وهو متبوع وقد متعت منه بما هو ألذ من نيل الوطر وليس العيان كالخبر
وهبت على من رياح اقباله قبول وجنوب وأطربتني أنفاسه والكريم طروب وعرف
الزمان مغلول اليدين والزمان منقاد لجمع الشمل كأنه عليه مدين فقلنا في ظله الظليل ولم
نرفه نفسا سوى أنه قليل وناهيك بطيب عنصر لورآه النظام أثبت به الجوهر الفرد مع
لطف طبع هو شقيق الروض المخجل بلطفه خد الورد وحسن تقرير وتحرير يهتز طربا له
كل غصن نضير و بالجملة فهو في كل كمال مفرد مستغن عن التعريف بفضل له لا يجد فاه
أصيل عصره وعماد دهره كأنما عناه من قال

أرأيتم في الناس ذات لطيف * يشرخ الصدر مثل ذات العماد
حسبها من لطافة انها لم * يخلق الله مثلها في البلاد

وقد دارت بيني وبينه كؤس محاورات لها ثغر الحباب باسم تنظم مها في جيد الآداب عقود
لها بيان البيان ناظم ولما قوضت خيام المقام وزمت مطايا العزائم كتبت له موقعا وشاكرا
لما أفاضه علي من سوابغ المكارم أقول

قمرا بلطف مالك لفؤادي * وبروض أنس مثمر لودادي
وبطلعة تزات لدى حرم العلا * وبسدة هي قبلة القصاد
اني ارتحلت وذكركم أبدا على * طول المدا مامى الفمر وزادي
ياواحد الدنيا وبيت قصيدها الزاهي لدى الانشاء والانشاد
يا ابن العماد لأنت عمدة سادة * تمتاح في الاصدار والايراد
ارماغدت أرض الشآم لانها * ذات العماد بكم وأي عماد
بل جنة فيها الثناء مخلد * أثرى لها بعد البعاد بعاد
وحديث فضلكم المعنعن مجده * أنمى بأصلك عالي الأسناد
يثني عليه رائح أو غادي * أبدا برغم عشيرة أوغاد
فاسلم ودم في عزة أيامها * للقائه لبست حلى الأعياد

(وبعد هذا فصل) مولاي هذه نفثة مصدور وغلالة ضاد لولاك لم تزو بها الصدور و بذيمة
غريب عن الاوطان والاحبة مهجور والطبع وان كان في حلبته جواد فقد يكبو الجواد
وقد يخذل الجواد ولكنني أقول كما قال ابن عباد

أنا لولاك ما رأتني القوافي * في وهاد من أرضها ونجاد
ان خير المدائح من مدحته * شعراء البلاد في كل نادي

والسلام فأجاب هذي دراري نور حالي هادي * وشهابها رجم على الاضداد
أم روضة بسمت ثغور زهورها * أم حلة وشيت من الابراد
أم تلك أبيات البنا * رفعت على عمد رفعن عمادي
بنيت بأيدي فكر قس خفاجة * تبت أيادي فكر قس ايادي

مولاي يا فرد الوجود فضائلا * وفواضلا يا أوحد الآحادي
قد كنت أسمع عن فضائلك التي * شنفتني من حاضر أو بادي
ولطالما قد كنت أرجو الملتقى * وتبعد الآمال طول بعادي
حتى شهدت جمالكم فلمحتني * جذبت محبتكم شغاف فؤادي
ودنا الرحيل مخلفا قلبي لكم * وقضا على الاتهام والانجاد
سر بالهنا أما خيال كمالكم * فهو السمير لمهجتي في النادي
واسلم ولا تنس العمادي انه * ليعل الاحشا بقرب بعاد

﴿وما أنشدني قوله﴾

سأطمس آثار اهواي آثارها * وأنفض من ذيل التصابي غبارها
لقد آن لهوى من سلاف صبابة * لقد طال ما خامرت جهلا خمارها
هجرت الهوى والزهو حتى اشتياقه * وطيب ليالي اللهو حتى اذكارها
وعفيت سبل الهزل بالجد مقلعا * وعفت مسرات جنيت ثمارها
أنام كفيت اليوم بالترك شرها * لعلي غدا في الحشر أكفى شرارها
قطفت أزاهير الصبابة في الصبا * وقد صار عارا أن أشم عرارها
فلو سائدات القلب أقبلن كلها * وقبلن رأسي ما قبلت مزارها
وقد كنت أودعت الحجى ما سترده * الى النفس شيب قد أعاد وقارها
وكان شبابي شب نار صبابتي * فذلاح نور الشيب أخمد نارها
ترى شيبتي ما عذرها لشبيبتي * وقد صيغت قبل الكمال عذارها
تبسم ثغر الشعر فيها تعجبا * الها ذرأى ليل الشباب نهارها
فمازار وكر الشعر فيها غرابه * ولا دار حتى استوطن البازدارها
عسى الآن عما قد عثرت اثابة * يقيل بها للنفس ربي عثارها
عسى رحمة أو نظرة أو عناية * يتم سعودي في صعود مدارها
عسى نفحة من نور نور معارف * تهب فتختار الفؤاد قرارها
ويشرح صدري نور علم مقدس * يريني أسرار العلوم جهارها
وأمنح ألطافا من الانس أبتغي * خفاها وبأبى الوجد الا اشتهارها
وتكشف عن عين البصيرة حجبها * بأنوار عرفان تزيل استتارها
فيظهر لي سر الحقيقة مشرقا * على ظلم الكون التي قد أنارها
وأحظى بحالات من القرب أكتسي * بدنيا وأخرى فضلها ونخارها
ولطف الهي قطب دائرة المنى * فان عليه في العطاء مدارها

﴿وقال قبيل موته رحمه الله﴾

قد شاب نودي حين شاب فؤادي * فكأنما كنا على ميعاد

حسن الخواتم أرتجى من محسن * قدمن لى قدما بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى * فى نيل ما أرجوه عند معادى
ان قيل أى سفينة تجرى بلا * ماء وليس لأهلها من زاد
قل رحمة الرحمن من أنا عبده * تسع العباد فمن هوا بن عماد

وكتب الى وهو مريض وقد سمع بعودى لمصر ولم يلبث بعده الا قليلا ما صورته أسعد الله تعالى طالع مصر وما حولها من الامصار وأنجد هذا العصر وما يليه من الاعصار وأبد العلوم وأهلها وأيد دولة الفضائل وطالبيها بدوام سعادة أيام عين أهل المعارف والمعالى وواسطة عقدهم الغالى ونادرة فلكهم العالى الذى هو صدر العلماء وبدرهم ومن يدور عليه أمرهم فكأنهم فلك هو قطبه أو جسد هو روحه وقلبه علامة العلوم والمعارف وروضة الادب الوريقة وظلها الوارف شمس عصره وعزيز مصره جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب أهدى الى حضرته العلية تحف التحية وطرف الادعية المرضيه وأنهى اليه شكاية نكاية الشوق واستطالة سلطانه ومتمتة البين واسطالة زمانه وأهنيه برتبة الرياسة العلمية التى بعض صفاتها ولاية مصر المحميه جزء من آلاف أنها وآلاف أنها حيث أنت تسعى اليها ومد بالامر الشريف رواقها عليه على أن المولى أنوه قدرا وأنبه شأنا وذكرا من أن يهنى بولاية وان أمر أمرها وعلا بين أهل العلا قدرها ومنصب مصر وان عظم موقعه فالمولى بحمد الله تعالى يرفعه والمنصب لا يرفعه وما شرفه المؤثل المعلوم الا بفنون الفضائل والعلوم وحين بلغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسر عجبنا كيف ركب البحر البحر وسلك البر البر وقلنا عاد قيس الى عكاظه وعاد نيس بحفاظه ولقد أحسن مولانا السلطان اذ أنام الانام فى حرز العدل والامان بنصب فيصل حكمه وحسام قضائه لحسم مادة الظلم وانتضائه وفتح بذلك باب دولة العرب وروج بضاعة العلم والفضل والادب فخلد الله دولة سعادته مدى الليالى والايام ونظم أعوام مدة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام ونسأل الله لحضرتكم طول البقاء ودوام العز والارتقاء

﴿ احمد بن شاهين الشامى ﴾ صديقنا الصادق الوداد الفاضل المستغرق بمحاسنه مراتب الاعداد فناص سوانح الافكار حائز قصب السبق فى كل مضمار أديب حديثه الحسن كقطع الروض ولذة النشوان يخيل لسامعه انه صب عليه الجمان وجرى خلاله ماء البيان تتسابق ألفاظه ومعانيه الى القلوب والآذان حتى لا تدرى أيهما السابق فى الولوج للسمع والجنان فكم هيت شمأل شمائله فاضحت سماء فضائله فيا عجبا كيف همى منه الندى وقد انقشع به غمام الغى عن مطالع الهدى فهو نكتة عطارد الوارث من المجد كل طريف وتالد حتى أدنى جوده أياديه الحسان ولم يشق غباره سوابق الاستحسان وله نظم ونثر أرق من دمع الصب وأعذب من زلال الغطر غب الجدب

لو بقيت سلكا على الدهور * لعطلت قلائد النحور

وأخجلت

وأخجلت جواهر البحور * وصيرت ضرائر الثغور
تهدى الى الاكباد والصدور * روحا يحاكى نفثة المصدور

ولما وافيت فى رحلتى الى الشام نظمنى واياه فى عقد الصحبة سلك الايام فى أوقات كلها أصيل وسحر ولا عيب فيها سوى ما بها من قصر وكذلك أيام السرور قصار فشرفنى بقصيدة أتحفنى بها وهى قوله

أى دهر قد جاد لى بابتهاج * وصباح قد لاح لى بانبلاج
وزمان قد من لى بنعيم * وقران وافى بأسعد تاج
وازدياد من غير وعد حبيب * كشفاء من غير سبق علاج
واجتماع لنا بغير اتفاق * كغنى جاء طالبا ذا احتياج
وسخاء من الزمان بأهنى * نعمة قد أتت لاحوج راجى
بقدوم المولى الامام المفدى * أحمد السيد الشهاب الخفاجى
الشهاب الذى أضاء فضاءت * شامنا من سراجه الوهاج
زارنا فى دمشق غيث روى * غيث علم من طبعه النبعاج
حين وافى من مصر والسعد عبد * خادم عنده بغير اختلاج
ولوانى وفيت حق قدوم * ساد حظى منه وزاد ابتهاجى
كنت أفرشه جفون عيونى * ورفعت الغبار فوق الحجاج
عالم يخرج الخفى المعمى * من علوم الاولى بلا استخراج
عنده كالصباح من كل علم * مدلهم كالليل أسود داجى
سيدى سيدى نجيه داع * مخلص فى الوداد غير مداجى
أشتكى غربتى اليك وانى * بين أهلى فى خفة واندماج
غير أنى شروى غريب الفقدى * أهل ودى وعشرتى وامتزاجى
منهم محمدى الذى كان دهرا * مفتى الشام مستنير السراج
العمادى ذا الثمن قد تقضى * عمره فى دعاه ضمن الدياجى
كان والله عطرنا النسما * نلتقى فى ثمالة حين التناجى
كان شيخى وكان خلى اذاما * نابنى حادث وطب مزاجى
فرمتنى فيه الليالى عنادا * والليالى معروفة بالنجاج
فتخلفت فى دمشق وحيدا * فى اعتقال وهمتى فى انفراجى
أيها السيد الجليل المفدى عج * بجاجى عن سير حظى الساجى
فابن شاهين ذو جناح نهيض * باء ان لم ترشه كالدراج
كن لراج من فضل جاهك عونا * حيث يمضى عما ترى محتاج
جار دهرى على فانظر لأمرى * لا تكلنى الى اهتمام احتياج

رق حالى فاجبره قبل انصداع * فعسى فى الكسر جبر الزجاج
كدت مدة بضاعة فضلى * وبمولاى جاء وقت الرواج
بيننا حق نسبة الكريم * ذى بكور للمجد مع ادلاج
لابن عبد الغنى ذاك المصفى * جوهرا غاليا محلى التاج
قدس الله روحه وحباه * برضاه من غير سبق انزعاج
وابق واسلم نفى معاليك عنه * خلف للمنى بلا معراج
كل وجه تأتيه تلقاه طلقا * سافر البشر وافر الانتاج

ومحمد بن عبد الغنى المذكور كان قاضى العساكر بالروم وله حواش على تفسير البيضاوى وسنذكره ان شاء الله تعالى آخر هذه الريحانة

(الامير محمد بن منجك) الجركسى أصلا ومحتدا الشامى منشأ ومولدا أديب أريب ونجيب وابن نجيب أورق عوده بالشام وأثمر فاذا عدت السجايا عرضا فسجاياه جوهر نشأ بها والدهر أبيض أقمر ونادم العيش والعيش أخضر وللبقاع تأثير فى الطباع والعرق كما قيل لمغرسه نزاع ومن كان جار الرياض لبس طيبه برد نسيمها الفضاض كما لبس النهر الجارى درع النسيم السارى

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وقد صحبنى بجلق ونسيمه سجسج وخيوط شيبته بيد الكهولة لم تنسج ولازمنى اذر أى انعطافى عليه وشبه الشئ منجذب اليه ومدحنى بمدائح أطال فيها وأطاب وغنم الصحبة ولم يرض من الغنيمة بالاياب ومما أكتبه الى من شعره وقد طلبت منه ما أودعه فى الرحلة صورة ما مدحت به مطلع نجوم المعالى وفلك شموس الموالى المولى عبد الرحمن حسين قلد صارم الاحكام بدمشق الشام صينت عن حوادث الايام

آلى الزمان عليه أن يواليكا * يثنى عليك ولا يأتى بثانيكا
اذا سطا فبأحكام تنفذها * وان سخا فبفضل من مساعيكا
لهن ذا العيد حظ منك حين غدت * علاه ثم حلاه من أياديكا
هلاله نال فوق البدر منزلة * مقبلا وجهه أعتاب ناديكا
مجملا بأ ياد منك فائقة * معطرا بغوال من غواليكا
وافى يهنى بك الدنيا ونحن به * يا بهجة الدين والدنيا بتهنيكا
من ذا يضاهيك فيما حزت من شرف * ومن يدانيك فى حلم و يحكيكا
فالشمس مهما ارتقت فهى قاصرة * عن بعض أيسر شئ من مراقيكا
والبدر لحظة تو رمنك تبصرها * والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر * اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجد فمن علياك مكتسب * وكل فخر نراه فى حواشيكا

وما حكى السلف الماضى وحدثنا * من السجايا بها احدى التى فيكا
تعنو لعقلك الزهاد مذعنة * ويحسد الفلك الاعلى مغانيكا
يا ابن الحسام الذى للدين نصرته * أنت المفدى وكل الناس تفديكا
أعيادنا كلها يوم نرالك به * وليلة القدر وقت من لياليكا

ومما مدحت به أيضا المولى المذكور دام فى رغد عيش وسرور

الناس كلهم شراء عطائه * والعبد والنير و زمن آلائه
يختال ذا بالحلى من عليائه * شرفا وذا بالوشى من نعمائه
قرت به عين الغزالة واغتدت * مكحولة فى أفقها بضيائه
ما أنبت الادواح بعد ذبولها * الا سقوط الطل من أنوائه
سلسالها ونسيمها من لطفه * وعبيرها من بعض طيب ثنائه
مولى أقل هباته الدنيا فقل * ماشئت فى معروفه وسخائه
عدل له ما زال يورق عوده * حتى استظل الامن فى أفيائه
غيث أغاث به المهين خلقه * متفضلا وقضى لهم بقضائه
نجل الذى الافضال من ألقابه * وحسام دين الله من أسمائه
السعد من خدامه والعز من * أتباعه والمجد من ندمائه
تسمى المواسم كلها برضاه * اذ لا بهاء لها بغير بهائه

ومما مدحت به امام الائمة موضح المشكلات المدلهمة يوسف ابن أبى الفتح امام حضرة السلطان دام منصورا مظفرا فى كل آن ومكان

قر اذا ذكرت فيه تعتبا * واذا رآنى فى المنام تحببا
ضاد قته فتناولت لحظاته * عقلى وأعرض نافرا متجنبا
متورد الوجنات خشية ناظر * أضحى بريحان العذار منقبا
ساومته وصلا فأعجم لفظه * وأظنه عن ضد ذلك أعربا
أنا منه راض بالصدود لانى * أجد الهوان لدى الهوى مستعذبا
شيآن حدث باللطافة عنهما * عتب الحبيب وعهد أيام الصبا
وثلاثة حدث بطيب ثنائها * زهر الرياض وخلق يوسف والصبا
علامة الآفاق من أشعاره * لعلومه أضحت طراز امذهبا
من لو رآه البحر يوما مغضبا * لرأيته من خشية متلهبا
من لو أصاب البر أيسر قطرة * من راحتيه لعاد روضا مخصبا
من لو نظمت الشعب فيه مدامعا * لظفت فكرى قد أساء وأذنبا
ما نسمة سحرية شجرية * باتت تعل من الغمام الاعذبا
نشوانة وافت تجر رداء ها * ذيلا بمسكى الرياض مطيبا

يومابأحسن من صفات كماله * أنى تداولها اللسان وأطيبا
من ذايقاس بماجد جعلت له * أرض ارقاب الحاسدين وتدأبى

ومما مدحت به المبرز فى العلوم المالك أزمة المنطوق والمفهوم والبارع فى المنثور والمنظوم المرحوم عبد الرحمن العمادى مفتى دمشق الشام

بان الخليط فحى عن الجرعاء * فحن القسيم اشدة وعناء
الله يعلم أن صبحى فى الهوى * سيان بعد رحيلهم ومساءى
تطوى على الحسرات كأننى * سر الهوى وكأنها أحشاءى
وأشد ما يشكو والفؤاد ممنع * فى لحظه داءى ومنه دوائى
ريحانة الحسن التى لعبت بها * ريح الصبا لاراحة الصهباء
تجرى مياه الحسن فى أعطافه * جرى الصبابة منه فى أعضاءى
فاذا احسر القناع مخاطبا * شخصت اليه أعين الاهواء
ملكت ولاية كل قلب مولع * لحظاته من عالم الانشاء
ان يخفه ليل النوى فجبينه * صبح يتم عليه بالاضواء
كم بت مطوى الضلوع على جوى * أغضى الجفون به على الاقذاء
فالى م فيه تم تكى وتنكى * وعلام فيه تبسمى وبكاءى
عل الزمان يفيدنى حمل المنى * حيث التجأت لأوحد العلماء
نجل العماد ومن بنت عزماته * بيتا دعائمه على العلياء
مجد سما بجناحه حتى لقد * بلغ السماء وفاتها بسماء
تندى أنامله و يشرق وجهه * فيجود بالآلاء واللألاء
يقظا بأعقاب الامور كأنما * جليت عليه حقائق الاشياء
سحبان من جمع الفراسة والهدى * لجنابه السامى على النظراء
ومهابة ساد الولاة ولاؤها * محفوفة بجلالة وبهاء
وشمائل رقت كما خطرت على * زهر الربيع بواكر الأنداء
مولاى بل مولى البرية فى صفا * صدق الطوية من بنى حواء
أنت الذى مازات ترب ولاية * وأبو الورى فى طينه والماء
تتلو على سمع الحامد والثنا * آيات مدحك ألسن النعماء
لله أم ماغذيت بثديها * الالبان العزة القعساء
أطلعت شمس الفخر فى فلك العلا * وحففتها بكواكب الأبناء
المالئون قلوب أهل زمانهم * حبا وأكناف الرجا بغناء
والضاربون خيام سوددهم على * هام السماك ومفرق الجوزاء
بامورد احامت عليه غمائى * مذ جئته مستسقيا ورجاءى

وافتك من صوغ القريض فرائد * نظمت بأيدى الفهم والآراء
لابل سقيت رياض فكر ماحل * منى بفضلك صيب الآلاء
فهصرت غصن معارف ومآثر * وجنيت نور محامد وثناء
هيهات ماشعر الأنام مقارنا * شعرا تشرف منك بالاصغاء

ومما مدحت به أيضا المرحوم عبد الرحمن العمادى المذكور

يا ابن الاماجد انت من * أى الافاضل وابن من
كذب الذى حسب الزما * ن أتى بمثلكم وظن
أيقاس ماغرس العلا * بما بخضراء الدمن
والآل با لغيث المغيث اذا توالى أو هتن
العلم سر الله ليس عليه غيرك يؤتمن
والمجد سار الى جنا * بك من أليك على سنن
وبك المناصب فخرها * دون الورى من قبل أن
فاليك فى روضة * بالشكر يانعة الفنن
لم لايطير بى الرجا * الى حماك مدى الزمن
وبذرت لى حب المنى * ونصبت لى شرك المنن
وملكت رق مدايحى * بالخلق والخلق الحسن

ومما مدحت به العلامة قدوة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ أحمد المقرى المغربى صقى الله ثراه سحائب الغفران

فخر دمشق على كل البلاد بمن * أولى البرية معروفا وعرفانا
المقرى الذى فى بعض أيسرما * حوى من الفضل كل راح حيرانا
شمس من الغرب قد كانت مشارقها * بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
أعز ما أحدقت أيدى الفطام به * الا وأضحى بماء المجد ريانا
تكاد تقرأ فى لألاء غرته * من سورة العزة القعساء عنوانا
له من الفكر ما تحنو لأيسره * ثواقب الزهر ارشادا واذعانا
وسيرة عن أبى حفص تلقنها * الى وقار يضاهى هدى سلمانا
مصاحب حسن فعل الخير يعشقه * مراقب ربه سرا واعلانا
يقضى النهار بآراء مسددة * ويقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لاى وردولى اليوم وجهتنا * وقد غدا بحره الطامى مرجانا
لئن منحنا بلحظ من مواهبه * نلنا الثريا وكان الخير عقبانا
شفى بدرس الشفا مرضى درايتنا * لما أفاد مع الايضاح اتقانا
هيهات هيهات من فى القوم يشبهه * هل السراب يضاهى الغيث هتانا

اذا مشى فعلى الاعناق مشيته * وان ركبت رجال الحى ركبانا
ياسيد العلماء العاملين ومن * هو الامام المفدى حيثما كانا
أبرأت ذمة دهر جاء يمحنى * بعد الاساءة من لقياك احسانا
دهر يقتل آمالى وأوسعه * اذا أتت من آله مدحا وشكرانا
فطأ كما شئت لاتنفك منتصرا * بأخمصيك من الاعداء تيجانا
واهنأ فانت الذى أولاه خالقه * من الملائك أنصارا وأعوانا
واسمع لها من قوافٍ لايماثلها * قول من الشعر الا قول حسانا
واستجلها نزها لو أنها زفت * حظا لكانت لعين الدهر انسانا

قال ومما أجبت به عن لغز فى يراع أرسله الى الفاضل الذى طابت بذكره آثره الاسماع محمد الكريمى وفى ضمنه لغز فى مهند

فدى لك روحى من رشا متبرم * ومن منجدبا لمستهام ومتهم
ومن عاتب الاعلى غير مذنب * ومن ظالم الاعلى غير مجرم
سقتنى العيون النجل منك سلافة * جرت قبل خلق فى عروقى وأعظمى
وأسلمنى فيك الغرام الى الردى * فان كنت من يرضى بذلك فاسلم
بعدت ولى فى كل عضو حشاشة * تذوب وطرف هامع الجفن بالدم
ولست ملوما أن من أيقظ النوى * حظوظى التى لم تجن غير تندم
نجليت الى نفسى المنية عندما * رميت فلم تخطى فؤادى أسهمى
أبى الله أن أبكى لغير صبابة * وأرتاع الا من حبيب بمؤلم
سجيتة نفس لاتزال مليحة * من الضيم مرميا بها كل مجرم
أجمع شراد المعالى وانثنى * أبيت بفكرى فى الهوى متقسم
وأندب أوقاتا ألذ من المنى * تقضين لى بين الحطيم وزمزم
تطارحنى فيهن ذات تبسم * حديث هوى أحلى من الشهد فى الفم
موشحة الاعطاف حالية الطلا * تقلد عقدا من دموعى ومن دمى
أبت أن ترى الا بطرف تفكر * وبالثمها الاشفاه توهم
أبيت سليم القلب منها كأننى * أراقب صفو العيش من فم أرقم
وما أنا من يسلوهواها وينثنى * الى أحد غير الكريم المعظم
محمد السامى الجناب ومن غدا * له كرم الاخلاق دون التكرم
همام لقد أضحت مآثر فضله * على جبهة الدنيا كغرة أدهم
ومولى اذا ضن السحاب بوبله * علينا سقانا مسجما بعد مسجم
له سود دحل السماكين رفعة * وذلك ارث فيه من عهد آدم
وكف تخجلت بالسماح بنانها * بغير نضار الفضل لم تتختم

فما روضة غناء باكية الحيا * تبسم عن ثغرى أقاح وعندم
تمد بهار يح الصبا خطواتها * وترفل فى ثوب من النور معلم
بأبهج وجها منه عند هبانه * اذا ابتسمت بيناه آمال معدم
فيا ماجدا كل المفاخر أصبحت * الى مجده الوضاح تعزى وتنتمى
أنت تتهادى منك فى مرط دلها * خريدة أفكار وطبع مسلم
وما اصطحبت الا البلاغة محرما * وهل غيرها للبكر يلفى بمحرم
لها صوت داود وصورة يوسف * وحكمة لقمان وعفة مريم
تسائلنا عما براه الهنا * لتسطير آجال ورزق مقسم
جرى قبل خلق الخلق فى اللوح بالذى * يكون وما قد كان من قبل فاعلم
يراع يراع الخطب منه وانه * ليثمر من جدوى يديك بانعم
أرانى طريق الفضل حتى سلكته * وأوضح لى من أغمزه كل مبهم
فما اسم رباعى اذا بان صدره * غدوت به ذا الوعة وترنم
* وماهى الا بلدة فى ربوعها * يهيم فؤاد المستهام المتيم
وان محت الافكار من ذا الثنائنا * بكيت الصبا فيه وعهد التنعم
ويذكرنى أخلاقك الغر شطره * وتحريفه ضد لسكم لبكرم
ويبدى لنا من قلبه الشمس فى الضحى * ويطلع فيها أنجما بعد أنجم
وثانيه محمود لدى كل عاشق * ومن ذا يراه من وشاة ولوم
ويسلمنى يوم الترحل قلبه * ولكنه من غير كف ومعصم
ويوصل مابين الملوك وقصدها * وان هم فى أمر على الفور يفصم
حليف نحول لم يذق قط جفنه * منام ولم يطمع بطيف مسلم
فعول ولكن ليس يدعى بفاعل * قؤول ولكن ليس بالمتكلم
على انه قد بان بعد خفائه * وأصبح مشهورا لدى كل ضيغم
فانزله من ناديك أشرف منزل * وألبسه حليا من قريض منظم
ولولا معانيك العذاب وصوغها * لكان عسيرا بالمديح تكلمى
فقابل جوابى بالقبول تفضلا * وسامح فان الفضل للمتقدم

﴿قال وقلت متغزلا﴾

وافى الربيع فما عليك بعار * خلع العذار ولا ارتشاف عقار
شهباء ليس يجوز عندى مزجها * الا بريقة شادن معطار
تدع الدجى صبحا اذا هى أبرزت * فكأنما اعتصرت من الانوار
قم هاتها حيث الهزار قد اغتدى * فى الأيك منعكفا على التهدار
طير أعاد الغصن جنكا ركبت * أوتاره من فضة الأمطار

وتنشه ريح الصبا وبيثها * ذكرا الهوى من سالف الاعصار
فانهض لتغنم الشبيبة قبل أن * يرمى المشيب الصفو بالاكدار
واشرب على ورد الربى ان لم تجد * ورد الخدود لقلة الدينار
وانصب بفكرك فى الهوى شرك المنى * لوقوع ظل أو خيال سارى
هذا ولست أرى اذا فقد الذى * أهوى جنان الخلد غير النار
هيهات ما النأى الرخيم ونشوة الخمر القديم ونغمة الاوتار
وحنين هينمة الرياض عشية * وتراسل الاطيار فى الاسحار
عندى بأحسن من مساجلة الاحبة بالصبابة فى سنا الاقمار
من كل معبود الجمال محكم * فيما يشاء مستعبد الاحرار

قال وقلت متذكرا لمغانى الانس التى انمحت آثارها ولم يبق للأمانى ما تشبث به الا أخبارها

قصر الامير بوادى النيرين سقى * ربا لثه غنى من الوسمى مدرار
كم مرلى فيك أيام هواجرها * أساتسل ولياليها أسحار
حيث الشبيبة بكر فى غضارتها * والصبابة أحلاف وأنصار
حيث الرياض تغنينى حمائمها * بالدف والجنك والميطور لى جار
حيث الخمائل افلاك بها طلعت * زهر من الزهر والندمان أقمار
حيث المدامة رقت فى زجاجتها * يديرها فاتر الاجفان سحار
عطرية نفضت فيها عوارضه * فتيق مسك له الارواح سفار
* ياقوتة أفرغت فى قشر لؤلؤة * فلاح للشرب منها النور والنار
شمس تعاطيتها من راحتى قمر * له من الحسن ما يرضى و يختار
يسعى الى بها شعث الدجى حذرا * من الوشاة لان الليل ستار
متوج الراح بالابريق ذا قرط * مثل الهلال له الجوزاء زنار
يسقى وأسقيه من ثغرو من قدح * الى الصباح فمر باح ومخسار
يضمنا بأعالى القصر ثوب هوى * زررت عليه من الاشواق أزرار
أمتع الطرف منى فى محاسنه * وليس عندى من العذال اشعار
حتى تيقظ دهرى بعد ما غفلت * عنى حوادثه والدهر غدار

قال وقلت سقى الله يوم القصر اذ كان بيننا * حديث كرفض الجمان المنضد
بروض يجول الماء تحت ظلاله * كايم مروع أو حسام مجرد
يلوح به فانى الشقيق وقد حكى * لواحظ مخمور وكفلن باتئد
ويهمى به قطر الندى فتخاله * مبدد عقد فى فراش زمرد
وريحانه الغض الشهى كأنه * مبادى عذار فوق خد مورد
سقانى به راح الرضاب مهفهف * فرحت به لا أفرق اليوم من غد

وبت أطن الجلنار بدوحه * نجوم عقيق فى سماء زبرجد
الى أن بدت شمس النهار كأنها * مجن كمى قد تحلى بعسجد

قال وقلت متغزلا قم للمدامة يا نديم فانها * شرك المنى وحبالة الافراح
حمراء صافية المزاج كأنها * ورد الخدود أذيب فى الاقداح
شمس اذا برزت لعينك فى الدجى * أغنتك عن صبح وعن مصباح
مسكية أنى فضضت ختامها * عبق الندى بنشرها الفضاح
تفتر عن حبب تغور كؤوسها * كسقيط طل فى ثغور أقاح
يسقيكها رشأ اذا اثنى بها * رقصت لذا الشعاطف الارواح

قال وقلت متغزلا ألديه نهب النفوس مباح * رشأ سافك الدماسفاح
أى أسد تجول حول حماه * وكناس له الظبى والرماح
ابن عشرو أربع لو تبدى * فى دجى الليل قلت لاح الصباح
مار يبع العيون غير محيا * ه اليه أرواحنا تراح
لى من وجنتيه ورد جنى * ومدام من ثغره وأقاح
تتدانى له القلوب وان شط مزار وأبعدت أشباح
ان كتبى اليه صحف الامانى * وبها الرسل بيننا الارواح

قال وقلت فى الشيب لا تلمنى على اجتنابى للكا * س فرو يدا فما على ملام
ما ترى الشيب فضة فى عذارى * سبكتها بنارها الايام

﴿قال وقلت فى غرض اقتضى ذلك﴾

أساءكبارنا فى الدهر حتى * جرى هذا العقاب على الصغار
لقد شرب الاوائل كأس خمر * غدت منه الاواخر فى خمار

قال وقلت متغزلا ألفى فؤادى فى أوار * فرسرا من اسكدار
يمضى الدجى و نواظرى * فى حبه ترعى الدرارى
وأود لو علقت بذيل الوعد منه يد انتظارى
يجنى فأبدى العذر عنه وليس يرضى باعتذارى
أتراه يدرى بالذى * قاسيته أم غير دارى
أشكو الظما أبدا وما * الحسن فى خديه جارى
أغدو به حيران لا * أدرى يمينى من يسارى
ريم أبت أخلاقه * الا التخلق بالنفار
فعشقته وعليه من * دون الورى وقع اختيارى

قال وقلت متغزلا وشادن أركبنى * هواه طرف الخطر
مهفهف مبتهج * يهزو بضوء القمر

يكاد أن يشربه * اذا تبدى نظرى
أبيت فيه تلفا * على فراش السهر
كأن عقلى كرة * لصولجان الفكر

قال وقلت متغزلا

بدريم كناسه المران * ما القلبى من مقلتيه أمان
ذو عذار كأنه ظلمة الشعر * لـه وجه كأنه الايمان
وكأنا من أنسه ومحيا * مبروض نظلنا الافنان
خده الورد والبنفسج صدغا * ه لعينى وثغره الاقحوان
وكأن الحديث منه هو اللؤ * لؤ يرنض بيننا والجمان
وكأن الندى والكأس تجلى * فيه أفق نجومه الندمان
وكأن الانفاس منه نسيم * وكأنا اذا شدا أغصان
وكأن الندمان فى دوحة اللهو غصون ثمارها السكمان
يتعاطون أكؤس العتب اذ ظما * ف عليهم بها المنى والامان
ياسقى ذلك الزمان وحياه * ملث من الرضى هتان
زمن كله ربيع وعيش * غصنه يانع الجنى فينان
مر لى بالشآم والعمر غض * وشبابى يزينه العنفوان
ابن عشر وأربع وثمان * هى عيد و بعضها مهرجان

قال وقلت متغزلا

نبه جفونك من نعاسك * واسمح بريقك أو بكاس
طاب الصبوح فهاتها * واشرب مهى بحياة راسك
ما الورد الا من خدو * دك والبنفسج من نعاسك
أفديك ظبيا أرتجيك وأتقى سطوات باسك
تخشى الاسود مهابة * من أن تمر على كناسك

﴿قال وقلت متغزلا من قصيدة﴾

أترى أين حل أم أين أمسى * غصن بان يقل أعلاه شمسا
ليت أنى وقد ترحل بيد * كنت أمس لأسطر العين طرسا
لهف شاك يرى المعاهد صما * بعد ما شط والمعالم خرسا
ودع البين منه ثم فؤادا * كان صفرا فعاد بالو جد خمسا
ومنها شادن أظلم الظلائم الحا * ظ وأمضى نصلا وأكبر نفسا
علمته الايام طرق التجنى * والليالى أقرأنه الصد درسا
أطلع الحسن فى حديقة خديه * ورودا تركن لونى ورسا
ومنها طالما بت بالخدايع أسقيه ثلاثا حينا وأشرب خمسا
يمزج الكاس بالحديث وما ألطف ذاك الحديث معنى وحسا

است أدرى أمن عصارة خديه أم الراح صفو ما تحتسى
لا رأت مقلتى محياه ان كا * ن فؤادى يسلوه أو ينأسى

قال وقلت

لا تتهم بالسو عدهرك انه * جبل يجيب صداك منه صداء
مرآتك الدنيا وفعلك صورة * فيها فما الشنعاء والحسناء

قال وقلت متغزلا

تناهى عنده الامل * وقصر دونه العذل
رشا يفتر عن برد * تكاد تذيبه القبل
بخاصر عطفه ثمل * يميل به ويعتدل
يمثل ما يروق لنا * بصفحة خده الخجل
فلبت به كما اتصلت * حشاى الطرف يتصل
اذا ما الخدر أبرزه * تناهب حسنه المقل
لقد أغراه فى تلفى * شباب ناضر خضل
وقد حشوه هيف * وطرف ملؤه كحل
لها الخطى غير قنا * قوام زانه الميل
ولا الهندى غير ظبى * حواه الناظر الغزل
سقى خلسا بدى أضم * مضين الصيب الهطل
وعيشا حين أذكره * أميل كأننى ثمل
وربعا كنت أعهده * وأنسى فيه مقتبل
بكيت دما على زمن * لدى توديعه الاجل
ليال كلها سحر * ودهر كله أصل

وهى طويلة قال وقلت فى الحماسة

لعمر أبى راقى السما كين رفعة * وحامى ذمار المجد بالحلم والباس
لما أنا من يرضى القليل من العلا * ولا أنا ممن يحتسى فضلة الكاس
هى النفس فاحملها على الضيم ان ترد * لها العز وانفض راحتيك من الناس

قال وقلت فيه أيضا

ومنتزه يروق الطرف حسنا * لما فيه من المرأى البديع
تجول كتائب الازهار فيه * وقد كسيت حلى الغيث المريع
وبات الورد فيها وهو شاكى السلاح يميد فى الدرع المنيع
حكى منضم زنبقه طروسا * وفيها عرض أحوال الجميع
تفتق طلها أيدى التعامى * وتبعثها الى ملك الربيع

وقلت اذ أنفذت لبعض الاحبة كتابا فقبله وتلطف فى حسن الجواب

خذها سطورا اليك قد بعثت * تروم للنفس ما يعللها

فى طى بيضاء طلت من وله * فيك بأيدى اللحاظ أنقلها
أكتبها والدموع تنقطها * بعبرة لا أزال أهملها
لو كان ظنى اذا بصرت بها * نيابة عن فمى تقبلها
لرحلت شوقا اليك مندرجا * فى طيها والنسيم يحملها

قال وقلت مهلا سفينة آمالى لعل بأن * تهب يوما رياح اللطف والكرم
و ياحظوظى رفقا لست مدركة * غير الذى قسم الرحمن فى القدم

قال وقلت أيضا

وروضة أنس بات فيها ابن أيكة * يغرد والنامى الرخيم يشنف
وقد ضمنا فيها من الليل سابغا * رداء بأكناف الغمام مسجف
فظلت عرانين الأبارق بالطلى * الى أن بدت كافورة الصبح ترعف

وهذا معنى تصرف فيه وأبدع وأدار منه على المسامع كأس أدب مترع وقد سبقه اليه غيره كابن رشيق فى قوله

صنم من الكافور بات معانقى * فى حلتين تعفف وتكرم
فذكرت ليلة هجره فى وصله * فجرت بقايا أدمعى كالعندم
فطفقت أمسح مدمعى فى جيده * اذ عادة الكافور امساك الدم

اسكنه جعل جيد محبوبه منديله فدنسه فلو قال * فجعلت عينى تحت أخمص نعله * لكان أليق بالأدب ومن أجاد فى هذا المعنى ابن برح المكحل الاندلسى فى قوله

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * أضر به الليل الطويل مع البكا
فقى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا اشكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

وقد قلت أنا فى هذا المعنى أيضا

وساق لى السرور غداة طيبا * له طرف يشير الى التصابى
رأى فى الكاس صب دم الحميا * فذر عليه كافور الحباب

قال ومما قلته أيضا سقى صوب الحيا زمنا * سرقنا ه من الغير
وقد مت الغمام ردا * له هدب من المطر

ومما كتبته الى الامير منجك

ياوحيدا فى السجايا * والمزايا باتفاق وشها فى سموا * ت العلى سامى الطباق
وجوادا عنده الافراس عرجا فى السباق أنت بحر دونه الابحر من بعض السواقى
لا تسمنى حصرا أوصا * فك فكرى فى وثاق راعنى الدهر كما قد * رعت مصرا بالفراق

ومما كتبته الى الامير أيضا

قد بشرتك بمصر بعض معاشر * لم يعلموا الاقوال فى تأويلها

مصر أقل ندى أياديك التى * من فيض نائلها أصابع نيلها

وهذا كثير الامثال كقول ابن نباتة المصرى

وافت أصابع نيلنا * فيضا وطافت بالبلاد
وأتت بكل مسرة * فاذى أصابع بل أيادى

وأحسن من هذا كله قولى من قصيدة نبوية

أصابع سيدا لسادات منها * لقد روى الزلال صدى الفؤاد
فلو منها ينال النيل ظفرا * لما مص الاصابع للتنادى
وعهدى بالاصابع فى أياد * فكم فى ذى الاصابع من أيادى

الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام كان شامة الشام وغرة الليالى والايام وله فى الفضل والادب فنون ثم تبدلت الفنون كلها جنون فاشتغل بدائه وصار هوى الاحبة منه فى سويدائه فاعتزل عن الناس وصار وسواس حليه حلى الوسواس بعدما كان طبعه أرق من شمائل الشمال ومعانيه أدق من دلائل الدلال وشعره أفضله شعار وحسن خطه يتعلم منه الحسن نمنمة العذار كقوله

صادفته والحسن حليته * كالريم لا رعشا ولا قلبا
والعيد للالحاظ أبرزه * والبدر أقرب منه لى قربا
أهوى لتهنئتى ومد يدا * وفقى انى فتناول القلبا

ومد اليد المعتاد للمصافحة فى الاعياد مسنون لاظهار القرب والاتحاد فجعلها الأخذ الفؤاد معنى بديع ومثله ما قلته فى مد اليد المسنون المأمور به فى الدعاء وهو مما لم أسبق اليه فان أمر السائل بمد اليد بمعنى خذ ما طلبت وأزيد

دعونا لثم من بعد قول ادعنى * فكيف نرد وكاد عينا
وهذى وجوه الرجاء اغتدت * ترى بعيون الظنون اليقينا
أمرنا بمد يدى سائل * ليملأها أكرم الأكرمينا

ومن شعره قوله من قصيدة

مؤتبى لا برحت فى عذل * فجذا حبه على ولى
غصن دلال أغر طلعته * شمس الضحى فوق ناعم خضل
يحول فى عطفه الدلال اذا * تحمل تغريه فترة الكسل
رقمت فى طرس خده قبلا * فظل يمحو بنانه قبلى
وأخجل الورد فى نضارته * شقيق خدى فى وردتى خجل

وقوله أيضا ترامت نحوها الابل * وشامت برقها المقل
فتاة من بنى مضر * يجاذب خصرها الكفل
لها الخطار ان خطرت * وما الميالة المذل

الاوحد العلم المفرد

﴿عبد الحق الشامي المعروف بالحجازي﴾ وهو كما أخبرت به ذو فضل جسيم والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم أما الفصاحة فهو من الغر المحجلين يوم رهانها وأما الفضائل فهو من السابقين في حلبة ميدانها المرتضعين در المعالي في حجور الفضائل المرتدين برود المكارم وشملة الشمائل العاكفين في حرم العفاف المقتطفين لجنى المجد الغض القطاف لمن ثماره المتفتح عنها عيون أنواره الدالة على طيب المغرس وذكاء المنبت قوله من قصيدة طويلة

سقى الربع هطال من المزن ساكب * وجادت عليه الساريات السوارب
هدية رجاف العشي كأنه * كاتب تقفو اثر من كتائب
وكل صدوق البرق دان ربابه * تنوء فويق الارض منه الهيادب
ترجيه أنفاس الشمال وتعترى * ضروع عز اليه الصبا والجنائب
يروى بها في سيبها باطن الثرى * وتحمى لسقياها المحول اللوازب
كأن هدير الرعد في جنباته * هدير قسورم هيجتها الضوارب
كأن دموع المزن وهي سواكب * دموع محب فارقته الحبائب
فذاك الميا لا زال في أربع الحمى * مريا به منها الزلال الخضارب
فتصبح منه الأرض مخضرة الربى * مجللة بالريط منها الأهاضب
ويصبح منثورا بها ريق الحيا * كما نثرت من جيدها السمط كاعب
خمائل فيها للظباء مسارح * وفيها لأذيال الرياح مساحب
وفي الاطراف الغصون ونورها * عيون علت من فوقهن حواجب
كأن ثغور النور وهي بواسم * بأرجائها القصوى نجوم ثواقب
تهادى ظباء الوحش في عرصاتها * كما تتهادى في القصور المرازب
كأن الرسوم الدارسات تصيرى * عشية حفت بالقطين الركائب
فوا أسفا لا القلب من سكرة الهوى * يفيق ولا من غيبة الشوق آيب
فمن لي بحفظ العهد من ذي صبابة * أضاعت هواه المذنبات العواتب
تهب مسهى من هجعة الجزر بعدما * تنال بأشفاع الجدود المطالب
فقد تدرك الحاجات وهي فوائت * وقد تصدق الآمال وهي كواذب

وقوله هدية رجاف المراد بالرجاف الماء الجاري وأصل معناه المتحرك المضطرب ولهذا سمي البحر رجافا كما قاله أهل اللغة ولذا أجاد القائل في مرتعش اليد

ماء زراحته سوى فيض الندى * والبحر من اسمائه الرجاف

وقوله وفي الأطراف الغصون البيت كقول ابن نباتة السعدي من قصيدة له مطلعها

رضينا ولم ترض السيوف القواضب * نجاذبها عن هامهم ونجاذب

تكنفها البوث وغبى * يحاذر بأسها الاجل
لان شط المزار بها * وأقفر دونها الطلل
يمثلها الفؤاد به * ويدنيها له الأمل
وكم لي يوم كاظمة * فؤاد خافق وجل
وطرف بعد بعدهم * بميل السهد مكتحل
علقت بها غداة غدت * مواطئ نعلها القبل
فان سارت بأخصها * تداعى الوابل الهطل
وان قرئت تقسر العين فينا يضرب المثل

وقوله لم أنس ليلة زارني * والبدر يخنع للغروب
ثملا يميل كأنما * عبثت به ريح الجنوب
ولربما جاد البخيل ور بما صدق الكذوب
فنهضت اجلاله * والقلب بالقيا طروب
وفرشت خدي موطئا * فمشى عليه ولا لغوب
وضممته ولثمت فا * ه ألذ من كأس وكوب
حتى بدا الاصباح وهو لدى من أدهى الخطوب
ولوى به من حث جاء ومقلتي عبرى سكوب
هذا الذي أهواه اذ * حاز البهاء على ضروب
ملأ المسامع والحوا * طر والنواظر والقلوب

وقوله وشرب أداموا الورد من أكؤس الطلى * وقد أنفوا الاعذار عن ذلك الورد
سقطنا عليهم كي نذل لديهم * سقوط الندى عند الصباح على الورد

وقوله عاطيته حلب العصير ولا سوى * زهر السماء تجاه زهر الجلاس
أنظر اليه كأنه متبرم * مما تغازله عيون النرجس
وكأن صفحة خده ياقوتة * وكأن عارضه خميلة سندس

وأصله لابن هانئ الاندلسي

عاطيته كأسا كأن شعاعها * شمس النهار يضيئه اشراقها
انظر اليه كأنه متململ * يجفونه مما جنت أحداقها
وكأن صفحة خده وعذاره * تفاحة حفت بها أوراقها

وقوله خالسته نظرا وكان موردا * فازداد حتى كاد أن يتلهبا
أنظر اليه كأنه متململ * يجفونه من طول ما قد أذنبا
وكأن صفحة خده وعذاره * تفاحة رميت لتقتل عقربا

ومن أربابها المدلجين الى منازل القناه السائرين عند وصولي بها الى دار البقاء الاوحد

ومنها خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

وتابعه أبو اسحاق ابراهيم الغزي فقال

خلقنا لهم في كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وهنا لنا فائدة نفيسة وهي أن من أهل المعاني من ادعى أن بيت الغزي أبدع لما فيه من الطباق بين السمر والبيض ورد الجمع على الصدر واللف والنشر ومراعاة النظير وادعى انه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس وبالحاجب من يتبعه وحجابه والمعنى أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب والرئيس والمرؤس مع اشتماله على التورية والاستعارة وهو جميعه مما خلا عنه البيت الاول مع ما فيه من الافتخار بقتال الاعداء الثابتين دون المنهزمين فانه لا يفتخر بمثله وبهذا عيب البيت الثاني أيضا وان ذكر صاحب ايضاح المعاني أنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم وأطال فيه وأسهب وبعد وقرب والحق ما ذهب اليه خطيب المعاني فان الفضل للمتقدم وبيت النباتي أحلى لما فيه من التشبيه البديع بجعل أثر الطعنة المستديرة من الرمح عينا وشطبة السيف فوقها حاجبا والاغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفضر فان الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه ولهذا قالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين كما فر موسى حين هم به القبط وما ذكره من معنى العين والحاجب سخيف وتخييل ضعيف مع أن جعل الضرب في العين والحاجب من العجائب وقد مر لي ما نحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه وهو

وتنظره في قلبي الصب أعين * عليها لمحنى الضلوع حواجب

وما ذكر من النقد عليه نقله ابن الشجري في أماليه عن الشريف المرتضى وقال انه عاب عليه قوله بظهورهم وقال لو قال بصدورهم لكان أمدح لأن الطعن والضرب في الصدور أدل على الاقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لأن الرجل اذا وصف قرنه بالاقدام مع ظهوره عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام كما قال أبو تمام

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق في أعلى الصدور صدورها

ولذا قال بعض المحققين القول بأن قد للتكثير في قوله

قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد

لمناسبة مقام المدح من قصور الفهم ثم لم أزل أتوكأ على البيضاء والصفراء * وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء حتى قذفتني لهوات الهامة الى حلب الشهباء والناس بين مقوض وراحل وماهذه الايام الاعقب ومراحل اذ ذهب الذين يعاش لي أكأنهم كل مذهب وبقيت في خلف كجلد الاجرب ان تركته أذى جسدك وان حككته أدميته ولوثت يدك

على أنني من بعد ذلك كله * ولله مني الحمد غرضي أملس

فألقيت فيها عصا التسيار عن كاهل العزائم لما تفتحت بها عن زهرة المسرة خضر المكارم

فاذا

فاذا هي روضة مخضرة الافنان أو نطعة من الفردوس أهدتها الينا الجنان

وكأنما الخضراء من طرب بها * نثرت كواكبها على الاغصان

ولها حصن كأنه وكر لنسر السماء أو هامة معممة بسحابة ذكاء أرضها مفروشة بديباج نبت مرصع بالزهور وحيطانها مجللة بستائر البهاء والنور نسيمها أعطر من عرف شميمها وأهلها ألطف وأرق من نسيمها من كل فاضل ملئت بالفضل ثيابه وماجد قد حشي بالكرم اهابه وأديب رقت شمائله (فلولا البرد يمسكها لسالا) وعذبت كلماته ورسائله (فأرشفنا على ظمأ زلالا) فكان ممن لمعت بوارق بشره وباحت خواطر نسيم لطفه باسرار نشره الفاضل الكامل المرتدي بحبر الشمائل العاكف على حرم الافاده الطالع نجمه في أفق السعاده ﴿أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي الفرضي الحلبي﴾ فلقيني منه حبر مجيد وشاعر مجيد وأديب يضع القلادة في الجيد له فضل لم تنظر عين الدهر لنا فيه بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه فاذا وادا خصيب النوى والثمر وحديقة منمنمة الاطراف والطرر سقتها غمائم نداه وباكرها صيب جدواه بلا منة لحوامل السحائب ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب صرف نقد أوقاته ورأس مال عمره وحياته في تحصيل ربح الفضل والعبادة وترك فضل العيش وفضول الناس لما رأى في تركهما من السعادة ورأى في كل بكرة وعشيه حبلى جنين نوائبهما في مشيمة المشيه ولما شمت كرمه وسيبه وبدت ربيعا زرت عليه جيبه انتدب للافاق وابتدر وخير أنوار الربيع مابكر وكتب الي مادحا ولزند فكري قادحا قوله

أرى الشهباء للعليا نيابا * ألم نرأفها أبدى شهابا

وقبل كست معالمها الدياجي * مسربلة ذراها والهضابا

وكدر صفو منهلها قتام * أحال شرابها الصافي سرابا

وجرعها كؤوس الجور صرفا * ولو سقى الغراب بها الشابا

وكان الجهل متسع الفيافي * يضل الاعلمي بها الصوابا

وضاق العلم ذرعا حين سدت * مناهجه وضاق بها رحابا

تعللها المطامع كاذبات * وكم عادت صحائبها ضبابا

الى أن حلها روح المعالي * وطوق عقد منته الرقابا

امام العلم بحثا واكتسابا * مشيد الفضل ارثا وانتسابا

فواصلها بغير سباق وعد * وفاجأها بنعمته احتسابا

فأهلا بالذي منه استنارت * معالمها وقد عزت جنابا

وقد وطئت على هام الثريا * ونظمت النجوم لها انقلابا

فقربها وقربها ودادا * وفرعيون أهلها اقترابا

وقد ظفرت بكنز المجد حتى * أحال التبر للذهب الترابا

وفاض بحار كفيه علوما * واتبعها بمنطقه عبابا
وفضر وجه روض الفضل لما * سقاه من مواهبه ربابا
قد ازدحمت بموردة عفاة الفضائل حين ماسال انصبابا
وقد ملأوا ركابا هم وراموا * ذخائره انتهازا وانتهابا
اذا جال السؤال بفكر شخص * قبيل النطق لباه جوابا
فيا ذخر العلوم فدتك نفسى * ونادتك العلا تبغى الثوابا
أقل فلى عثارا زل فيه * سواك فى المديح ولا أصابا
وكنت نبذت شعرى فى قفار * نسيت الأنس منه حين غابا
اذا الايام قد رفعت بغاثا * نخالت أنها ترقى العقابا
وظنوا أنهم كنزوا علوما * وأيم الله ماملكوا انصابا
أأمدح من بنظمى ليس يدرى * حبيبا قد أردت أم الحبابا
وكان القصد من قصدى نجازى * من الممدوح لونهم الخطابا
ولولا أنك السامى مقاما * له الأفلاك لطأطأت الرقابا
وكان بمدحك العالى افتخارى * لما أذهبت بالمدح الكتابا
فدم يا زينة الدنيا بمجد * تقنعت العلا منه احتجابا

ثم كتب بعدها لقد طمحت أفئدة العلماء شرا وارتاحت أسرار الكاملين سرا وجهرا وأفعمت من المسرة صدورا لصدور وطارت الفضائل بأجنحة السرور بمن قدوم من اخضرت رياض التحقيق بأقدامه وغرقت بحار التدقيق من سحائب أقلامه وتلألأت غرر المباحث اشراقا وأجريت مسائل الطالبين فى ميادين التوضيح سباقا أعنى به جهينة أخبار العلوم وخازن أسرار المنطوق والمفهوم المؤسس لدعائم الأحكام فرعا وأصلا والسابق فى مضمار التحقيقات منذ كان طفلا وقد خدمته بهذه القصيدة التى كتبتها عجلا وكنت أضمرت أن لا أنوه بكلمة منها خجلا لكن ظننت بالمولى كل جميل ورأيت سترها بذيلى السماح والصفح من فضله الجزيل هذا وان العبد كتب تاريخا سماه معادن الذهب فى الاعيان المشرفة بهم حلب سيعرض بعضه عليكم و يؤتى بأنموذج منه لديكم وجل القصد أن تكتبوا الى نسبكم وأشياخكم ومقروآتكم و بعض شئ من المنظوم والمنثور لنطرز حلله بطراز المأثور والسلام وأنشد فى من شعره قوله

يورد الخد ريحان محيط * وتركى حبه لا أستطيع
وقلت النفس خضرا يا عذولى * كما قد قلت والزمن الربيع

وهذا مثل عامى يقولون النفس خضراء تشتهى كل شئ وقولهم تشتهى الخ جملة مفسرة للخضراء وكأن أصله ماورد فى الحديث أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر

أخوه محمد بن عمر الفرضى ﴿ فاضل نجيب حبيب محبنى وبرد شبابه قشيب وغصنه

فى رياض المعالى رطيب

اذ غصن ذاك الشباب معتدل * لم تطمع الحادثات فى ميله

ومخائل النجابة عليه لائحه وطيور البلاغة فى قفص سطور خطه صادحه بكل ماهو أسر من التهانى وأمان الظافر بالأمانى وحلل فضله زاه بآدابه طرازها وعدات الدهر فيه حان انجازها وقد يجود البخيل الشحيح وكم لاح تحت الرغوة من لبن صريح فلم تضل فيه الظنون لما نضت مافى ذمتها من الديون وفكت ماعندها من مغلقات الرهون فأنشدنى من مقطعاته وأهدى الى من مخبآته قوله

لم أزل من صحيفة القلب أملى * فى دجى الاغتراب سطر مثالك
ناصبا هدب جفن عينى شباكا * فعسى أن أصيد طيف خيالك

وقوله

يا بسلة طالت على عاشق * بات من الوجد على جمر
كليلة الميلاد فى طولها * تسح فيها العين بالقطر
كأنها ثكلى جنين لها * أغر قد سمته بالغبر

وقوله أيضا

أرفقوا فالفؤاد ليس بجلد * وارحموا زلتى وطول عويلى
أنا شهاذ حسنكم وعيونى * ياغناة الجمال كالكحول

وقوله أيضا

قال لى الحب لم وضعت على الأنف عيونا وفى عيونك مقنع
قلت مذ خط كاتب الحسن نونا * فوق ثغر كما جبين وأبدع
فجعلت العيون أربع على * أن أرى يارشا حواجب أربع

وقوله أيضا

ماقصرت تلك الليالى التى * فى جنحها بت سمير الملاح
لكن أشواقى لذاك الرشا * قد عاجلتنى خوف وشك البراح
شققت جيبا كالدجى حالكا * عن صدر فانجاب عنه الصباح

وقوله أيضا

قد رمانى بالهون ساقى زمانى * فكأنى دردى كأس المدام
فأراقتنى الندامى بظلم * فى الزوايا وموطئ الاقدام

وقوله أيضا

عاب قوم شرب المدام ولم يد * روا بأن التصويب عين العيوب
جبر قلب الأقداح بالراح خير * فى اعتقادى من كسر كأس القلوب

وقوله

ان ذاك الرشا الخشف الذى * مات عنه والدفهو كظيم
زاده موت أبيه قيمة * كان درا فغدا اليوم يتيم

وقوله أيضا

قد زهدنا عشقا الدينار خدّ * سبكته حسنا يمين البارى
وتركت النوال والمال على * أن أرى فيه مالك الدينار

وقوله أيضا

كان عهدى بالروم فيها يضوع العلم والآن ضاع فيها العلوم
شيبت فؤدى بذا الرسل هود * ولقد شيبت فؤادى الروم

وقوله

كأنى وآمالى اذا ما تقهقرت * وبرق أمانيى سراب وخلب

عروس تجيد الرقص حينا الى ورا * وحينا أماماوهى بالبين تلعب

وقوله مضمنا السيف احكام لحظ ناظره * ناديته بلسان فى الهوى لهج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

وقوله أيها الريم هل ترى بنظره * على يمحو الفؤاد من بعد سكره
بأبى أنت غصن بان تثنى * وغدا يمزج الدلال بخطره
ألف القد زانها نقطة الخا * ل فأضحى وواحد الحسن عشره
عارض أخضر و بيض ثنايا * سود اوجه عيشتى بعد خضره
أنت زهر غض وقلبى كمام * فلماذا أوقدت بينك جمره
زرعت مقلتى بخدك وردا * فاجتنى قطاف زرعى زهره
ياأبا عذرة الملاحة انى * بين موتى موالثمن حى عذره
كعبة الحسن كل وقت اليها * فى ركاب المنى أجج بفكره

عمر بن عبد الوهاب الفرضى

ووالد هذين الفاضلين الحبر علامة زمانه شيخ الاسلام عمر بن عبد الوهاب الفرضى نسيج وحده وفريد فضله ومجده بحر لاتكدره الدلاء ولاينزف بعض موارده الملاء لم يزل صدرا للافادة والافتاء بحلب نرعى فى رياض فضله سوائم الطلب وتآليفه وتصانيفه تنقلها الركبان وتقف دونها اسوابق الحسن والاحسان حتى رقى شرف السبعين وصعد اليها بدرجات السنين رافلا فى حلل الغنى حتى جر الدهر عليه أذيال الفنا وهو آخر من صنف بحلب وأفاد وأجاد ومن أجل مصنفاته شرح الشفاء فى مجلدات ولنا عليه اعتراضات بيناها فى شرحنا وله نظم ونثر كقوله فى شرح الجامى على الكافية وله عليه حاشية جليلة

لله در امام طالما طلعت * أنوار افضاله من علمه السامى
ألفاظه أسكرت أسماعنا طربا * كأنها الخمر تسقى فى صفا الجام

والشيخ محمد بن الحنبلى فيه أيضا

لكافية الاعراب شرح منقح * ذلول المعانى ذو انتساب الى الجامى
معانيه تجلى حين تتلى كأنما * هى الخمر تبدو شمسها فى صفا الجام

واصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشرى

لله شرح به شرح الصدور لنا * كأنه الدر فى أزهار أكمام
قد أسكر السمع اذ تتلى عجائبه * والسكر لاغر ومعروف من الجام

صلاح الدين الكورانى الحلبى

صلاح الدين الكورانى الحلبى فاضل شاعر ناظم ناثر مكثر مسهب مطرب مجيب رأيته بحلب يعانى حرفة الوراقة ويكتب للقضاة الوثائق التى شدت وثاقه وقد قيده الكبر وعانقه الدهر أبو العبر فجعل بين الغرائب والرغائب وقتل بيد فكره فى الذرى والغارب وهو فى مهد الحمول راقد فمرت به النوائب وهو على طريقها قاعد وقد كان امتدحنى بعدة قصائد منها قوله

شهاب المعالى قد اضاءت به الشهبا * وقد أطلعت من غرة فكره الشهبا
ومن قبل أخبار الثناء تواترت * وقد ملأت أسماعنا الؤلؤ رطبا
وكان التمنى أن يطابق سمعنا * تواطرنا واستغرقت قلبنا حبا
وقد أعربت ألفاظه مع تأخر * عن السبق حتى فاقت العرب العربا
فمن منطق عذب وفضل موجه * الى المدح ايجابا وللحاسد السلبا
بنى غر أبحاث له قد تأسست * فلم يستطع باغى الجواب لها نقبا
اذا كان منه الفهم فى البحث سابقا * وذلك منه لايفارقه دأبا
فاهلا بمن يحبابه مشرق العلا * وقد كان كالعنقاء جاوزت الغربا
ومن حلب كان الغطاء من المنى * فقد بيست منها ضروع المنى حلبا
الى أن أتاح الله بعض بقية * من الحزم حتى زاحموا المنهل العذبا
فتبا لمن قد زاغ عن وده وقد * تبدى ثبوت القول اذ أظهروا الحربا
ومذ قد أتى هذا الزمان بمثله * لبيبا علمنا أنه قد حوى لبا
فداغدودقت يمناه من برق بشره * وقد سحبت غر المعالى له سحبا
وأسقت أيادى فضله سحب الندا * وقد غرست من حبه فى الحشا حبا
له قلم ان ينفث السحر نافعا * لحاضره أن لايغادره عضبا
فيا من له فى مصر والشام همة * و باع طويل يهزم الروم والعربا
على حلب لما قدمتم تبسمت * ثغور ميانيها وتاهت بكم عجبا
وابناؤها القوم الذين مرادهم * وداد ولايبغون مالا ولا كسبا
على ذا مضى عهد الاخلاء والذى * يروم خلاف الود يستوجب السبا
وأشكو اليك الدهر عبدك اننا * نسائله سلما يجاوبنا حربا
وكم قعدت عن سبقها كل صافن * تسابقها العرجا وتلحقها الحدبا
وانى على فعل الزمان لواجد * بكاء على الخنساء فى صخرها أربى
وقد زعموا أن الدخان مجفف * فداوبت دمعى فى تناوله شربا
وفى كل معنى فيه قد رق رقة * أعلله من كان سارقه غصبا
وعبدك ذاك الصلاح مقصر * بمدحك لكن لايقول به كذبا
ولو لم يكن قيد الكتابة عاتقى * وثقلة توثيقى الوثائق والكتبا
لحاولت من عجاج فكرك قطرة * كما يشرب العصفور من مائه عبا
فكيف وقد أصبحت عبدا مكاتبا * ولاعتق لى حتى أرى الدر والتربا
فلازلت فى أعلى مقام اذا حدت * حداة حجازى الدرى تطرب الركبا

وأنشدنى له

لعمرك لم أشرب دخانا لاجل أن * تمر به نفس ندانى خروجها
ولكن زنابير الهموم لعتنى * فدخنت حتى يستبين عروجها

ولما أنشدني هذا أنشدته لنفسي في معناه مما قولي

ماشربت الدخان اذ سرت عنكم * لتسلية عن الاحزان
أحرقتني الاشواق فالتهب منها * صار بالوجد مخزن النيران
فخشيت الانفاس تفضح حالي * فلهذا سترتها بالدخان

السيد أحمد بن النقيب الحلبي

﴿السيد أحمد بن النقيب الحلبي﴾ سيد عجنت طينته بماء الوحي والنبوة وغرست نبعته في ساحة الفضل والفتوة له مناقب هي الوشي حسنا وبهجة (اذا نشرت كانت مسكة النشر) وغرائب رغائب في الكرم واضحة المحجة (بظل بها مستعيد النظم والنثر) اجتليت بحلب محياه فاكرمني بجوده ونداه ومدحته شكرا لما أولاه

وكذا الهاشمي مثلك لايمدح الا بهاشمي الكلام

فاستعار ديواني واشتغل بمطالعته وانتخابه وفي اثناء ذلك دعوته فلم يجب ثم لاقيته فاعتذر بعد عتابه بان اشتغاله بالديوان منعه من الملاقاة فانشدني هذه الابيات

وحقك لم أترك زيارة سيدي * لتوعوق النفس عنه ولا ليت
ولكن بديوان له قمت خادما * وقد كان فكري قبل ذلك كاليت
فادهشني حسن به ظلت حائرا * فادخل في بيت وأخرج من بيت

﴿القسم الثاني في محاسن العصر بين من أهل المغرب وماوالاها﴾

﴿مولاي أحمد أبو العباس المنصور بالله﴾ ابن الخليفة أبي عبد الله المهدي بن عبد الله القائم بامر الله الشريف الحسني

من جوهر منه النبي محمد * فعليه من نور الالهي بهاء

ملك الآن المطوق بفضائله وفواضله جيد الزمان أنام الانام بيقظة حراسته في حرم فناموا في ظل ظليل تحت رياض السعد والكرم وعطاياه تمائم الفقر واسمه عوذة النعم وبشر محياه لكل ندى وجود سلم وله شرف تحسده الشمس في الشرف وجود جوادا وكف أقلع السحاب عن مجاراته وكف معدن مجد وحسب وجوهر سيادة ونسب جمع بين نزاره ومعده باع تمد به النبوة والخلافة قبل مده

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

بدر اتخذ أفق المغرب هاله وبحر أفاض على وارده نواله له كتائب آراء الالباب سلبها ويوادر همم ليس الا الارواح طلبها لاتزال تخاطبه من كل أمر عراقيه بكلام بني عبيد أولي بيد وحبيب والوليد أخبرنا الأديب الفشتالي بقسطنطينة أنه لما دعت والده شعوب ووفدت عليه بوارح الخطوب وجلس أخوه الاكبر في مسند الخلافة وسريرها ونزل منزلها في روضتها وغديرها أظهر انه للملك غير طالب وأنفق رأس همره في فتح كنوز العلم والمطالب فلما مات أخوه قام ولده في محله واستولى عليه الغرور بخيله ورجله فأرخى عليه الشباب ستارة حجبت عنه الصواب وأشار عليه بعض خدامه بقتل من بقي من أعمامه ليصفي

من قذى الاكدار ورده ولم يدر أن من شرب وحده غص وحده فحدثته بالك مكانه وهي من أعظم فصائده كالحافر بظلفه على مدية حتفه

وأني تنجيه من الشر حيلة * وقد طال ما أودت بحتفها الحيل

فلما علم بذلك مولاي أحمد وجف مع أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده فانذلان ينصركم الله فلا غالب لكم من بعده فقمت على ابن أخيه الهزيمة وعلقت على جيد تدبيره من الخذلان تميمة فأصبح لعنان عزمه ثانيا وذهب الملك الفرنسيس فأمده بما رجع به للحرب ثانيا فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء أقلعت سحابة النقع بعد ما أمطرت دية الدماء الحمراء فكم أسير في غل تندمه وقتيل طلع بدره في شفق دمه (فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى) فولج البحر وأغرق نفسه في مائه الغمر وقال لقصير عمره يبدي لا يد عمرو فقلصت السعادة عنه ظلها وعقد النحس له عقدة لم يذكر عاقدها حلها وملك الملوان وضحك على أمله الخذلان فتبرجت لاحمد عروس تلك المملكة المهنأة بالرفاه والبنين وأمنت ثغورها لنور رمحياه ضواحك مثغرة بالفتح المبين فما ألم بتلك الثغور قبح الاجلاء بساويك الرماح ولا نبض عرق كفر الا فصده بمباضع الصفاح مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها وتخليه دون ملوك الزمان بحلى آدابها حتى انه كان يحضر دروسها ويحيي بمنطقه الرائق دروسها ويطلع في سماء ديوانه شموسها وله شعر وانشا بهما طراز المجد موشى فهو رب السيف والطيلسان والقلم المسدد والسنان لازال المغرب به كامل الأهلة والشمس تسمى له لتخدم باسعد محله فمن عقده المنظوم ورحيق أدبه المختوم قوله

حرام على طرف يراه منام * وحل لجسم قد جفاه مقام
وكيف يقلب في هواه مقلب * وأني له بين الضلوع مقام
فياشادنا يرعى الحشى أنت بالحشى * أما لمحل أنت فيه ذمام

وأحسن منه قول الارجاني في معناه

يرمي فؤادي وهو في سوداته * أتراه لا يخشى على حوبائه
ومن البلية وهو يرمي نفسه * أن يطمع المشتاق في ابقائه

وههنا نكتة أدبية وهو أن الارجاني أخذ هذا المعنى من قول الحماسي

قومي هم قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

الا أن هذا لا يعد سرقة وانما هو توليد وانتقال من معنى لآخر يضاهيه وهو من سحر البلاغة واستخراج مخبآت كنوز المعاني وقل من يهتدي اليه لدقته وكنت ببعض حظاياه عليه غضبى وهي مجردة عليه من سوارم هجرها عضبا فأهدى له حرسي وردة من بستانه وحباه بشير الربيع بنشرها قبل أوانه فأرسلها اليها مع أبيات يسترضيها ويستعطف غضن قائمها بنسيم العتاب ويستعفيها

وافى بها البستان صنوك وردة * يقضي بها المأطلت عهودا

أهدى النهار محاجرا وأتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تنفى من الروض النضير قدودا

وهو فى هذا كمن أهدى للبحر الدرر بل للروض الزهر ولا أقول القمر لهجر وقوله أيضا

لا وطرف علم السيف فقد * فى قوام كفنا الخط ميدة
ووميض لاح لما ابتسمت * من ثنايا مثل درأو برد
ماهلال الأفق الاحاسد * لعلاها وبهاها والغيد
ولذا صار ضئيلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

﴿وللقطب المكى على منواله﴾

لا وفرع كدجى الليل غسق * وجبين ضوءه ضوء الفلق
ومحيا كاف الدهر به * وخدود من حوالها شفق
ما أرى الغزلان الا سرقت * منك جيدا واتقاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا * كيف لا يشرد خوفا من سرق

﴿ومما نسجته على منواله﴾

لا وغصن راق للطرف ورق * وعليه حلل اللطف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما * حللت لى غيره معى والأرق
ما احمرار الراح الا خجلا * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق

﴿تنبيه﴾ هذا القسم عده أهل البديع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز

لا ورمان النهود * فوق أغصان القدود
وعناقيد من الصد * غ ورود من خدود
ورسول جاء بالميعاد من غير وعيد
ونعيم من وصال * فى ثقاطول الصدود
ما رأت عينى كعيد * زارنى فى يوم عيد

وقد أشار اليه فى الكشاف ولم يفهمه كثير من الادباء لانه من المعانى الوضعية فلا وجه لجعلها محسنة وقد بينته الامام المرزوقى بما لا مزيد عليه فى شرح قوله

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

فأشار الى انه جعل ما يذم به من الصفات سواء اتهم اتصافه بها أم لا غاية تنفره عنه بمنزلة المصائب العظيمة عنده ثم جعل مقسما به تأكيدا لعظيم فظاعته ففيه كناية على كناية أو كناية مرتبة على المجاز وهو كثير كقوله

لئن كان ما بلغت عنى فلامنى * صديقى شلت من يدى الانامل

وهذا هو القسم المعدود من المحسنات وكذلك اذا أقسم على الشئ بنفسه أو بصاريه كقوله * وثنايا انها الغر بيض * وقد ذكره الزجاج وفيه مباحث أخر ليس هذا محلها وأخبرنى الأديب الفشتالى أنه أنشده يوما قول الابيوردى

ولو أنى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالسؤال

فقال صاحب الترجمة لو كان الشعر لى لقلت

ولو انى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالنوال

وفى معناه قولى فى بعض الرسائل أعز حصون العباد ظهور المطهمة الجياد وخير من ذب عنك العدا من ملكت قلبه بالندى * ونحوه قولى

بنيت حصونا تصون العلا * اذا ما بناء الملوك انهدم
حصونا من العدل من حولها * خنادق فيها مياه الكرم

ولابن الرومى من قصيدة له

وحارب من نعمائه ريب دهره * من البر والمعروف جند مجند

ولما بلغ شرح توضيح ابن هشام الذى صنفه الاستاذ الخال فى مجلدات أرسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه وصورة ما كتبه اليه من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين الشريف الحسنى أمد الله بعزيز نصره أوامره وظهر بنصره عساكره الى الفاضل الذى اذا تحامى العلوم نحو ارفع علمه توشيحا وجاء تاليا وهو المتقدم ما تمحض من الخلاصة تنقيحا وشرح ما خفى ابانة وتصريحا الفقيه النبيل النبيه النبيل المتقن المتفنن لازال يعمر من دست العلم منصه يعمل فى ميدانها وخده ونصه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى ألهم تثقيف أود اللسان ووفق منه بالبيان رتقا وصرف حكمة الاعراب على ألسنة الاعراب فامتد شأوها فى مجال الابانة طلقا وأجرى جياد معانيه المطردة فلم يخلف لاحق عن متقدم سبقا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أرصده بالسعادة سفيرا ودحض به قوادم الشرك فأصبح مهيضا كسيرا وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا والرضى عن آله وأسرته الغر الزهر الذين بهم شذا ذكرهم عبيرا ويروق طراز مجدهم حبيرا وعن أصحابه الأعلام الذين فضوا حاق الضلالة المسرودة ولقيت من عاصف بأسهم هبيدا مبيرا وصلة الدعا العلى هذا المقام الأحمدى المنصورى الحسنى بنصر عزيز يقطف من الفتح زهرات الكمائم وسعد جديد لا يزال قرين عزماته الماضية ما اتقدح برق فى مسكة الغمائم فكتبناه لكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنائع الله تعالى لهذا الجناب النبوى الكريم المولوى مطردة اطراد كعوب الذابل وأمداد عنايته اللطيفة المحدقة بهذه الايالة العلية واكفة الغمام الوابل هذا وانه قد اتصل بنا ما تعرفناه حسن مثابكم وارسالكم لعلى هذا المقام وأنكم من ارتشف مجاجة النشء المسكية الختام واستوفى

ايماض عنايته البازغة الشارق وشام حياها الواكف غير خلب البارق ليقمص من قعها الموشى أنيق الشاره و يتشف فى حزب من حل منها علوى داره والى هذا انتعرفوا أن امثالكم من حملة المعارف المتفيئين لظالها الوارف متمم لهم فى هذا الجناب قسط النباهة بين وتروشفع وبناء أعلامهم فى هذا الباب لم يزل بناء رفع وجنى الكرامة دانى الاهتصار وحظهم منها الاسهاب الذى لا يخل به اقتضاب واقتصار وفتهم المتحيزة الى هذا المقام لم تزل بالعناية محفوفة تتعرف من تنويه المقدار مزيته وشفوفه وأما الغرض الذى يممتم والقصد الذى به ألممتم من خدمة خزائننا العلية بتصفيفكم المنتخ الفصول المحرر الفروع والأصول شرح توضيح العلامة بن هشام الذى أبرز من مكنونه خفى استتار واكتتام وترك ذكر خالد غير خالد ونسخ من صيته الطريف والتالد فلكم التصريح فى الحقيقة والتفرد بستر الاضمار وسابق الحلبة انما يعرف آخر المضمار فقد وقع فى مجلسنا الكريم موقع القبول وهب له من ايسارنا كل صباو قبول وتوفرت داعية رغبتنا الى اتمامه والملاع جنى زهراته من أكمامه لينتسق ان شاء الله تعالى فى سلك خزائننا العلية اسمه و يثبت بحمد الله فى فهارسها الكريمة رسمه والله تعالى يسدد لكم فى غرض التوفيق مراميا ويجعل قسطكم من التسديد زاكيا وتاميا والسلام

﴿فصل﴾ المكتوب له هذا المنشور العالى هو استاذى وخالى علامة العصر فى سائر الفنون وسر الدهر الذى كان فى ضميره عن النقص مصون سيبويه عصره وشافعى زمانه فى مصره تحفة عطارد وهدية الفلك لكل ماجد صاحب الحسب والنسب الزاهد العابد الذى لم تمض له طرفة عين فى غير طلب الفوائد تخرج على والدى ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم والعلامة الشمس الرملى ثم بعدهما انتهت اليه الرياسة العلمية وصدر الافادة والتأليف التصنيف وبه تخرجت وبعلمه وبركة دعائه انتفعت قدس الله تعالى روحه وجاد بسحب الرحمة ضريحه

﴿أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين القطب الربانى الشنوانى الوفائى وجده الأعلى ابن عم السيد على الشريف الوفائى التونسى منشأ ومولدا﴾ بحر العربية الذى استمدت منه جداول الفضائل وروض الكمال الذى قامت له الأغصان على سوقها فى الخمائل لو رآه المبرد بردبه الخليل أو أحمد لقال أفدى بالعين هذا الخليل فكم قرط وشنف وألف وصنف ولم أدر أماء الحياة أحلى أم بحار راحاته أم ماجرى فى ظلمات نقسه المكتحل من عين دواته أما ترى القلم بغير روح مسه فمشى وطرز حلل القراطيس ووشى فى طرسه جداول تشعبت أنهارها ونبت من السطور على حافاتها رياضها وأزهارها وأنوارها

فكأن الزهور فيها نجوم * ولذا قيل انها أنوار

وهو لعمرى ممن تشرفت الصفات بذاته ولذا سميت بالتوابع وتحيرت العبارات فى بديع صفاته اذ رأت مالم تره عيون المطامع وهو والدى واستاذى وخالى ومن التأم فى زمن

الطلب به شعث حالى وهو كما سمعته تلميذ لابى وتخرج بابن قاسم وهو الرحلة العلامة الذى هو لعقد الفضل فى جيد الدهر ناظم وله تصانيف كثيرة شهيرة كشرح التوضيح الذى قرط به آذان الدهر وتوج به رأس الكمال وهامة الفخر ونظم به فى جيد الفضل قلائد السطور فاقتضحت حلاوة القطر وطلاوة الشذور

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وكنت كتبت اليه مكاتيب بعد رحلتى وأسر الزمان لى فى طول غربتى منها ما صورته

وجدا صبا للعاشقين رسولا * فشفى باهداء السلام عليلا
قل للاحبة أنتم مذهبتم * لم أتق وجها للسلو جميلا
خلعت أيام الوصال قصيرة * ولبست ليلا للهموم طويلا

حرس الله تلك الذات التى بدرها لا يخشى سراره لازالت مشرقة فى سماء المعالى أنواره وكلأ منها روض كمال المجد أورانه وثماره وسقاها من وسمى النعماء كل صيب مغدق بل من ولى سجايا ه مايزهو به خصب كل ربيع و يورق وحيا الله ذلك المحيا وروى مواطن مواطئه التى يفاخر بها ثراه الثريا لازالت الفضلاء لا تنصرف عن ناديه لانه منتهى جموعها ولا برحت الفضائل من سحب بنانه مخصبا رسيع ربوعها كما قلت فى قصيدة تمسكت بأذيال افضاله وتمسكت بعبير نسمات اقباله

فرائد تزهو فى ترائب مدحه * وعندى لولا الجيد ماحسن العقد
سقى الله هاتيك الربى سحب راحة * لها نسمات من عوا طفه تحدو
فان بقاعا قد سقاها بنانه * لينبت فى أرجائها الفخر والمجد

وأنا أسأل الله تعالى أن يطفئ من البعد ضرام صداه بمشاهدة ذلك الوجه الذى يقطر منه ماء بشره وبداه و يحكم فى عاتق الفراق سيوف التدانى والتلاق فان العبد مادام فى أسر البعد فكره محبوس فى سجن الغرام والوجد متعلقة به أشراك النوى والنوائب فهو جازم بأن لا يرفع حجاب همه الناصب وكيف لا واناء القلب مملوء بولائك وثوب الحياة لحمة وسداه منسوج بيد نعمائك فأنت نور حدقة الزمان ونور حديقة الجنان (والسلام) فكتب الى رحمه الله

سلام شذاه يملأ الارض نفحة * تبلغها منى اليك يد الصبا
وتحملها هوج الرياح الى العلا * وتنشرها فى الأرض شرقا ومغربا
و يسقى ديار الروم والحوعابش * رذاذ كمال حل فيها وطنبا
وردعليه الغيم لؤلؤ حليه * فقضض هامات النبات وذهبا
لئن كان عن مصر توارى شهابها * فقد لاح فى دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيرى جوابك عن قلى * ولكن ضعفى للقريحة شيبا
وشرقنى دمع الأسى وأهاضنى * على أن قلبى من فراقك غربا

نأت بك ياقس الفصاحة بلدة * وخلفتنى بعد الفراق معذبا
فليت الذى شق القلوب برمها * وليت الذى ساق القطيعة قربا

سلام كعرف الروض جر عليه النسيم ذيله بعدما باتت كؤوس القطر تدار عليه نهاره وليله فأشرقت شمس نهاره على الروابى والبطاح وأقبلت ترشف ريق الغوادى من شفاه الشقيق وثنايا الاقاح ونشرت كافور الطل مسكى الشذا على مجامر الجلنار ونصبت على ندى الندا سرادقات من مخيمات الأشجار يهدى الى من ألفت اليه العلوم مقاليدها وملك من التحقيقات الفكرية طارفها وتليدها أفصح من وشى وجوه الطروس بخطوط المعارف وأسبل على عرائس الألفاظ فواضل المطارف لازالت عوارف المعارف عليه ممنه وذيول مجده من بحار المكارم مبتله (وبعد) فقد ورد علينا المشرف الكريم فألفينا عليه عصا التسليم واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التسجيع وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمعة الكئيب وألطف من معاتبة الحبيب للحبيب غير أن عذرى مقبول لا يرد وطول الأسى رفيق لا يود فان المرض لازمنى منذ سنوات ملازمة النجوم للافلاك ونصب لصيد الصحة فخاخه والشباك لا يفارقنى الا مفارقة الجفن للعين كالغريم ملح له على دين

كأن السقم محتاج لجسمى * لما ينفك عنه قيد شبر

ان أردت القيام من مضجعى فلا بد من معين وان مشيت فلا أستغنى عن عصا وقرين رفضت يدى القلم وظما لما حملته وجفا يمينى بعدما أرضعته من جداول النوال وغذته وارتعشت اليه افراقه أسفا وندما وصار وجدان الطروس بعده عدما وأصبحت كأنى من أهل الكهف والرقيم لا أعرف كم لبثت من السنين وان كان عندى المتعد المقيم (والسلام) وما شكاه فى كأس فالجر رماه بأوصابه فى دهر أثقلته عصائبه وعضته بالانياب نوائبه فكساه لباس اليأس والضر وخلع ثوب الحياة فقال (فثوبا لبست وثوبا اجر) فقلت لما أتى نعى وفاته مضمنا

رحم الله أوحد الدهر من قد * كان فى حلية الفضائل حالى
ذاك من قلت سلوة اذ نعوه * ليس حى على المنون بخال

والصراع الاخير شاهد لترخيم خالد كما ذكره النحاة ولما جاءنى الخبر أخبرت بموت الوالد أيضا فقلت فى مرثيته له

كأن الليالى غالطتنى ولم أكن * أقدر أن أغتر بالمكر والحيل
فقالت اذا أعطيتك الأمن عاجلا * من الرزء هل ترضى فقلت لها أجل
فجاءت بفقدى للذين أحبهم * وقالت لهذا كنت أعنى فلا تسل
لانى لا أخشى مصابا بعيدا ذا * فلله ريب الحادثات وما فعل

وهذا معنى مشهور فى كلام فصحاء العرب ولكننى تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفا يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب وفى هذا المعنى يقول الصولى

كنت السواد لمقلة * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وهو رثاء فى ابن له وأخطأ صاحب المواهب اللدنية اذ زعم انه رثاء فى النبى صلى الله عليه وسلم وعزاه لغير قائله وفى معناه قول الآخر

فكل ما كنت أخشى قد أصبت به * فليس من بعدهم من فائت جزع

وقال آخر

اعتضت باليأس منه صبرا * واعتدل الحزن والسرور
فلست أرجو ولست أخشى * ما أحدثت بعده الدهور
فليجهد الدهر فى مصابى * فما عسى جهده يضير

وقال أشجع

لما أتانى رزؤه وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وقال غيره

لعمرى لان كنا فقدنا السيدا * يحق لنا طول التحزن والهلع
لقد جرعتنا فقدنا لك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقيل لأم الهيثم وهى امرأة مع بلاغتها العالم باللغة والازهرى كثيرا ما ينقل عنها فى تهذيبه الما مات ابنها ما أسرع ما سلوت عن الهيثم فقالت أما والله لقد رزئته كالبدر فى بهائه والسيف فى مضائه والرمح فى روائه والله لقد فريت كبدى وتصدع قلبى لفقده وبعده وما اعتضت به الا الأمن من الرزايا بعده وقد أوضح هذا المعنى من قال

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وهو باب واسع لو أردنا نظائره صحبنا ذيل المقال على أثر الملال فلنقتصر على مقدار الكفاية منه

(محمد الفشتالى)

وزيره ولاى أحد أدباء فاس وريحانة فضلائها الا كياس تقدم فيها متقلدا قلادة انشائها فاقتفا بر سائله على سائر أدبائها وكان فى عصره من أجل وزرائها راقيا فى حال الحبور تسم له الدولة الأحمدية بثغور السرور وعاد الى القسطنطينية رسولا من ملك الغرب والعود أحمد معينا للسفارة وهل أحد أولى بالرسالة من محمد لانه ممن ألفى فيه مقاليد النهى البشر وصلت اليه يد التدبير فاتبع الرأى والحذر وكابد بها كثيرا ما يحلو على كأس أنسه ويسامر فى بليل سمره ونفسه ونحن فى مضمار المحاورة نتجارى حتى مضى لنا معه أو يقات أقصر من ابهام القطاة والحبارى وأقصر من عمر تلاقى الأحباب بل سالفة الذباب لانه ممن أحكم عرى المجد وجذب عنان الشعر وأحكم الحل والعقد فمكنت اذا جاذبته أهداب الآداب وأجلت فى ناديه قداح الخطاب كأنى جاث بين يدى الفرزدق أو جرير لانه بصير بعورات الكلام خبير ولما ورد الروم كتبت له مهنيا بالقدوم

قدوم له هذى الثغور بواسم * وليس له غير الزهور مباسم
مسرات اقبال وعزم قوادم * عليها لطير اليمن رفت قوادم
على فترة وافيت للروم مرسلا * فضاءت بنور العلم منها المعالم

فهل أهدت الأيام أعيادها لنا * ففي كل وقت منذ قدمت مواسم

هذا هناء عرائسه على الألباب مجلوة وآياته المحكمة بلسان الزمان متلوة سرت به الليالي والايام حتى كأنه في فم الدنيا ابتسام ولعمري لقد أبان هذا الرسول من المرسل كماله ولا غرو أن خص محمد في زماننا بالرسالة قد وم ذهب الاقي في البكر والآصال وهبت على رياض مجده نسمات الاقبال وقد جريت في هذه التهنئة من الادب على سننه وأردت أن تحيي بها فرائض مذهبه ومؤكدات سننه فمن مولانا تجتنى ثمرات الالباب وتطرز حلل المعارف والآداب فهذا زمان طلعت فيه الشمس من مغربها فان فتح مولانا كنوز فكره فالعبد أحق بمطلبها (والسلام) فأجاب بقوله

جذيل حكاك قد رمى بعظيمة * كتائبه الاثفى وهن عظائم
وذكر في الظعن الذي قد نسيته * فتى مبشر بل منذر لا يقاوم
كأني بالفضل الذي هو أهله * يغطي عراقا وهو بالنقص عالم

طالعت أبقاكم الله الصحاة التي لو رآها الفتح لما انفتح له الى الاحسان باب ولوطالعها البديع ما ارتدى من حبره بجلباب أقسم بتلك الفقر والقوافي وهن القوادم في جناح الاحسان والخوافي لقد سقتني من الانس بعد المحو كاسادهاقا وملأت فكري وهو المظلم بتناهي السكن اضاءة واشراقا واني لتارك لعتاب الليالي اذ جمعتنا في هذه الديار بامثالكم لازلتم تقيمون رسوم المعالي وتجمعون في المكارم بين المقدم والتالي بمنه وطوله (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وله ما شعرت تشربه أفواه الاسماع وروض منثور تغرد حمائم قوافيه بمطارب الاسجاع فما دار بيني وبينه من كؤوس المخاطبه وجال من جياد القول في مضمار المكاتبه وانا مسجون بالروم وليس لي غير القضاء والقدر سجان في ديار ترى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان قولي ملغزا في حيات الاحداق الملتفة تحت أغصان المعاطف على كثب الارداف

أيا روضة ظل * وشمس معارف تعلو * ويا من قوله فصل
وعنصر ذاته فضل * أبن لي ما مقيدة * بردف ماله وصل
بلا قلب محجبة * وفيها العقد والحل * على باب المسرة أو
على كنز الهوى قفل * ويحسن عقدها الكف * اذا حليتها تحلو

﴿فاجاب وأجاد﴾

وفكر طله وبل * لندب فضله أصل * ونظم أرفع الشهب
لادنى قدره نعل * لهذي فتكة بكر * عتا في بدئها أصل
وحزتم قصب السبق * فلم يبعد اسكم خصل * وفزتم من ثنا جزل
بما ليس له مثل * فلا زلتم ولا زالت * بكم ساعاتنا تحلو

﴿وكتبت له ملغزا أيضا﴾

أيها المفرد الذي صار جمعا * في المعالي ورق لفظا وطبعا
أي شئ لدى السموات يفنى * وهو في الارض بالجراءة يسمى
ذو ثلاث وأربع ان عددنا * وتراه اذا تحققت سبعا
فاجبني بجوهر من نظام * كي أحلي به لسانا وسمعا

فاجاب وأجاد

يا بديعا حاز المحاسن طبعا * وكريما له المحامد تسمى
لي لغزا أهديته في برود * من معان كأنها وشي صنعا
حاكه فكر ماهر قد تناهى * في ضروب البيان أصلا وفرعا
خامس من بروج دائرة الشمس * وفي الغاب بالضبارم يدعى
لبادين فكره تتبارى * سبق عندها السوابق صرعى
شقر ذات البراع مع دهم نفس * شهب طرس يرضيه حسنا ووضعا
يسعد الكف ساعداها القويا * ن ومالاطعان ضاعفت درعا
والقوافي تميل ميل الغواني * للفتى حين يشبع الشيخ صفعا
ان عهدي بالرمي عهد قديم * أنت أقوى على فسيلة نزعا

وهذا يشير الى قول أبي حية النميري

رميت وستر الله بيني وبينها * عشية أجار الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها * ولكن عهدي بالنضال قديم

وأنشدني قصيدة هنأني فيها بفتح لما اخترته منها قوله

بشرى تزف من الزمان المقبل * بمنصة الجذل الذي لم يرحل
يا نجل فاطمة وكل مفاخر * فهو المفاخر دركم بالجندل
لولا ضياء المشرفية والقنا * ضلت كتائبهم بليل أليل
بعساكر ردت بعثير نقعها * عين الغزالة في الرعيل الاول
خطيت سيوفك في منابرها مهم * خطبا تذيقهم فظيع الحنظل

﴿ومنها في ختامها﴾

هاكم أمير المؤمنين قوافيا * فاحت مجامرطيبها بالمندل
بمديح أهل البيت هزت معطفا * هزوا بمدح جريرهم والاخطل

وقوله في جواب اللغز السابق حين يشبع الشيخ صفعا من مخرج الجد بالهزل وعليه فانظرة قولي في النتف التي سميتها بالشهب السيار وهو

قيل ان كان في الشباب سرور * فبياض الوجوه خير وقار
قلت ردوا الشباب لي واصفعوني * واجعلوني سخرية للصغار

والشئ بالشئ يذكر وأجاد التعاويذي في قوله

وعلوا السن قد * كسر بالشيب نشاطي

كيف سموه عاوا * وهو أخذ فى انحطاط

وقوله بعد ما كر ربدت الى آخره كقول الارجانى

والشمس فرط سناه أرمد عينها * فكحلتها أيدى الجياد بأثمد

﴿ومنه قوله فى التنف أيضا﴾

وليل زارنى والسعد رافى * على رغم المنافق والمداجى

رأى ليلى عيون الشهب رمدا * فعصبها بمسود الدياجى

وأنشدنى من قصيدة له قالها وقد دعاه داعى النجاح وأسفرت له شمس الظفر من خلف سنارة الفلاح وأنشدته المسره قول شيخ المعره

ابق فى نعمة بقاء الدهور * نافذ الامر فى جميع الامور

وقد قدم من غزاة صدع بها شمل الكفر أى صدع بعد ما خط على صحف البسيطة سطور جيش مترية بالنقع غض بعثيرها الوهاد وسربها الفضاء فتضمخ من دم الاعداء بالجساد والريع قد نقط تلك الصحف وشاها وخط فى جوانبها النبات وحشاها

وكسا الارض خدمة لك يا مولاى دون الملوك خضر الحرير

وغدت كل روضة تشتهى الرقص بثوب من النبات قصير

فهى تختال فى زبرجدة خضرا وتغذى بلؤلؤ منثور

فقدم وله من ذنوب الدهر صفح والقلاع تعرب عن رفع عزمه بعد ما بناها على الفتح فى يوم عده عيدا السرور فهو ملء العيون ملء الصدور فقام بين السماطين وهو اذا رئس كتابه وناظم عقود الجوهر فى سلك خطابه مهنأ ومنشدا وفى رياض نادية مغردا بقوله أيضا

قما يا لجفون فى سطوة الملك وقد أيدت بحسن الفتور

وظبا ها التى بها تحتمى فى * حوزة الصون بارقات النمور

و بخد يكنى أبا لهب تذ * كى يد الحسن ناره فى الضمير

و بروض تدب شوقا اليه * عقرب الصدغ فى ليالى الشعور

اهجرنا المنام حتى تناست * بيننا للخيال طرق المسير

يا ظباء سخن ملتفتات * متلعات أجيادها للنفور

أمن الله روعكن فانى * أرتجى وقفة تونت مسير

ومنها نسمة فى باب الامالة تسبى * على اللين فى القضيب النضير

ما عهدنا ريم الفلا وغصونا * تشرق الحسن فى برود البدور

رافضات مهدنا هل لوصل * من رجاء يطفى اغلبى الحرورى

ذاب شوقا وأنفق العمر صبا * فرضاكم وماله من شعور

كان خدى مجرى السوابق شهبا * بادیات فى لونها المستنير

فاستحالت حمرا وسكن طورا * من أحاديد جريها فى حفير

يا معتكاف يحكى جهاد جياد * مدمنات على السرى والبكور

ومن مديحها يا نسيبا أنت المقدم فى المد * ح فلست ترى لكم من نظير

كم نظمتم للحق عقد اعتزاز * ونثرتم بالحل نظم الفجور

و بضرب الهندى كم قد طرحتم * من ضروب العدا بجمع المكور

وأدرتم عليهم للمنايا * أكؤس المنزل بكف المدير

دام فى العز ملككم و بيمنى * عزمكم للفتوح سيف الظهور

ما جرت أنمر الدرارى بعضما * رميا دينها بطول الدهور

قوله يا نسيبا الخ كقول بعضهم مضمنا من قصيدة نبوية

له النسب العالى فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ولله در ابن خفاجة فى قوله

مليك تبسم بشر المنى * بمرآه وامتد خط الامل

فلم أدر والحسن صنوله * أأبدأ بالمدح أم بالغزل

وكتب الى وقد أصابته حمى فاقتضى ذكر اشتياقه و يشكو ما منعه من ملاقاتى وعاقه أنا فى غربتى وعلتى ونار خليلى لم تبل بملاقاته غلتى لا أظن نسيان الاخوان وأعتذر لتقصير الزمان

كان زمانى خاف لحظا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين باوطان

فكتبت اليه كفاك الله ما تخشى وغطى * عليك بظل نعمته الظليل

أعز الله تعالى أنصار الفياض والحسب وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة بالأدب بيقائك محروسا من هجوم الخطوب محفوفا بسور منيع من احاطة القلوب وأصوات جرس الدعاء مرفوعه وسدته بحجاب الصنائع ممنوعه وله من عطر الثناء نشر انتشر فلا يحل حتى يمل نسيم السحر والدهر وان كان ذا غير من تفكر فيه اعتبر وكيف يتسلط عليه بآلامه وهو لا يتسلط على أيادى انعامه فانهم به ونعمته سائغة عليه فقد وردا تنى شمر من تحسن اليه

أتهدى له الايام سقما وانما * مساعيه فى أعناقهن قلائد

فان اعتل فانما اعتل الكرم والكمال وان مرض فقد مرضت الامانى والآمال والقلوب والارواح وان دعونا له فانما ندعو لانفسنا بالصلاح ورب مريض لا يعاد فلا يحرم الاجر مريض الفؤاد فلا أقول

باليت علته بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

وقد بلغنى قصده الياسليق وأنه قد بكى دما عرقه العربق

وبات اعتلالك يبكى دما * وتضحك فى جسمك العافيه

وعرق الحمة له فى كل منبت شعرة عين باكية تبكى بدموع العرق على فراق العافية وليس ببكاء وانما من استغرب فى الضحك قد تدمع عيناه كما أن الحزين قد يضحك دهشة مما دهاه فاضحك الله تعالى ثغر صاحبه كما ضحكت بأشير ضحته وهنأ الله تعالى الوجود بسلامة

الكرم والجود وأطلع كوكب سعده فى أفق الافاقة والاقبال فان لكل زمان مقبل غرة وهلال (والسلام)

﴿فصل﴾ دعانا مرة داعى الصبا لخرق منا ما حركته من عذبات البان أنفاس الصبا الى روض أنيق وواد تزوره السراء من كل فج عميق نبهت عيون أزهاره أكف نسيم السحر وبطت على قدود قضبه بعد اخضرار عاض ربيانه تمائم الزهر

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فى مجلس سكرت فيه أيادى المدام فرجعت أصواتها ترجيع تمتام وفاض مع خلان وخلص اخوان كل منهم قرة فى عيون المسره فيه طراز حلل الليالى وروضة تنبت أنوار المعالى تتحاسد عليه القلوب والعيون وتختم به صحف الطرف وختامه مسك يتنافس فيه المتنافسون قام لديهم ساق كالف على سين أعطى قافه للابريق أوغصن عبثت به الصبا فكاد يعقده من اللين ذيل حواشى لطفه الرقيق لولا كثيف كثيب ردفه القائم عليه هيف عطفه لولا سهام جفونه انتظمت * عقدت على وجناته القبل

فنادى حى على الصبوح هلموا الى ريحانة الروح شقيقة نفس الانسان صابون دون الاحزان دريأق ملسوع الغموم مطيب نفوس يرتحل بها من منازل الهموم بازله دستبان من ذهب يصطاد به سوالح الفرح والطرب حيث لا يسمع صراخ لغير الاوتار ولا بكاء الا للقنانى ولا رقباء سوى عيون الازهار فلم يزل يحكم فيهم الكاسات ولا يسمعون من عذب ألفاظه غير خذوهات فى يوم شابت ذوائبه من قبل ما طرز بالعيشة شاربه فلما دنا المسير وغاب بدر الكاس المنير قام بعضهم تمثلا سكران وذهب حافيا رجلان فنسى نعله وأودع عند الخمار عقله فكأنما فر هاربا لما طرح أحمال أحزانه ورماها وألقى صحيفة فكره والزاد حتى نعله ألقاها فكتبت اليه أعزيه فيها فأخفف عنه مصائب الدهر وأرثيها بقولى على لسانه مداعبا ومفاكها له مطايبا

لقد خاننا دهر وكنا به نعلو * يود هلال الافق لو أنه نعل
وقد كان لى شمل فشتت شملها * وما الدهر أهل أن يدوم له شمل
وكانت تقى بالنفس رجلى فأصبحت * تفارقها من بعد ما آذن الثكل
وقد كنت ذا بشر فأصبحت حافيا * وكم حزنت من بعدها الكعب والرجل
فكم صحبتنى فى سرور وشدة * ولم تتخلف عن مرادى ولم تعل
ونقلت الاقدام للراح سحرة * فعدت ولا عقل لدى ولا نعل
كذلك عادات الشراب وفعله * فما اختاره مضنى به وله عقل
وأنشدت خلى حين ضاعت ولم يكن * ليسعفنى فى ذلك الحادث الخل
وان أخلاء الزمان غناهم * قليل اذا الانسان زلت به النعل
فأنشدنى بيتا يثبت مهجتى * لكيما فؤادى عن محبتها يسلو

تزود من الدنيا متاعا لغيرها * فقد شمرت جيداء وانصرم الحبل
فلم فى عليها حين أمست شهيدة * وقد جادها بالدمع قطر له هطل
وأمست على وجه الثرى دون دافن * ولكن بكف السحب أمسى لها غسل

فلما سمعها الفشتالى استظرفها جدا وكتب له

رأيت أديبا واضعا كف حائر * على ذقن اذلاله موم بمشغل
فقلت له هل بان الف لوثته * نوى قذف أم لا يرجى له وصل
فقال علمتم أن جارية يدى * وراحلتى فى كل نائبة نعل
خرجت مع البازى لحان مدامة * رجاء سرور والطريق بها وحل
فأبت وبى من حادث الدهر لوعة * يخفى حنينى لاثراء ولا عقل
فأت عن أديم الأخمصين وقاية * ومابى شعور اذ تخطفها الوبل
كذا فليجل الخطب فى وثباته * بكل كريم لا يفارقه فضل
وفى كل قلب للخطوب مآثم * يحق لأرباب القريض بها شغل
فقلت له ان العيافة تقتضى * بتحجيف نعل ان قدركم يعلو
تعود دهر جودكم وأتى له * فألقت اليه عند ذا نعلها الرجل

وكتب اليه الاديب زين الدين الاسعاردى الحلبى

تعز أخى ان كنت ممن له عقل * ولا تبد أحزانا اذا ذهبت نعل
ولا تعتب الدهر الخؤون فدأبه * لعقد اجتماع الشمل دون المدى حل
لحى الله دهرا لا يزال مولعا * بتشكيك صفو العيش ممن له فضل
يفرق حتى شمل رجلى ونعلها * أشد فراق لا يرى بعده وصل
فأشتت فاصنع ما اللبيب بجازع * ولا تارك صفوا اذا زلت النعل
بخفك قم نسعى الى الراح سحرة * نجدد أفراحا لكل صدا تجلو
الى دار لذات وروض مسرة * برحب فناها من غصون المنى ظل

ولابن قلاقس وقد سرقت نعله

قل لنجم الدين يا من تهتدى * من محياه باسنى قبس
ما الذى أوجب عودى راجلا * بعد أن وافيتكم ذا فرس
خلعوا نعلى لما علموا * أننى من ربعكم فى قدس

﴿تتمة﴾ يقال فى المثل للمتساويين فى الخير فرسا رهان وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار ابتداء الجرى لتساويهما حين الارسال وأما فى المنتهى فيغلب سبق أحدهما فكيف يجعلان متساويين وقد ضربت أنا المثل للمتساويين فى الدناءة بفردتى النعل وثورى الحراث فانه لا ينتفع بأحدهما دون الآخر فقلت

وشبلين هما ما افترقا * منهما الدهر أبو الغدر استغاث

منل فى المتساويين حسنا وقبحا

فكان اللؤم قد صاغهما * فردتى نعل وثورى الحراث

ولقد ضربت العرب المثل فى هذا برجلى النعامة فقال الشاعر

وانى واياها كرجلى نعامة * على كل حال فى غنى وفقير

قال القالى فى أماليه أى اثنانى فى اتفاقنا لانه ما من بهيمة تشكر احدى رجليها الا وتنتفع بالاخرى غير النعامة انتهى ولما قدم رغب فى صحبتى وخطب راغبا مودتى وود انقطاعى عمن سواه فلما رأيت محبته وصدق مدعاه كتبت اليه

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب * متى فقدت غر المناقب من صحبى

فهل فى حماها نفحة عنبرية * قد استودعتها الريح من نفس الركب

وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها * حمائم بان فى الربى طيرت لبى

وهل من عهود قد تقضت بقية * يوفى بها حقى ويقضى بها نحبى

سقى الله عهدا للأحبة صيبا * من الطرف تغنيه عن الوابل السكب

وهيف غصون جادها هاطل الغنى * فتنبت أوراقا من الشجر القضب

وكل خليل رق رق الود صافيا * فكل ملام فى محبته يصبى

أصدق فيه الظن من ضن به * على كل شئ قد عرفت سوى قلبى

وما ذا الذى من سوء الفعال جبلة * فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

هذا معنى غير ما قاله المتنبى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

والحديث شجون ومنها

اذا غاب بدر التم ظلت مراقبا * لمطلعه من مشرق العين والغرب

ولكن شمس الحسن من وجه منيتى * اذا برزت للناظرين بلا حجب

كذلك شمس الغرب أشرق شرقنا * بفضل له قد شاع فى العجم والعرب

وقد كنت قد مانبت عن كل خلطة * تنكد عيشى وهى من أعظم النكب

فلما صفا منه الوداد ومشرب * يروق لظامى زيد عن مورد عذب

فقضت على حكم المروءة توبتى * وقد طلعت شمس المعالى من الغرب

وبعد الشعر فصل مولاى أحمد قد ملأ فضله الجبال والوهاد فسد على حساده طرق الجحد وحاز السيادة من ساعة الميلاد فانك مهدى الهامن المهد وهو يعلم أن عقائل الوداد فى خدود الخمول كمينه وأنها لا تتجلى لغير المحرم ولا تبدين زينه فان الزمان مشتق من الزمانه والاخوان انتقلب قلوبهم من الخيانة وان أطلع السباخ النخلة الفينانه فقد تنبت المرعى على دمن الثرى وتقطع الأزرار ملهاما من ضيق العرى وما كل جوهر له مشترى وما كل صاحب يعرف قدر العسكرى فلذا نفرت حتى عن ظلى وقاطعت حتى ولدى وأهلى لكن مالك من حسن الأخلاق جذب للك مودتى بالاطواق (والسلام) (قولى وما كل صاحب الخ)

اشارة الى ما ذكره ياقوت فى معجمه من أن الصاحب ابن عباد تمنى لقاء أبى أحمد العسكرى فكاتبه فى الحضور له فتعلل بكبر السن فلما يئس منه جذب السلطان لذلك الصوب وسار معه فحين أتى عسكر مكرم كتب له

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا وما تقوى على الوخد ان

أتينا كم من بعد أرض تزوركم * على منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بجلء جفون لا بجلء جفان

فأجاب بنثر ونظم منه

أروم نهوضا ثم يثنى عزيمتى * تعودا عضاهى من الرجفان

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما * تعمد تشبيهى به وعنانى

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما قرأه استحسنه وقال لو خطر ببالى هذا المثل ما أرسلت ذلك الشعر لكننى ذهلت عنه ثم ان العسكرى قصده مع جم غفير من تلامذته فى ساعة لا يصل اليه أحد فى مثلها فحجبه الحجاب فرفع صوته بقول

مالى أرى القبة الفيحاء مقفلة * دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها

كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاك فأدخلها

فناداه الصاحب ادخلها يا أبا أحمد فلك السالفة فبادر له الخدم وحملوه حتى جلس عنده فأقبل عليه ورفعه الى أرفع مجلس ثم تحادث معه وسأله عن مسئلة فقال له الخبير صادفت فقال له مازلت تغرب فى كل شئ حتى فى المثل السائر فقال تفاءلت من السقوط للحضرة قادر عليه وعلى من معه صلات كانوا يأخذونها الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فانظر ما فى هذه القصة من لطائف الآداب وما للصاحب مع جلالة قدره من مكارم الأخلاق الذى طيرذكره فى الآفاق وخلده فى صحائف الدهور وهكذا فلتكن الصدور ولما أراد العود الى المغرب قال لى عندى أمانة من مولاى أحمد لا أرى غيرك لها أهلا ومحلا فطال العهد ولم أرلها محلا فقلت ان محلا وان مرتحلا فلما أزف الرحيل كتبت له رقعة فيها أطال الله عمرك طول مواعيدك وجعل آمالنا الكمونية مورقة من سحائب جودك ولعمرى لقد طال المطال فعرقوب لا يبلغ عرقوبه وزاد العتب على الالحاح والعتب بغير جرم عقوبه ولو لم يكن أملى أضعف من الذباب ما ارتبط بحبال العنكبوت على هذا الباب فتنه أنت ما أحلمك واصبرك على كثرة السؤال والجواب ولم أر مثلك فى الجود اذ بذلت لى الوفى الوفى من الوعود ولم تلمنى على مقابلتها بالكفران وها أنا ذا تائب شاكر لهذا الحرمان اذ لم يكن لمثلك على منه وأحمد الله على كل حال متبعا للسنه وقد كان يعجبنى قول أبى محمد الحكيم

لبس الثياب وتشييدا القصور وفى * تلك الثياب رأينا أنفا خربه

لأشعر بن رجاءى ألف مقرعة * فيكم وأصلب آمالى على خشبه

فلما رأيت بعد العهود وطول حبال الوعود قلت

طالت مواعيدك ياسيدى * والعمر قد يقصر عن ذا المطال
نخلت آمالى ايما دربة * قد علمتها المشى فوق الحبال
ولو ترى منسلا انهار بما * جرت على فرحتها بالنوال

واللائق بالعارف بالزمان أن لا يعتب على أحد من الاخوان فان الدهر خرّاف وهو ولوسال شقيق شقيقه درهما لقال أودى درم فرحم الله الكرام وعلى الجود الرحمة والسلام وهذه رقعة قصدت بها المزح والمجون و رياضة الطبع الحرون وقولى أودى درم مثل قول الاعشى ولم يود من كنت تسعى له * كما قيل فى الحرب أودى درم

قال السكرى فى شرح ديوان الاعشى درم هو دب بن مرة بن ذهل كان النعمان بتطليه فجهزله سرية فلما ظفر وابه مات فى أيديهم قبل وصوله للنعمان فلما سأل عنه قالوا أودى درم فذهبت مثلا انتهى وقصدت به الدرهم لان الدرهم فارسى معرب وأصله درم وقد يتلفظ به على أصله ومثله قولى فى الرجل الجليل يكون خاملا لا يواسيه أحد فاذا مات عظموه وتأسفوا عليه

بكى الخلق ذا الفضل لما مضى * وقالوا ألا ليته لم يسلم
ولو كان يسألهم درهما * لقال له الناس أودى درم

﴿فصل﴾ ذكر لى يوما أنه مشتاق للغناء مستوحش لظلمة التناءى فقلت ماجوابى لك غير قول أبى العيناء للمتوكل وقد قال له قد اشتقت لك يا أبا العيناء فقال له ياسيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه وأما السيد فتى أراد عبده دعاه وما أكذب الشوق بالمقال ان لم تقم عليه شواهد الاقبال وقد شرح حالتى التناءى والتدانى قول ناصح الدين الارجانى

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم * يطلب لمولى العبد منه هارب
فاه تعطفا وتاه رقة ولطفا ثم قال لى من أى معنى أخذه قلت لا أدرى فقال هو من قول المتنبى اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم
فابدأ وأبدع وأعلم انه من الادب بمرأى ومسمع ومنه أخذ القائل
ليس ارتحالك لترتاد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر
والمتنبى أخذه من قول الطغائى

وما التفرب بالبيد القضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى التفر

ولما رأى وزراء الروم وماهم عليه من دارس الرسوم من تكبر بلا تغير جى وتبختر كل دابة منهم حتى العرجى قال أهؤلاء عنى الغزى بقوله

من آلة الدست ما عند الامير سوى * تحريك لحيته فى حال ايماء
فهو الوزير بلا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فذيلته بديهة له فقلت

عسى تدور عليهم دائرات ردى * تقطعهم تقطيع أحشائى

فقد شابه الرئيس المرؤس وقام على جزب الابدان قرع الرؤس وماهذه الدول ان لم يعرها

الآن

الآن خلل الاكسقف العمياء وقبة الخضراء قائمة بلا عمد ولا أطناب ولا وتد فهى كبيوت الاشعار لا تظل فى حضر ولا أسفار كما قلت

جيوش ما لها فى الملك نفع * حكت صورا تصوّر فى كتاب
رأيت قتالهم من غير نبل * كمثل الضرب فى كتب الحساب

وعلى بحر العروض يجبنى هنا قول الارجانى

راع الفؤاد نوى الخليط ولم يكن * قبل النوى من حادث بمروع
وأرى فؤادى فى الزمان كأنه * بيت العروض يراد للتقطيع

وللخطيرى وعرض بلا ذنب يقطع دائما * كبيت عروض والحوادث أحوار

وقلت فى معناه دوائر أفلاك تلوح بحورها * باصغار نجم قابلتها بنصر يع
كما خط فى رسم العروض دوائر * جميع الذى فيها معد لتقطيع

وقلت أيضا وانى فى تضييع ما قد جمعته * لاجل الذى يولى الوزير من الغنى
كبائع بيت كان فيه مقره * يقول كفانى بيت شعرى مسكا

﴿محمد بن ابراهيم الفامى نزيل مصر﴾ شمس فصاحة طلعت فى آخر الزمان من المغرب لو رآه ابن سعيد انسى بفاكهته مفاكهته ذكر المرقص والمطرب ما كنت أظن المغرب تنجب له بمثيل ان الزمان بمثله لبخيل ارتحل لمصر واختلط بناسها وميز حال فضولها وأجناسها ولما قدم كتبت له خاطبا العقائل وداده جالبا كؤوس المؤانسة على فؤاده

أيا شمس أهل الغرب شرفت مصرنا * وقلدته عقدا نفيسا من الانس
فصار ربيعا باعتدال قدومكم * ولا بدع فيما قلت فى شرف الشمس

وكانت حالى معه حاليه وموارد أنسى به من فذا الاكدار صافيه أراضعه ثدى الآداب وأتخذه ممن موذته تدخل بيت القلب بغير اذن وحجاب الى أن ارتحل الى المحله وجعل كرم فاضلها مقر أمله ومحله وفارق أخلاءه وصحبه لما كابده من صحبة الامرين الفقر والغربه فانعطفت عليه أغصان المسرة والهنا وأقام فى رياض المكارم تحت ظلال المنى الى ان حالت الحال واذنت شمس حياته بالزوال فغاب بنفسه وغاب فى مغرب رمسه بعد ما وقف على أطلال الهمم باكيا على دارس رسوم الكرم وكان مغرما معى بالمزاح لا يسأم الملاعبة ويبرد الجد عنه غير مزاح وأنشدنى له يوما قوله

حكيت ابليس خدا * وسورة من عوره
ياسائلى عن العمى * عندى نصف خبره

فقلت له قد سبقك الى هذا الباخرزى فى قوله

فلا تحسبوا ابليس علمى الخفا * فانى منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناى لى وهو أعور

وهو من قول الآخر

قف على ان لفظ الدرهم فارسى معرب واصله درم
محمد بن ابراهيم الفامى
اعلم ان هذا كنت سمعت هذا المضمون من تراك السلجوقى النخدى ينقله عن الرومانى الشامى واضف ان الرومانى ينقله لوقوفه على هذا المحل
٧ عهد روسيا

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بى الحال حتى صار ابليس من جندى
ولومات من قبلى لاحييت بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

وكان اذا أغار على معنى أغار ولا يبالى بأنه يرى مغزاه اذا انجلى الغبار تبعا لمذهب القائل

فان الدرهم المضروب باسمى * أحب الى من دينار غيرى

كقوله

يا نار كثر بالقهوتنا التى * تجلو صدا القلب الكئيب العانى
فى ترك مثلك شربها لى راحة * توفيرها وطهارة الفنجان

وهو من قول ابن الرومى

يا لائمى فى الراح غير مقصر * مازال ظنك سيأفى الراح
فاقل مافى ترك مثلك شربها * توفيرها وطهارة الاقداح

ولم يزل بالله معروفا و بغزلان النقا مشغوفا لاسيما اذا تفتح عن ورد الخدود أكمام العذار وشاهد صنع الله الذى يولج الليل فى النهار

وقالوا أتت كتب العذار بعزله * فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولى

و يقال ان هذا الامر أذهب خبره وخبره ومحا بيد الفناء عينه وأثره حتى عصفت رياح المنية بروضه الخشيب وعصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب فاحتضر واختصر بامر الملك المقتدر لازال جده نضرة من رياض الجنان ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان فمن العنبر الذى أذكته مجامر فكره وقذفته فى سواحل المحاورة بحور شعره ما أنشده لى من قوله مضمنا

قل للقضيب وراح الريح تعطفه * أثنا برد من الازهار منتصح
أشبهت قامة من تهواه لو طلعت * أهلا لشمس وفقت المسك فى الارج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ولابن أبى حجلة مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وأنشدنى له أيضا مضمنا

أأسلو فى الهوى طعم الهوان * ورب الحسن مأهول المغانى
ومن أهواه واصلى جهارا * وصرت من الرقيب على أمان
وقد حل العذار بوجنتيه * بمنزلة الربيع من الزمان

وأنشدنى قصيدة منها

أتسيل دمعى ثم تسأل ماجرى * عجبا لعمرك ما رأيت وما أرى
هذى دمائ نفس هواك أذابها * فهمت على خدى فجيعا أحمرا

ومنها

من كان يقبضه جلال الحب عن * بسط الجمال فلم يزل متحيرا

فانا جمالى الغرام وهكذا * ورد الجمال الى ان تراه مكدرا

﴿ومنها فى حسن الختام﴾

واليكها والحسن بعض صفاتها * بكرا تحاكيها الملاحة منظرا
قد زفها فكرى اليك ومهرها * نقدا القبول وحقها أن تمهرا
حاشاك تهمل ملها ويعرف قدرها * من قد ترى بين الثريا والثرى
ختم البيان بها فكل سليم طبع صار من عجب بها متحيرا

﴿وله فى الهجاء مضمنا﴾

لقد قلت للطورى لما بدا لنا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
يوجه كليل الهجر أسود حالك * ألا أيها الليل الطويل الا انجلى

﴿ومما أنشدنيه لنفسه قوله﴾

ولما دار بالخدين نبت * حكى عصر الصبا قبل المشيب
تيقنت الوصال وليس وعد * هنالك ولا خلق من رقيب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

﴿وأنشدت له قوله فى معناه﴾

على خده من ذلاح نبت عذاره * جرت أدمعى فى الخدات صبيب
اذا ما استدارت دارة البدر حوله * فما وقوع القطر غير عجيب

﴿ومما أنشدنيه قوله من لفظه مضمنا﴾

يا سالب الغصن لين القد والميل * ولابس الشمس ثوب الحزن من خجل
ما شان خدك نبت بل صفا فتراءت فى سناه ظلال الهدب والمقل
فاثبت على حبه يا قلب تحظ به * فهل سمعت بظل غير منتقل

ومعنى البيت الثانى مما سبق اليه كقول الارجانى

أعد نظرا فما فى الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الحد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

﴿ومما قلته فى معناه مضمنا﴾

صقيل خده وه مرآة قلبى * وماء الحسن رق به وراقا
تحيط به العيون اذا تبدى * وهل طرف يطيق له فراقا
تخال ورقة الاهداب فيه * عذارا قد كسا بدرا محاقا
وظلنا نجتلى منه محيا * كأن عليه من حدق نطاقا

وكان يهوى بمصر غلاما وقد دب ظل العذار على ورد خده و جعل حارس الحسن ينفح جمره سياج ورده هام به هيام سعد بن أنيس بورده ووهبه روحه لابسة حلل المودة فكان لا يسر الا اذا اصطبح من عذاره بالآس ثم لما أدركه الغرق من الوجد والياس عمل فيه

من زوجة لم يدركها مدرك فكان ذلك سبب الصدع المهلك فارتحل لانتضاحه للمحلة السكرى فكتبت له اذ ذاك قصيدة لأجتدله الذكرى منها

من لم يدم ذكر الحبيب الناسى * ومعاهدا فيها فليس بناس
بى من كساجسمى السقام وعلمنى * بمدام دمعى ياله من كاس
فى نقطة من خاله يرجو الوفا * دمع زبادته بغير قياس
لما خشيت على السكرى من مدمعى * أودعته فى طرفه النعاس
يقسو على فؤاده بالبته * يعديه لين قوامه المياس
تالله ماحبى لعارض خده * كالورد بل حبى له كالآس

ومنها ياجوهر المجد صار مجردا * ما أنت الا الروح للاكياس
لولم تحدث عن شمائل الصبا * لم تكتسب ذا الطيب فى الأنفاس
يارا حلا عنى ومجرى مدمعى * مافى وقوفك ساعة من باس
عقد على جيد الزمان منظم * روض له ظل على الجلاس
لم أستطع وصفى لعيب صبابتى * من يودع النيران فى القرطاس

ومنها فاستجابها بكرا نتيجة ليلة * صهباء سالبة عقول الناس
لازال يانسان عين العصر من * ذكرى بسالف عهدك استئناسى

مولاى أما الشوق فقد اشتعل ضراما وكاد عذابه أن يكون غراما حتى قال فم الجفون بلسان الدمع يانار كونى بردا وسلاما فانى ألقى الى كتاب كريم فاح منه شميم عرار نجد وما بعد العشية من شميم فمتعت بما هو أحلى من الوصل بعد الهجر ومن الامن بعد الخوف ومن البر بعد السقم ولم أدر أطيف منام أو زائر أحلام أم قرب نوى بعد البعاد أم حبيب وافى بلا ميعاد من أديب أشرق بدر مجده ساطعا وألبسنى برد المسرة أخضر يانعا

أهم ببسط جرى لالتقاط * اذا حاضرت بالدر النسيق

فحدانى أن أحث مطى الهمم الى نحو كعبة الفضل والكرم فحركت مجمر الطبع حتى عبق عنبرا ونداً وهززت قضيب البراع على خد الطرس فانتثرت أقاحا وورداً وقد كنت عمر زجر عن هذه الصناعة طبعه فانها كما قيل كالياسمين لا يساوى جمعه ولسان التقصير كما قيل قصير لاسيما والجود عبد أنت سيده والفضل عقد أنت مقلده والبلاغة سوار ليس لغيرك عليه يد ورداء المعارف مستعار منك وان كان لا يسترد وللفصاحة ماء لا يجرى فى غير ناديك وينبوع لا يتدفق الا من أياديك

ولو صورت نفسك لم تزدها * على مافيك من كرم الطباع

وزمان الانس غابت عنى أسراره وطريق المجد أظلم دونى ليله ونهاره وانطوى عنى دجاه وضحاه فسامرت نسره ونعائمه ونفضت بعصا التسيار نجوده ونهائمه وعود الهوى قديس وذوى وعهدى قديم بالنضال وانى فى السبق وقد أثقلنى قيد الكلال ولا ينكر

من القرائح جمودها ولا من نيران الذكاء خمودها وقد غاض الكرام وفاض اللئام والحر لا يستعبد بغير الوداد واسان المرء من خدم الفؤاد ولولا ابتسام ثغر المنى وامتداد خط الأمل لنا لمل كل قلب عانى بقيات الشوق والاماني فقد صرفت عن كل شئ وجه ميلى لما نفرعنى كل شئ حتى صبح ليلى واستوحشت من كل شئ حتى ظلى وملت حتى الملل فقلت من لليلى ومن لى ان دهرا يلف شملى بسعدى * لزمان يهم بالاحسان

وفى المثل أعطى العبد كراعا فطلب ذراعا فعسى أن تمنوا بسطور هى سلالم يترقى بها الى السرور لازالت ترفل فى ثوب بقاء بالصحة معلم وتقيل فى ربيع مسرة حماه عن الاكدار محروم الى الظلال عذب المشارب تسطر محامدها بين دفتى المشارق والمغارب ماحن صديق الى صديق وصرف بدراهم النجوم دينار الشمس الانيق (والسلام) فأجاب بقوله

أسقيط طل فى حديقة آس * أم ذا حباب دار فوق الكاس
أم درّ ثغر الأقحوانة باسم * أم دمع طرف النرجس النعاس
أم جنة جن النسيم بحسنها * أغصانها من ذاك فى وسواس
أم هذه زهر النجوم تزينت * منها السماء هداية للناس
أم ذا هو السحر الحلال حلا * أم العذب الزلال وكل عضو حاس
أم رقعة رفعت لواء بيانها * فأتى البديع لها بذيل الراس
نطقت بكل فضيلة ظلت لها * الأحداق بين محقق أو خامس
الشعر فاخر أنجم الشعرى بها * والحق قال الفضل للقرطاس
من ذا يطاولها ومطلع نورها * أفق الشهاب وظلمة الانفاس
وافت فما وفيت بعض حقوقها * الا ببذل النفس والانفاس
طار الفؤاد لها فقال وقارها * مافى وقوفك ساعة من باس
جاءت تحدث عن محاسنك التى * شدت الى حسن الثنا بمراس
أما الفصاحة صح أنك قطبها * بالرغم من غمر حسود قاسى
لله در عقيلة أبرزتها * عقلت بهجتها عقول الناس
من كل بيت كاد يشبه لفظه * معناه كل تدق عن احساس
شرحت لى الود القديم وذكرت * قلبا فديتك لم يكن بالناسى
ما أخطأت رشدا وان تك أبطأت * خير اللقاء ما كان بعد الياس
فاطلب أن أرضى بما ترضى وها * حبى وحفظ ذرا سخا بلساس
كن كيف شئت فشيمتى حفظ العهود وانى طود الوفاء الراسى
يامن زها حر القريض بلفظه * وغنى به الانشاء من افلاس
ومن استنارت منه مصر وأفقها * لما كساها الفضل خير لباس
ومن انحنى ذئب الزمان لاجله * وغدت به الايام كالاعراس

دمت المقدم فى الجماعة والاجا * دة والافادة والندى والباس
واليكها وهى الملاحة نفسها * والحسن بالانواع والاجناس
فاذا أصاخ لها الحسود حسبته * مابين كأس أو ظبا كاس
عذراء تبسط عذر تقصيرى ومن * داء التطاول فهى نعم الآسى
أنى لمثلى أن يجىء بمثل ما * تأتى وأين الشمس من نبراس
لكن هارد السلام سلكت فيه الطول قدر زيادة استئناس
فعليك من أولى السلام أبره * ممن يكابد بعده ويقاسى
حل المحلة جسمه والقلب فى * مصر لديك وأهله فى فاس

بعد تقبيل ثرى ذلك الثرى الذى عرق فى الشام عنبرا وقلد جيد الزمان درا لازال منبع البيان ومنتجع الاعيان ولا برح جوهر حصانته يفضله العيان على قلائد العقيان هذا وقد وصل الى أوصل الله اليك أسباب العلى وألبسك رائق الحلى كتابك الخطير فى رقعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب المذرى بروق ريق الشباب وبهجة من بدائع خطك المستوقف للناظر المخجل بحسنه الوشى الفاخر والروض الناضر فاجتنى ثمر البر يانعا وجلا على وجه الود أبيض ناصعا

وأرانى كيف انقياد القوافى * فى زمام البيان سمعا وطوعا

وفتح للمخاطبة بابا طالما كنت له هيابا ورفع حجابا ترك القلب وجابا مازلت أغازلها أملا فلا أطيق لها عملا وألاحظها أمدا أذوب دونه كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويزعم أن يأتى لها بضريب

لاجرم أنه اقتضانى خالص ود وصحيح عهد لم يلتفت منى الى معذره ولم يكلأنى الى مافى الوسع من المقدره وقد يعود على عملك بحر القريحة مدا وحسام الذهن معضدا فتكافتها بحكم هذا الغرام تحت حصر وتنازح بصر فان سمحت بالاغضاء وسامحت فى الاقتضاء سلمت لك اليد البيضاء وظهرت لشكرك بالفضاء وأما العذر الذى توخيت ولا عدمت ثمرحه وحميت بقوة الكلام سرحه فأنت غنى عن تكلفات ايضاحه ومد أوضاحه فالذى يثبت فى النفوس من الود المصون المحروس لايخشى عليه من تسلط الطموس والدروس ولا أقول ان ودى لك كالتبر اذ لا يصفو مما يشبهه لهيب الجمر ولا كالراح حيث يفتقر فى الرقة الى مر الماء والصباح بل أقول ان ودى لك أبيت اللعن كالقرات العذب يشفى غليل القلب ويطفى لهيب الصب يحل بالارض الميتة فيحييها ويمر بالروضة الذابلة فيتوجها بالازهار ويحليها وأنت أعزك الله لاتثريب عليك اذ كل يعمل على شاكلته ويجرى فى أموره على مقتضى مرتبته فان حر السيد وأنت ذاك يستكثر قليله واخلاص العبد وهو انا يستحقر كما علمت جليله والحق أغلب ومعرفة المرء نفسه أصوب وان تفضلت بالاستفسار عن أحوال العبد فالحال فى خير والمآل يعلمه الله تعالى وبالجملة فسهم المصيبة

ان سدده الدهر فعلى مثله وقع والتألم بمثل هذه الحالة قد ارتفع

ولم أر مثل الصبر أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وكذلك كل من دعا الصبر لما شاء أجاب وأراه من نشره الافق المنجاب وأقامه بين مبرات وألطاف واعطاه مما أحب جنى قطاف ولله در القائل

يعيش المرء ما استغنى بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

وهو الدهر لا يرد عن مراده ولا يصادر فى اصداره وايراده

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

على أن طول الغيبة ليس لشئ علم الله آثرته على لقياكم اذ أستبدله طوعا لكنه ارتكاب للاخف من الضررين واختيار للاهون من الشرين

عسى غلط ايثى الزمان عنانه * يدور فأمور والامور تدور

فتدرك آمال وتقضى مآرب * ويحدث من بعد الامور أمور

فلذلك قنعت من البحر بالوشل وسرحت فى رياض المنى بين عسى ولعل فقد قيل اذا دار الفلك فعليك أو فلك ولله فى خلقه أمر لاتدرك العقول حكمته وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وما اجتليته فى كتابك الخطير وروض خطابك المطير استدعى شيأ من نظم العبد ونثره والتنويه بذلك من خامل ذكره فلا عدمت منك مولى على الاحسان مثابرا وحكيما لكسر الكسير الخاطر جابرا مع تشتت الحال لبعد مزارك ونأى دارى عن دارك وأقسم أنى صممت على التغافل عن الجواب وهو الاولى بالصواب اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع والجبان بالشجاع وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته افتضح لساعته لكن عدم الامتثال محذور والملجأ الى مالا يطاق معذور فتكلفت مايعرض عليك من المعطات سوى القصيدة المشار اليها بذكر بعضها فانها متقدمة على ورود مشرفتكم فذلك من سد الخلل وتجاوز عن الزلل والله يبقيك ومن كل سوء يقيك (والسلام) قوله فى القصيدة حل المحلة الخ كقول ابن الخازن

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما * بالعذيب ويوما بالخليصاء
ولابى تمام بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى

﴿وللامير أبى فراس الحمدانى﴾

ياهل لصب بك قد زدته * على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها * لكنه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم فى بلدة * وهو أسير القلب فى أخرى

﴿ولابن عبد ربه الاندلسى صاحب العقد﴾

الجسم فى بلد والروح فى بلد * يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد
ان تبك عينك يا من قد كلفت به * من رحمة فهما سهمان فى كبدى

﴿ولابن الفارض﴾

كيف يلتذ بالحياة معنى * بين أحشائه كورى الزناد
فى ثرى مصر جسمه والاصيحا * ب شآما والقلب فى بغداد

وقلت أنا

شتت النوم والاحبة عنى * مع تآليف أدمعى و ولوعى
أنا فى بلدة وأهلى بأخرى * وحبيبى بغير تلك الربوع
فمكان الزمان منى اشترى الصفو بنقد أساله من دموعى

وقوله فى المنثور ودى لك الخ كقول محمد بن سفيان من شعراء القلائد كتبت وماعندى أصفى من الراح * وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وقول محمد بن القاسم الوزير فى جوابه كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر ليلة التمام فراجعه بقوله كتبت دام عزلك عن ود كماء الورد نفحه وعهد كصفائه صفحه ولا أقول أصفى من ماء الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص ويحق وليس ماوقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور هذا العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيفما أرسلها مجيلها وعلى ذكر القصة قلت

ان الصفى الذى قد كنت أعهده * عند الملمات ذخر اللود مذ ذق
وقد يغص بخير الزاد آكله * وقد يكون من الماء الزلال شرق

﴿وقلت ايضا﴾

ان كنت توجعنى باللوم فى زللى * وظلت تبرئ منى الداء بالداء
فقد يسوغ بضرب الظهر غصة من * قد استغاث فلم يجده بالماء

﴿فصل﴾ كنت فى عنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة مع هذا الاديب لكثرة ماعنده من الاهواء فكتبت له يوما وقد رأيته يتحدث مع بعض الاحداث مابال مولاى مغرى بتقديم الذكور على الاناث ومرتكبا لآثام تطلق بها حور الجنان بالثلاث وذلك لان الرجل خير من المرأة بالاتفاق فلذا تخلف عن الخلاق وشق جيب الشقاق كما قلت

أديب مال عن حب الغوانى * وبالغلمان أصبح ذا اكتراث
أقلت برأى أرباب المعانى * فغلبت الذكور على الاناث

وما رأيه على خلاف القياس وان لم يخل مثله عن لبس والتباس دائرين تحت لحاف الخطر وممن خالف المعانى الاديب الاصفهانى حيث قال

هاتيك حبيبتى ازدهتنى طيبا * أوسعت بها ابن هانئ تكذيبا
لو أمعنت النحاة فيها نظرا * لم تدع الى المذكر التغليبا

والتغليب باب واسع الموارد كثير المصائد والاوابد فلينظر الصواب ولا يرسل الباز

فى الضباب ﴿الوزير عبد العزيز الثعالبى الاديب﴾ ساحر تخاب نفثاته العقول وفاضل الايام من فضله غرر وحجول ان ذكر رقة طبعه فما الشمأل والشمول أو شعره فما أبيات غيره الادارسات رسوم وطلول اذا طرز كلامه بر ود المجد نخاله ممن جاور سكان تهامة ونجد قدت من أديم المجد خلاله ففضح الرياض وبحر السحر أقواله ذيمة مجد أمطرت سحائبه وسماء فضل شرف كواكبها مناقبه

شمائل لا جيب الزمان معطرا * حكاها ولا خد الشمول موردا

أطلع فى رياض المغرب وردة وسوسنه وأصبح للفقه مالكا فضائله فى صحف الدهر مدونه بمثله بطون الامكان حقيقه فلو رآه الثعالبى توج به تتمة اليتيمه اذا جلى كواعب كلمانه فضحت الكواكب نورا واذا أنشأ عدت نثرسواه هباء منثورا ولما قدم قسطنطينية الروم اجتمع به الافاضل وعظموه من بهم من الصدور والاماثل فكتبت اليه مادحا واعذب أدبه ماتحا بقولى من قصيدة

وافت وطرف النجم مكحول الحدق * وعارض الظلماء فى خد الشفق
سكرانة الاحاظ من خمر الصبا * تعثر فى ذيل ظلام وفرق
واستعجلت فى خطوها تكاد أن * تسبق طيف آمل لها طرق
مائسة تنضح أغصان الشفا * لها من الحلى ثمار وورق
فأصرتنى للسقام لابسا * ملاءة من وشى أفكارى أدق
فابتسمت فكاد من بارقها * فحم الدجا يحرقه شوء الغلق
ما اهتز غصن البان الا فرقا * لانه لهيف القد سرق
وفيها ماء الجمال فى رياض خدها * راق لناظرى وورده ورق
ماذقته وماصفوى كدر * بحرها فكيف لى منه شرق
وردبأفواه المنى مستعذب * كورد بحر قد نفى قذى الملق
هيهات العزيز من بعز مجده * أحيا زمانا فيه للفضل رمق
روض سحاب الفضل جاد نوءه * حتى زها مقتطفا ومنتشق
للفضل مالك وفى مضماره * من أشهب بقصب السبق أحق
خذها عروسا البست ثوب الها * سعت اليك بين خب وعنق
لو سردت طرقت أسماعه * أهدى لها در الثناء فى طبق
قد وصف السحر لسان طرسها * بعارض خط على خد الورق
حتى غدا العنبر باقى نفسه * فى النار من غيظ لديه وحنق

ومدحه صاحبنا الاديب أبو المعالى الطالوى بقصيدة أنشدنيها منها

لعبد العزيز الاوحدى الثعالبى * بدائع فاقت مبدعات الثعالبى

فما بعدها في الدهر تاني يتيمة * ولا قبلها وشته أقلام كاتب
سواد سطور في بياض مهارق * وشام على خد الحسناء كاعب
والامى وسط الشفاه يعل من * جنى النحل ممزوجا بماء المذانب
والارياض قد كستها يد الصبا * طرائف وشي من نسيج السحائب
كان عليها عبقري مطارف * ومن حلل الديباج وشي عصائب
فكيف ترى عين يتيمة دهرها * وأم حباباه ولود الغرائب
فلله مولى قد شهدنا بماوشى * مكاتبة الصادين صاب وصاحب
وحكم في نظم القريض خواطرا * أتت غير نظم النيرات الثواقب
فيا شكرى القوم يوما وان شدا * بنظم القوافي عنده غير ناعب
فكم بنت فكر قد حلاها بنانه * علينا وما غير الاديب بخاطب
كان صبا دارين فضت عشية * على عطفها الباس مسك الحقائب
ومرت بوادي الشعر مختازة اللوى * لوى الرمل فيه البان مرخى الذوائب
تجاذب من نجد شميم عراره * فيرقوا لها الحوذان من لحظ غاضب
ووافت حمى الزوراء ليلا فساجلت * على الكرخ دارا بالدموع السواكب
وللمغرب الاقصى ثنت من عنانها * تؤم حمى البيضاء عزت لطالب
بحيث ترى البيت الامامي معتلى * تطوف به الآمال من كل جانب
مجر العوالي السمهرية والقنا * ويجرى الجياد المقربات السلاهب
عليها أسود الأنس في يوم سلمها * وفي الحرب تاني داميات المخالب
بها بكلا الله الخلافة في حمى * مليك قصي العزم داني المواهب
حمى الملك المنصور مولاي أحمد * امام الهدى رامي العدا بالمغالب
أسود على متن السراحيب غابها * من الاسل الخطي دامي الثعالب
تلوى بأيدي الدار عين كانها * صلال نقا مذعورة في مسارب
ترى السرد نهبا والقنير حبابه * فتسكرع في حوض من الدم راغب
مؤيد دين الله مشجر القنا * ومعترك الهيجا بماضي القواضب
سليل الوغى ان ينقضي يوم معترك * وفيه المنايا مزقت في الكتائب
فيا ابن الاولى هذى مناقب فخرهم * وهل بعد هذا الفخر شأو لطالب
لعمري على بعد الديار ونأيها * قلائد نظم كالنجوم الثواقب
ولكن قوافي الشعر كيف أجيدها * وفيكم أتى التنزيل يا آل طالب
واني لأهوى أن أكون مع الصبا * رسولا الى البيضاء تقضي مآربي
لدى ملك داني النوال وكفه * لراجيه أندى من غيوث سواكب
على كل خط من أسرة وجهه * دليل على أن الرجا غير كاذب

لسدته مأوى العفاة بعشتها * قوافي عني عني تقوم بواجب
عليها من المدح الامامي جوهر * ترقرق ماء في متون القواضب

﴿وأنشد في الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة منها﴾

زجاجة الفجر أبدت حمرة الشفق * ولجة الصبح أخفت رجس الافق
فبات في زهر الاقداح زهر طلا * وليس غير دخان النذ من غسق
والليل قد قاد الاصباح حين بدا * كأسود لابس طوقا من الورق
وماحا الصبح نفس الليل واستترت * سوسانة الفجر يوما وردة الشفق
لكن دم الليل لما سال عندمه * أتت لتقطعه كافورة الغلق
في روضة أودعتها السحب سرشذا * فتم وفد الصبا عن نشره العبق
فيها الكمت كؤوس الراح معترك * وليس غير احمرار الورد من علق
حيث الاسنة زرق من بنفسجه * وخضر أوراقه فيهن كالدرق
وللشقيق احمرار في جوانبه * كأنهن جراحات على نسق
والريح فوق متون الماء طالعة * بيضاء في زرد مفكوكة الحلق
والروض مثل أبي حفص وبهجته * نخلقه وشذا رياه كالخلق
نجل المرى أبي العباس من ظهرت * آيات سوددة في وجهه الطلق

﴿وعلى منوالها قول الحلي﴾

فيروزج الصبح أم يا قوتة الشفق * بدت فهيجت الورقاء في الورق

﴿وبيت الشقيق من قول القاضي عياض﴾

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

﴿ولابن الزقاق الاندلسي﴾

نثر الورد في الغدير وقد * درجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمي مزقها الطعن * فسالت به دماء الجراح

﴿العلامة محمد كروك المغربي﴾ عابد زاهد فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد فأحاديثه مصابيح الانوار وذاته مشكاة العلوم والاسرار وآثاره مشرقة بالكمال وحماه مرتع لسوارح الطلب والآمال تعبق أرواح العلماء من حلاه النادي وتفوح في مجامر الذكاء الوقاد وتبشر بالنجاح وتنادي حي على خير الفلاح مع صيت هو المسك الفتيق والروض المثمر الأنيق وخلق بكل ذكر جميل خليق فلا يدركه مبار خلفه جرى سهمات فات ذا أثرا وكنت وأدهم الشبيبة طرب العنان وورقها خضر ما يس الاقنان وورقه مطوقة ببدائع الاقنان أرود مساقط الندا حتى علق به حبل الرجا وأنا في ابان الطلب أتجر في بضاعة الأدب فنزلت بساحته وحططت رحلي على ما سماحته كما قال

(العلامة محمد كروك المغربي)

الكندى وحططت رحلى فى بنى ثعل * ان الكريم للكريم محل

فوردت منهل افادته الصافى وقرأت عليه علمى العروض والقوافى وهو شفاء الغليل لاسيما فى علم الخليل فقد تخرج به طلابه وضربت به أوتاده وامتدت أسبابه حتى قامت به الادلة وسلمت بلافاصلة من كل علة وحرت فى بحاره مياه الفضائل حتى كاد أن يكذب القائل (مثل العروض له بحر بلا ماء) فكم وشى رداء الآداب ووشع وردشمها من المغرب كما ردت ليوشع ولكل عصر يوشع يردشمس الفضل بعد الافول وتشرق شمس العصر على القصر والطلول يقرى وفود الطلب بيانا و يقر عيون الامل حسنا واحسانا وله فى المعالى أروعه وفى مغارس الفضل جرثومه غذى بلبان الفضل وليدا وعد لبيدا ذا قيس بفصاحته بليدا راق فى جيد دهره قلادة الاوصاف وتحلت بعذب مداحه أفواه الرواة من سائر الاطراف حتى تهادته الدول تهادى لذيذ الكرى للثكل فهو أندى على الاكباد من قطر الندا وألذ فى أفواه الاجفان من كحل الكرى

فالكون اما ناطق فعظم * حرمانه أو ناطق فمسيح

ثم ان الدهر اقتطف ثمرة فؤاده وقطع فلذة كبده ببعض أولاده فهاجر الى طيبة وقال بها فى ظلال النعيم الى أن دعاه لجواره الملك الكريم وكنت كتبت اليه أسليه وأصبره فى بنيه وأعزيه

كن المعزى لا المعزى به * ان كان لابد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك و يجعل الباقى منهم كما قيل فى المثل فتى ولا كمالك وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك فكم نبت من غصن غصون وطلع من حبة سنابل حباتها در مكنون وفى الله الخلف من كل ضائع (وما المال والاهلون الا ودائع) (والسلام) وكان أملى على من أشعاره و بدائع نؤاده وآثاره ما حسدنى عليه الدهر فرقه أيدى سبا وهجم عليه الضياع والسيان نهب وسبى (وسهم الرزايا بالنفائس مولع) ﴿فائدة مهمة﴾ فى تفسير هذا المثل قال ابن خالويه فى كتاب ليس ليس أحد سمى نواة النخلة جريمة الا أوس الانصارى فى حديث له وهو أن اوسا ابن حارثة لم يكن له ولد الا مالك ولا خيه خمسة أولاد فلما حضرة الموت قال له قومه كنا نأمرك بالتزوج فى شبابك فلم تفعل فقال لم يهلك هالك ترك مالك وان كان الخزرج ذا عدد فليس كمالك ولد فلعل الذى استخرج النخلة من الجريمة والنار من الوثيمة أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا يا مالك المنيه ولا الدنيه والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد واعلم أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المتعفف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم ومن قل ذل ومن أمر قل وخير الغنى القناعه وشر الفقر الضراعه والدهر يومان فيوم لك و يوم عليك وكلاهما مستحذر وانما تغر من ترى و يغرك من لا ترى ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا الشريف الابلج واللئيم المعلهج والموت المقيت خير من أن يقال هبيت وكيف السلامه لمن ليست له اقامه وشر من المصيبة سوء

الخلق

الخلق وكل مجموع الى تلف (حبائك الهلك) قالوا فكان من نسل مالك بعد الخزرج أو نحوهم (تفسير الجريمة) التمرة تسمى بها النواة لانها منها والوثيمة حجر القداحة وأمر يعنى كثر والهيبت الضعيف الجبان والابلج السيد الوضاح والمعلهج المختلط النسب انتهى

(خاتمة) اعلم أنى كنت فى رحلتى متجرا فى بضائع الفوائد مغرما بصيد الشوارد وقيد الاوابد واستعلام خبر من لم أره من الادباء والفضلاء فسألت من لقيته من المغرب عمن قرب عهدى بها من الاعيان وعن خبايا الدفائن التى ادخروها وهم أقل من القليل والدهر حسود بخيل فمن تعطرت بطيب اخباره وتفكهت بيا كورة ثماره بالمغرب

﴿حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى﴾ أديب حسام طبعه مرهف ومشرفيه يحلى الآداب والعلم مشرف قدره أعلى من النجوم الزاهيه وملك مداده برخص شذاه الغاليه فاخرت الارض السماء بطالع شمسه وعلم قطره به أن يومه خير من أمسه فهو روض تقبل الارض فيه ثغور الزهور وتطرز برود الآداب بما له من المنظوم والمنثور أخبرنا صاحبنا محمد بن ابراهيم الفاسى لازال فى روح وريحان ولا برح جدثه نضر وضمن رياض الجنان أنه أنشده لنفسه مضمنا يخاطب محمد بن يعقوب الاندلسى

ولى صاحب قد هذبت لى بداصفا * مودته فى غيبة وعيان
ولكن هواى مع هواه تخالفا * تخالف رؤيا الصحن للقبان
فهوى بنى نجد لين خصورهم * وأهوى بنات الغور طول زمانى
يذكرنى حالى واياه قوله * رفيقلك قيسى وأنت يمانى

﴿عبد العزيز الفشتالى﴾ أديب عذب اللسان ماضى شبا السنان له دمث أخلاق وشمائل تجر وراءها ذيول الصبا والشمائل ألطف من وجنات وردعذارها الآس وأسحر من عيون الغيد اذا غارلها النعاس ان خط زين برد البلاغة ووشاه وتغاير على أخذ الرقة لفظه ومعناه

فيطرب السمع لالفاظه * ويرقص القلب لمعناه

جمة هى خدن الفضا ولطف طبعه ألذ من ذئب محاه الرضى فريد همته الى هضبات الهمة ناظره وحيد تقف دون اشتهاره الامثال السائره عبث بالبيان راحات فكره الساحره فايقظت من مهد الالفاظ عيون المعانى الفاتره وكان قبل ماجر عليه الدهر ذيوله قام لاقباله وفر به من الدولة العلوية الاحمدية على أمثاله فما ارتشف مفم سمع الآذان وروى بنميره العذب ظامئ الاذهان قوله

حين أزمعت عند خوف البعاد * وعدتنى من الفراق العوادى
قال صحبى وقد أطلت التفاتى * أى شئ تركت فؤادى

﴿عبد السلام بن سودن المغربى﴾ أديب فاس ومسك غزلان ذلك الكناس وريحانة اهدى نفحه خبره الى الصبا الطيب الانفاس فله طيب الاخبار وما أهداه لى من المسار من كل حديث هو لعين التبصره وفى وجه دهره اللبالى غره ألفاظه تضحك على ثغور

(حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى)

(عبد العزيز الفشتالى)

(عبد السلام بن سودن المغربى)

الانوار الضاحكة لبكاء الامطار أنشدني له بعض الادباء

وبدر لاح من تحت السلاهم * يقول لكل قلب قد سلاهم
اثن خشنت ملابسه عليه * فقد خشنت على الورد الكمائم

السلاهم جمع سلهامة وهي بلغة أهل المغرب برنس أبيض خشن وأنشدني عبد العزيز الثعالبي شعر له في القمر منه

دع ذا وقل للناس ما طارق * يطرقهم جهرا ولا يتقي
ليس له روح على أنه * يركب ظهر الادهم الابلق
شيخ رأى آدم في عصره * وهو الى الآن بخد تنقي
وهو بوسط البحر مع قومه * لا يلتثني عن نهجه الضيق
هذا ويمشي الارض في ليلة * أعجب به من موثق مطلق
فتارة ينزل تحت الثرى * وتارة وسط السماء ترتقي
وتارة يبصر في مغرب * وتارة يبصر في مشرق
وتارة تبصره سابحا * يجري بشاطئ البحر كالزورق
وتارة تحسبه وهو في * ضيعته والبعض منه بقي
ذبابة من سارم مرهف * بارزة من جفنه المطبق
يدنو الى عرس بها حسنها * يختطف الابصار بالرونق
حتى اذا جامعها ارتدى * بجلة سوداء كالمحرق
وهو على عادته دائما * يجامع الانثى ولا يلتقي
ثم يجوب القفر من أجلها * مشتملا في مطرف أزرق
حتى اذا قابلها ثانيا * تشكه بالرمح في المفرق
وبعد ذا تلبسه خلعة * يا حسنها في لونها المونق
جسمه من ذهب جامد * وجلده صيغ من الرتبق
ثم يرى في حال اتمامه * مثل مجن المحرب الملتقي
وهو اذا أبصرته هكذا * أحسن من صاحبة المغرق

(السيد عبد الخالق الفاسي)

وقد نسب هذا الغيره

﴿السيد عبد الخالق الفاسي﴾ أديب تجتني منه الالباب يانع ثمراتها وسماء لم تخرج بدور كماله عن هالاتها فرع من شجرة النبوة المسقية بماء الوحي والفتوة فعلا وسما فأصله ثابت وفرعه في السما نطرازه مذهب على كم المجد لانه من ذؤابة نفوس بني تهامة ونجد عقد على صدر المناقب العليه وتاج معقود بر أس العصابة العلويه

تولد بين المصطفى ووصيه * ولا غرو أن تزكو هناك الغرائس

عمامة في يد الأدب وريحانة من رياحين العرب لم تزل سيارة المسائل تلقط أخبارها وركبان الاخبار تتزودها وتمتار أشعاره فمما أنشدني له الأديب محمد الفاسي

ادا

اذا مارمت نصح الناس طرا * تحر المقبلين ذوي الاياب
فلا تسمع سوى من كان حيا * والا الاخراج على خراب

(السيد يحيى القرطبي)

﴿السيد يحيى القرطبي﴾ هو فيما بلغني روض مخصب بسيع من وادي الفضل مربع من فروع الدوحة العلية العلوية وثمرات تلك الشجرة النبوية الباسقة بما سقاها من ماء الندا والورقة المثمرة بالعلم والهدى

تحار لون الشمس تسكبي سناه * لما غشيتها المظلمات الدوامس

أسر بالاندلس في وقعة أسرت أفراح القلوب وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب (فأصبح في حال ثمة المنايا أمانيا) ويرى اضعف الدين الموت طبيبا شافيا اذ عثرت خيول الفتن والنقم بذوي المروءة والنعم فأرسل قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام فلم يجد بها عاصفيا يقول له لقد أسمعت لو ناديت حيا وذلك في عهد السلطان سليمان الذي دخل في خبر كان وهي هذه

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وعالم الكون لا تبقى محاسنه * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر منا كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد من أرم * وأين ما اسسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللمصائب سلوان يهونها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة خطب لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فامتحنت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فسل بلنسية ما شأن مرسية * وأين قرطبة أم أين جيان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
كذا طليطلة دار العلوم فكم * من فاضل قد سما فيها له شأن
وأين غرناطة دار الجهاد وكم * أسد بها وهم في الحرب عقبان

وأين حمراؤها العليا وزخرفها * كأنها من جنان الخلد عدنان
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البكاء اذا لم تبق أركان
والماء يجرى بساحات القصور بها * قد حف جدولها زهر وريحان
ونهرها العذب يحكى فى تسلسله * سوف هنداها فى الجؤلعان
وأين جامعها المشهور كم تليت * فى كل وقت به آى وفرقان
وعالم كان فيه للجهول هدى * مدرس وله فى العلم تبيان
وعابد خاشع لله مبتهل * والدمع منه على الخدين طوفان
وأين مالقة مرسى المراكب كم * أرست بساحتها فلك وغربان
وكم بداخلها من شاعر فطن * وذى فنون له حذق وتبيان
وكم بخمارجها من منزه فرج * وجنة حولها نهر و بستان
وأين جارتها الزهرا وقبتها * وأين باقوم أبطال وفرسان
وأين بسطة دار الزعفران فهل * رأى شبيها لها فى الحسن انسان
وكم تجاع زعيم فى الوغى بطل * بداله فى العدا فتك واعمان
كم جندلت يده من كافر فغدا * تبكيه من أرضه أهل و ولدان
وواد يامن غدت بالكفر عامرة * وردت توحيدها شرك وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم * قطب بها علم غوث ماله شان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر تبكى وهى عيدان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما * يهن الا نواقيس وصلبان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ماقبلها * وماتلاها مع طول الدهر نسيان
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها فى ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر من دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم * أسرى وقتلى فلا يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
الا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لنصرة قوم نسوا فرقا * سطا عليهم بها كفر وطغيان

بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب طفل وأم حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وغادة مارأتها الشمس بارزة * كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السبى صاغرة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان فى القلب اسلام وايمان
هل للعجاديها من طارف فلقد * ترخرفت جنة المأوى لها شان
وأشرف الحور والولدان من غرف * فازت لعمرى بهذا الخير شيعان
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماهب ريح الصبا واهتز أغصان

(فصل) هنالك تسكب العبرات لتطفئ نيران الحسرات فهذه الاندلس دار الاسلام ملكها الكفار و بدل نورها بالظلام وجوامعها صارت كنائس وأسودها الكلاب الكفرة فرائس وجامع قرطبة الكبير مملوء بالكتب مسدود الباب ومأوى للعشرات ومرتد للكلاب وأسطول الروم ينفق عليه الاموال فتخرج رؤساؤهم بعدد الحرب والرجال ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين فاذا عادوا عدوا أنفسهم غزاة غانمين ولولا أهل الغرب والجزائر لم يكن للدين معين ولا ناصر وقد سلط الله عليهم بنى الاصفر فصار عيشهم أسود بالموت الاحمر وسلط على قسطنطينية دوام الطاعون الجارف فقلوبهم راجفة وعيونهم بالدماء ذوارف وترى حريق تلك الديار لا يخمد فى ليل ولا نهار لما بها من ظلمة الوزر وانما طغوا بعلماء سوء وقضاة عم جهلهم سائر الورى

لعمرك قد عم الحريق ببلدة * بها علماء الروم فى الجهل والعمى
ومن مالك والى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا أجرة لها * فان هدمت يبنى بها ماتهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وما صرفوه فى زمان تقدما
فافتاهم المفتى بان ضمانه * عليهم وان الغرم للبيط مغنما
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم * أباح رشا قد كان ربى حرما

فهذه انذارات ثلاث جرت عادة الله بعدها بالخراب واستئصال من بها باشد العذاب والعقاب كما قال الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وهذا المعنى فى الحريق ظننت انى لم أسبق اليه ثم رأيته فى شعر أبى الحسن المنجم حيث قال

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من بهاوش * فعما قليل فى نهاب يغرم
وماهو الا كافر طال حبسه * فجاءته لما استبيطأته جهنم

ومثله قول الآخر فيمن انكسرت يده

قالوا فلان على ما فيه من عبر * قد أصبحت يده مذمومة الاثر

تأخر القطع عنها وهي سارقة * فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقوله يستقصي الخ فيه لطف يعرفه من له شمة من الادب

ذكر مكة المشرفة ومن حماها صانها الله وحماها وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما

لما استطبت مطايا الهم ووجهت وجه عزمي الى قبلة الامم ورعيت بالاحداق حدائق تلك المسارح وقدسات باعناق المطي الاباطح في وفد ركب عزمهم غارب المسرة وامتطى وهدتهم النجب الى أودية يضل فيها القطا فقطعوا مهامه وأهلال يخاف أن يسري بها طيف الخيال فكم لاحت جداول موارد النوق جسورها وسارت بهم سفائن بر السراب بحورها فكأنها أشجار يحركها اصيل الاسحار تسقيها من السرى غمائمه وتزهو على نور الخدود كمائمه بليل يتعاطى فيه الركب من خمر التعاس راحا لم تذق نشأتها مراشف كاس والشمال تجدوهم بمسكي الانفاس والسماء حديقة نرجس بزيزفان وآس حتى انقط كف الصباح زهور زهره وقطفت بنفسج الظلماء راحة فجره وورد سرحانه غدير الصباح ونادى القمري على منار الدوح حي على الفلاح ولم أزل أدأب في التسيار الى أن نفضت عن منكب المشقة غبار الاسفار فنزلت بجوار بيت الله الحرام وتطيبت بمسك تراب الخطيم والمقام وقلت

بمكة لي غناء ليس يفنى * جوار الله والبيت المعظم

فقبلها كعبة سعادة قد ظفرت بها من الحجر المكرم فلما أنضت من تلك المناسك بتلك البقاع لطفت بها بل بالمسرة طواف الوداع وخرجت من أحب البلاد والله لا يدعو الى داره الامن استخلصه من العباد

ومادري البيت أني بعد فرقته * ناشرت من حرم الا الى حرم

قاصد الطيبة المطيبة وارد موارد آمالي المستعذبة

وقد قيل في زرق العيون شآمة * وعندي أن اليمن في عينها الزرقا

فكلما سرى في الصبا نسر بطاحها وددت لو أعارتني العقاب خفاف جناحها الى أن لمعت أنوار الهدى من سماء العلا وقباب الحمى

لهبط الوحي حقا ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهي الطلب

فنزلت أعتنق الاراك مسلما وكدت ألثم أخفاف الرواحل اذ أوصلتني الى أعذب المناهل

ولم أقل على قلق الوتين اشرفي بدم الوتين

فاذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

فجلت في أربع مقام * تفاخر فيه الرؤس الاقدام و يشهد نشر المسك بفضل غباره

وتقر الجواهر بأنها دون حصاه فضلا عن أحجاره (وفاخرت الشهب الحصى والجنادل)

فلذا صح رمي الجمار بحصباتها الصغار ولم يصح بالجواهر والدرر وماذاك الا لشرف خصه بها خالق القوى والقدر فتنزهت عيون أملي في روضة ذات أنوار وعلمت وهي من رياض الجنة اني لا أدخل بعدها النار وأنا الآن منتظر لألطاف ربي وهو في كل الامور حسبي أن يعيدني لجواره واجتلاء نور حبيبه ومختاره به اليه متوسلا وفي نيل رجائي متوكلا لا متأكلا وقد تأملت دعوة أبي الانبياء ابراهيم وقوله واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ادلم يقل اجعل الناس تهوى اليهم لان المراد أن الشوق يجذبهم اليه و يعلق مشكاة قلوبهم بسلاسل أنواره حتى يراهم بغير اختيار له متوجهين وهم على تحمل المشاق بوعثاء السفر غير متضجرين

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

ولذا جعل الطائف البيت على يساره لان القلب في جهة اليسار وقد كان قبل الوصول مائلا اليه فلما وصل دام على ما كان عليه كما قلت

قل لمن لام على سعيي له * قصر اللوم وان شئت لم

من أتى قلبي اليه ساعيا * كيف لا يسعى اليه قدمي

﴿ذكر الدولة الحسنية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان﴾

هو بيت أسست عهده على الخلافة وفطرت من شعب شجرته مياه اللطافة وغرست بين أثلات المجد أعواده فاستراحت عنده الآمال وتعبت حساده فصر معالي يرد الطرف كليلا ونسيم الشمال عليلا (أعلى الله تعالى مبانيه على الاصل) فهو سور الخطوب وخليفة أخلاق الصبا والجنوب تقصد بتحف المدائح فيثنونها بنقد المنائح فعندهم محط الركبان من الاطراف وربح المحامد متجر الاشراف فاذا كان الدهر قائم الاعماق مسود النواحي فوجوههم نجومي ووضاح غررهم صباحي فكم راضوا الزمن بعد الجران فأصبح سهل القياد رخي العنان تتحلى بذكرهم الأفواه ويفوح نشرا طيب خلطته الافواه وغررهم في جباه الليالي والايام يعجز عن وصفها أفواه الدوى وألسنة الاقلام في سماء معالي ماء مجرتها ورود ينبت في حافاته شقائق الشقيق متورد الخدود فاكتحلت بالسحر مقلة دياجيها وقلدت بجواهر النجوم لبات ليالها الى ان أدّيت امانة الملك الى

﴿أبي نمي بن بركات﴾ فهطلت منه على رياض الحرمين سحائب البركات وله شعر بليغ نفحاته ذكيه وفصاحته علية علويه كقوله في المقام اليوسفي بمصر والأداهم أجمال والقيود كما قيل خلاخيل الرجال وقد لمع برق الحجاز فكاد يطير شوقا لحي جيرته النوى والحجاز

مايلمع البرق من تلقاء ديارهم * الا ولي مدمع بالسفح هطال

والله لولا قيود في قوائمنا * من الجميل وفي الاعناق أغلال

لكان لي في بلاد الله متسع * وفي الملوك لبانات وآمال

لى حرمة البيت والجار القديم ومن * أتاكم وكهول الحى أطفال
أتيتكم فى جلابيب الصبا قشب * فكيف أرحل عنكم وهى أثمال

وفى البيت الاخير معنى لطيف وهو كقولى

تالله ما فارقت لى وطنا به * برد جريت من الشبيبة زاهى
الا لأنى أستحى من ردّه * خلقا أرقعه بعذر واهى

ومن فحول شعرائه المقلدين جيد محبتهم بطوق ولائه

﴿شهاب الدين أحمد الغيومى﴾ أديب اتسق من جواهر كلامه أكاليل درر ما لنظومها سلك وجرت مياه البلاغة فى رياض نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك اذا امتدّ خطوه الى المجد وكرم الخيم فهو أسرع من رجع يد الذئب وأوسع من خطو الظليم جمعت له الحظوظ من تلالها ووهادها وقيدت له القلوب بازمة وداده وأنشده يوما قصيدة بائية امتدحه بها فلما وصل الى قوله فيها

يهتز من تحت السلاح كأنه * ريحانة لعبت بها ريح الصبا

جثى على ركبتيه ووثب وتطاير من أحداقه شرر الغضب وكاد أن يكلمه بألسنة السيوف ويخلع عليه خلعة حمراء بلا أزرار فصاح بايد الحتوف فلما قال بعده

فى كل منبت شعرة من جسمه * أسد يعدّ الى الفريسة مخلبا

قال عفوت عما فات اولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وديوان شعره مشهور ودرّ براعته فى نادى الادب منثور ولما ارتحل الى القاهره قال متشوّقا ايام القرى معاهده ومآثره

يارب لا وصل ولا سلوة * لازورة من طيفهم لا لقا
ان لم يكن فى وصلهم مطمع * فلا تعذب مهجتى بالبقا

وله فيه مدائح عديمة الامثال سائرة فى الآفاق سير الامثال منها قصيدته التى عارض بها قصيدة صفى الدين الحلى التى مطلعها

أداب التسبرقى كأس اللعين * رشا بالراح مخضوب اليدين

وأولها

بدت فأرتك شمس المطلعين * فتاة أسهرت بالمطل عينى

وعلى منوالها قصيدة الشهاب المنصورى أحد الشهب السبعة وأولها

بعينك يا غزال الاجرعين * وقد ربحت عليك الاجرعينى

﴿ومن شعره قوله مضمنا﴾

لقد عذلت فلان الدين حين علا * عليه عبد فقال أقلل من العذل
فان علائى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وله أيضا

أواخر الميم فيها * على الاوائل فضل
تمرّ دورا فدورا * وكلما مر يحلو

﴿وله فيمن اسمه حسين﴾

تركت جفنى واصلا والكرى * راعى فجد بالوصل فالوصل زين
ولا تجبنى عن سؤالى بلا * فالقلب يخشى كرب لا يا حسين

وفى قوله زين ايهام غير زين لان العامة تقول فى حروف الهجاء زين بمعنى زاى والصحيح فيها زاء بالمدّ والقصر ويقال زى بزنة كى كما قاله ابن جنى وأما هذه فتحريف قبيح وله أيضا

حج للبيت اختلاسا * وفسادا للانام
مذ رآه الناس قالوا * حج للبيت الحرام

﴿السيد حسن بن ابى نمى﴾ ثم خلفه ابنه حسن ومن حديث مناقبه مستفيض حسن (وما محاسن شئ كله حسن) فقد سارت بمآثره الركبان وتحلى بذكره كل لسان فالحال يعرفه والحرم والجود ينطق بمحامده والكرم

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

فقد خفقت فى الخافقين رايات مكارمه ونصبت على أعلام كما تها بين معالمه وسرت سحائب كرمه ولها من غرّته بريق وتفرقت أنهار جوده فى كل فريق حتى طفت على هضبات العذيب والعقيق وله فصل قضاه علوى حل بين الرفق والباس وأبس عن ادراك حده فيه اياس بين حماسة وسماحه وفصاحة وصباحه

اذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرنا له فضلا يزين المناقبا

وحلالة هيبة لا تريد حاجبا وشيم لو تجسمت كانت وجه الدهر عينا وحاجبا فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق وأصدره ناثرا على غدير لأمته من الدماء شقائق من فتية اذا تصافحوا بالصفاح تهللت ضاحكة بالنجيع ثغور الجراح

حليم اذا ما الحلم ألبس هيبة * وقور ولو كان الوقوف على جمر

مع محاضرات لو سمعهم الراغب سعى اليها راغبا وأبكار أفكار لا يكافئها الا من كان بمتاع الحياة خالبا

ما عذر من ضربت به أعراقه * حتى بلغن الى النبى محمد
أن لا يعد الى المكارم باعه * وينال غايات العلا والسودد
متخلقا حتى تكون ذبوله * أبد الزمان عمائما للفرقد

بلغنى أن بعض بنى عمه وردنديه جار الذيل التيه والحمية الهاشميه فصار عليه شخص فى ذلك النادى فتجعدت أساريره وسيف حدته من غمد التصبر بادى فلما فطن لذلك قال انه ليقودنى زمام العجب ويهز عطف أريحيتى ساعد الطرب بقصيدة المتنبى التى أولها

فؤاد ما تسليه المدام * وهمم مثل ما تهب اللئام

فتسلى بذلك وتعلل وتبسم وجه مسرته بعد القطوب وتهلل اذ فهم تلويحه لقوله فيها

ولو كان المكان له علا * لطار الجيش وانحط القتام

وفى معناه قولى من قصيدة

لو كان الشرف بالمكان ما انحطت النار ولا الدخان وقولى من قصيدة

لم أدر يوم الحرب هل نار الثرى * أم خيمة نصبت عليه وقد سرى
أم تاله شرف بمس نعاله * فعلا رؤس عداه حين تكبرا
أم راح مشتكيا الى خلاقه * دوس الجياد عليه حتى ينصرا

ومما يحسن ايراده هنا قول أحمد المعرى

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرء أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك البهيمسادة العلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

﴿ومنه أخذ الارجانى قوله﴾

هذا الزمان على مافيه من كدر * يحكى انقلاب ليالبه بأهليه
غدير ماء ترا أى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل تنظر صرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

وقوله على مافيه من كدر من حشو اللوزنيج أماترى قول المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

﴿وأحسن من هذا كله قولى﴾

خليلى ذى الدنيا الدنية لم تزل * تعادى فتى حر شريف المناقب
أسافلها تعلو أعاليها كما * يراه لبيب عارف بالعواقب
اذا صورت للناس معكوسة بدت * فلا تعجبن والدهر بحر العجائب

عودا الى سيرة ابن سيد الناس الذى تسير الصبا بعبير لطفه طيبة الأنفاس كنت قبل أن تعرى أفراس الصبا و يتفرق شمل الايام أيدى سبا لما ارتحلت مع والدى لذلك المعهد لنجتلى وجه المليحة فى الخمار الاسود رأيته وقد ابيض عنبر لمته وثقب الشيب مغفر هامته وقد علاها هام الستين وترقى شرف السبعين

وان امرأ قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده اقريب

مشمرا لمضائها واقفا على حيائها بفكرة ما كانت النيران تخمد لو رزقت بعض ذكائها وبكرعمة اذا جليت لا يعد غير المجد من أكفائها قد قلمت يد عزائمه أظفار الخطوب وكادت لا تطأ الحرم بغير اذنه الصبا والجنوب يسوق لاعدائه جنود الحتوف و يرى وجودهم ذنبا لا يعتذر عنه غير ألسنة السيوف فكل حدث سدر منهم وحدث لا يرفعه الا التيمم بتراب الجدث ولى صوارمه تكذيب قولهم * فوق ألسنة أفواهها القمم

اذا تربع رأيه فى نادى حتبى قامت بين يديه الهمم وحلت الحبى يضطرب لهيبته اذهبت رياح النصر سمر الرماح وسالت بسوابح الجرد وأعناق المطايا الوهاد والبطاح وكان من سنقسلفه ومن خلفهم من خير خلفه أن يقدم للامامة من قدمته الايام وفى المثل أكبر منك

يوم أعرف منك بعام وكان يليه سناذو الرأى الصائب أغر السعد والوجه والمناقب

﴿أخوه السيد الأجل نقبة﴾ من لو وجه لدر الكواكب سنان همته ثقبه ومشكاة بصيرته مشرقة بنور اليقين وكلامه ينثر على الفصاحة نثار الجوهر الثمين وكل من نسله يحدث نفسه بالامامه وأن يتلو فى صحفها آيات مجده آمامه فهم من جعل لذلك وسيلته الدخول فى حواشيه ومصاهرته ولسان حاله ينادى فيما يبدئ و يعيد مالنا فى بنات لك من حق وانك لتعلم ماتريد فلما برع (حسين) وترعرع وابس لامة النجابة وتدرع وهو بحر نوال أمواجه الهمم وروض سيادة الفخر والكرم لم يزل يرسل له هدايا تحف و يتضرع له بعودة بأنواع الخلوص تحف فقال له والده يوما فى أثناء الكلام ايذن لحسين فى أن يلى الرفادة فى هذا العام فقال له تريد أن تضيف السباع وهذه ضباع المعنى جياع فلما علم مافى هذه الكلمة صرع من الكآبة صرح اليأس بجوابه وهيم على قلبه هم أحل تباريح الجوى به فرجع يخفى حنين وشاهد منه كربلاء حسين حتى ذاق بسيف الحسرة طعم الشهادة وليس عليه الدهر من دياجيه حداده فسقى قبره ريق الغوادى الباسمة البروق وان كان فيه بحر كرم يعذب فى أفواه الأمانى و يروق ثم نهض أخوه (مسعود) على قدمه طالعا بدره المسعود بين نجوم أتباعه وخدمه وهو اذذاك فى المعرفة علم وفى طريق المجد ثبت القلب ثابت القدم يتبسم لغرته وجه النهار و يناجيه السعد بما فى ضمائره من الاسرار وله حسنات شهر ماخط فى مجموع الدهر مثلها ولا سجعت ورق الفصاحة بلحنة فى ذوابة هاشمية قبلها ومسعود لو مس عودا بسعده أورق لما جال فى بشر محياه من ماء الندا وترقرق مع شجاعة غير تعدلها الاسد والاسل و يعد الطعن فى الهيجاء كالقبل كما قلت فيه

قوم غزوتهم رأيت جموعهم * مقلا لهن اشارة المتكلم
من كل مقلة لحنة نجلاء مذ * نظرت فراق الروح تبكى بالدم
رمدت فكلها مر اودسمره * من اثمد النقع المثار المظلم
وكأنما رمدت نطوف قوانب * صلت فتسجد وهى ذات تيمم

فلم يزل يخطب من الملك كواعب أبكاره حتى أدركه الغرق فى حياض عماته المترعة من بحار أفكاره فارسى بسواحل شعوب وأنشدته الحال بلسان الخطوب (عباءه مات المحبوب من قبل) فبلغ فى سفينة أمله وفاته وسبقه الاجل كما سبق السيف العذل وفاته فرأيت جنازته والدموع حوله طوفان وقد أرست سفينة تابوته على جودى الفناء والاحزان فلما بدل الامنية بالمنية وسقاه الدهر كاس المنون رويه قام مقامه

﴿أبو طالب﴾ مترشحا لامرها مترقبا بعد موت تقيه لاجتلاء بدرها وكان قبل لا يرد موردا من مناهل آماله الا وقد غص بقذى رقبائه وعذاله

لم ترد ماء حسنك العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

فاراد والده أن يقلده بصارمها ويجعل هيا كل جياده فى أجيادها مقام تمائمها فارسل الامير بهرام فرطايسته فى لهاة المرام وهو منتظر لها انتظار ليلة القدر راجيا أن يحل منها محل القلب من الصدر فنثر على ذلك الرسول جواهر الاحسان والقبول وأهدى له مع كتاب العهد خلعا حسان أزهى بما توشحت به معاطف الكثبان وألبسته عطايا الربيع قدود الاغصان فكان كما قيل

قرت عيون المجد والفخر * بخلعة الشمس على البدر
زر عليه الملك فضفاضها * وانما زر على البحر
ما هو انعام ولكنه * ماخلع الغيث على الزهر

فافيضت عليه خلعة معلمه وأصبحت قلائد الجود فى جيد السيادة منظمه مما تقربه عين الزهرا ويرفع الله به لآل البيت ذكرا وأمره بالدهر عاث وأغصان المنابر باسمه مورقة أثاث وأمطر عليه عهاد الكرم وسميا ووليا وتلا منشوره المعرب عن أنه أصبح لابيه وليا فتبوأ صدر الخلافة والجلاله وورثها عن أبيه حيا لا عن كلاله فاقر بعهده لسانا السيف والقلم ونودى هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والحل والحرم قام فطاف بالبيت شكرا لذلك الانعام الجسيم فكاد يمسكه عرفان راحته لما استلم الركن والحطيم وسورة منشوره وهو مما أنشأته بامر رئيس الكتاب الحمد لله الذى تشرع على الخافقين أعلام عدله وزين حلل الوجود بجوده وفضله ونشكره شكرا تطوف وفود الاخلاص حول كعبته وتقصر الفصاحة بعد التحليق فى أفق البلاغة عن أن تكون مرادفة من شكر نعمته وتسجد له الاقلام فى كعبة الطرس المكسو بسواد مداده وتسعى للصفى فى مواقف اسداره وايراده وصلات الصلاة المسكية النسيم العنبرية الشميم تتوالى توالى القطر المكرر على تلك الاقطار والمثوى الذى تراه اتقد البصائر والابصار

حياك يا تربة الهادى الرسول حيا * بمنطق الرعد بادمن فم السحب
ضممت أعظم من يدعى باعظم من * يسعى اليه أخو فضل ولم يخب
وحزت أوضع من يهدى وأفصح من * يبدى وأرجح من يعزى الى نسب

محمد المرسل بكتاب تمسك باهداب سحر البلاغة والايجاز واستوثق دون بلغاء العرب بعرى الاعجاز فرمى قلوب المعارضين بجمراته وكحل بصائر المطيعين بميل الهداية فاقر وا ببينات آياته وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه أولياء عهده والخلفاء من بعده ما جردت صوارم البروق من اغماد الغمائم وسرى نسيم نجد فابتسمت له ثغور الزهر والنور فى الكمائم هذا وقد أظهر الله عز سلطانه كنز سره المكنون بقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون فعلم به سر الامر فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر فانه ليس بعد النبوة والرسالة الا مراتب الصلاح ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالاجسام بلا أرواح وما الشريعة الا روضة زاهية الثمار متفتحة الانوار تجرى

من تحتها الانهار والسلطان متعهد لها بالحراسة يحميها من كل جان بشوكة السياسة واذا كان ظل الله فى أرضه وشمسه المتضح بأنوار سننه وفرضه فعلى من طلعت عليه الشمس أن يخلع ظله و يقيل فى دوحة احسانه وفضله فانه الشمس الذى تضىء بدور الكواكب بأنواره والبحر الذى تستمد جداول الامراء من أنهاره والسماء الذى تتمطق الجوزاء لخدمته و يخاف الأسد أن يمد اليها يد سطوته والجنة التى تحت ظلال السيوف والمتقرب اليه بمحاسن الاعمال والمستجار به من الصروف والحرم الذى يأمن فيه الخائف وكعبة اللطائف البادية لكل طائف والربيع الذى اعتدلت أيامه بالعدالة فصدحت حمائم الثناء على أغصانها الميادة الميالة

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

ومما ينبغى أن يرسم فى صحائف الافكار و يجعل طرازا على كعبة المحاسن والآثار انه من أهم ما يهتم به من جعل الحجى زيه خدمة طيبة الطيبة ومكة المشرف بها سائر الاقطار الحجازية معدن جوهر النبوة ومهبط آيات الوحى المتلوة ومشرق شموس الانوار المحمدية ومظهر الآثار العلوية العلية ومثوى من شرف الله به نوع الانسان والانموذج الذى صاغه الله تمثالا للجنان كما ورد فى السنه ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنه وكذلك أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس

كأنما هو مغنا طيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

وكان أولى ما يقلده الانسان عقود جواهر الاحسان و يجتهد فى تقليده وتأييد تأييده و يتوجه بتاج التكريم و يعممه بحلل التبجيل والتعظيم و يجزل الصلة لجنابه الموصول و يتوجه بتاج التكريم و يعممه بحلل التبجيل والتعظيم و يجزل الصلة لجنابه الموصول و يضمره فى القلوب القبول بدور فلك السعاده وصدور مسند السياده السادة الاجلاء الاشراف فخر آل عبد مناف وكيف لا يزدادون حبا بعد قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى كل من لم يرفرشاحهم * فهو فى النار وان صلى وصاما

و بالجملة فان مادحهم كمن قال للاسد ما أشد شجاعتك وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك لاسيما طود المجد الشامخ المنيف المرفوع عليه علم العز والشرف الشريف تاج هامة بنى الحسن والحسين الجناب العالى مغرس ثمرات المعانى والمعالى العريق الحسيب الاصيل النسيب ذخر الانام فخر الليالى والايام زهرة الشجرة العلوية فرع الدوحة النبوية

اذا وجهه أو رأيه أو فعاله * تبلجن فى ليل تجلت غياهبه

صارم الخليفة المغمد فى رقاب أعدائه ورحمته الممطرة درر سحابها على أوليائه الحسن الذات والصفات

﴿أبو المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات﴾ أيده الله بنصر لا يبلى جديده ولا تتقيد الحوادث عقوده آمين وقد ورد من جنابه رسول تلقاه من مدتنا نسيم القبول اذ حاب الفيافى من حزنها وسهلها وأدى الامانات الى أهلها وكان كليل سلك بين الجفون فأجاد

ومتع العيون باثمد الصلاح والسداد ومعه منشور أرق من نسيم السحر معرب عن العين بالاثر فأخبر أن مرسله أراد الفراغ وما على الرسول الا البلاغ وتضمن منشوره المذكور أنه أراد الاستراحة من نصب المناصب والتقاعد عما بها من المراتب رغبة عن زخرف الحياة الى خدمة سيده ومولاه وان نجله النجيب الجليل الحسيب الاصيل الناشئ في حجر الشرف الباهر المستخرج من أكرم العناصر ليث غابة بيض الصفاح وسمر العسالة الرماح عليه أمارة الامارة ومخايل النجابة والصدارة

بلغ السيادة في ابتداء شبابه * ان الشباب مطية للسودد

سأل أن يقلده مسارم امارة تلك الديار وما يتبعها من البلدان والاقطار على ماجرت عليه عادة سلفه الذي سلف وقانون من خلفهم من الخلف فأجبناه الى مرامه ومراده وأمددناه باسعافه واسعاده لانه انما نزع سارمها من يده الاخرى وجعل خاتمها بعد يمين اليمنى في يسار اليسرى فسارت الامارة من حرم الى حرم ولم تخرج من حيزان نجد وذي سلم فعليه بعد ما خلعنا عليه حلل تأنق واشيها ورقمت على نسج وحده حواشيها ونظرنا اليه بنظرنا الذي هو اكبر أن يحسن في العمل والتدبير وينظر الى الرعايا بعين الرعاية ويصونهم عن أهل الضلالة والغواية ويؤمن تلك المسالك ويحرس تلك المسالك ويختار من قومه من يحرس أطرافها من العدا ويحميها من كل قاصر في فعله اعتدى ويبطل ما فيها من المكوس والمظالم ويقيم الحدود على مستحقيها من كل باغ وظالم ليخلد في صحائف تلك البلاد الحسنات ويمحو ما فيها من آثار السيئات ويتصرف في بندر جدة على العهد القديم ومن جاور ذلك المقام فليسعفه بالنعيم المقيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ويحرس الوافدين الى ذلك البلد الامين لاقامة شعائر الدين ويحمي بحمايته من ورد أو صدر ويحرس مواردهم الصافية من الكدر ويلاحظ ما لخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدعوات في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ثم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلئ لفظه النظيم ممن في دارة تلك الديار أو هالة تلك الاقطار وانتظم في سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور والاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان أن امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند أبي طالب ناظرا بعين الانصاف متحريا سبيل الاعتساف مصرفا جميع المستحقين بحسن التصريف صارفا من لا يستحق برأيه الشريف وقد أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه من قوم محققة لما فيها من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم من الكتاب من أهل مكة زادها الله شرفا وما في جوارها وطيبة الطيبة طيب الله ثراها وسائر أقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها

أنا أعطينا الفوس باريها * فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

سدد الله سهام رأيه في اغراض الصواب وفتح له بمفاتيح السعد كل مغلق من الابواب ما سقطت من كف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطباء الحمائم (ولـ لام) واذا انتهينا الى هذا المقام فاصغ لما نقصه عليك من عجائب الايام فان المصدور لا بد له من نفثه ومن جهده المسير يطاب على الطريق مكنته فاعلم اننا رأينا كل ملك له مبتدأ تظهر فوائده وعوائده في خبره وانتهاء يقف السعد بعد ورده عند صدر صدره ثم يرجع ما جرى الى قراره فينذر الاقبال بادباره ويعود تدبيره في تدبيره ويقتدر صانع القدر أديمه على مقدار تقديره والى الله ترجع الامور وعلى بحور الارادة يجري الفلك ويدور وقد تظهر قبل آخره فيه قوة فيظهر فرعون طغيانه وعتوه وللشمس زوال اذا ارتفعت وللثمرة سقوط اذا زهت وأينعت وقد يزيد قبل الانطفاء نور المصباح ويحصل للمريض افاقة يسمع بعدها الصياح وتسمى هذه الاطباء النعشة الاخيرة فكم من نعشة تقرب من السقيم نعشه وهذا في غير الخلافة النبويه فانها يا ليتني الذي لا يموت يحميه وقد كان انتهاء صعود الشرف في الحجاز بالسيد حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندري ما يريد ولا ما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصري وأبو جهل وعظ الحسن البصري

فقل بعده للدهر يأتي بصرفه * وقل لليالي افعلي ما بدا لك

وقلت قد جن شيخي وفي الامثال من قدم * ان الشباب جنون برؤه كبره

يا رب فاعقد بقوائم له دبرا * حتى يعود عليه بعد ذا ضرره

﴿قطب الدين المكي النهراوني أصلا ومحتدا﴾ قطب مركز دائرة تلك الاقطار والصدر المستودع لما فيها من الاسرار وهو فاضل جرى في بساتين فضله جداول الآداب وتملك الشعر منه باعظم الأسباب فوقف دون مداه ضده وحسوده ومن قيده الكلال لا تنفك نموده

قد الزمكن جاري جوادا بمقرف * فوائمه مشكولة بحران

فسماء مجده مطلعة لكواكب شعره وزهرة عمره سقيت بماء سروره وبشره تنقطع عند كرمه الآمال وتعجز الامانى ويقصر سلك الالفاظ عن نظم ما فيه من درر المعانى وتقبل أفواه الاقلام على مداده وتهيم سويداء كل لبيب في سواده وتتفتح عيون الانوار لتشاهد ساطع أنواره وتترنم حمائم الحرم باسجاعه وأشعاره ويهب نسيم نجد لشغفه برقته عليلا ويجر على ثراه بيضاء ثوبه له ذيلا بليلا لتغذيه بلبان فصاحة نجد وذي سلم واقتناسه أوابد المعارف بها فاعجب لمن حل له الصيد في الحرم وقد شد حذر هف طبعه يد الكمال وسن أسنة لسانه فانجلى به فريد سحره الحلال حتى تفيأت قنوى تلك الاقطار ظلال براعته وسالت مسائل المسائل في جياد براعته فكان قطب تلك الدائره وعليه مدار فلك الفضل وبه الامتثال سائره فحقول امورها عليه ومنصرف وجوه الاقبال اليه حتى أصبح عالما على حاله

حاليا ومرتفع حظه عن وهاد الخمول عاليا فلا يرد مكة أحد من أهل العلم والصلاح الا ويأوه لحلال الكرم والسماح وهز عطف أمله بنشوة الارتياح الى أن تعدى الاجل من القطب دائرة الامل فدارت عليه رحى المنون ولحقت دقيق أفكاره السنون فدعاه الله لجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة وريحان وطافت بمثواه وفود الغفران وقدنعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حمائم الحرم

حمائم أبلت فى الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق بجيدها

فمما تهادته الركبان من شوارده وعلق فى كعبة الفصاحة من نفثه وقصائده قوله

أقبل كالغصن حين يهتز * فى حلل دون لطفها الخز
مهفهف القد ذو محيا * يعارض الخد قد نطرز
دار بخديه واو صدغ * والصاد من لحظه تلوز
الخمر والجمر فى لماه * وخده ظاهر وملغز
يشكوله الخصر جور ردف * أزعجه حمله وأعجز
طلبت منه شفاء سقمى * فقال لحظى لذاك أعوز
قد غفر الله ذنب دهر * لمن له هذا المليح أبرز
جز فؤادى بسيف لحظ * أواه لو دام ذلك الجز
أفديه من أغيد مليح * بالحسن فى عصره تميز
كان بدمى لفدر آلى * أسيره فى الهوى تعزز
حرم من وصله مباحا * لما أحل القلى وجوز
يا قلب لا تسل عن هواه * وانبت وكن فى الغرام مركز
من علم الغصن حين يهتز * ميل قدود تميل فى الخز
غير رماح القدود منها * ليست بغير الفؤاد تركز
وان يكن هزها دلالا * ليس لغير الطعان ذا الهز
كم وعدت بالوصال مضنى * وعوده بالمطال تنجز
وما حسود اذا توارى * تراه من غيظه تميز
فى ألسنى الغوام لين * بعطفة الصدغ ليس تهمز
خطابه يطرب الأمانى * ولو بهزء على طمز
وشتمه كالمديح يطرى * ومسهب القول منه موجز
كم لحظة منه لى بطرف * فيها رشاه على ملغز
له محيا بديع حسن * فيه جميع الجمال يكنز
ولى به مطلب مصون * بقفل صدغ له مرزز
لو لم يكن حبه بقلبى * ما كان بين الضلوع يحرز

وقلت فى عروضه

قضيب آس على كثيب * أزعجه ردفه وأعجز
كأنما خصره خفاء * معنى له ذو الجمال ألغز
جل الاله البديع صنعا * ومن لهذا المليح أبرز
فاغتنم زمان السرور والطرب * فقرصة العمر فيه تهتز
وانظر بساط الربيع يدعو * لصفو عيش عليه قد عز
مهده لاجتماع شمل * مشت برده مطرز
تخير فيه الزناق نحرا * طبق فيه مفاصل الخز
والورق فى روضة تنادى * من ذل فى الحب فهو قد عز
كذاك قد ذل فى الورى من * يغير رب له تعزز
كطالب الصوف من لئيم * وهو لجرب الكلاب قد جز
وكان من عزيز قدما * واليوم من بزفهو قد عز
وهذه حلة ترقت * عن نسج برد يروق أو فز
لها على القطب دائرات * أضحى لها فى الحضيض مركز

وله فى الوزير سنان لما فتح اليمن

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا اتسعت * له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شامئ مصر
شجرت من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا * وبيض المواضى والمثقفة السمر

منها

وحين أتاه أن قد اختل جلبنا * من اليمن الاقصى أصر على القهر
وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك فجاج الارض فى السهل والوعر
لدى أسد شاكى السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشان ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر

ومنها

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى

ومنها

وهل تطمع الاعداء فى ملك تبع * وتأخذه من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والعنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر

ومن مشهور شعره قوله

الدن لى والكأس والقرقف * وللفقيه الكتب والمصحف
ان كان ما تحبه قسمتى * فليقتسمها مثل ما يعرف
كم يزدرى الكأس ويهزو بها * يخشى على هذا الفتى يقصف

يسب شراب الطلا عامدا * أليس فى الحكام من ينصف
فأترع الكأس على غيظه * وعاطنيها أيها الاهيف
وقل هو القطب بحر الهوى * قد عام والله يا لطف

وله أيضا
أحبة قلبى أنتم قد وردتم * معى منهل اللذات وهو نمير
ووالله ما استغنيت عنكم بغيركم * وانى اليكم ناحيت فقير

وله أيضا
أحسن من غفلة الرقيب * ولحظة الوعد من حبيب
وقبلة كانت اختلاسا * فى وجنتى شادن ربيب
كتب أديب الى محب * طالت به مدة المغيب
تترك من سطرت اليه * أهيم من عاشق طروب

وله أيضا
بدا عرق فى خده فسألته * اذا ما تبدى قال لى وهو يمزح
الا ان ماء الورد خدى اناؤه * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وهذا مثل أورده الميدانى فى أمثاله ولم يزد فيه على قوله كل اناء يرشح بما فيه ويروى ينضح بما فيه أى يتحلب انتهى وقد سبقه الى هذا مجير الدين بن تميم كما وقفت عليه فى ديوانه بقوله

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به رشأ كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وعن الشيخ نصر الله بن مجلى انه رأى فى المنام سيدنا أمير المؤمنين عليا ابن أبى طالب كرم الله وجهه فقال له يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقد تم على ولدك الحسين منهم ما تم فقال له أما سمعت أبيات ابن الصيفى يعنى به الحيص بيص فقال لا فقال اسمعها منه فلما انتبه ذهب الى داره وذكر له ما رأى فى منامه فبكى وحلف انه نظمها فى هذه الليلة ولم يقف عليها سواه وهى هذه وأنشدها له

ملكتم فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلمكم قتل الاسارى وطالما * غدونا على الاسرى نمن ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقد سبقهم الى هذا أبو الفتح كشاجم فقال

ومستفهم عن مدحى له ان تكوّدت * لنا عقدة الاخلاص والحر يمدح
و يأبى الذى فى القلب الا تبينا * وكل اناء بالذى فيه ينضح

﴿وقلت فى الهوسجاء﴾

فتى كان من قيل الشباب مؤاجرا * وقد لاط كهلا وهو تيس سينطح
يبيع برأس المال فى السوق ما اشترى * وكل اناء بالذى فيه يرشح

وهذا المثل لم أر من شرح مورده ومضربه وهو يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر المتبادر أن كل أحد يلوح على ظاهره ما فى باطنه وان أخفاه كما قيل من أسر سريرة ردأه الله برداءها

والثانى

والثانى أن كل أحد يجازى من جنس عمله وهو الذى قصده الحيص بيص وقد قلت فى بعض الفصول وكل عداوة تزول الا عداوة الحسد وكل زارع لما يزرع حصد وبيضة ابن داية الغراب وان جناعليها طاوس عدن لا تفرخ الا الغراب وان كانت عشه فى سدرة المنتهى وقد غذيتها من ثمار الجنة ومنتها وفى صحيح الخبر الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قيل من قال خيرا فله ومن بقل شرا فشر وقال قطرب الخار جى متمثلا قيل للعقرب أنت محبوسة فى الشتاء أفلا تخرجين لمشارق الشمس بالغدوات كما تخرج الناس فقالت ما أحسن أيادى عندهم فى الصيف حتى أآنس بهم فى الشتاء ولله در أبى القاسم المدبوسى فى قوله

أقول بنصح يا ابن آدم لا تسم * عن الخير مهما دمت انك عادم
وان الذى لم يصنع العرف فى غنى * اذا ما علاه الفقر لاشك نادم
فقدم صنيعا عند يسرك وافتنم * فأنت عليه عند عسرك قادم

﴿جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفرايينى﴾ فاضل نشأ بمكة بين تهامة ونجد وربى فى حجر المعالى والمجد فضاق طبعه رقة وطيبا نسيم النرجس والورد وخلعت عليه الايام جمالها وأفاض الله عليه فضلها وافضالها والله جميل يحب الجمال والدهر قد يسعفه وان كان عدوا لاهل الكمال فاذكر ما وجدا وفاح عنبرا ونداً

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وهو فى الفضل عصامى عريق وله عذب مشرب نشأ بين العذيب والعقيق وأنا وان لم أره فقد صاحبت أخاه عليا ورأيته وقد رفعه الله مكانا عليا ففزت بصحبته وقد طافت وفود الآمال حول كعبته

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فمن شعره قوله

فنجان قهوة ذا المليح وعينه * الكحلاء حارت فيهما الالباب
فسوادها كسوادها وبياضها * كبياضها ودخانها الاهداب

قال أبو منصور الجواليقى فى كتاب المعرب الفنجان معرب وصوابه فنجانة وفيه نظر وتشبيه الدخان بالاهداب تشبيه بديع ومثله فى الحسن قول الصنوبرى

بحمرة ملحاف بها الغلمان * أبدع فى صنعتها الزمان
فوارة وماؤها دخان * فى بركة حصباؤها نيران
اذا تبدت حزن الريحان * وسرت الجيوب والاردان

وقلت فيها من أرجوزة أيضا

لله ما أحسنها من مجمرة * أنفاسها طيبة معطرة
كأنها وريحها طيباب * نرجسة من فوقها اضباب

وعلى ذكر الاهداب انظر حسن قولى فى مليح لابس فروة سمور

وظبى من السمور ألبس فروة * وماس كما هزت صبا محرة سمرا
كأن عيون الناس من دهشة به * تخاف أهدابا فتحسبها افرا

ولشيخنا العنابى من قصيدة

قهوة لاصداع فيها نعم فيها مزيل من الصداع مريح
صين فى الصين مسكها فكاها * لعس فى بياض ثغر يلوح
ليل وصل فى صبح اقيا حبيب * طاب منها غبوقها والصبوح

وللاستاذ محمد البكرى أو لمحمد ماماى المعروف بالرومى

أنا المعشوقة السمرا * وأجلى فى الفناجين
وعود الهندلى طيب * وذكرى شاع فى الصين

وكتب جمال الدين للقطب المكى يهنيه بشهر رمضان

ياشيخ أهل العلم فى أم القرى * رمضان هل بهجة لم توصف
فهنن وحدك انذاتك أصبحت * هى أشرف فى أشرف فى أشرف

﴿فأجاب وأجاد وأجاز﴾

ياواحد الفضلاء أنت جمالنا * فهنن بالشهر الشريف الاشرف
شعر بشعرك رباقبه وان * زاد العيار فوزن هذا الاشرفى

الاشرفى فى العرف بمعنى الدينار نسبة للملك الاشرف وتوحيده جرته القافية ولابن القاسم فى مدح من أجابه وأجازه

ولما مدحت الهبرزى بن أحمد * أجاز وكافانى على المدح المدح
فعوضنى شعرا بشعر وزادنى * عطاء نهذا رأس مالى وذا ربحى
لفظت ملوك الارض حتى افيته * فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

وهذا من قول ابن سنان الخفاجى

طويت اليك الباخلين كأننى * سريت الى شمس الضحى فى الغياهب

ومما يشبه هذا قول البيغاء

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أدرك انرجس الجنى وفزنا * منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهر زار فى أشرف الدهر فصل فيه أشرف الخلان

ومدح البحترى طاهر بن اسماعيل الهاشمى فبعث له بدنانير وكتب معها

لو يكون الحباء حسب الذى أنت لدينا له محل وأهل
لحثيت اللجين والدر والتبر * قوت حتوا وكان ذاك يقل
والشريف الظريف يسمح بالعذ * راذا قصر الصديق المقل

فردها وكتب له

بأبى أنت أنت للبر أهل * والمساعى بعد وسعيك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا * مر جيك والكثير يقل
غير أنى وددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل
واذا ماجزيت شعرا بشعر * يبلغ الحق والدنانير فضل

ومثله

ومثله قول أبى القاسم الداودى

ربما قصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاه * فى وداد ونية لا يقل
أرخ سترا على حقارة برى * هتك بر الصديق ليس يحل

ولنورد هنا بالشعر وما قيل فيه فان الحديث شجون وقد قال الصنوبرى

لست أستحسن الربا فى سوى الود فاجزى مثلا بمثل وأضعف

ولما هنأ الشعراء ابن طاهر بولاية خراسان وأنشدهم تمام بن أبى تمام

هنالك رب العرش هنا كا * ما من جزيل الملك أعطا كا
قرت بما أعطيت ياذا الحجا * والباس والانعام عينا كا
أشرقت الارض بما نلته * وأورق العود بجدوا كا

استضعف الحاضرون شعره وقالوا ما أبعد ما بينه وبين أبيه فأجابه بعضهم بقوله

حياك رب الناس حيا كا * ان الذى أملت أحطا كا
مدحت خدنا متهما ماله * ولو رأى مدحا لواسا كا
فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذى أعطيت أعطا كا

فقال أعزالله الأمير الشعر بالشعر وبافا جعل بينهما منحا من الدراهم حتى بجل فضحك وقال ان لم يكن معه شعر أبيه طمعه نظره وأجزل جائزته وقال السراج الوراق

وعوضنى على شعرى بشعر * وجازى بالمحال على المحال
ولست ألومه فيما أتاه * لعادته قديما بالبذال

وكتب دعبل لأبى داف وقد انقطع عنه

هجرتك لم أهجرك كفران نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتك زائرا * فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فان زدتنى برا تزايدت جفوة * فلا نلتقى طول الحياة الى الحشر

فوجه له ألف دينار مع رقعة فيها

الاريب شريف زائر قد بسطته * وآثرته قبل الضيافة بالبشر
أتانى بسترحيب فما حال بينه * وبين القرى والبشر من نائل نزر
رأيت له فضلا على بقصده * الى أن يرانى موضع الحمد والشكر
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودنى حمدا يدوم على الدهر

فردد عبل الالف وقال الشعر بالشعر والبر بالبر ومثل قول دعبل لأبى العلاء المعرى

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * فالعذب يهجر للافراط فى الخضر

وكنت كتبت لبعض الناس شعرا فأجاب عنه بشعر فكتبت له

قد بتلك قد بعثت الشعر دوا * فيما عقدته من الرقاب

خفت بمثله من غير وزن * يعفر فى الوجوه ولا يحابى
عمات بسنة المختار لما * منعت به سريعا فى جوابى
وقلت بلار بارفيت مدحا * بمدح منك صرت به ترابى

﴿أخوه على العصامى﴾ كعبة المعالى ومن به حال الكمال حالى لاعيب فيه الا أن لفظه عطل الياقوت والدر ولاعيب فى نداه الا أنه يستعبد كل حر فهو غرة الجمال وصورة الكمال اذا نطق فما الروض زاره الحيا واذا تهلل فما النهر حياه برق السما ولعمرى ان جده أسعد الله يجمع شمل الفضائل جده

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وهذا الحفيد عقد المناصب به نضيد لم يفتخر بآبائه ولم يبتهج بنضارة أصله ونمائه لما اعتصم بعروة الفضل الوثقى وصعد الى ربوة المجد وترقى وقال أنا عصامى لاعظامى وان كنت لذمار آثرى حامى فألف وصنف وتوع قرى الاسماع وتحف وأفاد الطلاب وحل باسنان قلمه عقد المشكلات الصعاب وأقام فى جوار بيت الله وحماه معتزلا عن الناس ولابدع أن يعتزل جار الله وكان عن ورى به زنادى وروى من ورده فؤادى وسعرت بالاستفادة ناري وفك عن ربقة الجهل بفضله اساري ولم يزل يرسل الى وفود أخباره ويهدى نسيم نجد الى نفحات آثاره الى أن صم الخبر وعمى فائد الاثر وبينى وبينه مكاتبات منها ما كتبته اليه مع سمك مولاى أطال الله بقاك ورفعك على هام السماك أنهى اليك ناثر اللآلئ المعذرة بين يديك انى زرت البحر أخاك ويد الريح جاءت لما بهتت عيون الشباك فأهدى الى من السمره ما كدت معه أسطاد حوت السماك بشباك الجمره وأرسل لى بارقى أمواجه فأنسانى الدهر وخطبه فلا أدرى أأعرض عنى أم واجه وأهدى الى حيتانا كأنها خناجر قطعت من الجوع العلاصم والخناصر فصير جيد آمالى حاليا وأذكرنى وما كنت ناسيا بحر عطائك وهو أكبر ولكن الشئ بالشئ يذكر فارسلت وان كنت لكن أهدى للجنان غض الزهر وأرسل الشمع للشمس والتمر للسحر

أرسلت أسمكا كالى * من مجسده حل الفلك
أرأيت قبلى مهديا * أهدى الى البحر السمك

وذكر مرة فى درسه قول الرئيس ابن سينا فى بعض كتبه حديث ان الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم الغد فقلت انه لم يسنده وهو بكلام النبوة أشبه وقد نظمته فقلت

من يترك الدنيا يسد أهلها * ويقتطف زهرتها باليد
لاتسكن التقوى ولا حكمة * منزل قلب فيه هم الغد

وللامام الشافعى رضى الله عنه قريب منه

كم صاحب رأيته فوق هامته * لو كان يعلم غيبا مات من كمد
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد * ماذا تفكره فى رزق بعد غد

﴿أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا﴾ درى فى حقاق الدهر يتيم ودوحة أدب هز هامه مرور النسيم بعذب طبع مسلسل وبرد فصاحة على الشعر مهلهل اذا نسج حلله على منوال فهو من الطراز الاول فهو توأم نسيم السحر وشقيق الماء والزهر وربيب الحسن سقاه ماء الصبا وخدن الحمائل قدم علينا رسول الصبا مع خلاعة ومجون وحديث صبابة كلها شجون فى قتيبة ينظمهم الطرب نظما يرقص له الحبب

لايجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

لحسن دره اليتيم وعقده النظيم

لله محكم قهوة تجلى لنا * فى أبيض الصينى طاب شرابها
فكأنما هى مقلة مكحولة * ودخانها من فوقها أهدابها

ونحوه ماقلته زرت روض الحمى الاريض مخيرا * اذ دعانى اليه سجع الطيور
وكأن الشقيق تحت ضباب * مجمر فوقه بخار البخور

وقد مر قريبا نحوه

﴿سراج الدين بن عمر الاشهل المدنى﴾ سراج وهاج أشرقت منه أنوار الفصاحه وانجلت أبكار أفكاره فى حلل الملاحه حديقة سحر وحقة شحر تقطر منه مياه اللطف الجاريه وتجرى برقة الحجاز وظرف العراق وجزالة البادية ولم يزل مقيما بجوار الرسول عليه أشرف تحيه حتى ألطف سراجه سر المتنبه فمن شعره قوله

أرسلت رسلى لقهوة سحرا * فما أتوا سرعة من السكسل
فقيل صفها فقلت مقتبسا * جاءت على فترة من الرسل

وله أيضا ما الحال قالوا صف لنا * فلعل مابك أن يزاح
فاجبت مايخفاكم * حال السراج مع الرياح

وقد سبقه لمثله فى كثير من شعره السراج الوراق فمن محاسنه قوله

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
فما قال لى أف فى عمره * لكونى أبا ولكونى سراجا

وله أيضا الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكر النعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * وتورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى فسرنى * وماساءنى أن السراج منور

﴿وللسراج الوراق أيضا﴾ كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدد تنورا

وللشعراء المتأخرين كثير أشعار تتعلق بأسمائهم وقد نحوت نحوهم لما قلت

قالوا نراك سقطت من رتب * أترى الزمان بمثل ذا غلطا
قلت الشياطين اللئام علوا * ولذا الشهاب من العلا سقطا

(أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا)
(سراج الدين بن عمر الاشهل المدنى)
(أخوه على العصامى)

﴿عبد الرحمن وعلى ابنا كثير المكيان﴾ أديبان هما فى وجه الكمال غره وجوادان سماه كرمهما للعافين سره امتطيا ظهر المجد ونزلا بطن تهامة وظهر نجد بهمة اذا غزتها النوائب كانت عن حد المرهفات نوائب النجا فى الدولة الحسنية الى طراز الدول وأوبالها حيث لا عاصم من طوفان الخطوب الا ذلك الجبل فاصبحت يد الجود لاسباب الغنى رابطه ونظمت عقود الكرم فى جيد أملها بلا واسطه ففى تلك الاكف بحار تغرق فيها الآمال ويرتشح من عرق الخجل اها جبين السحاب الهطال من نل من مسحت راحة احسانه قذى الفقر عن عين زمانه فنادى لسان العيان قد وضح الصبح لمن له عينان فما أنشد لعبد الرحمن قوله

كبار زماننا أضحوا صغارا * وقد غضب الزمان على الكبار
كأن زماننا من قوم لوط * له واع بتقديم الصغار

وفى معناه قول المعمار أبى مغرى باللواط الذى * يفح لاسيما على مثله

أوقف حالى لاتسل ماجرى * وصرت خلف الناس من أجله

وقلت وزمان فيه الصغير تقدم * أتراه لذاك الذنب يندم
لعن الله قوم لوط فهم قد * علموه التقديم حتى تقدم

وقلت أيضا وهو أحسن مما تقدم

أقول لهذا الدهر عتبا على م لا * تقدم من قد قدمته الورى حقا
فهم بتقديم المقدم نوبة * فمكان الذى قد رام تقديمه عاقا

ومما أنشدته لعلى بن كثير قوله صحبت الأنام فالفيتهم * وكل يميل الى شهوته

وكل يريد رضى نفسه * ويجلب نارا الى برمته فلله در فتى عارف * يدارى الزمان على فطنته
يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى قدرته
ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

وقوله يجلب نارا الى برمته البرمة قدر من حجارة بلغة أهل مكة وهذا المثل كقولهم فى مثل آخر كل يحطب فى حبله ويجر النار الى قرصه أى رغيفه وما أحسن قول الآخر

ويوم قرزاد أرواحه * يخمش الابدان من قرسها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرسها

وفى معنى قوله ويرقص للقرد الخ قول الاهوارى

قل لمن لام لاتلمنى * كل امرء عالم بشانه
لاتذب فيما فعلت انى * رقصت للقرد فى زمانه
من كرم النفس ان تراها * تحتمل الذل فى أوانه
لابد يانفس من سجود * فى زمن القرد للقرود

ولابى تمام

وتقدم الصغار داء قديم * ممن ابتلى به التعالبى وقد اشتكاه بقوله فى قصيدة له

لك الدنيا ومافيها بسلاد * تلاحظها بعينيك احتقارا

تكبر ذا الزمان على بنيه * فعش حتى تعلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى ترذهم صغارا
خدمت لك الملوك أروض نفسى * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت الدنيا جعلا * لك الدنيا ومافيها ثمارا

﴿محمد بن أبى الخير ابن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا﴾

بليغ عذب البيان نجيب سبط البنان طويل النجاد وسيف اللسان رأيته وأنا بالحجاز وليس بينه وبين الكمال حجاز وأنشدنى له شعرا من خير الامور وقد يقع ما يحلو لطيف السرور الآن أكثره فى الاهاجى ومنه ماهو فى المعميات والاحاجى فمما أنشدنى له قوله

ياذا الذى فى خاله حبة * سوداء فى الخد الشديد الصفا
دعنى أقبلها تزيل الضنى * فالحبة السوداء فيها الشفا

وله فى مليح اسمه على لعلى محاسن * مالها فاظ مشبه ولشامات خده * كرم الله وجهه والدعاء بكرم الله وجهه مختص بالامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى لسان الناس لانه أسلم صبيا ولم يسجد لغير الله وقد روى الشيعة فيه أثرا وهو ان أمه رضى الله عنه وهى حامل به كانت اذا جاعت اصنم أحست بتحويل وجهه عنه فى بطنها ولم ترفيه منقلا لغيرهم انتهى

﴿العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة شرفها الله﴾

علامة الدهر خصوصا الحجاز فاذا نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته وتوجهت وجوه الطلب الى قبلته ان حدث عن الفقه والحديث لم تفرط الآذان بمثل أخباره فى القديم والحديث فهو العلياء والسند ومن تقل سهام أفكاره الزرد تآليفه غرر منيرات أضاءت فى جوه دهم المشكلات فكم أغنى بتحف أفكاره محتاجا وأوضح للارشاد منهاجا ولود الليالى عن مثله عقيم ودر يانع نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم نشرت على الدنيا خلع الفرح وترنحت ببديع صفاته المدح أقلام فتاواه مفاتيح ما ارتج من المسائل المشكله والعلم باب مغلق مفتاحه المسئله وهو من أجل مشايخى والدى الذى ورثت من علومه طمارى وتالدى رحمه الله تعالى

﴿علاء الدين بن عبد الباقى﴾ صاحب كتاب الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش رأيته فرأيت منه عذب بيان بديع فى صورة أديب خليع ورأيت كتابه هذا وهو فى وجه أدبه شامه وعينا فى محيا عمره نظر به الدهر وشامه وله ربيع أدب وريق وسلافة خلاعة نقلها قبل وريق وأنشدنى من شعره طرفا لم يتعطر كتابى بنشره وكتاب ابن الجوزى فى معناه فاح من مسك مداده عرف طيبه وشذاه

معطر من حدق الحسان * مركب من ملح الخيلان
كانه فى ناظر الزمان * انسان عين الحسن والاحسان

﴿القاضى حسين المالكى المكى﴾ سماء سحائب الكرم وسائد نقص المعالى فى حمى الحرم

اذا انثرت صحف نداه طوى ذكر حاتم طي أو رفعت رايات علاه فليس غير السودد في أوذكر
الكرام فهم له خدم أو أينعت رياض محبرة دارت أنهار جوده حولها خدم ذو همة
نظمت راحتها عقد الكرام و بدت ما تجمع من خطوب الايام بطبع ألذ من محادثة
الحبيب وأعذب من مقاكهة الصديق الاريب وغرة أشهر من مثل وعن الملوك فلا تسل
شريف النسب سرى الحسب اذا أخصبت بماء النداء عذباته الخضر أجدبت ساحته
من الحمر والصفر ان قال يا عنبر جاء الشذا * أو قال يا ياقوت جاء الذهب
يشرق نور النبوة من بارق أسرته وتطلع بدور الهدى من هالة أسرته ثم لم تزل السعود في
خدمته قائمة وعيون النوائب عن معاليه نائمة راقيا من مطالع الكمال أوجها بجبا بغيض
سنا من بدور التم أوجها الى أن تولى قضاء طيبة الطيبة وأمست خيام سعده على هام الفلك
مطنبة فبدا لمحاق بدره وختمت يد القضاء صحف عمره ويقال انه هبت عليه شعوب
بعواصف السموم و جرعه ساقي أجله كاس السموم وكان في شرخ شبيبته واقبال
راية طليعته في خمول برى الدهر الصبر كيف يكون ويعز والخطوب عليه تهون

همم الفتى في الارض أغصان الغنى * أبدا ولبست كل حين تورق

﴿شيخنا العلامة علي بن جار الله المكي الحنفي الخطيب مفتي الحرمين الشريفين﴾ خطيب
مصقع لفظه بالفصاحة موشى موشع اذا انحدر من تلعته ماء بلاغته وسال بطحاء أم
القرى سلسال براعته شهد بفضله الناس من فاجر ومن بر وكاد يخضر شحته أعواد كل منبر
فتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي أغصان
فعطر المحافل طيبا فلا ندري أنسمع طيبا أم شم خطيبا رأيته وقد طعن في السن وليس له غير
العصافنا وقد رقى شرف السبعين وهي سلم الغنا وهو ينشر في ناديه حبر الربيع الأنيث
وترفع له القناوى في عصره وأسانيد الحديث ووردت منهل افادته رائقا وأخذت من اجازاته
ماسرت به على الاقران فائقا وهو في مذهب النعمان لشيخنا المقدمي شقيق وأم القرى لم تلد
مثله من نجيب عريق

﴿علي الكبيز واني المغربي نزيل مكة المشرفة﴾ صوفي أقام بمكة لا يبارد التقى حتى أحرم
وتجرد من لباس البقا وله شعر على طريقة أرباب الحقيقة كقوله

رق الشراب وراقت الكاسات * وتشابها فأشاكلت المشكاة
اشرب هنيأ ان فهمت حديثنا * أنت الكاس وذاتك الميقات

وهو كقول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

﴿معين الدين بن البكاء نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله﴾ نديم دمث الاخلاق متوشح
ببرود لطف حواشيها رقاق فهو للادباء صدر وناديه مثله واسع الصدر نبتت دوحته

في رياض الحسب فاجتنى منها زهرة الحياة وفواكه الادب وله من طيب الانفاس ما تسكره
الحميا والكاس عما وأحلى من ثمرات الاماني في غب مرارة الياس وهو ممن ساجلته وأنا
للادب ممتاح ونادمته والعمر مورق بالمسرة مثمر بالنجاح

ليالي أعطيت البطالة مقودي * تمر الليالي والشهور ولا أدري

وكان بعد ما وقع له بالروم هاجر لبني حسن وأقام في ظلهم بمكة مؤتلفا بهم ائتلاف المقلة بالوسن
فأينعت ثمرته بعد الذبول وسقاه صيب كرمهم وهبت له نسمات القبول فلما توفي السيد
مسعود تبدل بالنحس السعود فجرد بياجته وارتحل عملا بقولهم اذا نبا بك منزل فتحول
ولأمر ما ثنى القرن عطفه وجدع قصير أنفه وكانت أيامه غضة نضره تكاد في عصره
تقطر منها امياه المسره وكان في جمع المعارف والنوادر ممن لم ير الدهر نظيره ولم يطن على
سمعه حديث كأحاديثه النضيره فهو ذكاء الفلك وما هو بشر بل ملك فما ترشح من
قطراته وجرى في المسامع من عذب كلماته قوله

ياشقيق الروح والجسم ويا * دوحة بالود فضلا أثمرت
بحياة الود الا صنته * لجب روحه قد سعرت
كنت لا أخشى حسود الاولا * عين واش ان دعوه نظرت
وأرى الود وهي بنيانه * ما كأن العين الا أثرت

ومن شعره تذييل لبيت القاضي الفاضل

تراءت ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهها صورة البدر
ولاحت عليها حلها وعقودها * فأثر فيها صورة الانجم الزهر

وله أيضا حاذر زويلة أن تمر ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
لموسط القتلى يقول بها انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وهو تضمين لقول ابن نباتة السعدي من قصيدة

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد

ومن شعره قوله في تقسيم الايام

الدهر أربعة أيامه انحصرت * صحو وغيم وريح ثم أمطار
فالصحو ظرف لاصلاح المآرب اذ * تقضى من الصيد يوم الغيم أوطار
ويوم ريح لنوم لاحراك به * ويوم هطل السما للكاس مدرار
واليوم قد نثرت در انحائبه * على بساط ربى يكسوه أزهار
فبادر الكأس يا بدر الزمان فمن * ضياء وجهك لا في الافق أقمار

﴿العلامة عبد الرحمن الخياري نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام﴾
فاضل اذا جمعت الفضائل فهو منتهى الجموع وكامل كماله كثمر الجنة لا مقطوع ولا ممنوع
لما رأى الوقت سيفا لا يقطع الا الاعمار وان المرء قبل فوت الفرصة على أيامه بالخيار لم يمض

له وقت فى غير العباده ولا ساعة فى غير الاستفاده والافاده بوجه أبلج وضاح يلوح من غرته نور السداد والصلاح كان الله جمع له المناقب فاختار منها واتقى ورأى أن أحسنها وأكرمها التقى وآثار أقلامه يحسدها الحور واللمى ويعرق منها خجلا خدّ الروض بالندا

أبدى صنيعك تقصير الزمان فقى * خدّ الربيع طلوع الورد من خجل

كان فى زمن الطلب ومناقشة اخوانى أولى الادب صديق روحى وشقيقها وريحان مسرتى وشقيقها وعود الزمان خضر وريق ووجه بشره بسام طليق ولما رأى أن الله أوصى بالجار رحل لطيبة الطيبة وسكن فى جوار النبى المختار فدخل روضة من رياض الجنة فى حياته واذا أنعم الله على عبده حياه بنعمة لا يسلبها منه بعد مماته فكتبت له منشورا للغاته وملتمساً صالح دعائه

يا نسيما من نحو طيبة ساري * مهديا عطر نشرها والعرار
مر يا بشره بغير بشر * فى حشا جونة الفتى العطار
خذ فؤادى فذا الهجر شوق * وغرام بمضمر الوجد وارى
موقدا فيه عنبرا من مديحى * لحبيب المهيمن المختار
لمقام بمقتضاه بليغ * لا يوفى بلاغة الاسرار
وفصيح فصاحة اللفظ فيه * زاد حسنا بكثرة التكرار
ولمن فى ذراه من كل جار * حاز حفظا لعيشه بالجوار
فهم خز رجى وأوسى وان لم * يسعف الدهر بالمنى أنصارى
سيما سنوى الشقيق لروحى * وهو عبد الرحمن حامى الذمار
قد تملى بروضة حاز فيها * مثمرا السعد مزهر الأنوار
باع دنيا دنت باخرى تسامت * فغدا فى مبيعه بالخيار
فعساه يمن لى بدعاء * مستجاب فى ليله والنهار
لبحوز الشهاب أعظم سؤل * وأمان من مطلع الأقمار
ما ارتدى الليل من برود الدياجى * حلة طرزت من الاسحار

فأجاب سقى الله ثراه

بعد اهدا أسنى السلام السارى * من ربى طيبة أجل الديار
فاقتفا طيبه شذا كل مسك * فاقتفا نوره دجى الاسحار
لحبيب فى الله خل وفى * طيب الاصل ذى الثناء السارى
أحمد الفعل والشهاب المرجى * كاشف المشكلات كنز الفخار
دام فى نعمة وعز ولطف * من اله الورى الكريم البارى
محييا سنة الاولى سبقوه * باتباع الاولى وحسن الوقار
وصلاة مع السلام دواما * للنبى المجتبى المختار

ولآل وصحبه ما اضمحلت * ظلم الظلم باجتلا الانوار

فانى أحمد الله تعالى وأصلى وأسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم وأعرض كثرة الاشواق وتزايد الوداد الذى لم يغيره تعاقب المدد والبعاد ودوام الدعاء المرجو القبول لاسيما تجاه أكرم نبى وأشرف رسول ووصول مكتوبكم الكريم وحصول السرور بلوامع مضمونه وبدائع مكنونه وقد بلغنا حسن سيرتكم فى المناصب ومزيد العفة فجزاكم الله تعالى خيرا وأعانكم وسددكم ولا تقطعوا أخباركم السارة جمع الله لنا ولكم خيرى الدنيا والآخرة بجاه المصطفى الامين آمين

نفحة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره فى هذا الزمن ممن بقى هو من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد فهم رحمهم الله تعالى

﴿عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى﴾ فرع من ذؤابة هاشم وبضعة من وشيج تلك المكارم من آل مطهر وهم ملوك مكرمون لا يمس مجدهم الا المطهرون من حدث البشرية ودنس الهيولى الدنيئة من كل من قضى للعلياء وطرها وتلا آيات المجد وسورها تعبق منهم أنفاس النبوة وتجر على وجه البسيطة أذيال الفتوة ولم تمح محاسنهم من صحف الليالى والايام ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والاقلام

مغار من طالت فى ربى المجد فالتقت * على أنبياء الله والخلفاء
اذا حمل الناس اللواء علامة * كفاهم منار النقع كل لواء

حتى أغارت عليهم جيوش ابن عثمان فذوى ذلك الثمر واستغت الايام ماء حياتهم فلم يبق الا الكدر فالتجأ الى جبل كوكبان واستظل به من هجير حوادث الحدثان وهو جبل تضىء فيه قناديل النجوم وتلتف على هامته عصائب الغيوم يزاحم الافلاك بالمناكب ويكاد أن تلتقط سكانه لآلئ الكواكب

عال كأن الجن مذ مردت * جعلته مرقاة الى السر

وهو الآن تاج على رأس الزمن وخال تتزين به وجنات اليمن كأنما شمخ كبرا بمجاورة من به نزل وصار كبيرا أناس فى بعاد مزمل

وطود على ظهر الفلاة كأنه * طوال الليالى مطرق فى العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم * لها من وميض البرق خضر ذوائب

نحيى به آثارا بانه بعد مماتها ويردّ روح المكارم للآمال بعد وفاتها ونواتها لما التقطته من بعض السيارة من أشعاره وأهدته الى تجار اليمن من تحف آثاره قوله من قصيدة مدح بها أخاه عز الدين

خطرت فقال الغصن صل على النبى * وبدت فقالت للشموس تنحى
وهموطها دارت على لباتها * وزهت فقلنا للنجوم تغيبى
لاحت لنا كالبدر ثم تبرقعت * فرأيت بدرا حل قلب العقرب

(عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى)

وبخدها خال آراه همه * حسنا ونسبه بلون أجنبى
فاطرفها عزانكسار جفونها * ولعطفها تيه المدل المعجب

ومنها منى على بزورة أحيا بها * فى أنس قربك أوعدينى واكذبى
رقى بعزك ياسعادة لذتى * منى ومنيتى أمانى أشعب
ما أحسن الاطماع يرجى نيلها * والصب بين مصدق ومكذب

ومنها ياليت شعرى هل أفوز بمطلبى * من ثم ذبالة الخديد المذهبى
من لى بشهمى الجمال ممنع * مادونه لمحبه من مذهب
هتلون كمدامعى فوعوده * لقبتنى بالخائف المترقب
ياقلب مالك ماانقلبت عن الهوى * والقلب قد قالوا كثير تقلب
خل النسيب فقد أطلت وعد عن * ذكر الصبابة واشتغل بالانسب
كفر زخارف زورها بالثنا * وانشر ملاآت الحديث الاطيب
وصفات عز الدين والدنيا ومن * ماقلت فيه من الثنا لم تكذب
حدث وقل ماشئت فى أوصافه الحسنى وحى بكل فن مجرب
أسد تخاف الاسد ثعلب ربحه * وعجبت من خوف الاسود لثعلب

قوله صل على النبى المراد به التعجب والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا كقول شيخ الشيوخ الانصارى بحماة

لمن رأى ذلك الوشاح الصائم صل على محمد

وقال عرقلة

أقبل يهتز فى غلالته * من ليس يشفى لعاشق غله
فقال كل امرء تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقد تابعتهم فقلت فى قصيدة

ظبى على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم
مذ غبه والدموع بحر * يترب أقدامه تيمم

ومثله قولهم الله أكبر كما قال ابن النبيه

الله اكبر ليس الحسن فى العرب * كم تحت كمه ذا التركى من عجب

وهو قد اقتدى بعلى بن الجهم فى قصيدة مدح بها بعض الخلفاء

الله أكبر والنبى محمد * والحق أبلج والخليفة جعفر

وقد عابه شعراء عصره حتى قال فيه مروان بيجوه

لما وصلت الى الامام عشية * وكذبته ومدحته بآذان

وقال أيضا أراد على أن يقول قصيدة * يمدح أمير المؤمنين فأذنا
فقلت له لا تعجلن باقامة * فلست على طهر فقال كذا أنا

والامام النووى رحمه الله تعالى صرح فى الاذكار بأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مثله ممنوعة شرعا والوارد فى مثله سبحان الله وقال الحليمى من أئمة الشافعية انه جائز بلا كراهة و بينوا وجهه فى تفهيم (الطيفة) من غريب التمليح ماوقع فى مجلس أبى بكر

ابن

ابن زهر من أن بعض أدباء الاندلس كان عنده فدخل فاضل من أهل خراسان عليهم فأكرمه ابن زهر وأجله فقال الاندلسى ماتقول فى علماء الاندلس وأدبائهم وشعرائهم فقال كبرت فلم يفهم جوابه واستبرده فلم يفهم ابن زهر انكاره ثم قال أقرأت شعر المتنبى قال نعم وحفظته قال أما سمعت قوله

كبرت حول ديارهم لما بدت * ثلث الشموس وليس فيها المشرق

فعلى نفسك فلتكبر وافهمك فاتهم وأنكر فجعل واعتذر أقول هكذا فلتكن محاورة الادباء وأراد أبو الطيب بتكبيره التعجب وقوله فى القصيدة أسد الخ فيه ايهام بديع فان الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان والحيوان المعروف ومثله قول ابن الساعاتى

ولو علك الملك الأهلة عنده * أبى فخرها الا نعالا لجرده
اذا مات جيشا للعدو تلاعبت * ثعالب أطراف الرماح بأسده

وقوله أوعدينى واكذبى يقطر منه ماء الطلاقة كقول مهيار

ياماطلى بالدين ماساعفنى * اليسك ترداد المواعيد ربى
ان كنت تنجز ثم لا تلتقى * فدم على المطل وقل واكذبى

﴿وللشريف الرضى﴾

يعجبنى مطل غريم الهوى * لطول ترددى الى الماطل

ومثله حسن كثير قديما وحديثا كقول الطغرائى

وتعجبنى المواعد كاذبات * لترددى اليه على المطال

﴿ولابن الفارض رضى الله عنه﴾

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الهوى حسن المطل

﴿السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى﴾ هذا أيضا من أشراف العصريين وقد أنشدنى له بعض أصحابنا شعرا يفوح منه عرف تهامة ونجد و يترجم عما فيه من المجد كقوله من قصيدة له

من أين يخلق وجدك المتجدد * ويزول عنك حنينك المتردد
وقد استفزك بالرحيل مودع * قالوا الرحيل غدا عدمتك ياغد
ياناز ان على العذيب وثهمد * بأبى وبى كيف العذيب وثهمد
أخزامه وبشامه وأراكه * خضر على ماتعهدون وأعهد

ومنها الحج يقصد كل عام مرة * وللك العوالم كل حين تقصد

وهذا المعنى كثير مسبوق اليه كقول بعض العصريين

كعبة أسست على الفضل لكن * كل حين لها تحج الوفود

أصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه فى بستان ما أحسن هذا البستان فقال له أنت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل حين وممن قرب عهده باليمن

﴿عبد الهادى السودى صاحب الديوان المشهور﴾ فاضل جمع فى أغصان الالفاظ ثمار

المعانى وعارف بالله جناه فى كل حين دانى شيخ الطريقه العابر من فطرة المجاز الى الحقيقه
جمع من بضائع الأدب ماراق صنعا وحسنته لرقة نسجه برود صنعا ونسج من مهلهل الاشعار
فى السلوك ماكان قلمه على منوال طرسه ممكوك وشعره مطبوع وعلى أكف القبول
مرفوع تلذبه الاسماع وتطرب على السماع وأكثره على لسان أهل العرفان الذى
هو للحضرة الالهية ترجمان كقوله

كيف حاروا فيك واعجبا * يامنى سمعى ويا بصرى
أنت لاتخفى على أحد * غير أعشى الفكر والنظر
حيرة عمت فأى فتى * رام عرفانا ولم يحسر

وقوله من قصيدة عاذلى فى الحب أوخطره * لست من ليلى ولا سمره
أنانى واد أظن لثما * قلت فى الافياء من شجره
لاتطل فيه الملام الى * أن تذوق الحلو من ثمره
ياحلول الشعب من أضم * أنشقونى النشر من زهره

وهذه على منوال قصيدة أبى نواس التى مطلعها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
كن الشنآن فيه لنا * كسكمون النار فى شجره
لاأذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهى طويلة فى ديوانه وممن قرب عهده أيضا

﴿اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن على﴾
العلوى الزبيدى الشافعى من ذرية اليمنى ﴿شارح الكشاف أغر يمانى منه تجنى
ثمار الامانى سحاب فضله أوطف الأهداب أخصبت به رياض المعانى والآداب نقاب
محدث تنم أفكاره على أسرار الغيوب وريح مريع اذا أنبت الربيع البقل أنبت ريحان
القلوب ولدبزبيد وبيت شرفه فيها مشيد

ولدت به أم السيادة أوحدا * منضما معنى العديد الأكثر

وللدهر فيه عداة لاتعرف المطل ومقدمات مرتبة لنتائج الفضل حتى ظهرت له اليد البيضاء
فى الفنون العقلية والنقلية لاسيما ما أبدعه فى شرح الجامع الصغير من دقائق العربيه
فكم شفى افهاما مراضا فلوبها ولايعرف الادواء الاطبيبها كما قال تلميذه الصدر فيه من قصيدة

وان تكن للنحو أصلا فلا * غرو فاسماعيل أصل العرب

مع شرف الحسب وعلو شجرة النسب فهو محكم مفضل معمم مخول والفخار فنون كما أن
الحديث عنه شجون والاخبار الصادقة على محاسنه عيون وقد رأيت من آثاره أبكار
عرائس وحورا مقصورات فى خيام الأفكار أوانس لاترتضى الثريا عقدا والزهرة قرطا ولا
تلبس المجرة رداء ولا مرطا كشرح الجامع الصغير وتعريف البيان فى شرح لقطة العجلان

(اسماعيل الزبيدى الشافعى)

للزركشى فى المنطق والاصلين والجدل وهو كما قال فيه نسيبه الفاضل عفيف الدين

ياسائلى جهلا عن اسماعيل عن * مقدار رتبته ورفعة شانه
أنصت تجد تعريفه وبيانه * كافيك عن تعريفه وبيانه
أولا نعذرك فيه عذر واضح * والشئ قد يخفى لبعد مكانه

والشعراء عصره فيه مدائح كثيرة كقول عامر بن هارون الموزعى

رأوك فضلتهم أدبا وسعتا * فقالوا مثلك عدوا ناوجهتا
ورام وا النقص منك فأكذبتهم * ظنونهم وعاد الذم نعتا
حماهم نجم سعدك أن يحلوا * محلك أو يحوموا حيث حمتا
تصرف يا ابن ابراهيم فيما * حويت من المعارف حيث شئتا
وكيف يسومك الحساد خسفا * وأنت أجلهم حظا وبختا
وأبرع من تلفت المعالى * اليه ومن يرى قلما وأفتى
وقد ناديت لما سرت ربى * بما ناداه ذو النون بن متى
بأن يكفيك عادية الليالى * وتحملك السلامة حيث كنتا
وقد أوتيت سؤلى فيك اذلم * تزل فوقا ومن عاداك تحتا
فدونكها عروسا من صديق * تمت بحجة الآباء منا
وخذها غضة من منطق لا * بألثغ لايبين ولا أرتا
ربطت بها معالى الشمس قسرا * وقومت القوافى فيك نحتا
يود البدر لو ترضى به أن * يكون لها أخا والشمس أختا

وقد حاز قدرا عاليا ووجاهه ونشر من الفضل ما أيد الله به عزه وجاهه مع زهد ليس طرفه
لزخرف الدنيا براني ولا بدع فالحكمة يمانية والايمان يماني روح القدس روحه وزاد من
نعيم الجنان فتوحه

﴿القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العودة لرسومها وأطلالها﴾

لما كانت مصر القاهره ربوعها بالفضلاء والأدباء عامره وهى عشى الذى منه درجت
وركرى الذى به ريشت ومن بيضة بلده خرجت

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

رأيت أهنى العيش ما كان فى الوطن والنعيم المقيم انما يكون فى الاهل والسكن الا انها أبدت
العقوق من حين عقت التعمة وأذاقتنى الاذى وجرعتنى الدم فى المشيمه وأخرجتنى
من مضيق لمضيق وشدتنى فى المهد فيدى الوثيق وما كشفت عن وجهى القناع حتى فطمتنى
قبل الرضاع

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد

تقدم ما
يشار به
المضبوط

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فنغرت من ظلى وأسأت الظن بسميرى فكرى وعقلى وعادتنى نفسى فخاطبتك بأهلى وأعدى عدوك بين جنبيك فما لك بغيرك ان كان لك أو عليك

قلبى الى مانرى داعى * بكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

فقلت أهل بأهل ودار بدار والعمر فرصة فالبدار البدار فالدهر عقب والعجز نصب وكل ماتهواه حسن وليس لما قرت به العين ثمن ومن كان من تراب فالناس كلهم أقارب وماخاب حر رفيقه الرجاء والعزم نجائبه وما أحسن الثبت ان ساعدت الاقدار وما أجمل الصبر لو صبرت الاعمار وماقال الله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت الا ارشادا لك للرحيل وأن كل دار سقفها السماء ظلها ظليل

وكم نبت الاوطان بوما بأهلها * فأورثهم عز الحياة التغرب

وهذا رسول الله فارق مكة * على جفوة لم ترضها فيه يثرب

ففى كل قوم اوس وخزرج ومن العمود الى العمود فرج وكليم الله آنس نارا فذهب ليأتى منها بقبس فكلمه الله جل جلاله حتى اقتبس من نور النبوة ما اقتبس ولما ارتحلت حمدت السرى ونبهت عيون حظى من سنة الكرى تركت بها من سادتنا العلماء والادباء والرؤساء عصابة وأى عصابة ﴿أهل السماحة والنجا حة والاصالة والاصابة﴾ كرام اذا اخلفت الانواء خلفوا سحابه واذا استعبد الكرم الاحرار ملكوا رقابه ففارقت من فارقت غير مذمم ويممت من يممت غير مليم وهكذا الدهر مولع بالبين فكأنه خاف اللعن فلا يجمع بين ساكنين

وعما أعان على الزمان * عفاف يدى وعلو الهمم

فانى من العرب الاكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

فمن كان بهما فى ذلك الزمان ثم دخل بعد ذلك فى خبر كان

﴿محمد بن يس المنوفى﴾ فاضل أديب وصديق لى صادق الود نجيب علم أفلامه نفثات السحر وعممها بغالية مداد أرخصت مسك الشحر فما مسك ثبت عند نفحة رياض له لرياحين العقول نبت فكم حل عرى النوم عن مقلته فاقتنص أوابد المعالى ببازهمته واجتنى ثمرات المعارف من جنان أمله وغصن شبابه معتدل لم تطمع الحادثات فى ميله

ما من الظرف عنده الدهر ناو * كن الظرف عنده ابن سبيل

وكانت لنا معه أوقات هى فى صحائف العمر حسنات وخمائل الشباب دانية القطاف زاهية الزهرات فى عنفوان عمرى واقبال طليعة أمرى وماء الحياة مغدق وغصن الشبيبة مورق متفيئا فى هاجرة التحصيل أفياء الصبا نازلا حيث لا عليل الا عيون الغيد ونسيم الصبا ولا باكى غير طرف النرجس بدمع الندى ولا ساهر الا عيون النجوم التى

(محمد بن يس المنوفى)

هى للسارين هدى والدهر طلق طيب الاخلاق وسوق الفضائل لا ينفق فيه النفاق لا كهذا الزمان الذى كسد فيه الادب وبار حتى قيل فيه نفق الحمار وبارت الاشعار فما جاد به طبعه المريع وزهابه فكره فى كل زمان ربيع قوله من قصيدة يرثى بها الوالد رحمه الله تعالى

مابال أيدى النائبات تخون * وتديم رضف المجد وهو رصين

يادهر لا عتبى عليك ولا رضى * كل المصائب بعد ذاك تهون

تعدو الورى البؤسى فتسرع وقعها * واذا وعدت بها يسر تمين

ومنها

لو كان يجدى النوح ميتا قبله * نفعا لناحت أعصر وقرون

ياواعظا بسكونه حركتنا * ولأنت بالوعظ المفيد قمين

ومنها

وغدا نجيع الرمس الا انه * فى قلب كل موحد مدفون

حفتك رحمة ذى الجلال وعفوه * وسقى ثرى جدث حواك هتون

وسرت محاسن ماصنعت حواملا * حسن الثناء يحثها التأمين

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة أخرى

تائهة بالدلال يثنيها * عن حائر فى الهوى تثنيها

قرح فيض الدموع مقلته * فاشتبك الماء فى مآقيها

ومن ثمت فى سواد مهجته * لواعج الشوق كيف يخفيها

يبغدها الصد والهوى محن * عن ناظرى والغرام يدنيها

هل بارق ما أرى أم ابتسمت * فانتظم الدر فى تراقيها

عن فتكها قدها يحذرها * ولحظها بالصدود يغريها

ان سفرت فالهلال طلعتها * أو خطرت فالغصون تحكيها

أو نظرت فالظباء فى خجل * أو نكهت فالعبير فى فيها

أو لحظت حيها وقل لها * كل صديق عاد يرضيها

لو سجحت بالسكرى لأرقنى * وهنا من الليل خوف واشيها

أو بعثت طيفها لعرفها * ماذاقه الصب من تجنيها

شفقة بين لهجرنا نشرت * فلا يكاد الزمان يطويها

جرعنى الدهر بعدها غصصا * أكتمها تارة وأبديها

يابائعا نفسه بلا ثمن * أرخصتها فالهوان يشريها

مابال هذا الزمان يشقينى * بمصيبات الى يديها

طلائع للشيب ضاحكة * بعارض والشباب يبكيها

ومنها

خذ روضة طاب فيك مغرسها * منها ثمار المديح تجنيها

فى لهوات الرواة أنبتها * ذكر علاك الذى يروقيها

ومن أهاجيه

ومسبلين على لبس الوقار لحى * يشكو ظلامتها صدر وأكتاف

يشلن ناظرهم فيهم اذا ركبوا * حتى كأن وجوه الخيل أردان

وله أيضا
ومن تمسح الايام رأس شبابه * براحة بلواها يشيب قبل مسحها
ومن يرع سمعا للنصيحة من عدا * يجد ما تحامى فى أسرة نصحها

وله أيضا
ساومتنى الهموم والحزن عن * كان يرعى على البعاد جوارى
كنت أبكى بعد الديار اشتياقا * فدهانى بكاء قرب الديار
أى قلب يقوى عسلى فقد الفين رهين السثرى وناءى الديار

وله أيضا
ما حال من رمت النوى بعد الجوى * فى عارضيه وقلبه بهموم
فؤاده فى أرض مصر وجسمه * شابت مفارقه بأرض الروم

وله أيضا
صحبت الليالى فأفنيتها * وعذبت فكرى بطول السهر
وخضت البحار وماخفتها * وأخرجت منها نفيس الدرر
وفصلتها ثم نظمتها * وعلقتها فى رقاب البقر

وله من قصيدة
ما عصر الشباب رثت بروده * ولوت جيدها عن الوصل رود
ولمياده وما لحال عهد * من سقيط الندى ذوى أملوده
وسواد العذار عاد مريضا * فأتى ناصع البياض يعوده
ما لحب يحنو عليه ولكن * بزمام الى الحمام يقوده

وله أيضا
ومن تخطئه نيران المنايا * فسوف يصيبه ألم الدخان
وابلغ من مذاق الموت يأس * جناه المرء من روض الامانى

وله أيضا
قضيب للربى والى * نخيد الورد فى خجل
وعين النور شاخصة * وشخص الظل لم يميل

﴿وله فى رأس على رمح﴾

هامة فى الحياة طاولت الشهب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها التربة فاختا * رت لها مسكار رؤس الرماح

وهذا كقول البحترى فى غريق ولم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا
ومن بدائه الاستاذ البكرى البديعة انه التمس منه بعض الادباء شفاعة لبعض الوزراء فأخذ القلم ليكتب له ما أراد فسقط القلم من يده فقال بديهة

ولما ضاق عنه الطرس وصفا * جعلت له بسيط الارض طرسا

وأصل هذا كله قول ابن الانبارى فى مرثية الوزير ابن بقية لما صلب وهى مشهورة

ولما ضاق بطن الارض عن أن * يضم علاك من بعد الممات
أتانوا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات

ومما أنشدنى بعضهم للفونى

حلف المتيم أن يوده * بلغ المنى أو نال صده

عكفت عليه العاذلا * ت يلمنه ويردن رده * والله يعلم أنهن بعذلهن يزدن وجده
سلب الفؤاد وليس من * شرط الملاحة أن يرده

وهذا الشعر ليس له وانما هو لشاعر مكى عصرى الا أن اسمه نسيت عليه العناكب وهبت على رسمه الصبا والجنائب

﴿عبد الوهاب المحلى الحنفى﴾ شاب غض الشباب كان لى من أجل الاصدقاء والاحباب اساقدم لمصر فى طلب العلم مرتديا رداء الاغتراب وكان فى عنفوان شبيبة الامل بالمحله اذا رجا من الدهر أملا رآه أهله ومحله وقد نسجت يد المحاسن شملة شمائله وبهتت عيون الازهار الربيع خمائله وقد غردت فى رياض المحامد بلابله وسيف طبعه المشحوذ قد علقت فى عاتق المجد حمائله ونصاحته تفعل مالا يفعله المسكران سكر الشباب وسكر الشراب وتخلب بما لا يؤثره السحران سحر النفثات وسحر الكلمات العذاب

هو شرط النبى اذ قال حقا * الطلبوا الخير من حسان الوجوه

وتباشير صبح نجابته باسمة الثنايا تقول ان فى الرجال بقايا وظل مجده سجسج وروض فضله مديج وجوده سحابة وطفاء سقت ظمآن القفار وأيقظ رشأها أحداق النوار بطلعة اذا لاح سناها فالعيون من بعض أسراها تفديه اذا تقاطر منه ماء الظرف والندا وتقول له اما منا بعد واما فدا وقد جرى بينى وبينه فى مضمار الصحبه بدهم الليالى والايام طراد خيل اللهو فى حلبة المحبه فحاز قصب السبق من الاقلام حيث التسيم عليل والوقت سحر وأصيل حتى قطفت يد الأجل ثواره وأطفأت رياح المنية أنواره فبينما يديم تسمع تشف الاسماع على نظم أزلا فاجأه الاجل فخانا موته كان ارتجالا فما أملاه وطرز برده ووشاه قوله من قصيدة أهداها الى

أثغر بدا يفتر أم شنب الزهر * زها أم سقيط الطل أم أنجم الزهر
أم القضب فى خضر البرود رواقص * لها نقطت أيدى الغمائم بالقطر
فارخين من تلك الكمام معصفرا * ومن كفيد فى ملابسها الخضر
وديج وشى الروض منها مطارفا * مطرزة منها الكمائم بالزهر
وولى هزيم الليل مذسل صارما * عليه ضياء الصبح من مغمد الفجر
و بات يعاطينى الغزال مشعفا * من الكأس راحا قد أذيبت من التبر
ورخيم من الاتراك هندى لحظه * يصول بقصر وهو فى غاية الكسر
اذا رمت ضمامنه ينصب عاصلا * غدا ماضيا فينا و يخزم بالهجر
و يبعث خلفا منه شعرا منثرا * مليح أتى فى الحسن بالبعث والنشر
وتحسد ربات الشنوف وشاحه * ومن قلق قد بات يشكو لها الخصر
يراضعنى ثدى اللمى من مدامة * براح لنا منه معطرة النشر
نعمنا بها كأسا اذا ما تشعشعت * ولاحت رأيت الشمس فى راحة البدر

كان نثار الدر فوق كؤوسها * رسائل ذى فضل تنظم من شعر

وكان ذهب فى يوم نام فيه الحدثان وغفل عن صفوه رقيب الزمان الى روضة طرزها الربيع ووشاها وحديقة نقطها القطر لما رأى النبات حشاها والطير يبدى فى قراءة أوراقها ولوعه وقد أوقدها الزنبق فى حافاتها شموعه وهى شاكرة للديم محدثة بلسان النسيم عما لها من النعم ومطرف الجو مسك معتبر والماء فضى القميص وطيلسان الروض أخضر وقد غنت بلابلها وصفقت طربا جداولها وتضرجت خدود أزهارها الجنية وتلفعت أرداف ذوائبها بملاءتها السندسية وتعذرت أنهارها بعوارض الريحان يكاد المحرر يعبدها اذا تحير فى وصفها البيان فكتب لى يدعونى الى التمتع بعبير شميمها وان نعود على فرش الربى عليل نسيمها فقال

مولاى ان الروض من وشى السحب * يختال فى زهو الحلا على الكثب
معنبرا مسك الاذيال * معطر الاردان بالاوصال
مفتوقا آذانه بالدرر * مدبجا أكمامه بالزهر
قد صاغت أزهاره الغمائم * فضاحكتها بالربى الكمائم
ونرك الريح على متن النهر * جيوبه وفك أزرار الزهر
وأظهرت حلا الربى الامطار * وطارحت أشجانها الاطيار
وقام يعلوه نسير الاشجار * خطيبها محرك الاوتار
منمق الديباج قد تتوجا * مطوقا مقرطقا مدملجا
مطرزا أكمامه بالعسجد * مرصعا من معدن الزبرجد
يدعوك شوقا معربا بشجوه * فكن أمامى مسرعا نحوه
وانف الهموم والغموم والترح * واستجلب الانس خليلى والفرح
فهاك أوقات السرور قد دنت * مبشرات بالهنا وأعلنت
ودع مقال كل واش يعذل * فالعذر حقا ليس فى ذا يقبل
ودم تكاتب برقيق الفكر * عبدا على حكم الهوى فى الاسر
قد قيدته غربة الاوطان * عن الدمى وخرد الغزلان
لازال مولانا الشهاب الثاقب * لعبده وقنه يكاتب
ما دبجت بوشيها الاقلام * محبر الاوراق والسلام

ولما فارقنى لوطنه كتب الى يشتكى أمرا نزل به فأجبته بقولى مولاى يشتكى من الدهر وهو أبو العبر وفى المثل من سابق الدهر عثر فانتظر عقب الزمان عليك وكل الى الله أمر من أساء اليك فان الدهر دول ولله جنود منها العسل وكم أغنت الوحوش عن صدمات الجيوش وما سميت الحال بالحال الا لسرعة التحول والانتقال فأيامه يوم يوم وحرب سجال فما عبس مساء بوجه أفقه الا وبعده صباح يضحك عليه فم شرقه فأوقده صباح

فكرك ان أظلم الدجا واصبر فان الصبر يفوح منه أرج الرجا وان جفت قريش فلله أنصار وان نبت بك دار فلله ديار واذا كان انتظار الفرج عباده فأرقات الضيق كلها اسعاده وغرب الاشرار أعظم مصائب الاحرار ولله در القائل

مرضت من الحمقى فلم أدر لك المنى * تمنيت أن أشفى برؤية عاقل
فان لم تجد الشفاء فالزم الاحتماء كما قيل

أرى مرض الحمقى بعد واه مهلكا * فمن لى بذى لب به يشتفى باسى
يئست ولم أنظر حكيما فلا شفا * سوى حمية بالبعد عن سائر الناس
جزى الله عنى اليأس خير جزائه * فانى لم أظفر باعقل من ياسى

وقد قلت فى الفصول القصار فى الترك غنى بلا مئن والحمية دواء بلا ثمن والسلام

﴿عبد المنعم المحلى الطربنى﴾ أديب اجتمع بى وأنشدنى ما تهزله الفصاحة أعطافها من كلمات اذا انتسبن عددت الدر أصدافها من كل عقد تبسم العقود لها كأة انتظامه وتحيا النفوس بماء الحياة الذى فى مداد أقلامه والدر مجتلب من الظلمات ولطيف شميم ابس للرياض أخلاق كماله ولا للبدر ولو تكلف أن يحكى كماله وقد درس آيات الفضل وتلاها واقتنص شوارد الآداب وما تلاهى والشباب لف شمله بشمله ومراده وسعده ألطوع من نظمه حتى اقتنصه فى ليل شبابه صياد المنية وضرب سورا بينه وبين الامنية فمن نفثات أسحاره ونسمات أسحاره قوله من قصيدة أنشدنيها

أمولى به روض الفضائل مزهر * ويانسج أغصان المآثر مثمر
لك الله من مولى به يفخر العلا * وتشرق شمس الفضل منه وتظهر
بشاطئ بحر الطرس منك جواهر * ولا عجب من ذا فبحرك أبحر
وهتان سحب الفكر هل أنت منبت * به أى معنى من مبانيه يستر
رفعت البك الحال يا خير سيد * وان كان رفع الحال لا يتصور
نظمت فقلناه الدرارى تنظمت * نثرت فقلنا النجم فى الافق ينثر
علقت بظبى يابل السحر لحظه * فأجفانه كالبيض والقد أسمر
لئن لاح يوما وجهه متهللا * لمال كل الناس من ذا وكبروا
اذا ماس قال الغصن ما أنا قده * ويكسف بدر التم اذ هو يسفر
ويزرى لعمرى بالغزالة فى الضحى * اذا مارنا شزرا فلاح جؤذر
تجمع كل الحسن طرا بوجهه * ألم ترتبط الخال ختما يخبر
وان لص لحظى رام يسرق نظرة * ففى جنبات الخد تبدو وتظهر
علقت به لاعن مراد وانما * بمحاسنه نادت فلبيت أعثر
سحرت بلحظ يابسلى ولم أكن * أظن من الالحاظ انى أسحر
تعدت مواضى مقلتيه بمهجتى * بعامل قد كسره ليس يجبر

تنازع فيه عاملا البين والقلى * فأمسى وكل فى الضمير مؤثر
اذا قلت سلنى راح بالهجر جازما * وينصب ماضى القد والجفن يكسر
أبين له عطفى فيزداد قسوة * اذل له جهدى يعز ويكبر
بذلت له روحى ابتغاء وصاله * فلم يرضها اذراح منى يسخر
فهل تعلمن وقبت كل كريهة * سبيلا الى ما أبتغيه ييسر
فلا برحت هام العلا لك موطنا * باعلى سماء المجد لا زالت تخطر
مدى الدهر ماحن المشوق لاهله * وزمجر رعد الشوق والجفن يمطر

وقوله رفعت اليك الحال فيه اغراب مسبوق اليه كقول الصفى الحلى

رفعت حالى ورفع الحال ممتنع * اليكم وهو للتمييز محتمل

﴿وأحسن منه قولى﴾

أأشكو الحال والرزاق أدرى * بها وهو الغنى عن السؤال
وانى مخطئ ان عدت يوما * لنحو شكاية ورفعت حالى

قوله فلا لاح حوذر كقول ابن مطروح

وأقول يا أخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقى

وهاهنا نكتة بيانية لم يتفطنوا لها وهو أن التشبيه البليغ له أنواع أدناها أن يدعى اتحاد ما بينهما فيجعل أحدهما على الآخر كزيد بدر ونحوه وأعلاها التجريد وبنى منه نوع أبلغ من كل ماذكروه وهو أن ينفى التشبيه فيقال ماهو بحر فانه عذب زلال يقذف الدر فى كل حين والبحر اما ماء أجاج أو عذب ليس فيه درثمين ونحوه مما هو كثير فى كلامهم والنفى يحسب الاصل يدل على انه من شأنه أن يثبت له فى الجملة ولذا لا يقال للحائط ليس بعالم فى كلام البلغاء الا تسكتة فلذا كان تشبيها أبلغ مما عداه فاحفظه وقوله نثرت فقلنا الدر فى الافق ينثر

وأحسن منه فى مدح كلام منثور

وفصل من النثر البديع قرأته * فقلت حباب تحته الخمر مسكر
أو الطرس روض زهره متفتح * بلى هو عقد الزهر فى الصبح ينثر

﴿محمد بن الخياط المحلى﴾ شاب أديب نشأ بالمحله لم يحل أحد فى خياطة حلل السحر محله وكان كعبة ظرفائها وقبلة ندمائها من سابقه فى طرق الرقه بعدت عليه الشقه فمن شعره قوله

لنا صاحب مازال يتبع بره * بمن وذاك البر بالمن لا يسوى
سلوناه لا بغضا ولا عن ملالة * ولكن لاجل المن تستعمل السلوى

ومثله قول التلعفرى

هواكم هو المن الذى ماله سلوى * وحبكم عندى هو الغاية القصوى

ومن محاسن الاردبيلى قوله فى غلام يهودى

من آل اسرائيل علقته * أوقعنى بالصد فى التيه

قد أنزل السلوى على قلبه * وأنزل المن على فيه

ومثله ماقلته

بالمن لا يوزن احسان من * ضرنا على احسانه نقوى
أما ترى الرزاق جل اسمه * قد قرن المن مع السلوى

وقوله يسوى بمعنى يساوى وقال بعضهم انه من خطأ العوام وليس كما قالوه ففى تهذيب الازهرى بعد ماذكر لا يساوى ماتصه لم يعرف الفراء لا يسوى وقال الليث هى نادرة ولا يقال لها سوى ولا سوى وهى لغة أهل الحجاز وأما لا يسوى بالضم فليس بعربى صحيح انتهى وفى الارتشاف لابى حيان عد البهارى فيما لا يتصرف من الافعال يسوى وقال ابن الحاج بمعنى يساوى انتهى أقول قد علم مما قلناه أن يسوى بزنة يرضى لغة صحيحة فصيحة حجازية وماضعفها الا ابتذالها وهى من الافعال التى لا تتصرف أى لم يسمع منها الا فعل واحد وذلك يكون بالاقتصار على الماضى كعسى وقبارك وقد يكون على المضارع كيسوى وينبغى فى قول وان ترك لفظ من مادة دون غيره فاماتة كما فى يدع ويذر على المشهور وهذا مما ينبغى حفظه

﴿القاضى تقى الدين التميمى﴾ بحر تدفق منه أدب الجارى وتضوع فى طى اردان فضله نشره الدارى فسنت الايام من أسنة لسانه فولاذها وأطعمته المعالى على خوان الدهر من كبدها أفلاذها ولما آل اليه كتاب وقف جده تميم انتظم فى جيده من الفخار عقد نظيم ثم اختلسته منه يد الدهر فاذاقته حنظل الفقر والقهر حتى أضرم فى فؤاده غليلا بعد ماورد من ماء الحياة على ظمأ سلسبيلا وكان فى أول أمره واقبال طلائع عمره حرفته الزهاده وحانوته السجاده ثم ساقه القدر الى القضا فرضى بما قدره الله وقضى بعد ما كان يقول

من تمنى القضا فلا تغبطنه * واجعل الموت سابقا للقضاء

وقد قالوا من تولى القضاء ولم يفتقر فهو لص والآن قد افتقرت اللصوص لما سرقت الامراء من الخواتم الفصوص والسارق اذا سرق من سارق فقد عامله برأس ماله وقالوا الربح والفائدة السلامة من الخسران وويباله ومايسلب قاطع الطريق العريان بل يهديه للسبيل ويعطيه الامان فكل قاض منقوص أبدى غصبه وأظهر مع كل عامل نصبه ورفعه وجره لم يزل ينوى وحاله لم يطب وان عمت به البلوى ودود الخل يموت اذا رمى فى العسل وطيب الورد فيه هلاك الجعل وله تصانيف سمعنا بها منه منها طبقات الحنفيه وهى فى مجلدات جمع فيها من شقائق النعمان كل ثمرة جنيه وله نظم ونثر كقوله وقد لبس من القضاء خلع المذله وحاكت له الاطماع من نصب المناسب حله

أحبابنا نوب الزمان كثيرة * وأمر منها رفعة السفهاء
فمتى يفيق الدهر من سكراته * وأرى اليهود بذلة الفقهاء

وله أيضا

ما أبصرت عين امرئ * فى الدهر يوما مثلنا
عشق وحرمان به * أبدا ترانا فى عنا
الدون لا نرضى به * والعال لا يرضى بنا

والعال بمعنى العالى كقولهم لم نبل الا انها لغة عامية مبتذلة وقيل لابن المقنع لم لا تقول الشعر

فقال مايجيء مانرضاه ومانرضاه مايجيء وله أيضا

اذا أكثر العبد الذنوب ولم يكن * له شافع من حسنه يوجب العذرا
وأبصرت مولاه مع الذنب منعما * عليه فحقق أن بينهما أمرا

﴿وله فى عبد الرحيم القسام﴾

فى مصر قسامان كل يدعى * فى العلم توسعة له ويحاول
فسئلت أيهما أجل فضيلة * فاجبتهم عبد الرحيم الفاضل

وله أيضا

واذا أساء اليك خادم سيد * فاقره فارحيل ولا تتوقف
واعلم بانك قد ثقلت وانه * أعطاك اذنا للرحيل فخفف

وله مضمنا

لنا صديق له فى الغانيات هوى * وابره لا يزال الدهر طيرانا
كانما هو حرباء الهجير ضحى * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وقد سبقه لهذا ابن نباتة المصرى فقال

لا يشغلنك شئ فى زمانك عن * وصل الملاح وحاذر كل ما عانا
وكن كما قيل فى الحرباء من قطن * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية

انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق فيه غصن الشجرة ومن الانسان معروف وبه قامت النورية وضربه بعض العرب مثلا لألد الخصام الذى كلما نقضت له حجة أقام أخرى والحرباء دويبة تسمى أم حبين تتلون ألوانا مع الشمس وتسمى أباقرة ويقال حرباء تنضب كما قيل ذئب غضا وهو شجر يتخذ منه السهام جمع تنضبة وفى المثل أحزم من حرباء لانه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك آخر وهو الذى عناه الشاعر وضربه ابن الرومى مثلا للقبح ويضرب به المثل فى كثير التقلب أيضا وكان بينى وبينه مودة أكيدة ومكاتبات ومراسلات بالروم فمما كتبته له

يا روض مجد بماء المكرمات سقى * وجاد ما شمل فضل غير مفترق
لا أتقى زمنا أصبحت واحده * فانت حصن لريب الحادثات تقى

وكتبت له مرة أستدعيه

ولما نزلنا منزلا لك غدا * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمتينا فكنت الامانيا

يا غاية الامانى وسلوة الحزين العانى قد دعانى الربيع بلسان النسيم وصاحت الطيور هلموا الى النعيم المقيم وعيون الازهار شاخصة للطريق وقدود الاغصان واقفة لانتظار الرفيق فبالله عليك الا جعلت يومنا بك عيدا وجددت لنا بك سرورا جديدا والسلام ولم يزل كذلك حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها الوادى الفناء وبلغ ساحل الحياة فركب سفينة نعشه واستراح من العناء

﴿يوسف المغربى﴾ عز بمصره بنانا وبيانا و يوسف عصره حسنا واحسانا نشأ بمصر يتعاطى صناعة الادب وثبت باوتاد شعره كل سبب يشارك فى تجارة الفضل بنصيب ويرمى لاغراضها كل سهم مصيب بطبع ألطف من نسمات الشمال سرت بمصر بليلة الاذيال متتابعة الانفاس فنبهت طرف نو فى مهد الرياض نعاس وقد خمشت الصباخة الشقيق وخاشت بحار الدياجى فى كل فج عميق مرتدية برداء السحر معانقة لقدود الشجر حتى أتى هندى العنبر فى النار نفسه من حسد عليه وتفتتت سويداء الملك حيث لم تصل اليه وكان سابقا فى ميدان التصابى بين العذيب وبارق مجرى عواليها ومجرى الجياد السوابق فروينا كل حديث حسن صحيح بسنده راوى الزمن حيث الدهر غض الشباب والآمال المورقة فسيحة الرحاب وله مورد من الادب صفى وديوان سماه الذهب اليوسفى فمما أنشدنى منه قوله من قصيدة له

هذى كنوز فضت أم مبسم * والبرق لاح أم الغوانى تبسم
هذى شمائل قد تنزلن جوانحى * وجوار حى يبقى النزيل ويسلم

وله أيضا

أوصيك ان شخص غدا * يضحك ان مر بكا
لا تغتر بضحكه * فان هذا كالبكا

وله فى العاملى

ان اليهودى غدا عاملا * فى الناس بالجور وبالباطل
يعمل فى الدين كما يشتهى * فلعنة الله على العامل (ى)

﴿وله من قصيدة أخرى﴾

اشرب ولا تعتب على عاذل * فقله فى الناس لم يعتب
وان تكن يا سيدى طالبا * درا و ياقوتا من المطلب
فالكاس والصهباء فيها الغنى * فخذ حديث الكنز عن مغربى

﴿وله من قصيدة﴾

جعلوا الشعور على الخصور بنودا * والراح ريقا والشقيق خدودا
جعلوا الصباح مباسما ثم الظلا * مضفائرا ثم الرماح قدودا
والورد خدا والغصون معاطفا * والشمس فرقا والغزالة جيدا
ورأت غصون البان أن قدودهم * فاقت فاضحت ركعا وسجودا

وهذا كقول ابن قلاقس من قصيدة له

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان
وتوشحوا زردا فقلت أراقم * خلعت ملابسها على عقيان

ومنها أيضا

وهلال شوال يقول مصدقا * بيدى غصبت الثون من رمضان

وله فى مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا * وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت صلنى فقال وهو مجيب * لا يجوز الوصال فى رمضان

وهذا كقول الآخر

بليت به فقلت هذا جدال * يجادل بالدليل و بالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو * فقال نهى النبى عن الوصال

واعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الادباء وهو كل شعر أكثر فيه من البديع قالوا وأول من ألف الشعر العربي بهذا النمط مسلم بن الوليد ثم تبعه أبو تمام وأحسن هذه الصنعة التجنيس والتورية وهما في الشعر كالزعفران قليله مفرح وكثيره قاتل ولذا لم نجد في أهل مصر من يعرف الشعر ولا ينظمه ومنهم من غلط في ذلك فأكثر من اللغات الغريبة وتوهم انه بذلك يصير بليغا على أن باب التورية فقله ابن نباتة والقيراطي ثم رميا المفتاح في تلك الناحية وهذا لا يعرفه الا من له سليقة عربية وليوسف المغربي يمدح استاذه يحيى الاصيلي فانه تخرج عليه

مدحت البحر اذ أضحى يحاكي * علوم البر ذي الفخر الجليل

وانى ان مدحت البحر يوما * فدحي فيه للبر الاصيل (ى)

فكتب له مخمسا ومقرظا حمد المن أطلع من الافق الغربي بدر بلاغته مشرقا وشكر الله اذ أبدع جمال دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زينت مغربا ومشرقا وصلاة وسلاما على من أضاء الوجود برسالته متألقا حبيب الله عز وجل الذي متعه بدوام وصلته بلقائه فلم يقل متى اللقا وأرشد أمته الى حسن الادب بقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى و بعد فان الشيخ الاديب الكامل الاريب الكاتب الشاعر الناظم الناثر ذا النظام الجوهري والنثار الذهبي أبا المحاسن يوسف جمال الدين الازهري المغربي أدام الله عز وجل محاسنه ومحاسن كماله وأبد جمال رونقه ورونق جماله ممن جمع الله له بين الحسن والاحسان وبراعة البيان و براعة البيان فقد أربى بنضارة كلامه على زهر الخميله ورقت دقائق بديعه على درج المعالي الجليلة الجميله حتى صار مع صغر سنه شيخ الآداب وظهر فضله كالشمس وقت الظهيرة في عصر الشباب وكان كثيرا ما يجاملني بحسن المجالسه و يعاملني بلطف المؤانسه و ينعم باجتلاء جواهر محاضراته واجتناء زواهر محاوراته فتفضل باهداء بيتين مطربين ولا طرب المثالث والمثاني مغنيين عن أجل الغواني جلا فيهما عرائس صفاته في مرآتي وأشرق مصباح ذاته في مشكاتي فأوسعني أوسعه الله من فضله المزيد مجازية وتأنيسا والتمس مني حرسه الله بسر التوحيد أن أجعل له تخميسا قاصدا بذلك أن يحج الله مقاصده وكثر فوائده بتنويه ذكري فأجبته لذلك مطيعا لامره حافظا ولا أقول مضيعا لطيب ما انطوى فيهما من عاطر نشره معترفا بأن نظمه ثوب لم أكن من نزه ووشي فكري مقصورا على رخيم خزه فأبقاه الله عز وجل لاعلاء أعلام العلوم وتحلية أجياد الآداب بجواهر المنثور والمنظوم والبيتان العامران بل الروضان الزاهران والنجمان الزاهران قد تقدما والتخميس المذكور هو قولي

رأيت الشيخ يمدح باشتراك * لآخر في صفات الفضل زاكي * ألم ترني بعزم وانهماك
مدحت البحر اذ أضحى يحاكي * علوم البر ذي الفخر الجليل
أصيلي جفا في العلم نوما * و برّ قد غلا في المجد سوما * ولج في بحار الفضل عوما
وانى ان مدحت البحر يوما * فدحي فيه للبر الاصيل (ى)

اهل مصر تقول لما بالغ الغاية راح للبر الأصيل وهو مشهور ورومعناه ظاهر ولما خمس قصيدة البردة بعض المتشاعرين من أهل الروم قلت فتح الله عين بصيرته أتى في تخميس البرده بما يدل على جمود قريحته فخمض بل حمس ودلس بغموض معانيه بل دنس والبردة بردلا يحتاج جديده الترقيع بمثل كلمات هذا الاحمق الرقيع وبالجمله فالاصل درثمين بل جوهر نفيس يجل عن التثمين لما فيه من عظيم التوحيد والتنبيه بمدح النبي المجيد فهو روض في شباب الربيع لا يحتاج لمنة غيث مريع وأما الفرع فشوك في رياضها أودنس يحتاج للتسبيع

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * فحق لشعر قاله أن يسبعا

﴿يحيى الاصيلي﴾ أديب ماهر وشاعر ساحر عيقت بالديار المصريه أنفاسه الندية الذكية بطبع يعير عيون الحور سحره و يفضح رقة الصبا اذا نهت جفون الانوار سحره نشأ بديماط وقد ابتسم بحياء ثغرها ودرت عليه سحائب نعمها الله درها ثم هاجر لمصر وعود شبابه غض وروض محاسنه بماء الصبا بهج نضر فتخرج بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقاق أفكاره بفرائد خطابه وكان يتغنى بالقرآن و يقرى بصوته الحسن الآذان وله أنفاس في الغناء تميت الهموم وتحيي الطرب وترشف منها الآذان ما تسكر منه ابنة العنب فاذا ترنم في نادي سادة أعيان فكأنه نسيم الصبا والقوم أغصان فأنفاسه أطرب من عود وذكره الجميل أطيب من عود

فان العود مشتق * من العود باتفاق فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

ولم يزل بعد العسيلي يدير سلافة اللطافة ويمارح بديوان في محل خلافة لا يرضى خلافه يقطف ثمرات المنى و يقيل تحت ظلال الهنا حتى مد الغناء له في الغنى مع ماله في فنون العلم والآداب من المآرب

فلله منه جانب لا يضيعه * وللهو منه والخلاعة جانب

مع انه خفيف الروح خفيف الشقة على سائر الناس لمحبته لذلك تجري مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج بطلب من شريف مكة أمله وتنو يله ولم يدر ما أضمرت له سنود الليالي وما تنوى له فلما ألقى العصا بها واستقرت النوى قضى مناسك حجه وأخلص لله ما نوى ودعاه الكريم الى داره فحل ممتعا بالرحمة في جواره واقفا في عرفات احسانه محرما في ازار أكفانه وكان بيني و بينه وتجميل الا أنه لضيق وقته كشمس الشتاء عند الاصيل فما نطق به لسان قلمه وأودعه من نور معانيه في كمام كلمه قوله

من منصفي من ظالم * بيت المظالم بيته أخفيه خشية بأسه * وأود لو سميته

﴿وهذا كقول السراج الوراق﴾

رزقت بنتا ليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد قيل عليه ان التورية لم تقصد له لانه انما يقال من السم سممتها وقيل مثله يسمى ايهام

التورية والصحيح انه من باب تقضى البازى بمعنى تقضض وفى كلام بعضهم مايقتضى انكاره

وله أيضا ألا ان لى يا آل صديق أحمد * لشمس هدى منكم به الكرب ينجلى
فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب ذو اتصال ولى ولى

وهذا نوع من البديع زعم ابن الوردى انه اخترعه وسماه ايهام التأكيد وهو فى القرآن كقوله تعالى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثله قول ابن مكانس

نعم نعم محضتهم * صدق الولا قطوا وما رعوا عهدا ولا ولا * مودة ولا ولا

وله أيضا لى صاحب متمرض * متفاقر فى ذاته يارب صبرنى عسى * أقوى على مرضاته

وله مما جنا لابد يامولاى أن * تسمو لدينك مواكب
انى رأيتك كاشفا * وأنا وراءك راكب

وله أيضا وبى عسر وضى اذا * أبصره البدر احتجب
أعطافه اصبه * فاصلة بلا سبب

وله أيضا ياذا العسر وضى الذى * أضحى بسيط الحسن كامل
وعن ابن قطاع روى * هلا رويت عن ابن واصل

وله أيضا ياحسن جنان له وجنة * حسن وردها باللثم حيانى
أشجنى يوما بمداراتى * حسن رطب حلو وحيانى

وله أتيت جنينة استاذنا * وقد جمعت كل معنى كمل
بها أى وردوآس به * تفرق شمل عداه وفل

والفل نوع من الياسمين بلغة أهل اليمن ذكى الرائحة ولم يذكره أهل اللغة فهو لغة مولدة وسماه ابن البيطار فى مفرداته بالنمارق وكتب نظاله بثغر الاسكندرية

نظالى بثغر اسكندرية برغبة * ومن بعده قد حال لى فى الهوى حال
فان يك أضحى ثغرها موطنا له * فياحبذا فى ذلك الثغر لى خال

وكتب لشيخنا الصالحى يستأذنه فى الدخول اليه لما قدم مصر

على الباب من كاد من شوقه * يموت وذلك يحيى الاسبلى
أتى يتغنى بأوصافكم * فهل تأذنون له فى دخول

﴿فأجابه رحمه الله بقوله﴾

لمولاى يحيى رقيق الطباع * ولطف السماع وحسن القبول
أمولاى هل خارج ننر بكم * لمحتاج للاذن عند الدخول

والدخول مصدر معروف ويستعمله المولدون بمعنى آخر وهو حسن الصوت الجارى على قانون الموسيقى وشدة خروج والضرب النقرات التى توزن بها النغمات ويسمونها اصولا ومنه علم حسن الايهام هنا كما فى قول أبى الحسين الجزار

أمولاى مامن طبا عى الخروج * ولكن تعلمته فى خمولى

أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

وللاصيلى أيضا قبل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
ولمن قد ساء رأس * قلت لابل رأس منسر

وله أيضا شفنى فاحم شعر * حسن الجلمة سبط
تحجبنى يملى عليه * وهو فى الارض يخط

وهو كقول مهيار بعيد مسقط القرطين نقرا * خطوط ذوابتها فى التراب

ولابن سنا الملك وأشكو الى ايل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

وله أيضا مذبان من أهوى همت * عينى بما منهمر
فقلت للقلب اذا * لم تلق صبرا فاستعر

وله أيضا رب قاض قبل الرشوة لما أن تملك * قال للظالم انى * سأنجيك وأهلك

وله أيضا رسالة من لطفها أشبهت * ريح الصبا مرت بزهر الربى
ولم يزل مابين أهل الهوى * رسائل العشاق ريح الصبا

وقريب منه قولى يايوسف الحسن الذى لم يزل * عذابه للصب مستعذبا
سرى نسيم منك فى طيه * نشر لكرب القلب قد أذهبا
لولم أكن يعقوب حزنا لما * أزال أحزانى نسيم الصبا

وله من قصيدة يرثى بها العلامة النحريرى البصير خاتمة المفسرين

ان عصانى شعرى لفقد شعورى * فدموعى ترثيك بالمنثور
يا اماما لما سكنت جنانا * فاض دمعى عليك فيض البحور

ومنها وبكى الازهر المعمر بحرا * كان فى الله رب دمع غزير
فصابيحه باحشائها النا * رعليه من لوعة التذكير
ومحاريبه لفرقة ذاك الصدر أضحت مقوسات الظهور

وهذا معنى حسن سبقه اليه بلديه ابن نباتة فى قوله من قصيدة مطلعها

على مثل ذا فلتبك أعيننا العبرا * وتطلق فى ميدانها الشهب والحمرا

ومنها فقدنا بنى الدنيا فلما تلفتت * وجوه أمانينا فقدنا بنى الاخرى
سيعلم كل من ذوى المال فى غد * اذا نصب الميزان من يشتكى الفقرا
كأن المحاريب القيام بصدره * لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا

وله أيضا لايهدين الفتى لصاحبه * آلة قطع كالسيف والنصل
الا ومع ذاك ابرة لتكن * مع آلة القطع آلة الوصل

﴿شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير﴾ خاتمة المفسرين والقراء والمحدثين والفقهاء علم فضله مشهور على عاتق الخافقين منشور ذو بيان عذب طليق وروض فضل هو للنعمان شقيق تفجر منه ينبوع الحكمة معينا فنادى لسان حاله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فله

قوله كان الخ الذى فى البصير ومنها الا لما مر ومنها ولا لما مر اه

شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير

والفل المسمى عند اهل البصرة وبغداد ازفر او راسق وشمية اهل اليمن فل ولم نذكر اهل اللغة كما ذكر المصنف شفاء الغليل وقال بضم الفاء وتشديد اللام

كلام باصطلاح المحدثين بوضعه وقد

(محمد الحنفي المفتي المعروف بالذئب)

في كل لفظ برعاعه وفي قلب كل عبارة براعه عليه حلل الفضل سوابغ و بجيد الدهر قلائد من كلمه النوابغ وكان في ابان أمره واقبال طلائع عمره سعده في كمين الخمول يراقب فرصة يطلع منها له القبول ان غرس غراس المنى جنى منه ثمر العنا لا الغنى

ومع العفاف ثروة لو أنها * نوم لما شعرت به الاحداق

وله أخ شقيق وصنو عريق مقترن بسربال الثروة شارب من كل ورد صفوه فاتفق أن زاره الحمام وحياه طارقه بالسلام فقرب بر وحه لقراه ولم يكن له وارث سواه فبدل فقره بالغنى ونور له رياض الآمال والمنى

بذا قضت الأيام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد حضرت ناديه وهو يملي التفسير و يقري المسامع بالمواعظ والتذكير ثم يكسو الوفود ديباج الحقيقه و يحلي واديه بنور كلماته الانيقه و يجري أمطار عبرته حتى تعشب ذلك الوادي و يرعى بريعه المخصب سرح كل حاضر و بادي فتود الاعضاء لو أنها كلها مسامع والاذهان لما يمليه عليها لو أنها كلها دفاتر ومجامع و بالجملة فهو فلك كتاب الدهر ومنطقه نتيجة مقدمات السحر ممن تنشق بذكره سحائب النعمه وتتبع منه ينابيع الحكمه لازالت هتانة على جدث حواه هو الحل الرحمه ولداته وأترابه وأقرانه وأصحابه

﴿محمد الحنفي المفتي المعروف بالذئب﴾ وما هو ذئب بل أسد له رأى في مذهب النعمان أسد وحبر تسكحلت بحبره عيون الفتوى و بحر تروى المسامع بما عنه يروى ارتفع من حضيض التقليد الى ذرى الفضائل وسابق في حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل فبحره لا تكدره الدلاء ومورده العذب لا تنزحه الركاء ونجله سري في ليل المجد فبا كره فلاحا وحط رحله في نادي الكرم فحاز ذلك من أبيه مغدى ولا مراحا ومن يشابه أبه فما ظلم فأفتى ودرس ونزل في ساحة الفضل وعرس وكنت قلت فيه في زمن الشباب وقد اجتنيت من ثمره المستطاب

للذئب نجل فضله * لاح على غير غط حاكى أباه في العلا * فهل رأيت الذئب قط

وهو كقول ابن لؤلؤ

وذي قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وللشهاب الحجازي

وبدر تم قد سعى * بكأس راح وانبسط
حيي وقط كأسه * فهل رأيت البدر قط

وقلت أنا

وكاتب كأنه * غصن النقا اذا نشط
يقط أقلامه * فهل رأيت الغصن قط

(فائدة) القد والقط متقاربان معنى وهما نوعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لان القد قطع الشئ من نصفه أو قطعه نصفين والقط قطع الطرف كالمي الشمع والقلم فكأنه لكونه قليلا من القطع نقص منه العين ثم ان هذا النوع من التشبيه غريب بديع تعرض له المبرد في الكامل ونقله الامام المرزوقي في شرح ديوان أبي تمام وأهل المعاني لم يتعرضوا له وسماه المرزوقي بالايماء وهو غريب في بابه ومنه قول المنازي في وصف نهر

تروع

(شيخ الاسلام علي بن غانم المقدسي)

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا طراز المجالس وفيه فوائد لا توجد في غيره والشئ بالشئ يذكر فلنذكر هنا بعض من أدركناه من العلماء الاعلام الذين هم سلك الختام ولله در من قال

يا دهر بع رتب المعالي بعدهم * بيع المكاسر بحت أم لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى * مات الذي قد كنت منه تسخى

﴿فهم شيخ الاسلام علي بن غانم المقدسي﴾ امام اقتدت به علماء الامصار وتنزهت من بضائعه في حدائق ذات بهجة وأنوار أثمرت أغصان الأقلام في رياض فضائله وسالت في بطاح المكارم بحار فواضله

فالناس كلهم لسان واحد * يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فالعلم مدينة وعلي بابها وكعبة حج حجت اليها آمال الفضلا وألبابها لو مست راحته السحاب أمطر كرما وجودا أو النجوم السيارة جرين في الربيع سعدا لو رآه النعمان لقال هذا أخي وشقيقي أو الصاحب لقال له أنت في طريق المعالي رفيقي

صفاته لم ترده معرفة * وانما المذكر ذكرناها

وله في كل فن كعب علي وفكر بنقد جواهره جلي مع نباهة تحلت بها الأشعار وصبت طبار باجنحة الثناء في الاقطار وقطع كل سهل وجبل كأنه بكر معنى سار في مثل كما قال من قصيدة لله درك يا من نظمه درر * قلادة النحور الغيد تدخر
أو روض فضل نضير لا نظير له * في وجهه ثمر ما مثله ثمر
سلك الفصاحة من فحواه منتشق * واللؤلؤ الرطب من معناه منتثر

وكنت في زمن الصبا وأنا سنون الاستة حاد الشبا دخلت ناديه والكون متعطر بنشره والدهر مبتسم للقياه بثغر سروره و بشره وقرأت عليه طرفا من العلوم وحديث الرسول فامدني بدعاء لا أشك انه على أكف القبول محمول حتى كان ينوه باسمي و يفتح جريدته برسمي وأنا أجتني باكورة التحصيل فكتبت له عند ورود البشائر يوفاء النيل بيتين هما

قسما ليس نيل كفك كالنيل اذا راية المكارم تنشر
أنت عند الوفاء طاق المحيا * وأرى النيل في الوفا يتكدر

فنثر علي هما نثار الاسحار وقال هكذا ينبغي أن تنظم عقود الجمان وله شعر كان ينظمه لرياضة الخاطر ولا يرتضي أن يلصق باسمه سمة الشاعر فلذا لم يعتن بتشييد أركانه ولا تمييز ياقوته من مرجانه لاشتغاله بالتأليف والفتوى وتهذيب نفسه القدسية اللائسة حلل التقوى وله شرح نظم الكنز المسمى بالرمز ورسائل كثيرة منها الشمعه في أحكام الجمعه التي يقول فيها شيخ الاسلام علي بن أمر الله الحناوي

لقد آنست عيناي لمعة شمعة * توقد من مشكاة علم واتقان
جلا نورها البادي بصبح كماله * فغاب هب شك كان في ليل نقصان

وكتبت عليها انا لما طالعتها

شمعة تقطع رأس الشمع اذ * سرق الانوار منها والتقط

ضوءها من غير ما سطح * فما رأى شبهها اذا الدهر قط

واعلم أن ابن بسام قال في الذخيرة أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكاليف وشعرهم الذي روى لهم ضعيف حاشا طائفة نحاف الاحمر وقطرب وليس كما قال وعندي انه كدعوة البخيل وحملة الجبان على ما يعرفه من له أدنى اذعان

﴿محمد الدمياطي الحنفي تلميذ شيخنا المقدسي المفتي بمصر بعده﴾ فاضل مقدم في نتائج الفضل وغيره التالي ومشيد ببنيان المكارم بطبعه العالي وقارتزل عنده الراسيات الشوامخ ومحكم مجد لا يرد على آياته البينة نواسخ ان خط فما خط الربيع والعذار أو تكلم فما مطربات الاطيار والاوتار ورد على بالروم اذ جاب الفيافي والبوادي وعزمه لعنان مطايا الهمة ثان وخزمه لها حادي وأنابها عديم الانيس حتى اليعافير وحتى العيس وشوقي الى الكرام كما قال أبو تمام واجد بالخليل من برحاء الشوق وجدان غيره بالحبيب

فأنعم برقيق المكاتبة وجاد علي بالمؤانسة والمصاحبة ففزت منه بأوفى نصيب وكل غريب للغريب نسيب فلما كتبته لاستجلاء أنواره واقتطاف جنى ثماره

أيا روض مجد منه تبدو زواهر * ومن ذكره أزكى من العنبر الورد

ومعدن فضل منه تبدو جواهر * نفائس عزت أن تقابل بالنقد

أرى ثغر دمياط بكم كان باسما * ومذ سرت أمسى عابسا وهو ذو وجد

وكم شرف في الروم من شمس ذاته * بمقدمه قد بدل النحس بالسعد

أحبك حبا لو تقسم في الورى * غدوا في أمان من عدو ومن ضد

وفي القلب جمر من بعادك فوقه * يفوح ثناءي فيك كالعود والند

ومن كان في القلب المتيم حاضرا * يجاور فيه خالص الحب والود

فسيان منه القرب عندي والنوى * على أن قرب الدار خير من البعد

فلا زالت ذا فضل يخلد ذكره * ويظهر في جيد المكارم كالعقد

أجاب أفائق أهل العصر في كل ما تبدى * وأوحد هذا الدهر في الحل والعقد

ومن مد سحبانا وقسا فصاحة * ومن نظمه المشهور بالجوهر الفرد

نظمت قريضا في حلاوة لفظه * وفي الذوق أزرى بالنباتي والوردي

وضمنته معنى بديعا لحن برم * لادراك شأو منه يخطئ في القصد

ما سكت أساليب الكلام بأسرها * فأنت بارشاد الى طرقها تهدي

لقد كنت في مصر خلاصة أهلها * وفي الروم قد أصبحت واسطة العقد

وحق شهاب أصله الشمس أن يرى * حريا بأن يرقى الى غاية البعد

فعذرة مني اليك وما ترى * من العجز والتقصير قابله بالند

فلا

فلازات في أوج العلا منتقلا * وشانئك المقهور في العكس والطرد

ولا برحت أياتك الغر في الذرى * وأبيات من عاداك في الدل والهد

ودمت فريدا للفرائد رائقا * مناهل فضل منهلا طيب الورد

فقلت لما ورد هذا الجواب

رعى الله اخوانا لنا من ذوي الود * لقد خيموا في روضة المجد والسعد

أناس كماء النيل صاف ودادهم * بهم أملي الظمآن يروى من الورد

لقد شرب الدهر الخؤون صفاءهم * وأبقى وجوها كدرت مورد الحمد

غسلنا بماء النيل ما دنس الوفا * وقد صبغوا من مثلهم أزرق الحقد

وعهدي بهم ورد اذا ما تكدرت * مشارعه فيها وفاء لدى المد

وقالوا لنا حدثه يذهب الجفا * جفاء فتم الحد بالعكس والطرد

﴿شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتي الحنفي المفتي﴾ السراج الوهاج والبحر المتلاطم بالامواج من حاكته الشمس نورا فكانت سراجا وفاخرت البدور فزادت ابتهاجا روض نضير ماله في سائر العلوم نظير وهو في فقه أبي حنيفة الجامع الكبير وتور حليم لا يعرف الطيش والخفه وله ثروة عظيمة وعفه حسن اللباس منقطعا عن سائر الناس قائلا لطارق الوسواس ونفسك أكرم عن امور كثيرة * لمثلك نفس غيرها تستعيرها

ولم أر في عصره من يضاهيه الا الشمس وهيهات لها نيل معاليه وان لم يكن لها ثانيا ولا سمير في السماء مدانيا فلله در ما أعرفه بالزمان وأقدره على الانس بالوحدة وترك الاخوان كما قلت

لا تلمني على انفرادي وحبي * وحدتي واعتزال ألمماع وهمي

علمتني الايام مذ كنت حملا * خلوة الاربعين في بطن امي

لازالت سحب الرحمة تحدوها له الصبا والجنوب حتى تشق على ثرى جدثه غر السحاب الجبوب آمين

﴿السيد عبد الرحيم العباسي﴾ أتاوان لم أره فهو لقرب عهده سمعت خبره حسيب طرز كم المجد وأعارته شمائله نسمات نجد أنجبته أم الفضل كريم الحسب سعيدا فأبى أن يكون على الفضائل الا مأمونا ورشيدا وله ايادي فضل عليه تعممت الاقلام بسواد أنقامها العباسيه وكتائب ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسيه طفح سكرا بشمولها فم الكاس وابتسم فرحا بها كل زمان عباس

واذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

فنسبه ناهيك به من نسب وعرف معارفه اذا رآه الروض نادى عليه أصبح الورد يحب

ابن عم النبي واللابس الفخرين من نوره ومن برهانه

ولما ارتحل الى الروم وبها بقية من الاعيان أجله علماؤها لما رأوه به من نوادر الزمان وكان المولى عبد الباقي عيبة اطلعه وظرف اترشح منه رشحات ظرفه فانه ممن قتمن برد الشمال

(شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتي الحنفي المفتي) (السيد عبد الرحيم العباسي) صاحب معارف الصحيفة

شماله وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله يقطر منعماء البراعه وتثمر بما ثره أغصان البراعه وله تآليف وآثار سطورها سبج اذا رأتها سبحت الاقلام وكبرت عجبا بها ألسنة الخاص والعام اذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الافهام وتسجد الابصار لروائه وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص وسمعت له شرحا على البخارى ورأيت له شعرا وانشاء ومداثح فى المولى المحقق سعدى فمار ويناه من شعره قوله

أرعشنى الدهر أى ترعش * وكنت ذا قوة وبطش
قد كنت أمشى ولست أعيا * فصرت أعيا ولست أمشى

وقوله أيضا مالى أرى أحبابنا فى الناس * صاروا كمثل حبابنا فى الكاس
بينا يروقك عند أول نظرة * كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد * شيأ وصار رجاؤهم كالياس

وقوله أيضا من يبيع بالفضل معاشايت * جوعا وان كان بديع الزمان
تبغى الحجى ثم تروم الغنى * ياقاما تجتمع الضرتان

وله أيضا ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذا الريق أم ضرب
وما أراه بحسن الخد تورده * أم وجنة بدم العشاق تختضب

وله أيضا لست عن ودك صدى فى سائلا * غير قلبى فهو يدرى وده
فكما أعلم ما عندى له * فكذا أعلم مالى عنده

وله أيضا لو كان ذا الكاشح فى بلدتى * لم يستطع يومضنى ومضا
وكنت فى العزعماء له * وكان لى من ذله أرضا

وله أيضا يعقد النقع فوقها سحبا كالليل فيه السيوف أنجم رجوما
ومتى ما رأت سواد شياطين بغات الحروب عادت نجوما

وله أيضا رأيت لئيم قوم فى عمر * وبين يديه أشخاص لئام
فسلم من جهالته ابتداء * فقلت له متى كسد السلام

وله أيضا حال المقل ناطق * عما خفى من عيبه فان رأيت عاريا * فلا تسل عن ثوبه
وهذا كقول الحريرى فكل ما حلا حين تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله
وقول الآخر كل البقل من حيث تؤتى به * ولا تسئلن عن المبقله

وأمثاله كثيرة كما بيناها فى غير هذا الكتاب وله أيضا

اذا ما كنت فى قوم غريبا * فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش * غريب الدار تنبحه الكلاب

وهذا اشارة الى ما جرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف وكذلك أيضا تنبح على الفقراء وفى أنس الحكمة للرندوسى الكلب ينبح على الفقير دون الغنى لانه من جنسه ولانه يرجو منه

المواساة بخلاف الفقير ولذا قال الشاعر

حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * ذلت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا معدما * هرت عليه وكشرت أنيابها

وقوله أيضا أرى الدهر يكرم جهاله * وأعظم قدرا به الجاهل
وأنظر حظى به ناقصا * أيحسبنى اننى فاضل

ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله

أعبد الرحيم سليل العلا * ويا فاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهرا غدا موقنا * بانك فى أهله الفاضل

وقرأت فى ديوان الزمخشرى

فلا ترض يا صدر الكفاة بأن ترى * أعالى قوم ألحقوا بالأسافل
والا فسوقع للزمان فانه * غلامك يجعلنى كبعض الاراذل

وللدباسى البغدادى انى رأيت الدهر فى صرفه * يمنح حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة * أظنه يحسبنى عاقلا

ولمجير الدين بن تميم الدهر عندى لا محالة أحول * فاسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وللباخرزى كيف لا يملك عنى برقه * بعد ما أملك عنى وبله
ساء فى الدهر لانى عاقل * ليت انى مثل غيرى أبله

وأجاد القائل ومالى لدى دهرى ذنوب أعدها * سوى تهمة الأعداء لى بالفضائل
وانى منه تبت توبة نادم * مقرا بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيقى ان كان ذنبى أننى شاعر * فاصفح فقد تبت عن الشعر
وقال أبو تمام ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتى على الحجى * هلكن اذن من جهلهن البهائم

وما ألطف قول الوزير ابن زيدون وقد سجن

لم يطو برد شبابى كبره وأرى * برق المشيب اعترى فى عارض الشعر
قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب * وللشبيبة غصن غير مهتصر
أيهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الأمانى شائع الخطر
هل الرياح بجسم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وله أيضا أما ترى البدران تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس يفلت يحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

﴿سراج الدين عمر الفارسكورى﴾ فاضل قلد جيد دهره من فضائله بحليها ونظم عقد

(سراج الدين عمر الفارسكورى)

محاسنه فى صدر نديها جنى من ثمرات العلوم الرياضية فواكه ذاقتها الافهام واجتنى من
رياضها أنوارا لم تبرز من الاكمام واجتلى أبكارها وعرفها وهى حور مقصورات فى الخيام
فملك من ذلك الفن خمائله ورياضه وراض فى مضمار جواد فكره أحسن رياضه وكثيرا
ما كنت أستشق عرف خبره وأتحلى من الشفة الفارسكورية رقيق حبره فتكرر من كمامه
ماثنى الاعجاب وعطفه وحقق أن عمر علم فى العدل والمعرفه وانه مفرد لا يثنى وقد نال من
الفضل ما تمنى ورأيت له من الآثار ما لم يسمح به الفلك الدوار فكم دار عليه فما رأى له
مثلا لديه كحكايه ناشئة الليل ونظم الارتشاف وغيره مما قطعت دونه توابع الاوصاف وله
شعر منه قوله

شكل اشتباقى ماله من حد * ونقطة الصبر محاها وجدى
وامتد خط الدمع من محاجرى * بلا تناه فوق سطح الخد
وهيئة الجسم اضمحلت مذ نأى * وانحصرت حياتها بالبعد
وضاق صدرى حوجلا استدا * رت حركاتى حول قطب الصد
وأصبحت كرات حظى مركزا * مسكنها فى وسط جرم الجهد
ومن قسى الهجر كم من أسهم * نحوى ما شقت جيوب وجدى
والزمن القطاع قد آلف ما * بين محاجرى و بين السهد

واعلم أن استعمال ألفاظ اصطلح عليها أرباب العلوم كما هنا قالوا انه مما يخل بالفصاحة لانها
كالغريب بالنسب أو ضعيف التأليف ولعلهم أرادوا الاكثار منها كقول الجاحظ على لسان
طبيب شرب الوصل دستيخ الهجر فاستطلق بطن الوصال بالاسهال
ورمانى حبى بقوانج بين * جالوس منه بأكف بال

وابن هذا بينى و بينه موده وصداقة وهو

﴿تقى الدين بن عمر الفارسكورى﴾ فاضل عريق وأديب فى بحار آدابه حاسده غريق
له خلق خليق بالالطاف وفضل تقطع دونه النعوت والاوصاف
ونهى غادر ضمير القراطيس مصيخا لألسن الاقلام

وهو بالروم صديقى وفى الغربة القارظية رفيقى فكم دار بينى و بينه رحيق مدامة من
لكدر صفا (فحكى النسيم لطافة لمساسرى) وحديث
كخدث الماء الزلال اذا صفا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

والأمل فيه عدات يرجى رفاؤها وله على الدهر ديون بينة يحق أداؤها ومما أنشدنى لوالده
قوله اذا كانت الأملاك وهى محيطة * علينا قسيا والسهام المصائب
ومرسلها البارى فأين فرارنا * وسهم رماه الله لا شك صائب

وكان انشاده لى لما ذاكرنا أمور الله هرو تصدر الجهلة وأنشدته قول الشريف الرضى رضى الله
تعالى عنه أمن محرك للاقدار نابضة * أما يغير سلطان ولا ملك
قد هادن الدهر حتى لا قراع له * وأطرق الخطب حتى ما به حرك

كل يفوت الرزايا أن يقعن به * أما لأيدى المنايا فيهم درك
أقصر الدهر عجزا عن لحاقهم * وأين أين ذميل الدهر والرتك
أخلت السبعة العليا طرائقها * أم أخطأت نهجها أم عمر الفلك

وقلت أنا فى ذلك مدافع بالنجوم وبالصواعق * بروج أرسلت منها شواهق
مصيبات تخر على الأعادى * ترجمر بالرعود و بالبوارق
ودارت دائرات قد أحاطت * من الأفلاك ما عنهن عائق
ومن كل الجوانب راميات * قسى قرطست هدف الخلائق
قسى فى الركوع لها سهام * أسابها تشير الى البوائق
ستدرك هذه الاوتار منها * فلو باتت غدت فى فترخافق
فلا تيأس ستفتح عن قريب * حصون ذا الرخا لهن طارق
وسهم الله لا يخطى بليل * وان أمسى من الظلمات غاسق

﴿وأنشدنى له قصيدة مطلعها﴾

يا مرسحابا يستقى به المطر * وعدله كاد ينسى عنده عمر

ومنها
ان كنت تبغى بنار الهجر تجربتى * انى على الحالتين العنبر العطر
وأهجر الماء ان كانت معلقة * به حياتى اذا ما شابه كدر
وسوف ينبيك عن صبرى جفاك على * لظا مهل أنا ياقوت أم الحجر

ومنها
أراك دهرى ما منه تؤمله * حتى نراك ومن أنصارك القدر

﴿وأنشدنى له من أخرى﴾

ما الدر فى حقة الياقوت ان بسما * وما نسيم الصبا والبان ان نعما

ومنها
ما شق سرح عذار روض وجنته * حاشا شقائقها أن لا تكون حمى
فلو سوالك غزانى كنت ممنعه * عن ساحتى لو يكون الشيب والهرما

﴿ومما أنشدنيه قوله مضمنا﴾

تقول سليمى بعد ما بنت تبت عن * هواى وعن ذى الحال لست بتائب
تواصل واوات بخدك عذر * وتجفو بلا ذنب ذوات الذوائب
اليك فانى لست ممن اذا اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

﴿محمد بن أحمد الخفاجى﴾ ريحانة الندمان وفكاهة الخلطاء والاخوان وفاكهة الظرفاء
وهدية الزمان مهر فى الفنون فاق بما تلذبه الاسماع وتقربه العيون لاسيما فى الطب
والحكمه فانه كان فيهما ذا همه ولما غلب عليه الهوى سقط نجمه من افق السعادة
وهوى فلم يقتبه حظه بغير قهقهة القنانى ودغدغة المثالث والمثانى الا أن له شعرا يحط قدر
الحطيئة و يبلد لبيدا وذهنا يدع اياس من الذكاء فى اياس وبديهة بديعه كأن لها على
كمين الغيب طليعه وقد كان كثيرا ما يسامرنى فينشدنى من أشعاره وينثرنى نادى الادب

(محمد بن أحمد الخفاجى)

فرائد نثاره فمن ذلك قوله من قصيدة

نعم أتتك فلا خضاب الموعد * متصل تبدى اعتذار المجتدى
جاءتك تدرع السعود كأنها * غصن من الياقوت فوق زبرجد

وقوله أيضا فكم ليال كست بدر الدجا شرفا * تمنت الشمس فيه رتبة القمر
أبدى لناضوءه لحفا بطائنها * ريح الصبا وافترشنا زهرة الزهر

ويقرب من هذا قول بعض المغاربة

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة * وليس لهم الا الهناء فراش
كأنهم والنور بسقط بينهم * مصابيح يهوى نحوهن فراش

وقوله أيضا أجل الله أعطاف الحبيب * وأينع قامة الغصن الرطيب
وأنبت وردها غضا طريا * وسيجه بريحان القلوب
ولازالت شمائله تشاوى * مرنحة كغصن فى كثيب
وعطفها نسيم الشوق حتى * تميل الى معانقة الكثيب
وروى أرضها سحرا مطيرا * بغيث من سحاب ذى سكيب

وقوله عمر الفتى قالوا زمان الرضى * بالصفو والاحباب والبشر
صدقت ماقالوه كى يقبلوا * لينظروا شيخا بلا عمر

وهذا كقول الامير اسامة بن منقذ

قالوا نهته الاربعون عن الصبا * وأخو المشيب يحار ثم يهتدى
كم حار فى ليل الشباب فدله * صبح المشيب على الطريق الاقصد
واذا عددت سنى ثم نقصتها * زمن الهموم فتلك ساعة مولدى

وللامير أبى فراس الحمدانى

ما العمر ماطالت به الدهور * العمر ماتم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى * هى التى أحسبها من عمرى
لوشئت عما قد نلان جدا * عددت أيام السرور وحدا

وفى هذا أقول يقولون أوقات السرور قصيرة * وأوقات عمر الغم قد رزقت طولا
فمن كان بالهم المبرح لابسا * يظن بان العمر صار طويلا

وللامير اسامة بن منقذ أيضا

لاتحسدن على البقاء معمرا * فالموت أيسر ما يؤول اليه
واذا دعوت بطول عمر لامرئ * فاعلم بانك قد دعوت عليه

ومن يموت العلم بالقاهرة العلاقة فهم

﴿شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين﴾ أما الشمس صاحب الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير فشيخ الحديث فى القديم والحديث لم تزل سحب افادته

فى رياض الفضل ذوارف حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف فهو هضبة مجد وفى التقى جوهر فرد قد تحلى بخدمة الجلال السيوطى كمالا ورقى الى سماء المعالى فازداد جمالا وأما ابراهيم فالفضل خليل وطبعه لطفا يحكيه النسيم لو أنه عليل لازمت القراءة عليه فى ابان الطلب واجتنيت ثمراته الجنية من كثب فتبرجت لى عرائس معانيه وتجملت لى على منصة الكرم معاليه ولعمرى انه روح نضل حلت فى جثمان علاء وسماء مناقب تزينت بكواكب هدايته وحلاه لازالت تهمى على جدثه عيون الغمائم كلما حيته حسان الحور رشا حكة المباسم ومما مدحته به لما حضرت عنده وهو يفتى

أنا درة الزمان بقيت أنعم * باصغاء الى العبد الضعيف
زمانك كله أمسى ربيعا * خصيب الفضل ذا ظل وريف
فما بال الفتاوى فى انتثار * ببابك نثر أوراق الخريف

وله كتاب تهذيب الروضة للنووى سمعته منه بقراءة الفاضل الشيخ منصور الطبلاوى

﴿أحمد بن على العلقمى نزيل الخانقاه السريا قوسية﴾ شمس تتجلى به الابصار والبصائر وان كان وجه الشمس يعشى ناظر الناظر وروض فضله نضير وماله فى سعة الحفظ نظير ومع ذلك لم يعرف أستاذه ولم يحتج سيف ذهنه أن يشحذ فولاذه وله طبيع بالصلاح زاهد وتقدف فكره لم يصرف نضاره نقد ناقد وشعره مدام الطل فى كاس الزهر وحلل الربيع المنسوجة بأنامل المطر يمد على الآفاق بيض خيوطه * فينسج منها للثرى حلة خضرا

وكان فى اقبال عمره لعمرته بمكر دهره فان الشهوات أجرة تستخدم بها النفوس فى عمارة عالم الطبيعة لتدهل عما يلزمها من التعب ويلحقها من الكلال كما قال ابن التلميذ الحكيم اعتزل الناس وارتض من سفر الحياة بغنيمة الياس فلذا جعل الخانقاه السريا قوسية مألف سكنه ومراتع آماله ومرابع وطره ووطنه ثم انتقل الى مصر فدرس بها وأفاد وترعت ورق فصاحته بدوحها الميادثم اختار جوار بيت الله المعظم وظفر من كيمياء السعادة بالحجر المكرم وقد طفت بكعبة فضله فى ذلك المقام ووردت صفاء موارده بالصفا والمقام

وملأت السمع منه كل ما * يحسد القلب عليه الاذنا

وعقيب ذلك الاجتماع طافت به المنية طواف الوداع فانتقل لجوار الرحمن واستوطن حصور الجنان بخرت عنا فراقه غصصا علقميه وماجرت دمن لباسه حتى تردى حلسل المغفرة السندسيه لازال يفى ربعه ويروى مضجعه

سحاب حكى شكلى اصيبت بواحد * فعاجت له نحو الرياض على قبر

ومما أنشدنيه عن شعره قوله من قصيدة

بأبصارنا وجهك المذهب * يكاد سنا برقه يذهب
وأشواقنا نيلك الاتنقضى * وشمس جمالك لاتغرب
وحبك فى الماء مستودع * وأثره كل من يشرب

وفى كل قلب وعى به * مشيرا لك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى * ونفسك عنصرها الطيب
لمن غير نطقك لا تشتفى * ومن غير ذاتك لا تطرب
وكم لك من رتب فى العلا * تعالى العلا اذ لها ينسب
ولمن أخرى مذ نسيم الصبا على الرند هبا * سحر انبه الفؤاد ونبا
هز غصن القوام فاهتز حتى * مال شوقا اليه شرقا وغربا
وروى عن عرب نجد حديثا * فدعا قلب من يحب فلبى
وركبنا سفينة الصبر لما * حال وجه دون السفينة غصبا
وقتلنا غلام من عاقنا عن * سيرنا نحوهم فأورث قربا
وأقمنا جدار وجد قديم * بعد ما انقض أو أراد فأربى

(شمس الدين البصير) ﴿شمس الدين البصير﴾ ضرير كأن الله أراد أن لا ينظر الا الى جنانه فأغمد صارم طرفه فى قراب أجفانه

والله ما فى الزمان شئ * تأسى على فقده العيون

ذكى لو ذهى فطن ألمعى عجنت طينته بماء المعارف وناخت طبيعته مع العوارف وكان فى غرة العمر رفيقى وفى روض التحصيل شقيقى الى أن اخترمته فى شبابه يد الأجل فقطعت شمس عمره منطقة الأمل وغابت فى عين حمئة من قبره حتى بكى الافق بالشفق دما على أثره فكأن الدهر الحسود لما رآه جمع الكمال جمعا جما عبس وتولى أن جاءه الأعمى وكان يسكن الخانقاه ولا فضل فيه أمانى وطرف الكمال اليه يرانى الى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال فمن شموس معانيه المشرقة من منازل مبانيه قوله

بين حروب العيون والمهج * دمعى جرى عند ما من الوهج
لاحلت والله أو أقطع عن * ريم من الترك كبس عنج
مكحل الناظرين ذى حور * مضرج الوجنتين ذى بلج
أمسيت من محنتى عليه ومن * دمعى بين اللجاج واللجج
لا انتهى عن تهتكى أبدا * ليس على المستهام من حرج

قلت ولا على الاعمى حرج وأنشدنى له أيضا

قلت لما أراد مكاوحمرا * ذو دلال وأعين سحاره
لك والله نكهة فى رضاب * تلك عطارة وذى خماره

وهذا كقول ابن نباتة المصرى

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى فتاله

ومما أنشدنيه أيضا قوله

أحبب به قارئا أمسى له نغم * أحلى وأملح من ضرب النواقيس

ياحسنه من مليح راق مبسمه * لكنه قارئ يروى عن السوسى

وهو كقول الفيومى

نسيم من ديار الخل هب على * موتى الفراق يحاكى النفخ فى الصور
يروى أحاديث نشر من ديار كم * ما أحسن النشر اذ يروى عن الدور (ى)

(عبد الله الدنوشرى) ﴿عبد الله الدنوشرى﴾ جامع التقرير والتحرير الراقى الى ربوة المجد الخطير تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها وآثاره تتشوق الاسماع الى فواكه آدابها طالما جلاها على وأهدى باكورتها الى الا أنه كان يعد الشعر سهلا ويمزج بالجد منه هزلا فهو فى سماء الفضائل تحسد النجوم سناه وأنى لها أن تشابه علو مجده وعلياه

وهى تخفى عند الصباح وهذا * ظاهر فى صباحه والمساء

وكان بينى وبينه مودة وصداقه وعلاقة محبة حقيقة لا تحتاج لعلاقه كثيرا ما يجاملنى بالمطايبه ويتحفنى بالمكاتبه وهو جوهر نفيس فى خزائن القبول وسر مكتوم مستتر فى ضمائر العقول ويعرض على تآليف له مفيده وينشدنى من أشعاره ما عنه الفرائح بعيده كقوله

أرى فى مصر أقواما لئاما * وهم ما بين ذى جهل وذل
شجاعتهم بألسنة حداد * وعيشهم بجبن وهو مقلى

وفى معناه قول الآخر

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومما كتبه الى بعد المهاجرة من مصر

نوالك يا شهاب الدين زائد * وبحرندك يا مولاى زايد
تركت العبد لم تنظر اليه * وقد عودته أسنى العوائد
متى يأتيه منك جواب كتب * وتأتيه الصلات مع العوائد
ويكحل جفنه مبل التلاقى * ويغمد سيف هجرك عنه غامد
فلا برح الثناء عليك عقدا * نضيد النظم فى جيد المحامد

وله فى موسى قاضى مصر

لقد كان فى مصر الامينة حاكم * تسمى بفرعون وكان لنا موسى
وفى عصرنا هذا القسلة قسمنا * لنا ألف فرعون وليس لنا موسى

ومما اتفق لى فى نظيره قولى

يا من أذل النفس من حرصه * جرحلك بالمرهم لا يوسى
لا تلم الناس فأنت الذى * أعطيت فرعون عصا موسى

وركب ثورا بعض الشهود تشهيرا له فكتب له

ان ركبوك الثور فى مصر اذ * جرمت بالظلم وبالجور
فاصبر ولا تحزن لما قد جرى * فالناس والدنيا على ثور

قالت وعلى ذكر فرعون فقد ورد فى مناجاة موسى انه قال يارب لم أمهلت فرعون وقد كفر بك فقال انه كان سهل الحجاب فاحببت أن أكافئه على ذلك فى الدنيا وقد قلت أنا

فى مصر جبار علينا اعتدى * حكم فينا بخلاف الصواب
ان كان فرعون فما باله * لم يحكه اذ كان سهل الحجاب

وله شعر كثير لم يعان بسمى منه الا اليسير وقد عرفت أن خير الكلام ما دعا بلفظه الاسماع الى حفظه يستنبط الروح اللطيف نسيمه * أبدا ويؤكل فى الضمير ويشرب

(عبد الواحد الرشيدى) شيخ عده بعضهم حسنة بها ذنب الزمان غفر وأصبح به الدهر عما قدم من اساءته يعتذر وعندى ان عذره أقبح من ذنبه وتوبته لا أراها مقبولة عندربه

والشوك يعمل فى ثيابى مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

من لؤلؤه الرطب ورشح قلمه العذب قوله

قلت للنائب الذى * قد رأينا معايبه
لست عندى بنائب * انما أنت نائبه

وهذا كقول الآخر

وقاض لنا حكمه باطل * وأحكام زوجته ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

وللأرجانى

ومن النوائب انى * فى مثل هذا الامر نائب
ومن العجائب أن لى * صبرا على هذى العجائب

وأنشدنى له بعضهم

لا تحسبن أن هجوى فيك مكرمة * شعرى بهجو لئيم قط ما سمحا
لكن أجرب طبعى فيك فهو كما * جربت فى الكلب سيفا عند ما نبحا

وهو كقول الآخر

هجوتك لا لانك أهل هجو * ولكن كى أجرب فيك سيفى
وليس يضر شفرة هند ذمى * اذا ما جربت فى جلد كلب

وكان مع انه بزى اهل الصلاح تصدر عنه كلمات مخيفة قباح كما أنشدنى له بعضهم فى رشيد وكثرة أمطارها

كل قطر عندنا من يدرى محاذ * قطعة من فلك من غير شك
فاذا صح مقال الناس ذا * فرشيد تحت سند اس الفلك

وسند اس لفظة عامية معناها بيت الخلاء وهذا مع سخافته وما فيه من رائحة الكفر الكريهة لما سمعته قلت لله در ما أعرفه لو لم يصدق فيما جرى لم يخرج منها مثل هذا الخرا وأين هذا من قول ابن لؤلؤ الذهبى لما توالت الأمطار

ان أقام الغيث شهرا هكذا * جاء بالطوفان والبحر المحيط
عامهم من قوم نوح يا سما * أقلعى عنهم فهم من قوم لوط

(رمضان الهوى) أقبح وأحمق من الشيخ الهوى طال عمره على الأيام وثقل حتى أثقلها ولبس حلل الجديدين حتى أخلقها

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

ذو أخلاق مجعده وألفاظ محلولة مبدده أثقل من الفهر وأكثر ذنوبا من الدهر وأشأم من طويس وأثقل على الراجى من لاويس يعتنى كثيرا بغريب الكلام والتصرف فى أنواع الالتزام حتى عارض المقامات الحريريه فأصمت الاسماع كلماته الحوشيه ولم يزل مبتلى بالفقر لماله من بذاءة لسان وقبح كلمات ولقد أنصف الدهر فى محنته وللبله اصابات فهو على مابه من مكر وكيد كما قال الصاحب فى أبى زيد

انظر الى وجه أبى زيد * أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع فى ثوبه * وظفره يركب للصيد

وهو بلدة بالصعيد لم يخرج منها نجيب ولا سعيد وما يسوء الفؤاد الا هو

(أحمد بن عبد السلام) أحمد بن عبد السلام رأيت والده وقد أحالت الايام سجيه فضه وقد ذبلت بعواصف الهرم زهرة حياته الغضه متسما بسمة الصلاح قد خلع حلل الخلاعة واستراح وأما ولده فكان فى ريعان عمره يتجر فى بضائع شعره ثم ارتحل الى الروم فلبس حدادا فقر كلابسه وابتسمت فى وجوه آماله ثغور رحظه العابسه الا أنه مكثار متشدق متفيهق ثرثار ولعدم تهذيبه لا تزال أفكاره تهذى به وربما عزت عليه مطالبه حتى نظم الجزع ثاقبه ولم يزل كذلك حتى اجتثت دوحته بعد ما سقاها ماء الشباب وقطعت يد المنون ثمراتها العذاب ومن شعره قوله من قصيدة له

فى كل حين بطاهون على ذرى * فلك المعالى طالعا مسعودا
لم يمض دون الملك أن ملكوابه * ملكا على مر الجديد جديدا
تجنى لهم ثمرات هذا الملك اذ * غرسوابه لدن القنا أملودا

وثمرات هذه الأغصان من بدايع المعانى الحسان ومما يضاهيه قول البحترى فى السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد تبع غضة لم تذبل

الا أن هذه بقلة حمقاء والأحسن فيه قول ابن هانئ الاندلسى

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الأخضر

ولقد أخذ منه عباءه وردها ديباجه ومن شعره أيضا

قيل شيبه لنا الشقيق وقد كنا * نتساوى جميعنا بالرحيق
قلت قضب من الزبرجد يحملن * على الهام أكؤسا من عقيق

وهذا من قول غيره فى النرجس

أنا مل من فضة * يحملن كأسا من ذهب

ومن المعانى الغريبة فيه أن العجم والروم فى ايالى الزينة يصبون فى طشت ذهبا ويديرونه انسان فى الاسواق يعلنون به الأمان ويشهرون به عدل السلطان فى ذلك الزمان فقال على الباخرزى فى قصيدة له

ان شئت أن تعرف أن عدله * قد فرش الامن فلاق الفرجا
اذ حل الطست من التبر على * الرأس فلولا أمنه لاحترسا

والمشهور هنا قول الصنوبرى فى قصيدة له

وكأن محمرّ الشقيق اذا تصوّب أو تصعد ... أعلام ياقوت نشر * على رماح من زبرجد

وله

وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا
اذا طلعت أرتك الشمس تذكو * وان غربت أرتك السرج تطفى

وللقاضى عياض انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

ونحوه قول ابن الزقاق نثر الورد فى الغدير وقد درّجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقه الطعن فسالت بدماه الجراح

ومما قلته هنا

كأس الشقيق امتلأت * خمر ندى لم يعصر
كعجمر من ذهب * فيه بقايا عنبر
أو مشعل يهدى به * للهو من لم يشعر

وهذا أمر استطردناه قضاء لحق الآداب ولولا خوف الملل أرينا لك هنا من السحر الحلال من ثمرات الألباب مالا عين رأت ولا اذن سمعت لتعلم ما منّ الله به علينا من الوقوف على كنوز مطالب لم يقف عليها غيرنا

(محمد بن بدر الدين الزيات)

﴿محمد بن بدر الدين الزيات﴾ شاعر كان فى عنفوان شبابه قبل أن تجب عليه زكاة نصابه يحترف بالزيت والاسمان من قوم سمنهم فى أديمهم جفانهم سمط مملوءة للوافدين لحريمهم من أولاد جفنته أترع فيها زيته وسمنه حتى ترعت به همته عن ميزان السعر الى ميزان الشعر والدهر كالميزان يخفض ويرفع ويعطى من يريد ويمنع الا انه كان مولعا بالسرقة واص البيت لا يؤمن فادا أنشد شعرا نبيل له أحسن الناس ولله در من أحسن

ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

فراقت آدابه وان لم تساعده أحسابه فسكان كما قيل فى المثل كل العسل ولا نسل فمما أنشدنى فى قوله فى الفاضل العزى

الى الفاضل العزى وجهت مطلبى * لأظفر منه بالذخيرة والكنز
وقالوا تنال المجد والعلا * فقلت لهم قد نلت ذلك بالعز (ى)

وهذا العزى ممن له بيت شرف وفضل بالقاهرة فمنهم

(صفى الدين بن محمد العزى)

﴿صفى الدين بن محمد العزى﴾ ماجد اذا تليت آيات أوصافه ركع لها القلم وسجد تفرد بعلو سنده فى الحديث فأصبح دارعلم بين العلياء والسند فحديثه فى الفضل مرفوع وأثر سواه ضعيف وقطوع فلفظه مما يستحق أن يرسم بنور البصر فى عنوان صحائف الاذهان والفكر وسكر طبعه المصرى مما يحلو مكرره ومعاده ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلوه لسان الدهر ويحفظه نواده وهو أحد شيوخى الذين رويت عنهم السنن وتشرفت بلقائه ورويت حديثه الحسن فمما أنشدنى له فى مليح نحاس

على رقمها من ذابت حشاه ضنى * صب أزال السكرى من مقلتيه وصب
حسبى بقلبك يا نحاس يمنعه * لجين جسمك والنوم المصون ذهب

وله فى صديقه الصحاف

يا عاذلى فى هواه * تلاف قبل تلافى
وهات لى المدن واجمع * بينى وبين الصحاف (ى)

(أحمد بن على العزى)

﴿أحمد بن على العزى﴾ أحد أتراب ولدانى ورفيقى فى اجتناء لذاتى وهو شاب رقيق الجلباب يفطر من اهابه ماء اللطف والشباب تأدب وبرع وعمى ما جمع معتكفا فى زوايا الخمول قانعا بشفاشق آبائه الفحول وكان فى ابان الطلب خدنى يجنى من خمائله كما أجنى حتى قطع عليه الطريق الاجل وناداه عجلا فقال أجل فمما سمعته من شعره قوله

لا زال هذا الجمع جمع سلامة * لا نقص يعروه ولا تغيير
والجمع من أعدائكم فى قلة * ونقيض تلك القلة التكثير

ووالده من شيوخ العربية وصدور أنديتها النقية

(عمر العزى)

﴿عمر العزى﴾ أديب نظم ونثر وشعر بعد ما شعر فى حالة أضيق من فم الحبيب وصدر العاشق اذا حضر الرقيب كمخف فى بيت زنديق أو مر فى صدر أحمق غير صديق ومن شعره قوله

رب ثقيل امام قوم * يؤم بالناس ثم يخف
خالف فى الفعل قول طه * من أم بالناس فليخفف

(رجب الشنوانى)

﴿رجب الشنوانى﴾ ناظم قلائد المدح وخاطب خرائد الملح مضى له بمصر زمن وهو يهدى نثار كلماته ويطلع فى رياضها النضرة غض نباته ويأتى العلوم من أبوابها ويجرد مرهفات لسنه من قرابها ومولده بشنوان وهى بلدة بالمنوفية صورت بها الجنان كانت مخيم لذاته ومنبت أتراب ولداته ثم ارتحل الى الجامع الازهر فأثمر به غصنه الرطيب وأزهر ولم يزل به معانقا للخمول وروضه بطل آدابه مطلول وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده وأوقد نار الفكر بقدح وارى زناده وأستظل بدوحه المريع وأستمد من بحر فكره السريع وأسامره بما يذكرنا عهود ارتحنين وأتنزه من صفات رجب وذاته فى الربيعين كما قيل

وكانت بالعراق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وكانت مغانى كهفة أسماره ألذ عندى من فواكه أشعاره وأخلاقه ونقود آدابه نضة أطوع من الكأس للنديم ومن قدود القضب لأيادى النسيم لمن رأى رجبا فقد رأى عجبا وبداعيد السرور والطرب وقال من شاهده من رأى عيدا فى غرة رجب

(يا ليت أن شهورى كلها رجب) لا زال ضحيح الغفران وجليس ملائكة الرضوان فى حجاب مدامه الرائق فى انتظامه قوله

عذارى معذبى قد خط خطا * من الريحان فى روض الدلال
كتاب بالامان له أتانا * وعنوان المسرة والوصال

ومما كتبه الى وأنا بالروم

أقبل بالاجفان يا سادتى أرضا * و بالقرب لا بالبعد من حيكم أرضى
وان سار نجم فى السماء ذكرتكم * وحنت لكم من بعدكم سائر الاعضا
وان جعل الناس المحبة سنة * جعلت على طول المدى حبكم فرضا
و والله ان العين من بعد بعدكم * جفاها الكرى عمدا فليست ترى غمضا
وان لم تفز منكم برؤية وجهكم * فأر واحنا حتى جوار حنا مرضى

وأنشد فى له أيضا

لا تجعلن على اللماء وغيرها ما سفتك * واعشق مليحا أهيفا * كالرمح ان ماس قتلك

وله من قصيدة

تهلل وجه الدهر بالنور والهدى * وأشرق روض الزهر بالقطر والندا
وفتح أحداق الحدائق هاطل * من الطل خدّ الورد منه توردا
ومن لطف خلق النيل جاء مخالفا * ومن عظم غيظ البحر أرعى وأزبدا
وما يستوى البحران هذا مالح * أجاج وهذا الماب للناس موردا

(القاضى بدر الدين الغزى)

﴿القاضى بدر الدين القرافى المالكى﴾ القاضى الفاضل والحاكم العادل الفاضل بدر كماله من أفق المعالى مشرق وغصن دوحه من مجانب الفضل مورق رأيته وليالية مجرة خدود الشفق وعيون النجم فى خدمة سعده لا تكتحل بغير الارق وقد طلع بدره فى هالة التدريس وأحاطت به منطقة ناد له المجد جليس وأقلام الفتاوى تسعى لخدمته على رأسها وتجعل وجه الطرس كعبة منورة بسواد أنفاسها فتحج لها الابصار والبصائر وتعتكف فى حرم افادتها الاسماع والضمائر وآثاره فى فقه مالك مدونة وفواضله بموطأ أخلاقه معنونة وشرح مختصر خليل شرحا شفى به الغليل وله القول المأنوس فى حل مشكلات القاموس كانت له الصحاح الجوهرية تغوص فى البحار خجلا من اتساق عقوده الدرية ولم يزل فى القضاء على سنن السنة سالكا ولمحرر رقها الموشى بالكتابة مالكا فهو ثالث العمرين وتديم القمرين أظهر فيه اليد البيضاء ولم يتفت بهمته المسودة الى الصفراء والبيضاء وما سمعنا قط أن امرأ * أهدى له شيأ ولا قدر شاه

والآن قد قام من غلط الدهر بوجوده فاحتاج للحك وجهر الحكم والتسجيل فاحتاج للصك ولم يزل طالعا فى افق العز حتى غرب بدره وانحنى بسرارا الضعف فكسف عمره فبدا زواله وتم كماله ان فراق الكمال صعب * حتى على البدر فى السماء

وله شعر العلماء ونثره طار مع العقلاء تأنق فيه وتصلف ولا عجب للبدر أن يتكلف كقوله

منك البداءة بالاحسان حاصلة * ملكتنى الرق فضلا منك لى ساري
ألهمتنى عده عتقا لتشكرنى * فاخترتم بخير به عتقى من النار

وفى معناه قول النور بن حجر العسقلانى

يارب

(أحمد بن عواد)

يارب أعضاء السجود عتقتها * من فضلك الوافى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى باذا الغنى * فامنن على الفانى بعتق الباقى

ولغيره فى معناه ان الكرام اذا شابت عبيدهم * فى رقهم عتقوهم عتق احرار
وأنت يا خالقى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وهو ممن يروى عن خاتمة المحدثين الديمى وفيه يقول

وشيخ حديث طبق الارض علمه * وصار بعلم فى الانام كما العلم
هو الديمى كالغيث مهل فضله * فلا تجحدن فالغيث تأتى به الديم

وأحسن من قولى مضمنا وكتبته على شرحه للبخارى

فاق الورى الديمى الحبر حين أتى * فى خدمة السنة الغراء كالعلم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

﴿أحمد بن عواد﴾ أديب استمرى أخلاق الصناعه وجلب الى مدينة العلم المعمورة متاعه الا أنه جعل الشعر له سلما وسطا وجاء شعره فى أمته أمة وسطا فما أورد له صاحبنا علاء الدين المكى فى كتابه الطراز المنقوش قوله فى بعض الحبوش

حبشية حسنية أبصرتها * تهتز كالغصن الرطيب المثمر
فسألتها عن جنسها مع ماخفى * قالت فما تبغيه جنسى أم حرى

وهذا كقول الآخر بى أسحرى تاعم الخدين ذو * شرطين فعلهما كفعل السمهرى
لم أدر اذ صافحت صفحة خده * وردية أم خدية أم حرى (ر)

وللنواجى رمت التغزل فى أجفانه فبدا * عذاره فوق ورد الوجنتين طرى
وقال قلبى لا تحفل بغزلهما * وخص عارضه بالمدح فهو حرى

وههنا أمر لا بد من التنبيه عليه وهو أنهم عدوا من أنواع البديع الاكتفاء وقد ألف فيه النواجى كتابا باسماه الشفاء فى بديع الاكتفاء وقد طالعته وهو كتاب لطيف كما قال هو فيه

من كل معنى بديع لو يمر على * فهم السقيم ولو فى نومه شفيا
وقلما أبصرته عين ذى أدب * الا وراح بذاك البرء مكتفيا

ومما أفاده فيه أن ابن رشيق حده بقوله وهو أن يدل موجود الكلام على محذوف وهو اعترض عليه بدر الدين بن الصاحب بأنه يدخل فيه كل حذف وتقدير وقال انه لم يجد له حدا سالما من الاعتراض ألا ترى انه دخل فيه نحو واسأل القرية وليس منه والمشهور من شواهده قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو على أنواع فمنه مايكون بجملة ومنه مايكون بكلمة ومنه مايكون بكلمتين فأكثر ومنه مايكون ببعض كلمة حرف أو نحوه وهذا اما أن يخرجه الحاقها عن الوزن أولا وكل منهما اما مع التورية أو بدونها واعلم ان فى الآية المستشهد بها نكتة لطيفة لم ينبهوا عليها وهى انه انما اقتصر على الحر لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان مايقى الحر يحصل به برودة فى الهواء فى الجملة فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد وهذا فيه من

اللطف ماهو ألطف من النسيم فقد درّ التنزيل فكم فيه من أسرار لا تتناهى بقي ههنا بحث جليل وهو ان المتأخرين من أصحاب البديعيات لما أكثروا من أنواع البديع وفهم بعض من لا خبرة له بدقائق المعاني والعلوم زادوا فيها أنواعا مدخولة فلم الا كتفاء ببعض الكلمات وتبعهم من بعدهم كالدماميني في شرح الخزرجية حيث ذكره وأنشد عليه قول ابن نباتة المصري

بروحي أمرّ الناس نأيا وجفوة * وأحلاهم تغرا وأصلحهم شكلا
يقولون في الاحلام يوجد شخصه * فقلت ومن ذا بعده يجد الاحلا (م)

ولابن مكانس

لم أنس بدرا زارني ليلة * مستوفزا محتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر (حبا)

وللبدر الدماميني

الدمع قاض بافتضاحي في هوى * رشأ يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدي شاهدا ووشى بما * أخفي فيا لله من قاض وشا (هد)

وله أيضا

يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
تعال نباكر الروض المفدى * وقم نسعى الى روض ونسر (ين)

وقال ابن جني في كتاب التعاقب باب الايماء وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها كقوله * قد وعدتني أم عمر وأنت * أي ان تسمح وليس منه قلنا لها قفي قالت قاف لانه اسم لاحرف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا يريد شاهدا وقول علقمة

(مقدم بسبا الكتان مختوم) أي بسبائب وقول لبيد (درس المنا بمتالع فأبان) أراد المنازل اه وقد ذكر فيه الحديث وذكر له الاكتفاء عن شاهد كقول ابن الرومي (والدم في الفصل شاهد عجب) وهو ثقة وقال غيره انه مكتفى به عن شا في وله وجه مع انهم ذكروا أيضا من الاكتفاء ما اكتفى فيه بحرف الجر عن مجروره كقوله (ان غاب عن انسان عيني فهو في) وما حذف منه شرط ومجزوم وصلة موصول ونحوه ويرد عليهم قاطبة ان المحسنات البديعية انما تعد محسنة بعد مراعاة الفصاحة فما خالفها يعد قبيحا ممنوعا عند أهل العربية وقد صرحوا بانه لا يجوز حذف بعض الكلمة الا في ترخيم المنادى على اللغتين بشروطه وما عداه وان سمع من العرب شاذ مناف للفصاحة فعدهم له محسنا لا يصح وكونه مع التورية كذلك لا يسوغه ولو صح كان المحسن له التورية لا هذا الاكتفاء فعدهم له منها وهم على وهم نعم لو جرى هذا على وفق العربية كان حسنا وقد نظمت له مثالا لم أسبق اليه فقلت

رمت النداء لما لك وفر البكى * يولي الجميل لرقة في الحال
فنهاني الصبر الجميل وقال لي * للتعيس نادوقل له يا مال (لـ)

ففيها اكتفاء وتورية بمستوفية الشروط الترخيم وهذا من السحر الحلال الذي يعرفه من له ذوق فان قلت ما وقع في الحديث من قوله كفى بالسيف شا ان كان صحيحا فصحيحا نقض ما قلته والا يلزمك أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام غير فصيح وهو أفصح الفصحاء قلت أفعاله

أقواله

وأقواله لا يقاس عليها غيرها وكما كان يتكلم مع كل قوم بلغتهم حتى صدر منه احيانا ألفاظ فارسية وحوشية وغيرها مما لا يوصف بالفصاحة فعدت من معجزاته صلى الله عليه وسلم جاز صدور مثل هذا عنه اسر ظاهر أو خفي وأما ما قاله شارح البردة السيد الغبريني المقري من قوله ان كونه أميا معجزة له كما قرروه حتى لا يرتاب أحد في كلام الله يرد عليه انه لو تم قيل عليه لم خلق أفصح الناس ولم يخلق غير فصيح حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغته ليس كلامه فليس بشيء لان الامية شائعة في أكثرة صحاء العرب وهم في غناء عن الكتابة وأما عدم الفصاحة فلكنة وعيب عظيم منزه عنه عالي مقامه وظاهر فطرته وجوهر جبلته ومن هذا علم أن الحروف المقطعة في أوائل السور ليست من حذف بعض الكلمات المحظور وهذا البحث مما لا تراه في غير كتابنا هذا هذا * ومن صنف في جمع أنواع البديع في عصرنا وليم ذبه حتى كان بيني وبينه منافاة ومنافسة لاجل هذا

عبد الرحمن بن محمد الحميدي شيخ أهل الوراقة بالقاهرة

الاديب الذي تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله ورقت على منابر الآداب خطباء بلابله اذا صدحت بلابل معانيه وتبرجت حدائق معاليه (جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري) نظم في جيد الدهر جمانه وسلم الى يد الشرف عنانه خاطر في رداء مجد ذي حواش وبطانه ناثر فرائد بيان ينثرها اللسان فتودع حقاق الآذان وله في الطب يد مسيحية تحيي ميت الامراض وتبدل جواهر الجواهر بالأعراض

مبارك الطلعة ميمونها * لكن على الحفار والغاسل

وديوان شعره شائع وذائع الا انى استودعته النسيان (ولا بد يوما أن ترد الودائع) ولما نظم بديعيته أرسلها الي فنظرت فيها في الاوائل والصبا تنافس على أرجه وقد فاح مسك الليل وكافور الصباح

ولا عقرب الا بصدغ مليحة * ولا جور الا في ولاية ساقي

ومما اعترضت عليه فيه تشابه الاطراف فانه أخطأ في حده ومثاله فلما كتبته له ووافقني فيه بعض الاصحاب لم يعترف بخطائه وكتب أبياتا منها

بكاملات تشابه الاطراف من * فن البديع بحثه وجداله

فكتبت له متهكما مولاي أسرفت في الامتنان وأسأت لنا قبل الاحسان وعاتبت من غير جنايه سابقه وحرمت من ليس له فيك آمال رائقه فكانت حالي معك كما قيل ان عبت ريح شديدة فصاح الناس القيامة القيامة قال بعض المجان ما هذه القيامة على الريق وأين الدجال والمهدي واشراطها وفي ذلك أقول

أسرفت في الصد تخف خالقا * لا ترتضي اسراف مخلوق
يا هاجرا من لم يذق وصله * جرعته الصبر على الريق

الرئيس داود الحكيم

ضرير بالفضل بصير كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير لم تر العين بل لم تسمع الآذان ولم تحدث بأعجب منه معاملة الركبان اذا جس نبضا

عبد الرحمن الحميدي
(الرئيس داود الحكيم)

التشخيص مرض عرض أظهر من أعراض الجواهر كل غرض فيفتن الاسماع والأبصار
و يطرب بجس النبض مالا يطربه جس الأوتار

يكاد من رقة أنكاره * يحول بين الدم واللحم
لو غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

فسبحان من ألطف نور بصره وجعل صدره مشكاة نور فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التى فى الصدور وله فى كل علم سهم مصيب ومنطق محلى بتهذيب التهذيب وكنت
قرأت عليه الطب وغيره فى سن الصغر فسمعت منه ما يغار له نسيم السحر و يطرب من لطفه
نغمات الوتر ينثر فيه نثار العلوم على عرائس المنثور والمنظوم وكان يقول لو رآنى ابن سينا
لوقف ببابى أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابى الا أنه على مذهب الحكماء ومشرب
الندماء ولذا كثر كلام الناس فى اعتقاده ونقل عنه رشح قطرات من خفى الحاده ثم لما
كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فج عميق فقضى نحبه ولقى
ربه ومما سمعته من شعره قوله

من طول ابعاد ودهر جائر * ونسيس حاجات وقلة منصف
ومغيب الف لا اعتياض بغيره * شط الزمان به فليس بمسعف
أواه لو حملت الى الصهباء كى * أنشا فأذهل عن غرام متلف

وهو كقول شيخ المعرة

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة * فتذهلنى كيف الطمأنت بى الحال
فاذهل انى بالعراق على شفا * ردى الامانى لا أنيس ولا مال

وله تآليف منها شرح قصيدة ابن سينا فى الروح والتذكرة الكبرى والصغرى فى الطب وغير
ذلك رحمه الله تعالى

﴿محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب﴾ سماء مجد أشرق بدرها ودرت سحائبها فلله
درها فيالله من بدر فى سماء الكمال وحيد صيب بعقائل المجد المخدرة عميد قليب كرم
لا يرد رشاما تح فهو لعمرى عقلة المستوفز وعاقلة لسان المادح وهو فى الطب رئيس
لم يخرج عن القانون وفارس فى حلبته لا تدركه سوابق الظنون فلو راجعه الهلال لأبرأه من
الحمى والدنف بلا تكلف من وصمة البرص والكلف ارتحل الى نخر آل عثمان المرحوم
السلطان سليمان فاعتكف عنده فى حرم الاحسان فاصطاد فى حرمه أوابد الكرم
فواعجبا أنى حل له الصيد فى الحرم فدا وى سقامه وقد قبل النقرس أقدامه وله مآثر لها
الدهر مستزيد والمجد سامع له مستفيد منها ما كتبه لافضل الله الرومى وقد أهدى له شرح
الموجز للنفيسى

سطور أودعت بطن الطروس * أم السحر المؤثر فى النفوس
ومكتوب بديع اللفظ وافى * أم الصهباء تجلى فى الكؤس

(محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب)

قرأناه فأنشأنا كأنا * طربنا باحتساء الخندريس
فقبلناه تعظيما وشوقا * لمنشئه الرئيس ابن الرئيس
تفضل ثم كاتب عبد رق * فأعتق رقه من كل بوس
ولم يقنعه اهداء القوافى * تحلت بالجواهر كالعروس
فزاد هدية اخرى فأهلا * وسهلا بالنفيسى من النفيس
أبا الفضل ابن ادريس فأكرم * به نسبا يضىء ضيا الشموس
قبول العذر مأمول فانى * أجبتك عن جليلك بالخسيس
وهل أبكار فكرك لائق أن * تقابل بالعجوز الدردبيس
بقيت الدهر مسرورا مهنا * وشانيك المعنى فى عبوس

(ابراهيم بن المبلط)

﴿ابراهيم بن المبلط﴾ أديب أدار على الألباب رحيقه المصفى ان قصر سواه فابراهيم الذى
وفى ملأ بيوته جواهر و ياقوتا وغيره من الشعراء ينحتون من الجبال بيوتا حتى هدم بما
بناه من الأشعار ماشيده من قصوره المعمار فالتحق بصناعة الشعر بالاشراف فغاص
فى بحوره واستخرج منها الآلئ لها الآذان أصداف وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهره وثمرات
آدابه فى رياضها زاهية الاوراق زاهره الا أنه كان يجيد نسج مقطعات الابيات و يقصر
اذا نظم المطولات وقد طالعت ديوانه فمن معمور أبياته ومبانى كلماته قوله من قصيدة له

حدثت بانة الحمى عن سباها * عن ثنيات مكة عن صفاها
أن عصر اللقاء آن ووافى * وزمان النوى انقضى وتناهى
ونسيم الصبا يؤدى الامانا * ت الى أهلها كما قد راها
كم نسيم سرى فسر قلوبا * شفها البعد والنوى فشفاها
تعرف العاشقين منها نسيما * ت وهم يعرفونها بشذاها
ان أيدى الفراق جارت علينا * فى قضاء قسمها وكفاها
آه واوحشتى لأحشاء قلبى * وقليل قولى على البعد آها
كان للبين ساعة يا لها من * ساعة ان نسيت ما أنساها
حملوا العيس بالهوادج حتى * ضل فى ركبها الفؤاد وتاها
واستقلت ظهورها ببدور * طال فى ظلمة الدياجى سراها
وظباء عهدى بها فى قصور * فاذا بالظباء وسط فلاها
ولكم فى غضونها من غصون * قد حلا ثمرها ومر نواها
ما أمر الفراق طعما وأهنى * ساعة الملتقى وما أحلاها
وقميص الشوق ذات جناح * ظاهر حزنها وباد جواها
فارقت من نحب مثلى ولكن * ما هواى المصون مثل هواها
فعيونى على الدوام دوام * وهى لم تبك مرة عيناها

وكتمت الهوى عن الناس طرا * وهى باحت به لمن فى حماها
وهجرت الرياض وهى ثوتها * ورقت من غصونها أعلاها
فاجتمعنا فى صورة من بعيد * وافترقنا من بعد فيها عداها

وهذا كقول ابن لؤلؤ الذهبى من قصيدة له

وتنهت ذات الجناح بسحرة * فى الواديين فنهت أشواقى
وورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والاحمان عن اسحاق
قامت على ساق تطارحنى الجوى * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنى تبارينى جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى * وهى التى تملى من الأوراق

ونظائره كثيرة لا تحصى ولصاحب الترجمة

ياعائبا لسوادقهوتنا التى * فيها شفاء النفس من أمراضها
أقلل تراها وهى فى فنجانها * تحكى سواد العين وسط بياضها

﴿بدر الدين بن الازهرى شاعر عصرى﴾ طلع فى هالة الكمال بدرا وساق فى حلبة الآداب نظما ونثرا فصحت معانيه وفويت مبانيه ولذت بأفواه القائلين وساغت بأسماع السامعين فحلاوتها على اللسان وموقعها فى الآذان مواقع ماء المزن فى البلد القفر أورد له بعض أدباء عصرنا شعرا فاخترت منه قوله

شكا الى من أحب دملا * فى ردفه وقال قول جازع
يطلع فى كل مكان ضيق * فقلت ذاك فى أوسع المواضع

وفيه كناية فيها تكاية مع تلميح لمثل العوام لمن يجىء فى غير محله كالدمل يطلع فى أضيق المواضع وقوله أيضا

لقد عثرت بجنح الليل رجلى * على شخص ولم يك فى حسابى
فقال مجاوبا لى أنت أعمى * فقلت نعم ودواس الكلاب

وله هذا حشيش أخضر * مختار للجسد يقول من يبلعه * يارجلا خذ بيدى
وله أمنت من خوف العدا وشرهم * منذ جاء فى يخاتم الامان
وله لاترجى الشفاء الا من الله فان الحكيم رب الوجود
ومجيب فى ذا الزمان غريب * مسلم يرتجى الشفا من يهودى

اشارة الى ماعرف من غش اليهود للمسلمين والى ماخلا يهودى بمسلم الا هم بقتله وما قلته فى معناه

أيمرضنى الدهر الخؤون بما دهى * ويخلف فى وقت المضيق وعودى
فان رمت من يشفى الفؤاد يطبه * فيومى سبت والطبيب يهودى

وله أيضا فى شبابة ياحسنها شبابة لم ينقطع * موصولها ماغادت تترنم
بالرمز تفهمنى اشارات الهوى * أو ماتراها بالعيون تكلم

وهذا

وهذا كقولى مضمنا

لنا مجلس فيه من اللهو مطرب * وآدابنا مابيننا تسترنم
وناى يناجينا بأسرار ربنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومثله قول بحير الدين بن تميم مضمنا

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * ونحن سكوت والهوى يتكلم

وله أيضا عما ملى رجلى شكت * تردى اليه * وكان لى سرموزة * قطعتها عليه

وسرموزة لفظ فارسى معربوه وهى النعل المعروف والعامة تقول له سرموجة على قاعدة التعريب فانه تبدل فيه الزاى جيما

﴿محمد الاسيارى القبانى﴾ لبيب ان ذكر الحساب فهو أول من يسجد له البيان أو الشعر تلا لسانه أقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان اهابه ظرف ملئ بالظرف وبوارق فكره أسرع من لحظة الطرف فمانسيم الصبا وماعتب صب صبا ومع ذلك فكوكب سعده لم يزل ساقطا وعاثر جده لم يبرح فى ظلمات الخمول هابطا

والدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض كامل المقدار
فاذا انتحى الانصاف عادل عدله * فى الوزن بين حديده وتضار

ان أنشد الشعر أقام أوزانه وأهدى درة المنظوم من فكره أوزانه فمن درره للمكنون وتبره الموزون قوله

وهيفاء تهوى الراح قالت لصهبا * بمجلس أنس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدر لى الكاس ملأى فانى * أبيتك مهجورا أخاف مسلالها

وهو كقول البدر الدمامينى

يقول لها هلا حكيت بناظرى * مهاة سبتنى اذ سمعت كلامها
وأعرض عنى ثم وجه عتبه * لها حين لم تشبه غزالا ولامها

وقول ابن مكانس أقول لحبى ثم ومس يامعذبى * كميت خود حرك السكر رامها
ولا تسه عن شئ اذا ماحكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

وله روق البدر فى صفا الماء لما * جعدته أيدى الصبا كالاساريع
شبه جام من لؤلؤ يتلالا * فوق صرح ممرد من قوارير

وله من قصيدة لقد حل فى مصر بلا من البرش * به عدت الارواح والمال فى أرش
وكان بها حرث ونسل فمزقوا * وأهلك ذاك الحرث والنسل بالبرش

والبرش اسم مجنون معروف وأصله برشه ثا ومعناه برء ساعة باليونانية فعرب وهو نوع من الحراثة عند أهل مصر وبه يتم التلفيق والتورية والله أعلم

﴿يحيى بن الخطيب القبانى﴾ غلام هذا الاديب المقدم وممن صحبه فاسبح طراز مجده به معلم

(محمد الاسيارى القبانى)

(بدر الدين بن الازهرى شاعر عصرى)

(يحيى بن الخطيب القبانى)

فتحت صبا اللطف نور ثمائله وسقى ربيع كماله بطل أدبه ووابله وصحبة الالباء صيقل الالباب
كما أن الشجاعة صيقل الاحساب وكان كثيرا ما يخصني بانس مذاكرته و يتحفني بهدايا
مذاكهته فكتب الى مرتديه وفي ليبت له على الخليج

نحيط علوم مولانا بانا * على النهر المقلد بالخليج
فان شئتم تفضلتم وجئتم * الى سكن يقول الى الخلي حي

وكتب له بعض أدباء الشام بما كهه

ماقولكم سادتي في أهيف خطرا * غصبته قبلة مذ سرت في خطر
فرام قتلي بلحظ للهنى سحرا * وبت منه أراعي النجم للسهر
هل جائز قتلي أفتوا لمن حضرا * اجاب مولى رئيس البدو والحضر

فاجاب بقوله

ياسائلي عن حبيب بدره سفرا * عن برق ثغر هدى الركبان في السفر
فراح يغصب لما عند ماظفرا * في عاقبات مرامي ذلك النظر
ونجاية الغاصب استرجاع ماصدرا * منه يعذب اللمى في الورد والصدر
وفي القصاص حياة للذي ظفرا * بلثمه ومآل الصبر لظفر
والله يغفر للجاني الذي ثجرا * بمن اليه مسى جذع من الشجر

وفي ذخيرة ابن بسام روى أن رجلا قبل امرأة فشكته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقول فقال صدقت يارسول الله فاقتصها مني فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تعد فقال لا أعود والى هذا نظر ابن نباتة في قوله

لئن اشتملت يوما * وللسرور اقتناص * فهالة فاقتص مني * ان الجروح قصاص

وللقاضي أبي عامر الجرجاني

ومنتقب بالورد قبلت خده * ومالفؤادي من هواه خلاص
فاعرض عني غضبانا قلت لاتجر * وقبل فمي ان الجروح قصاص

وللقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت اها اني وحقك غاصب * وماحكمه والغاصب بسوى الرد

وتلطف من قال

بالرد قد قتلتني * وقاتل النفس يقتل
قالت فنعمان خدي * نفي قصاص المقتل

﴿شهاب الدين أحمد الحنفي المعروف بقعود﴾ بليغ سحب ذيل بلاغته على سحبان وروض أدبه في كل ورقة خطها ديمتان ألفاظه أرق من دمع السحاب وأطرب من كأس يحملها ثغر الحباب سطور شعره تنضب عليها من قوافيه حمام وعصره وان تأخر لمدام الادب مسك ختام ان روى فالكلمات لحبائها ذات توارى أوزف أبكارا فكاره فالكمنس لشهبها جوارى وهو من أعيان مصر نافضلا وأدبا ومن مال لرقته كل نسيم وصبا ورجما جعل الشعر لكسبه

سببا واتخذ سبيله في البحر عجبا وله مكارم أخلاق تجدد مآثر الجود الأخلاق كما قال فيه صاحبنا الأصيلي

لله در شهاب الدين مرتقبا * في الجود والنسب السامي على الناف
من رام بيغي وفاأو منتقى نسب * قالت فضائله في ذا وذاك سني

مع كون طبعه يهزأ بالشمال والشمول أدركته حرفة الأدب فاعتكف في زوايا الخمول ومن شعره قوله

ياصاحباي اتركا معنى * أوفا عذلاه وعارضاه
لما تطيقان رشد غاو * بما يلاقي ومحي رشاه
سباحشاه والعقل منه * عيناغزال وعارضاه
ياجمع من صيروا النصابي * في الحسن عارا بالعارضاهوا

وله

لي حبيب من شهره زاد سكري * وسلوى هواه أنتج ذنبي
جاءني داعيا وقال ائتني * أولم اليوم نلت قلب المحب

ولابن مكانس

قال خلي لحبيبي صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قال ان فاز بثغر أولما

(لي)

وله

وحقك لو أتلفت مالي جمعه * لما رضي الواشون فيك مكارمي
ولو انني أوتيت ألف وليمة * لاجلك لم يشكر عذولي ولا تمي

وللصلاح الصفدي

يامن اذا ما أتاه * أهل المحبة أولم * أنا محبك حقا * ان كنت في القوم أولم

﴿وله من قصيدة﴾

تفت فؤادك الايام فتا * وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعا صدق * ألا ياصاح أنت أريد أنت
وكنز لا تخاف عليه لصا * خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
ستجني من ثمار الجهل حنظلا * وتصغر في العيون اذا كبرتا

وله

هم بابنة البين فقدوها * للطف هارب الحمى والدها
مذ سادت العنبر لوناشذا * لاتدعني الابياعبدها
في خدمن أحببته مشامة * ما الند في نكهتها مذها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لاتدعني الابياعبدها

وهو تضمين لقول الشاعر

لاتدعني الابياعبدها * فانه أشرف أسمائي

﴿محمد البلبني﴾ فاضل شافعي المذهب وليب طراز فضله بالآداب مذهب وشمائل لطفه سلسل ماء براعته رائق المشرب من القوم الذين هم في طرق الخيرات ساعون والذين هم لاماناتهم وعهودهم راعون الا انه تجاوز عن رقة النسيب الى كثرة التجنيس والحوشي الغريب فلذا لم أثبت من شعره الا القليل النزر فمنه قوله من قصيدة أولها

(محمد البلبني)

يا احلا الطلب
هذا الاقتصاص
(شهاب الدين أحمد الحنفي)

أهلا به ملكا فى زى انسان * أهلا بدرّ أتى فى شهر نيسان

ومنها أيضا وانتاشنى باليد البيضاء سوددة * من أسود الخطب لما أن تخطانى

قد كنت غصان بالماء الزلال وهل * يجرى سوى الماء فى ثغر لغصان

ومنها حجبت غيرك عما ظلت تملكه * ارثا من الفضل حجابا بحجب حرمان

وهذا على ما تراه معنى مبذول كقول الشاعر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وهو فى معنى قوله كنت فى محنتى أفرّ اليهم * وهم محنتى فاين الفرار

ولابى فراس غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى مابه داء

وله قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بضدما أتقلته * والمرء يشرق بالزلال البارد

والاصل فيه قول زيد بن عدى

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

ومن كلام ابن المعتز ربما شرق شارب الماء قبل ريه ومن فصولى القصار واعجبا لمن اكتحل بالعمى وغص بالظما وقلت مضمنا

قد كنت أرجوك للجلى اذا طرقت * فصرت عونا لحسادى وأعدائى

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

ومن البديع هنا قولى

يا من أطال مطالى فى مضايقتى * المطل فى شدة الممطول يرديه

اذا المياه أحالت مطل ذى غصص * فمن حياض المنايا المطل يرويه

﴿محمد الاسيوطى التاجر﴾ تاجر بحت بالآداب منه التجاره وبدت وجوه كماله وعليها من رونقه نضاره فنشرت بين يديه بضائع الأدب الزاهر وقالت للطف طبعه النقاد على عينك يا تاجر وكان بينه وبين والدى عهود مودته وعرى ميثاق أحكمت يد الايام عقده وله شعر محته من صحف الفكر السنون ولم يعلق به الا قوله فى المجون والهزل أحيانا جلاء العقول

لنا صديق له فى الصلح معرفة * تفضى الى أنه يمنى بغير تعب

اذا رأى أمردا كالورد وجنته * تذكر الشام مما قد رأى وحلب

والصلح بصاد مهملة وجيم لغة عامية رديئة معناها النظر بشهوة

﴿الفانى أحمد المحلى المالكى﴾ فاضل فضائله مدونه وما ثره بأنوار فواضله ملونه لم يزل فيما مضى مرفوعا بنصب القضاء مع قطع وقته النفيس فى أنواع الافادة والتدريس وكان جمعنى واياه نطاق الزمان فى هالة نادطامت فيه بدور الاخوان فرأيته يظن الثملة جلا ويرى مشهور المسائل مشكلا اذا رأى غير شئ ظنه رجلا فقال لى لم منع صرف أشياء مع صرف أسماء فقلت له ملاطفا يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ثم كتبت له مضمنا

أشياء لفعاء فى وزن وقد قلبوا * لاما لها وهى قبل القلب شياء

وقيل أفعال لم تصرف لا سبب * منهم وهذا الوجه اضعف ايماء

أو أشيئاء وحذف اللام عن ثقل * وشئ أصل ثنى وهى آراء

وأصل أسماء أسماو كباب كسا * فاصرفه حقا ولا يغررك أسماء

ومنع صرف اذا ما كان فى علم * لأجل تأنيثه والأصل وسماء

فقل لمن يدعى فى العلم توسعة * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

﴿سرى الدين بن الصائغ الحنفى﴾ سرى طابق اسمه مسماه وكاد أن ينطق بلفظه معناه قد فقت جداول علمه ونبتت فى شاطئها حدائق نثره ونظمه ترفع عن صناعة الصياغة لما وصل الى معدن جواهر البلاغة فأصبحت ذاته للعلا الى العلا ولبس حلل الكمال فأين منه السرى الرفا أبرز فى الطب نفيس جواهر لم يدركها ابن النفيس وجرى فى الشفا على نمونة الصناعة حتى لقب بالرئيس فأصبح به وشى صناعته مطرزا وعد الكلام المسهب فى احصاء أوصافه موجزا وله فرائد أخلاق فى سلك الايام ذات اتساق حكت الروضة الغنا اذا وقع قطرها بالملا وبللها غنى فى معالى لورآها ابن جلا ستروجهه ورأسه خجلا كأنما الصبح تنفس عن محياه والعنبر الرطب فاح منه رياه صاغ بفضله حلى المكارم فنهاها فى سواعد المجد أساورا وفى أكفها خواتم

صمح البديهة ايس يملك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

وجرت بينه وبين ابن نجيم مكاتبات معسولة الالفاظ مدنفة المعانى أكثرها من رسالة ابن زيدون منحولة المبانى ومما صاغه من تبره وصبه فى قالب شعره قوله

ما الناس الاحباب * والدهر لجة ماء * فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

ومنه قوله انما الدنيا ظلال * فى أو بقات قليله * أو رذاذ متوال * فوق كثبان مهيله

﴿منصور البلبيسى﴾ نذب التجر فى حرفة الأدب واقتطف بيد فكره فواكه الغضة من كثب ثم غلبت عليه السوداء ولعبت به الصفراء والبيضاء فانهكت تلك الفنون بالجنون والجنون كما يقال فنون فجعل دساكر القهوة رحلة صيفه وشتائه وهوى الأحبة منه فى سويدائه فمما أنشدنيه قوله فى التاج بن الجيعان حيث رماه بمرض أكابر الزمان

قلت لتاج الدين فى خلوة * وقد علاه عبده الأكبر

التاج يعلو فوقه غيره * قال نعم ياقوت أو جوهر

﴿عبد النافع الطرابلسى نزيل مصر﴾ فاضل تود العيون قربه وترى القلوب ودّه أعظم قربه وأديب هو بديع زمانه وتاج مرصع بجواهر المناقب على رؤوس أقرانه يستعير المجد مقامه الرفيع ولا تنكر الاستعارة من صاحب البيان البديع درّس وأفتى وصنف فى فنون شتى الا انه اقتدى فى شعره بابن حجاج كقوله فى هجاء من لقب بالتاج

أقبح خلق الله فى خلقه * وخلقه وهو خسيس وضيع

هذا يجب حفظها

(مرعى الدين ابن الصائغ الحنفى)

(منصور البلبيسى)

(عبد النافع الطرابلسى نزيل مصر)

(محمد الاسيوطى التاجر)

(الفانى أحمد المحلى المالكى)

ف على معنى الصلح

لقب بالتاج ولكنه * تاج الخصى ومجاز وسيع

﴿صاحبنا عبد المنعم المالمى﴾ أديب أسكرنا بلفظه العذب الانسجام وأدار علينا من مدام لطفه فى مجالس الأنس جام وكان فى شرخ الشباب والعيش غض اغصانه الرطاب

زمانى به كالورد طيبا وبهجة * فيا ليت ذاك الورد كان نصيبى

ونشر أفكاره دارى ومن موارد أنسه لدارى وانه مع ذلك توقد ذكائه لنارى وله أخلاق ذات حواش رقاق الا انه على الشعر مقصور وليس له من الاعراب نصيب فطبعه على عاميته يخطئ ويصيب وأكثر شعره نتف وهجو وهزل وقلما يقع فيها المطبوع الجزل كقوله

اذا رام محفوظ يرينى للشرا * من الدفن قطرا لا نظير لحسنه

فقولا له انى وحسنى حياته * مرادى أرى تعليقه قبل دفنه

وقوله وعن كبش الذبيح سألت يوما * خبيرا عالما بعلوم الاحيا

أيحيى الكبش بعد البعث أيضا * فاخبرنى بأن الكبش يحيى

وهاهنا أمر نفيس نحو به السيئات وبحث عظيم نحيى به عظام الرفات وهو أن الحيوانات هل يحيها الله تعالى وتحشر ويقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه كذلك لورود ذلك فى القرآن فى قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ولقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فى خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم الامام أبو الحسن الأشعرى فقال فى كتاب الابانة عن أصول الديانة ما نصه لا يجب على الله تعالى أن يعوض البهائم والاطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الألم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا ألم الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن العقل لا يوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذى خلق فيه الألم من غير جرم ولا ذنب لا يستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقالت القدرية ان لم يعوضهم فى الدنيا فانه يجب عليه حشرهم فى الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا قد قال النبى فى خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوى فنكى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لا تكليف عليه لا يعاقب ولا يقتص منه انتهى وفى سراج الملوك اختلف السلف فى هذا فقال ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل تفريقها بتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كونى ترابا وقال بعضهم لا تقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم فى ذلك والدليل عليه الآية واذا الوحوش حشرت والحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكره الاشعرى لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصى فى الحساب وقال الاسفرايينى يقتص منها بما تفعله فى الدنيا وورد بأنها ليست مكلفة انتهى فى المشيئة يفعل الله بها ما أراد انتهى أقول

(صاحبنا عبد المنعم المالمى)

قف على ان الحيوانات تحيى وتحشر

قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على الاقوال الاربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به الصدور أن لا تؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له من انها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبنى على ذلك فاذا سقط الاساس سقط ما بنى عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لا تعقل والنزاع فيه مكابرة الا انها لما كانت فى المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لا يسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء تقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض بما فعلته بارادتها لا ادراكها للجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبنى عليه لان جزاء التكليف انما يكون فى دار الخلود الجنة والنار وهى تعود ترابا قبل دخول أهلهما فيهما وأما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل المحشر أنه عز وجل لا يترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم ما لهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الاليم تتوفر الهمم وارشاد الان يعلموا عظمة كبريائه وتساوى جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها لاجل أن ينفيها ويقول لها كونى ترابا ولولا بعد كلام الاشعرى بتصريحه بما يأبى حمله على ما ذكر أوقلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغى أن يكتب بالنور على صحف خدود الحور وانما ذكرنا هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد ومما ينبغى ايراده هنا ما قلته فى عتاب بعض الناس وهو

قل للذى لام ولم يحتشم * لحبث لؤم حشو طبع دنى * هب انك الثور تغير على

جم له مرعى فلم يذعن * أما تخاف من غدا مالكا * يقتص للجم من الاقرن

﴿حسن بن الشامى﴾ ماجد صيغ من معدن السماح وابتسمت فى جبينه غرة الصباح اللطف حشواه به والفضل لا يلبس غير جلبابه

لو مثل اللطف جسما * لكان للطف روحا

اذا نزل بنادار تحملت الهموم وارتضع من أخلاقه أخلاق بنت الكروم لهما أنشدنى به من أبياته ونزه معى فى ربى مقطعاته قوله

مصر تفوق على البلاد بحسنها * و بفيلها العالى ورقة نيلها

من كان ينكر فالنجا كم بيننا * فى روضة والجمع فى مقياسها

﴿اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجى﴾ تاج مفرق عصره وعقد تراثب نحره اشتعلت فحمة الليل باسماره وسال نهر الصبح فى أخباره فتضمرت طيلسته بالندى وافرغت فى قالب الهدى وسقى عصره صيب الافضال حتى أورقت به رياض الكمال وهو قريب العهد فمن لم يره فقد سمع فى بديع الآثار خبره وقد طالعت ديوانه فلم أر فيه ما يلذبه الذوق السليم ويعترف به الطبع المستقيم كقوله فى سطل

ضربت وأدخلت نار الجحيم * فقلت بصبرى نعيما مقيما

وصرت بينكم عبرة * لمن شاء منكم أن يستقيما (يستقيما)

(حسن بن الشامى)

(اسماعيل بن الحسين)

ومثله قولى مضمنا يقول مؤاجرغضبا لماذا * أيور الناس أمست لن تقوما
وكنت اذا نهزت فتاة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما (تستقيما)

ومن البيوت بمصر بيوت الغزية

﴿فهم محيي الدين الغزى﴾ بدر سماء الكمال كوكب غرة الاقبال فاح من أخلاقه روح الجنان وفضحت كلماته عقود الدر والمرجان رأيته بمصر ومورد عيشه صافى و برد نعيمه على معاطف النعمة ضافى وله شعر ردى وربما ورد فيه ماهو ندى تندى فمنه قوله يداعب صديقا له يسمى الخصوصى

يا راكب البغلة الشموص * وقائد المهرة والفلوص
بساحل المرج لا تعرج * وانزل على ساحة الخصوص
أحب مصر التى تسامت * ففضلها جاء بالنصوص
لان مقت الاله ربى * فدخل فى الروم بالخصوص

(محيى الدين الغزى)

﴿أحمد الغزى ابنه﴾ شهاب طلع فى أفق الكمال غره وجر أذيال همته على ساحل جدول المجره فنثر ونظم ومن يشابه أبه فما ظلم فمن لمعات ذلك الشهاب وقطراته العذاب قوله من قصيدة الجوهر الفرد من معدن النثر * والمندل الرطب من ربا النشتر
ومنها كل الشهور ربيع عند مقدمه * وكل شهر سوى أيامه صفر
يا من أياديه أبكارا أفوز بها * ومن زمانى لديه كامه بكر

(أحمد الغزى ابنه)

ومن بيوتها بيوت الطورية

﴿ومنهم عبد القادر الطورى﴾ والطور وكتاب مسطور لهو الصديق لى تجربه الموده حمل الحبور وروض مجد ناضر و بحر أدب وافر لكن طبعه أم الصفور مقلات نزور ولم يورق حتى احتضر ومضى بأمر عزيز مقتدر فمما أنشدنى قوله

تنور بغيتى ببديع صنع * معانى حسنه أضحت غزيره
له قد رشيق ثم جسم * عليه حين لاح رأيت نوره

(عبد القادر الطورى)

وفى تحرير التحريف يقولون تنور الرجل من النورة والصواب انتور وانتار ولا يقال تنور من النورة بل اذا أبصر النار قال امرؤ القيس

تنورتها من أذرعات ودارها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

كلام فى تنور وانتور وانتار

انتهى وقد صرح بعض أهل اللغة بخلافه وكنا يوما فى جمع جم بسفح الجبل المقطم و بعض المشايخ يدعو بالاستسقا والسحاب قد تغطى على وسادة الجو واستلقى فلما دعا ارتفعت حجب السماء بدعائه حتى لا تحول بينه و بين سمائه فأنشدنى قول الشاعر وهو لبعض شعراء الاندلس خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * غربية فسنبها الريح
حتى اذا اصطفوا للدعوة هم * وجرى لبعض دموعهم سفح
كشف السحاب اجابة لهم * فكأنما خرجوا ليستصحوا

فانشدته

فانشدته قول التنوخى

خرجنا نستقى فبمن دعانه * وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الارضا
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما * فلما تم الا والغمام قد انفضا

(على بن الجزرجى)

ثم قلت أنا

وولى تقطب لرب السما * أسرع الصحو اذا دعا بالماء
فى صراخ وأدمع وهو يغنى * عن رعود منهلة الانواء
كان فى الجو للغمام ازدحام * فاشتفى صدره ببرء الدعاء
فكأن السحاب كان مريضا * مات لما دعا بالاستسقاء

وكان رجل منحوس له قميص واحد اذا غسله يجلس فى بيته حتى يشفه كما قيل

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم * لبسوا البيوت وزرروا الابوابا

فاذا نشره لم تزل السماء مغيمة ماطرة فرأى الناس منصرفين من الاستسقاء وقد أجيب دعاؤهم لما غسل ثوبه فقال

غدا الناس يستسقون من كل وجهة * بكل كريم للدعاء مجاب
فوافاهم الغيث الذى سحبت به * يدا المزن هطالا بكل سحاب
وفى ظنهم أن قد أجيب دعاؤهم * وما علموا انى غسلت ثيابى

ومما أحسن قول القائل قام قوم بسنة الدين حتى * غلب النبح بالاجابة ياسا
فكأن الغمام لما أتاهم * ضاحكا ظن الورى عباسا

ومما كتبته له مضمنا أيا صديقا عرفه ندى * وكفه من الندى ندى
لم يحل من بعدك لى ندى * و بلدة ليس بها طورى

(على بن الجزرجى)

﴿على بن الجزرجى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير﴾ فاضل مكفوف وأديب بالمعروف معروف له شعر وسط وأثر عن علو مرتبته منحط كقوله فيمن عابه بالعمى

ليس العمى داء ولكنه * شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطب فى أمره

أنشده فى كتاب له سماه نيل المنى فى الكلام على أولاد الزنى وذكر فيه حديثا لا يدخل الجنة ابن زانية وقال فيه ان ولد الزنى فى أصله خبيث وهو فى نفسه خبيث وذلك الخبث يدل على سلب الايمان منه وكذا الملوط وذو الأبنة المستمر على ذلك أقول فى اللآلئ المصنوعة للسيوطى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى رواية فرخ الزنى لا يدخل الجنة وفى رواية لا يدخل الجنة ولا شئ من نسله الى سبعة آباء قيل هذا لا يصح وفى الحلية له رواية وقال عبد الرزاق عن ابن التيمى قال حدثنى أبو بكر وكان عندنا مثل وهب عندكم انه قرأ فى بعض الكتب أن ولد الزنى لا يدخل الجنة الى سبعة آباء فخفف عن هذه الامة فجعلها الى خمسة آباء وسأل بعضهم أبا الخير الطالقانى عن هذا فى جمع

من الفقهاء فقال هذا لا يصح لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وذكر بعضهم قال في معناه أنه اذا عمل عمل أصليه وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنة وزيفه بأنه لا يختص بولد الزنى بل حال ولد الرشدة مثله ثم فتح الله علي جوابا شافيا لا أدري هل سبقت اليه أولا فقلت انه لا يدخل الجنة بعمل أصليه بخلاف ولد الرشدة فانه اذا مات طفلا وأبواه مؤمنان ألحق بهما وبلغ درجتهما بصلاحهما كما قال تعالى وأتبعناهم ذرياتهم بايمان فولد الزنى لا يدخل الجنة بعمل أبويه أما الزاني فنسبه منقطع وأما الزانية فشؤمها منع من وصول بركة عملها اليه انتهى وقد يقال انه خبث طينته ونطفته وفساد بذره بقدر الله ويكتب شقاوته في الأزل بخلاف ولد الرشدة ولا بعد في هذا وكونه من الاخبار بالمغيبات ومن كفريات أبي العلاء المعري قوله في لزوم ما لا يلزم

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الحنا
علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

وأجابه الحسن بن أبي عقامة اليمني بقوله

لعمرك أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أو دنا
كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

وفي الحديث نكتة وهي انه سمى ولد الزنى فرخا وهو استعارة بديعة وعليها استعمال أهل الحجاز فيقولون في الشتم هو فرخ بمعنى ولد زنى لان الفرخ لا يعرف له أب وانما يعرف الدجاجة التي باضته ففيه لطف لا يخفى ومما قاله

كم من كريم قد بات في دعة * أتاه سيل الصباح بالنكد
ورب فرخ أراشه زمن * فصار بالعز بيضة البلد

﴿زين الدين محمد الانصاري الخزرجي الحنبلي﴾ زين زمانه وعين أعيانه درة تاجه عقيلة نتاجه كان في عصره بيت القصيد وعنوان الادب وأول الجريدة لم تعقد على مثله الخناصر ولم تحمل بتوأم له بطون الدفاتر ولم يدر على نظيره نطاق نادي ولم تحمل كتف أخباره الركبان من حاضر وبادي تفقه على مذهب أحمد بن حنبل فكان لطلابه سهل الورد عذب المنهل (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم في كل عصر أقل من القليل وهكذا الكرام كما قيل

يقولون لي قد قل مذهب أحمد * وكل قليل في الانام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطتم بزعمكم * ألم تعلموا أن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وهو جواد لم يهب ان وهب فالمذهب عنده كما مذهب وكان له بالقطب المكي صحبة واجتماع حتى كأنه نديم جليسه وجار القعقاع ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهر وانتهب وراءه هبة نفيسة فرجع فيها وهب لها كتبه للقطب المكي

يقبل أرضا أشرقت شمس علمها * به شرفت أصلا وفرعا ومحتدا
محب يرى بذل الدعاء فريضة * ما أوى العلا والشوق قد زاد واعتدى

ترنحه ذكراكم كل ساعة * على مابه من حر وجد توقدا
يهيم الى مغناكم ونواده * أقام وبعد الجسم قد زاد في المدى
فيا آل ليلى هل أبيت بقربكم * وهل أترين ليل الوصل يمسي مغردا
وهل تسمح الاقدار يوما بعودة * فأطرب في تلك المعالم منشدا
أعيناي ناما طالما قد سهرتما * فهذا زمان الوصل أصبح مسعدا
لكم من محب ألف ألف تحية * أيها الملك يعتوبا لخضوع تعبدا

فأجابه

اذا كتبت كفي كتابا اليكم * تخته دموع طول أوقاتها تجري
وان سطرت سطرا تنبيت انني * أكون من الاشواق في ذلك السطر
عليكم سلام الله مالاح بارق * وما سارت الركبان في البر والبحر
واني محب مستقر على الدعا * لحضرتكم في الصبح والليل اذ يسري
وأسألكم رد الجواب فما عسى * يفرج مما قد تمكن في صدري
فأوراقكم عندي أجل من الرضى * وأحلى من الايسار عند ذوي العسر

﴿نور الدين بن الجزار الشافعي﴾ بدر أشرقت من أفق الكمال أنواره وخطت في صحائف المحاسن آثاره جنيت اليه ثمرات الالباب فحبي زكاتها الفقراء الطلاب عذب المشرب واسع المذهب ضاعف الله حبوره ويأبى الله الا أن يتم نوره دعاه الندا فأجاب ورمى حدق المعالي فقرطس وأصاب فلم تكن الآراء في فواضله تختلف فابن الجزار يعرف من أين تؤكل الكتف اذا طبق مفاصل الاشعار أنسى محاسن الشواء والجزار نحر الامور نحرا وقتل الدهر خبرا فمن محاسنه قوله في الوجه وهو منهل معروف بطريق مكة شرفها الله تعالى آمين

ولما رأيت الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
وعاينت ركب الحج حل بسفحه * وقد ضربت في جانبيه خيام
ومدوا الى الغيث الهطول أكفهم * فجاد عليهم بالعطاء غمام
فقلت على الوجه المليح تحية * من الله ما سح الحيا وسلام

ومثله لابن أبي حجلة

أيا سادة في الوجه فزت بقربهم * ولم أدر أن القرب يوذن بالبعد
سريتم الى أكرى فشردتم الكرى * وخلفتموا في الوجه دمعي على خدي

ومثله للقطب المكي أيضا

أقول ووادي الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام

وللقيراطي أيضا

أتيت الى الحجاز فقلت لما * تبدى وجهه لي وارتوبت
وكم في الارض من وجه مليح * ولكن مثل وجهك ما رأيت

وقلت فيه عند قلة مائه

أقول وقد جئنا الى الوجه مرة * عطاشا وكل طاب فيه رجاؤه
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

وللفارضى فى بعض مناهله أيضا
رقونى من ماء نبط * لو يكن فى العمر مره
ودع الحور افانى * أبغض الحور وأكره

ولابن حجر العسقلانى

أحبتنا لاتنسوا العهد من فتى * غريب أليف الحزن مقلته عبرى
تذكرت فى درب الحجاز عهودكم * فلم يبق سن فى العهود ولا أكرى

وقد جعل أكرى مقصورا وغيره جعله بالهاء فكانه منقول من الفعل وهو الجارى على الالسنة

﴿محمد الفارضى﴾ فاضل جرت فى مضمار الادب سوابقه وتألق فى سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه حتى ترنمت بمآثره ورق الحمائم وخرقت طربا لها جيوب الغمائم وطال عمره حتى لف الدهر على هامته ثلاث عمائم وصفا ماؤه فتلون بلون اناؤه ونقض الزمان عليه صبغ صباحه ومسائه وله سهم عائل فى العربية والفرائض وبديهة فى ارتجالها تسبق لما يعجز عنه ألف رائض فاذا خاطب بالخطابة تهتز له أعواد المنابر ويورق بفضل فضائله روضها الناضر واذا ارتجز فلا يشفى رؤية غباره الحجاج واذا أحض بهزله ذهبت مجانا لطائف ابن حجاج وربما مال الى جعله مقراض الاعراض منهجا سالكا بحروف الهجاء مسالك من هجا وشعره بديار نا يتلوه فم الدهر وتتفكه الاسماع منه بغض الثمر والزهر فمنه قوله فى قصيدة يهنى بوفاء النيل

أناس بهذا البحر قاسوا نوالكم * وبينكما فرق يحقق الخبر
ففى العام جبر النيل يحصل مرة * وفى كل يوم من ندا كم لنا جبر

وقوله مضمنا
لى جوخة مجرودة يا طالما * قد كنت ألبسها بغير تكاف
كم رمت أقابلها فقالت جهرة * قلبى يحدثنى بانك متلفى

وهذه الجوخة لو ركب عليها فروة ابن نباتة وابن سارة وأسدل عليها طيلسان ابن حرب كانت أفخر لباس يهدى للملوك الافلاس كما قال ابن سارة

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

ومما أنشدت له أيضا قوله فى معرض من القضاة قاض وله * فى أكل موارث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقم عدله * من عدله دراهما عدله

وله أيضا
ألا يا أيها القاضى تيقظ * لامرك واحترز من ترجمانك
ألم تنظر يداه كل حين * بمكر وهو سوء ترجمانك

وهذا مأخوذ من قول الميكالى صل محبا أعياه وصف هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سوالك تصدت * مقلتاه بدمعه ترجمانه

وله أيضا
كونوا على الحق لكى تعلموا * من مغرم يذهب بالمال

لو سلك الناس سبيل التقى * ما استفتح القاضى ولا الوالى

وله
تزود حكمة منى * وخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا * قبول الحاكم المالا

وله
يصلح للحكام فى عصرنا * وذا الذى الاحكام مما يجب
الصلب للوالى على شعبة * والضرب بالدرة للمحتسب

وله فى العلامة منوش التونسى

توفى التونسى فقلت بيتا * يؤرخ كل ذى شجن وبوس
أتوحشنا وتونس بطن أرض * ولكن مثلما أوحشت تونس

ونحوه قول الشهاب المنصورى فى مليح اسمه يونس

لست لاغصان النقا مادحا * لان حبى قده أميس
ولست بالاقمار مستأنسا * لان عندى قمرى يونس

ومن هزلياته قوله
اذا قام فى سوق منادا لحاكم * معاشر جمع الناس ينصت من حضر
فغاية ما يأتى به أن يقول ما * مقدم باب اللوق الا أبو عمر

وله قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد وهى

انهض اذا خفت كلالا أو وجا * بعيس جور ألفت جذب البرا
وسر بها الوخد اذا علتها * أو الزميل ما حريت الوحا
مهداها طلال شعب المنحنى * ورد بها ماء نميرا بالنقا
ان قصارى العزم حمدوغنى * وقبل جدوا تحمدوا غب السرى
من طلب العليا يشقى دونها * وعدم السباب أحلى مجتنى
من قعد الجبن وآثر الثرا * يجانب المجد فقد أعيى الاسى
فلا يهولنك بقع بتلك * ان لحن يوم بن المنايا فى المنى
يارب خبت جبته فى حالك * بمشمخر دون مرماه الحمى
يمور موراكظليم نافر * أهوج محبول لها قفرى عبل الشوى
ثم انبرى يخب فى حزن وما * تمزقت بعد سرايل الدجا
أطلب نجدا وبنجد شجنى * مهاجرا من الهوى الى الهوى
لله حين سمح الدهر به * فى دارة تم بها تم المنى
كنت بها لم أخش بينا آمنا * ارفل بين الاخشبين غضنى
بها وغودى فاحم همت لها * أسلو وللشيب برأسى مختطى
لم يثنه العذل ولا يعطفه * طول المدى ولا تداويه الرقى
أقصر أخا اللوم علاما أو أطل * سب صبا لا يلتوى عن اللوى
لو جرع الصاب كؤوسا ماحلا * فاقطع جاوقل قد انقد السلى

لا يطبيه دون سلع مربع * ولم يرقه للبقا الا النقا

ومنها أبر الجهام الخلب البرق من * الكنهور الواهى العذالى بالحيا

وهى طويلة عديمة الطول والبعير قتدل على البعير ومن الوافدين عليها من الفضلاء الاعلام وكرام مشايخ الاسلام

﴿ العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر ﴾ فاضل لغر المناقب مشرق وبدر لعلو همته سار من المغرب للمشرق وهو رفيق السداد وبيت مجده منتظم الاسباب ثابت الاوتاد وهو كما قيل فيه دمث من غير خفر ولين جانب من غير خور ذو رأى يرد اللين فى الضرع والنار فى الزند وله آثار يثنى عليها ثناء النسيم على الند وأدب امتزج باللطف امتزاج الماء بالخمر وفيصل حكم رفع به التنازع بين زيد وعمرو وهو لفقه مالك أكرم سيد مالك وقد تبوأه الله فى الحديث تسكرمة بين العلياء والسند وجد فى ارث المجد بغير كلالة عن أكرم أب وجد

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أما الشعر فهو أصمى باديته وسلمان بيته وحسان فصاحته فما مس قضب الاقلام الا عجدت شكرا اذ رأته قبلة الآمال وأقسمت ان من البيان لسحرا لكنه السحر الحلال وهو من قوم تعاويذهم الصوارم وآثارهم فى كل جيد تمائم أنفق عمره فى كسب الخير الرابح لما علم أن مآل المال غادور ائح ولما رأى ما يبصر من الحسد والنفاق وتجارة الآداب ليس لها سوق فما نفاق ولم يرض بالكساد ومسابقة الحمير للجواد ارتحل للشأم ذات العماد فقال له رائد السداد

من سابق الجواد بالحمار * جئت بداء عسر الغبار

وقد كنت أستقطر خبره وأستودقه وأومل أن ربيع التلاقى يخضر ورقه ويرد على منه ما يسر الشكالى وينسيها صعاب الآفات والرزايا مما يستنزل العصم للوهاد وتصغى له أوابد الايام حتى تصاد وعصر اللئيم اشيم وزمان الكريم كريم

والورد فى زمن الربيع طلوعه * والعقد ليس يزين غير الجيد

فضن على بالاثر والعين لم يرض أن يجمع بين ساكنين فسبقت المنايا الامانى وجاءنى بنعيه من كنت أرجوه بشير التهانى فبكيت للظل الذى * لم يبسط حتى انطوى

وعلى اناء شيبة * فى وقت ما امتلأ انكفا

وقد نزهت طرفى فى رياض آثاره وملأت أردان المسامع بجنى أخباره فرأيت له نظما ونثرا ومحاسن تملأ الافواه والاسماع درا ومن تآليفه أزهار الرياض فى أخبار عياض وفتح المتعال فى وصف النعال وغير ذلك ولما مر فى طريقه بمحمد بن يوسف التاودى المغربى كتب له يستدعى منه الاجازة

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى * وباسط كف البذل من بعد ما كفا

(العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى)

ومحيي رسوم الاكرمين التى عفت * ومجرى معين الفضل من بعد ما جفا

أجزنى بما قد قلته وروبته * ففضلك يا ذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بقوله سقى الله ثراه وعطر مثواه

أيا فاضلا أعيت محاسنه الوصفا * وانسان عين الود والمنهل الاصفى

ومشكاة أنوار القرآت والأدا * وساحب أذيال الكمال على الاكفا

وحائز أشتات الفضائل اذ غدت * مفاخرة فى أذن مغربنا شنفا

بعثتم بطرس بل بروض بلاغة * تعطرت الارجاء من نشره عرفا

وألمتم أعلى الاله مقامكم * وألبسكم من عزه المطرف الاسفى

من القاصر الباع الضعيف اجازة * ألم تعلموا أن الصواب هو الاعفا

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن * أجيز على أن الحقائق قد تخفى

فأضواء فكرى أظلمتها حوادث * فآونة تبدو وآونة تطفا

ولولا رجائى منكم صالح الدعا * لما سطرت يمناى فى مثل ذا حرفا

فأرجو من الرحمن جل جلاله * ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا

وها أنا ذا أنهدت أنى أجزتكم * على سنن المألوف والمقصد الاوفى

جميع تآليفى ونظمى وان وهى * ونثرى وان حاز الركاكة والضعفا

وكل الذى أرويه عمن لقيته * من السادة الغر الاولى أحسنوا الوصفا

كسيدنا شيخ الائمة عمنا * سعيد فكم تلنا معارفه قطفا

عن أشياخهم من أهل فاس وغيرهم * كمثل ابن هارون فاعظم بهم كهفا

وهذا هو الشيخ ابن غازى ووصفه * شهير فلم يحتج لتشهيره كشفا

رعى الله عهدا كان فيه امامنا * ووالى على مثوامر حمته عطفا

ولا تغفلونى من دعائكم اذا * مددتم بباب الله سبحانه الكفا

وعند ضريح الاولياء وذكرهم * عسى ترتوى من بحر غفرانهم رشفا

وان جهل الناس الحقوق بعصرنا * فتلك من راعى الحقوق وما وفى

وكاتبه المقرى أحمد مرتج * من الله جل العون والبر والعطفا

بجاه شفيع الخلق مأملنا الذى * نؤمل يوم الدين من حوضه رشفا

عليه من الرحمن ألف تحية * تنال بها حسن الختام مع الزلفى

وله فى متمال نعل النبى صلى الله عليه وسلم

لك الله من تمثال نعل كريمة * بخير الورى فانت سنا وسناء

يحق لذى داء يلازم وضعه * على جرحه منه ينال شفاء

وذاك قليل فى مآثر من علا * على كل أوج اذ أجاب نداء

ومن ذا الذى يحصى فضائل أحمد * وقد جود القرآن فيه ثناء

عليه من الرحمن أزكى تحية * تؤسس للمدح الشريف بناء

وله
يامثل نعال خير فخر العرب * يس أجل والمئ للترب
كم رمت مديحه بقصد القرب * والعذر أجل والمعانى ترب

وله
أعظم بمثال نعل عز العرب * من أرشدنا الى أجل القرب
قبله وكن بحقه معتنيا * واجعله وسيلة لدفع الكرب

وله
ومثال نعل عرفه متأرج * فى الخافقين ونوره متبلج
حاكى نعال أجل من وطئ الثرى * وبدت كواعب مجده تتبرج
فاجعله خير وسيلة ترجو بها * دفع المكاره حين ضاق المخرج
صلى الاله على مشرفه الذى * اشكال منطقه الهداية تنتج

ولما وقفت على كتابه فتح المتعال قلت مضمنا لبيتى المعرى

حكى المحراب تمثال ففيه * لنا سجدات تقبيل توالى
أقول لنعل خير الخلق طرا * وقد حاز المهابة والجلالا
وعز به التراب فكل ملك * لربا له لقد هجر الغزالا
لهنك فى المكارم والمعالى * كمال علم القمر الكمالا
وانك لو تعلقت الثريا * بشسعك قطعت له قبالا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفشتالى بارك الله فيه

يانسمة عطرت بها ريح الصبا * فتضمخت بعبيرها حلل الربى
هبى الى ساحات أحمد واشرحى * شوقى الى لقياه شرحا مطنبا
وسفى له بالمحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضا متقلبا
بان الاحبة عنه حتى قد ثوى * منهم وآخر فدنأى وتغيبا
فعسى التعدد ازمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

أقول استعارة العطاس للنسيم غير مستحسنة والمعروف فى كلام فصحاء العرب عطس الصبح والفجر وفى شرح الفصيح للمرزوقى يقال عطس اذا لخأنه صحة من غير ارادة ومصدره العطس والعطاس الاسم جعل كالدواء ويقال أرغم الله معطسه أى أنفه وعطس الصبح انفجر على التشبيه ولابى اسحاق الغزى فى قصيدته المشهورة التى أولها

أمط عن الدر الزهر البواقيتا * واجعل لحج تلاقينا مواقيتا
كم مر بكور الى احراز منصبة * جعلته لعطاس الفجر تشميتا

ومن لطائف بعض المتأخرين قوله قلت له والدجى مول * ونحن فى الانس بالتلاقى
قد عطس الصبح يا حبيبى * فلا تشمته بالفراق

وكتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتى على كتابه زهر الرياض فى أخبار عياض

أهذه أزهار هذى الرياض * أم هذه غدرانها والحياض

يبيت معتل الصبا عندها * يروى حديث الشفا عن عياض
فيا اماما جامعا للعلا * ومن غدا بحرا على الناس فاض
أبكار فكرى بين أبوابكم * تنزه الاحداق بين الرياض
اليكم قد رفعت أمرها * فاقض على الافكار ما أنت قاض
قد بايعت بالحق سلطانكم * توفية للعهد دون انتقاض

ومن البيوت بمصر بيت الجيعان وأولاده وآثارهم تدل عليهم وممن أدركناه منهم وهو آخرهم

﴿القاضى أحمد بن الجيعان﴾ شقيق النسيم ربيب النعيم ريحانة الادب ثمامة الطرب طراز كم المكارم خليفة هطال الغمائم جواد طليق غصن فى ساحة المجد عريق ملكى الصفات ملكى السمات بسام العشيات راحته سحابة ندا ها يروى الاقطار وبرقها اللامع فى أياديه النضار اذا قدمت وفود الحاجات كان رحيب النادى واذا ضاق صدر الدهر فنديه واسع الصدر للحاضر والبادى غض الادب مورق الحسب لم يزل يجنى زهره الحياة من حدائق الايام ويحسو صفوها من مناهل اللذة والناس صيام حتى كدر الموت ورده وبدد الدهر الحسود بنوائبه عقده وكان كثيرا ما يذكرنى الآداب والمعارف ويأخذ منى على رغم الزمن تحف اللطائف فى أوقات كانت لعين الفضل قرة وعلى مكتوب العمر عنوان المسرة

اذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدا * ولم أقتبس علما فذاك من عمرى

والدهر يهم بالاحسان ويلف برد الشمل على أعطافه الحسان وهو لا يحسب من عمره غير أوقات صفوه ولا يسطر فى صحف أعماله غير لذته ولهوه كما قلته له مخاطبا وأنشدته مداعبا

لا تبك هندا ولا تعتب بأسماء * واصرف زمانك فى لهو وأهواء
يوما بيرش ويوما بالحشيش وبالافيون يوما ويوما كأس صهباء

وسألنى يوما أن اصف له الشمعة وأذكر من السمات على لسانها لمعه فقلت له لم يترك الارجانى فى قوس الوصف لامرئ منزعا ولا لأهل البيان لمعانيها مطمعا ثم بدا لى امتثال أمره لما كان له من حقوق ألطافه وبره فقلت

لعسال الشموع سنان نار * اذا ما لاح يهزم الظلام
أقول له وقد والى بشير * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

لما لاحت الشمعة وهى صاحب مستقيم ولطفت حتى ضرها مرور النسيم مسامر أينما طلبت كان معك وصاحب يضر نفسه لينفعك يقف طول ليله فى خدمة الاصحاب ويؤثر من على الخلوة بالحريم والاحباب

لما رأت أن الظلام يكيدها * ويكاد يؤذن شعلها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها * وتلظت كتلمظ الحيات

فقامت على الكرسى تجلو نفسها فى الظلمات ذات غرة تشق قناتها جيوب الدياجى عن صدر

(القاضى أحمد بن الجيعان)

بئس النصيحة والبرد وكم هذا الكتاب بصفحة بسطرا

كلام عذب فى الشمعه

الخلوات لا يرتضي ثالث سواها اذا احتلى المحب بحبيبه فى دجاها

فلئن قضيت لنا بحجة ثالث * يارب فلتلك شمعة فى المجلس

أحببت ان ألتذ الشمع بوصف محاسن الشمع فأقول هى غصن فضة مثمر بالنضار أو هندية تحرق نفسها بالنار بأنفاس النسيم بدموعها و بقطع رأسها تزداد حياتها تذيب النار فى جسمها كما ذاب فى العمر الاجل وتبكى فما ندرى أذلك لحرقة النار أم لفرقة العسل ويقول لسانها للحوادث لما أدنت بينه وفرقت يد الدهر بينها و بينه

بالنار فرقت الحوادث بيننا * و بها نذرت أعود أقتل روحى

تساقط على معصمها من الدمع سلاسل فضة أو ثمار يخ طلع كأنها عاشق ناحل ملتهب الاحشاء ذو مدمع سائل وموتها من قلبها وهو عجيب فان القلوب تحيى أجسامها وهذه لها تذيب اذا جن الظلام زادت أشواقها وظهر اشتعالها واحتراقها وكيف تحاكيه وهى تنعم بالنهار وتعذب بالليل وذلك فى كل حين حريق يشجن كالنار وغريق يدمع كالسيل

هيهات ما أنت مثلى أنت فى دعة * طول النهار و يومى كله حرق

لا يرجع عن معشوقه ولو بقطع رأسه و ينشد اذا رفع صدر أمله براحة يأسه

علقت به كالنار فى الشمع فهى لا * تفك يدا عنه ولو جز رأسها

وفى معناه قولى و يلاه مما أقاسى * اذ صرت فى الناس سمعه

قد أحرق القلب منى * حتى كأنى شمعه

وأنى يستوى من عذابه فى عذابه بمن ناره فى أحشائه بعدد ما أحاطت بسائر جهاته غصن أثماره تجنى على من يجنيها تميتها الليالى وهى تبيت تحييها (طرة صبح تحت أذيال الدجا) غرة فى وجه أدهم الليل اذا دجا محارة اذا أخذ منها القص و ردة ردة ها عنبرا واذا بدت فى محل مظلم جعلته مقمرا

و يقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا أسودا

أظهرت من قبسها نارا على علم * ونضدت بمعصمها درا ما تنقب فكيف انتظم فتاة اشتعل بالشيب رأسها وحميت من حرارة القلب أنفاسها

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها

أم يتولد منها سنا لطف فيا لك أن تقول لها أف فهى على ما تريد من طرب واقتراح فى وقت عبادة أو وقت راح تارة فى مجالس شراب وطورا فى وسط محراب

فلله منها جانب لا تضيعه * ولله منها واجلاعة جانب

تبكى فى حالة التدانى قائلة (من عظم ما قد سرنى أبكانى) (فقد تدمع العينان من شدة الضحك) ومن غريب أمورها حرارة دمعها فى وقت سرورها ألف عليها همزة من النضار همزة قطع لا تزال تسقيهم عما خفى من الاسرار شجرة تسقى أسافلها من أعالها أطلعت وردة لا شوك لها تجنى على يد جانيها قامة هيفاء لو لحت صبغ الدجى لحت ولولا خوف نارها

لغنت الورق عليها وصدحت

فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها

ظلت على مشابهة الخدود تجترى فتقطع اسانها وهذا جزاء المفترى اذا أشارت الى الظلام بلسان أنهى شهر ذيله وهرب واذا وافت النار حاسرة رأسها أعادته بتاج من ذهب واذا أرخت الليالى أستارها السود أمست بنورها مطرزه ولو رام المتنبى وصفها بكافور رياته كانت له معجزه صدقت رأى المأمونية المشهور فى القول بأن الخير مخلوق من النور

وأظمئها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا

وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

سرقت مائى وجنات الغيد من الاشراق ومائى قلب الصب المكئيب من الاحتراق فلزمها بحكم الهوى جناية السراق فانتدب المقص ونشط وقام لقطع رأسها فقط فواعجبا والسارق يقطع منه اليد والبنان فلم قطعوا منها الرأس واللسان فكان ذلك الجرم رأس غراب أسحم أو فراش رفرف على اللظى أو طائر يلتذ يقطف شقيق السنا (كأنه نعامة يقطف منها لها) وما قصها عند ظهور لهيبها الا لانه أنها ذوائب اشتعلت بمشيبها فزاد ذلك القطع فى الانوار كما تنمو بالتقليم الغصون ذات الانوار فحيا ها بتسم مسرور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور كما قلت وترى الشمع اذا زاد السنا * ضاحكا مبتسما من بشره

كالفتى قد سره أو قائه * وهى تفنى زائدا من عمره

تغنى النداما عن الغاق أضواءها وان مرضت فضرب العنق شفاؤها فطرفها من اللهب قطعة سبج ملبسة بذهب أو بنفسج تحت ورد أو كافور على جنى ند أو اصبع بشير الى الصباح أو لسان أخرس يتحرك ولا يقدر على الصياح مشعبذة تلعب بالريح فتصيره أغصانه ثم تسله على يدها فتبدى منه سلسله وتارة تحوله فتصيره مدهنه وطورا تنشره فتراه أوراق سوسنه وآونة تنشره منديلا وترفعه فوق رأسها اكليلا وطورا تسدده سنانا ثم تحركه فتراه لسانا وتارة تطويه ثعبانا ثم تدفنه ابرة ذهب أو تجعله حسة عقرب فاذا طلع الصباح انطفأ منها المصباح فهى صب أظهر ما فى سويدائه وأفناه ما تنطر من دموع بكائه وليس معذب بنار عدمائه كمعذب ناره فى احشائه

يقول لسان الشمع للنار عندما * بكى بدموع عقدها ظل ينثر

ترفق فهذى دموعى التى ترى * ولكنها نفس تذوب فتقطر

فى أول عمرها ترى نرقها شاب ثم اذا طفئت يرجع اليها سواد الشباب واذا أسبل الليل أذياله تراها واقفة كأنها تريد صيد الغزاله لكنها اذا دنت تهرب فكأنها خافت من الصبح اذ خرج خائفا يترقب واذا أوقدت بجانب الغدران تخالها بانعكاسها خيما على عمد من المرجان وكأنما الخليج وسناها اللهب صرح زجاج على عمد من ذهب

والشمع فوق البحر تحسب أنه * من لجة قد أطلع المرجان

والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

تارة تبدو سافرة كالعروس وتارة تحتجب فى خدر الفانوس فتراه حانيا ضلوعه على النيران متنفسا من حرارة الاشجان متسعرا على الاوصاب تعد ضلوعه من تحت الثياب فى حالة ليست تشكر لكنه لكتمانه يستتر

انظر الى الفانوس تاق متيما * ترفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

نهو رواق النور ونديم السرور والشمعة منه فى حجاب كنجم خلف رقيق سحاب كليم لا يخاف الردى اذا وجد على النار هدى يستر نور الشمع بكمامه ويفنى قلبه فيجد قلبا آخر من منادمه وقد جنت اقناديل لغيرتها منه فهى مسلسلة وصارت بنار الهوى مشتغلة مشتعله فاشتعلت النار على رأسها معلنة بالشكوى متظلمة الى عالم السر والنجوى وقال لسانها وهى بخضاب السنا مخلقه ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه وكيف لا وقد أفنت نفسها فى خدمة من أشرقت ببهجة ذاته واشتعل رأس الشمس وحاجب الهلال شيبا وما أبصر انظير السنا صفاته وانى لا عجب كيف لقب بالجبان والدهر من مواثد كرمه يذوق ألوان الاحسان وكل سمح ظمآن من موارد نداه ريان ومن سمح قام فى مجلسه منتصبا لم لا ينثنى من سروره برؤياه طربا

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار فى كل رأس سنانا

أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

كما أعجب من تلمسه بأنامله كيف لا يورق وقد سقته بحور فضائله وأظن الشموع ما أدرت دموعها وأطالت ولهها وولوعها الا لانها علمت فراقها رؤياه وبعدها عن وجه تستمد من سناه ويعترض الليل عن الشمس محياه

ليس فيه عيب يعد سوى أن أياديه تجعل الحر عبدا

فهل ناديه سماء طلعت فيها الدرارى أم النجوم هوت ترجو سعدا قباله السارى

أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت * لك النجوم وهذا كله حلم

ولو كان الشمع استجار ما قدرت تسطو عليه يد النار فان حماه جنة من الجنان فكيف يعذب فيه بالنيران كما أنى لما لذت بجنابه وانتظمت فى سلك أحبابه اعتذر الى الزمان عما جنى ولم أعرف من أحواله الا الغنى تخلص روحى من يد الاجل وتركنى أصحب الدنيا بلا أمل وقد اهتديت لسدته بأضوائه ولولا نداه خفت عليه نارذ كائه

كن محسنا مهما استطعت فهذه الدنيا وان طالت تصير عمرها

ان المآثر فى الورى ذرية * يبقى مؤثرها ويبقى ذكرها

فترى الكريم كشمعة من عنبر * ضاءت فان طفئت تضوع نشرها

لا زال حماه روضا تقطف منه زهرات الامانى ولا تصل الى سياج حمايته يد الجانى ما تلا لسان

الشمع سورة النور ونسخ سورة الليل من صحائف الديجور وجلى كف الصباح نور النجوم وانحل من جيد الدجا عقدها المنظوم وأراد ما أهلكت نفسها بالنار الا لانها لم تقف بين يدى النبى المختار حتى تقتبس من أنواره وتقطف من روضته مطر أنواره صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الشموع معتكفة بين مرقده ومحرابه قول انها لم تقف بين يدى النبى المختار اشارة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يوقد فى حجرته شمع أصلا وان كان الشمع موجودا فى عصره وقبله وقد سئل خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى عن ذلك فأجاب بأنه كان فى القديم وقبل عصر النبوة وأول من أوقده من العرب جذيمة الابرش وكان موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه فهو مباح وقد روى فى حديث أنه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند قبره عبد الله ذا البجادين وله فيه مؤلف سماه مسامرة السموع فى ضوء الشموع وقد نحونا فى هذه الشمعة نحو القاضى ناصح الدين الارجانى فى قصيدته الشمعية وهى من بدائعه وهى هذه

نمت باسرار ليل كان يخفيها * وأظهرت قلبها للناس من فيها

قلب لها الميرعنا وهو مكتمن * الا ترقبه نارا من ترائبها

سفيه لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها

غريقة فى دموع وهى تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها

تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها

يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها

بدت كنجم هوى فى اثر عفريته * فى الارض فاشتعلت منه نواسيها

نجم رأى الارض أولى أن ينورها * من السماء فاسى طوع أهليها

كانها غرة قد سال شادخها * فى وجه دهماء يزهى الجل حاليها

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها

وحيدة بسنان الرمح هازمة * عساكر الليل اذ حلت بواديها

ما طنبت قط فى أرض محجبة * الا وأقر للابصار داجيها

لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها

فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها

قد أثمرت وردة حمراء طالعة * يجنى على الكف ان أهويت تجنيها

وردة تشالت به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها

صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض اياليها

كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها غيثا أعاليها

كيقظة الليل مهما أقبلت ظلم * أمست لها لحظة للصبح تذكيها

وصيغة لست منها قاضيا ولا * ان أنت لم تكسها ناجا يحليها

صفراء عندية فى اللون ان نعتت * والقدوا للين ان أتممت تشبيها

قف على ان الشمع لم يوقد فى مجلسه صلى الله وسلم عليه

فالهند تقتل بالنسيان أنفسها * وعندها ان ذا القتل يحييها
ما ان تزال ببيت الله لاهية * وما بها علة في الصدر تلهيها
تحسي الليالي نؤ راوهي تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
قدت على قدر ثوب قد تبطنها * ولم يتد علبه الثوب كاسيها
غراء فرعاء ما تنفك قالية * تنص لمتها طورا وتقليها
شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها * ليل الشبيبة الاحين تبليها
فتاة ظلماء ما تنفك يأكلها * سنانها طول طعن اذ يشظيها
مفتوحة العين تقفى ليلها سهرا * نعم وافتاؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها
أهلابها في سواد الليل مسعدة * اذا الهموم دعت قلبي دواعيها
لولا اختلاف طباعنا بواحدة * وللطباع اختلاف في مبانيها
بانها في سواد الليل مظهرة * تلك التي في سواد الترب أخفيها
وبيننا عبرات ان هم نظروا * غيضتها خوف واش وهي تجريها
ما عاندتها الليالي في مطالبها * ولا عدتها العوادي في مباغيها
ولا رمتها يد من أحبتها * كما رمتني بقرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أكابدها * ولا تداجي بني دهر أداجيها
أبدت الي أبنسا ما في خلال بكى * وغرني أن محض الحزن يمريها
فقلت في جمع ليلى وهي واقفة * ونحن في حضرة جلت أياديها
لو أنها علمت في قرب من نصبت * من الورى لتثنت أعطافها تيها
ترى المصابيح زهرا من جوانبها * وقد جلا صفحة الغبراء ذاكيها
كأنهن نجوم الافق نازلة * جاءت تقبل أرضا أنت واطيها

وللصابي فيها أيضا

غصن من الذهب الابريز أثمر في * أعلاه ياقوتة حمراء تستعر
ترنو بعين لها نور تقلبه * ليلا وتغمضه والصبح ينفجر
حتى اذا قذيت كان الجلاء لها * قام السواد فعاد النور ينتشر
تاتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طواها دونك الحذر

(نور الدين علي العسيلي) نور الدين على العسيلي نور حديقة الزمان ونور رحمة الحسن والاحسان وكحل عيون الفضلاء والاعيان وانسان طرف الظرف وعارض وجنات اللطف وقبلة وفود الفضلاء وفاكهة تتنقل بحديثه الندماء ألفاظه بجانة الأدب وشهامته الطرب وكان في عنفوان عمره يتطف بالجامع الازهر من رياض العلم غض زهره في ربوة ذات قرار وجنة تجرى من تحتها الانهار حتى عبقت من شمائله نسمات الند وقطرت من سلسبيل أوصافه مياه المجد

وما

ومازال يشترى متاع الحياة بجوهر عمره النفيس معتكفا في حرم التأليف والتدريس حتى جذبه ساعد الافتقار الى مخاطة دهماء الامصار فاندرج في مقولة الكيف وحاكت ذاته بالنحول ضيف الطيف حتى قاسى الامرين الفقر والهرم وهما سوأ من الفضيحتين المعصية والندم

وما كل افضال وان جل قدره * يخف على ظهر المروءة حمله
وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فادبني هذا الزمان وأهله

فما كل ثمرة تحلو على نمائها ولا كل بارقة تجود بمائها فلا يئس من الدهر والكرم حط رحل أمله عند الاستاد البكرى في أجل حرم وصيته لركاب أمله حادى ونور غرته في ظلم الخطوب له هادى ففتح عادى الكنوز برقة أسمائه ومنسدل ذكره وعطر آلائه فحل منه محل النوم من الاحداق والمدام من الاقداح وتوجه وجه أمله بعدما أحرم من الرجاء الى كعبة المجد والسماح وله به وله المحب بالحبيب ونظرت اليه عيون أمانيه نظر المريض للطبيب فقابله الدهر بوجه طليق واهتز في روض كرمه غصنه الوريق فكانت غر رأزمانه تحت طراز حلله واحسانه * عقودا في طلا الايام تجلى * وطرزا فوق أكمام الليالي

حتى نم عليه الكمال بنميم نغر النور بلسان النسيم ونثر كف الدهر حسداعقد ذلك الاجتماع النظيم فاطفأ سرصر الموت أنواره ومحا عينه وما قدر أن يمحو آثاره وله شعر رائق ونثر فائق فمنه قوله من قصيدة له

هل بالحمى من بدور التم امكان * أم في خلال بيوت الحى غزلان
ام الغوانى تهادى وهى سافرة * أم الشموس أفلتهن اغصان
سقى الحمى وليا اليه التي سلفت * من أدمعي ومن الوسمي هتان
حيث الرقيب عم والضد ذو صمم * والحب ذو كرم والوقت امكان
وحيث نرفل في برد الشباب الى * تيك القباب وغصن العيش ريان
ياصاح ان لم تمت من بعدها أسفا * فان عيشك بعد اليوم خسران
لي في الديار سقاها المزن صيبه * غزال حسن بديع الخلق فتان
يارب حسن قد بالغت في تلفى * أما لهجرك يالميماء هجران
هلا نظرت الى مضناك راحمة * فكان يشفع منك الحسن احسان
ولا تمل ظل يبدى لي نصيحته * لولم تجج اجاج اللوم آذان
وكان ظاهره عنوان باطنه * والوجه للقلب فيما قيل عنوان

ومنها

اني امرؤ ما حييت الدهر أمدحكم * لعل جائزتي عفو وغفران
حسنت ظني ومدحي فيكم فعسى * يقال اني على الحالين حسان

ومن مقاطعاته قوله

كأن الخال فى شقة الذى قد * كسانى الشيب قبل أوان شيبى
قطاة أفردت من بين سرب * تروم الورد من ماء العذيب

وقوله
كل فعال الحب محمودة * وان تجافى وتجنى وتاه
فوصله قطع لداء الأسى * وهجره قطع لقول الوشاه

وقوله
حبت له ذؤابة * كحية من خلفه تحمى ضعيف خصره * من خارجى ردفه

وقوله
كان الذى أهوى على نفسه جنى * فحال على تلك المحاسن بالفتك
فأغرق خديه بماء جماله * وأوقع فى الظلماء ناظره التركى
وألقى بنار الخد خالا كأنه * من المسك مطبوع فناديت يا مسكى
وهاجفنه يبكى عليه من الضنى * وهاخصره من ثقل أردافه يشكى

وقوله
صحيفة الخد التى * للحسن فيها سور مذ حشيت بعارض * لم يبق فيها نظر

وفيه توجيه وجيه وفى معناه قول ابن النبيه

كأن ذاك العذار حاشية * خرجها كاتب لنسيانه

ومما قلته من الرباعيات فى معناه

غصن غض له المعانى ثمر * يجنى فيظل دائما يعتذر
لم ألق شبيه وجهه فى أحد * الا المرآة صفت وفيها نظروا

وقوله
وفاعل يتركنى عامدا * وهو لرقى فى الهوى مالكى
أقول للناس ألا فاعجبوا * من صنع هذا الفاعل التارك

الفاعل بلغة أهل مصر خادم البناء ويقال الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح ففيه ايهام

ظاهر وله
بكفلك طوفان تروى به الورى * وعهدى بالطوفان يأتى بتنكيد
ولا غرو أن أرست بنا سفن الرجا * ببابك يا مولى النوال على الجودى (د)

وله فى عبد له يسمى فرجا

انى ابتليت بزنجى قبائحه * ليست تعد على ما فيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لها فرج * الا أمورى اذا ضاقت فمن فرج

وله
يا بحر جود نوال * نداه للناس مطمع
لا تخش فى الدهر سوأ * ان اخضرارك يقلع

وفيه تورية على متعارف أهل مصر يعرفها من له خبرة باللسان وله فى دولاب

ودولاب مررت به مجيرا * يئن كأنه الصب المروع
غدت أضلاعه تنعد سقما * ويفنى جسمه صب الدموع
يدور كمن أضل الالف منه * وذاق تشتت الشمل الجميع
فقلت له دعينك من كئيب * كساه الهم أثواب الخشوع
علام أراك تبكى كل وقت * وتهتف فى المنازل والربوع

فقد قربت لى حزنا بعيدا * ونحانى نواحك عن هجوعى
فقال أما علمت بأن مثلى * خليق بالصبابة والولوع
فانى كنت فى روض رفيعا * أبيت من الازاهر فى جموع
ولى فى المنتمى أعراق صدق * اصول أنجبت أزكى فروع
اذا ما الورد قابلنى وحيا * تضرج وجنتاه بالخجيع
ويصفر البهار لدى خوفا * كصفرة عاشق صب مروع
وان قصدت بنو الآداب ربى * أجود من الثمار على الجميع
فقيضنى الشقاء الى غبى * شديد البطش جبار قطوع
فألقانى على رأسى سريعا * وأنت مشاهد حال الصريع
وقطع لطف أوصالى بعنف * وصار يدق عظمى فى ضلوعى
فصرت أرى الذى قد كان دونى * أناف وصار ذا شأو رفيع
على قلبى أدور عنى وأبكى * عليه أسى كمثلات هلوع
فكيف ألام ان أدمنت نوحى * وجدت بمدمع الطرف الهموع
وحالى ناصح أبناه جنسى * فلا تعتد بالجدع المنبع
فان الدهر كالصياد كيدا * وأسباب القضا شرك الوقوع

والدولاب لفظة معربة لها معان منها الساقية وهو المراد وللشعراء فيه معان كثيرة من بديعها قول الامير مجير الدين ابن تميم رحمه الله تعالى

ودولاب روض كان قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فشكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

وله مضمنا
اذا حمل الشيخ الكبير له عصا * فقد رحلت عنه اللذاذة والهوى
وعممه الدهر الكئيم عمامة * ثلاثة ألوان بها تكسف القوى
وجاءت له الاحزان من كل جانب * وألقت عصاها واستقر بها النوى

والمصراع الاخير مضمن من قصيدة معقر بن الحارث البارقى وقبله

تهيبك الأسفار من خشية الردى * وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
وألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والقاء العصا تجعله العرب كناية عن الاقامة وقد يجعل عبارة عن الظفر والمسرة ولقد أجاد الباخرزى فى قوله

حمل العصا للجبلى * يا شيب عنوان البلى
وصف المسافر انه * ألقى العصا كى يستلا
فعلى القيام سبيل من * حمل العصا أن يرحلا

ولعمر بن أبى جبلة الدمشقى وينسب لغيره

ولى عصا من جريد النخل أحملها * فما أقدم فى نقل الخطا قدمى

ولى مآرب اخرى أن أعش بها * على ثمانين عاما لا على غنمى

كأننى قوس رام وهى لى وتر * أرمى عليها بريد الشيب والهرم

ولابى العلاء المعرى رميح أبى سعد حملت وقد أرى * وانى بلدن السمهرى لراجح

أبو سعد كنية الهرم ورميح أبى سعد عصا الشيخ الهرم وقال صدر الافاضل وهو أبو سعد بن عاد وكان من المعمرين وهو أول من اتكأ على العصا وقال بعض المعمرين

أعار أبو زيد يمينى سلاحه * و بعض سلاح الدهر للمرء كالم

وأبو زيد كنية الدهر و يقال له أبو سعد أيضا وسلاحه العصا التى يتوكأ عليها الشيخ وقيل انه كنية الهرم وقال أبو الاصبع العدوى المعمر

أمارى شكتى رميح أبى * سعد فقد أحمل السلاح معا

وفى شرح أبيات الكتاب أبو سعد لقيم بن لقمان وكان كبر حتى مشى على العصا وقال الجاحظ رميحه عصاه ولذا صغرت وقلت أنا

رميح أبى سعد اذا حملت يد * وفى السن طعن ليس عنه يحول

فقد حارب الايام فى حومة الفنا * ومن نازل الايام فهو قتيل

وقلت أيضا اذا حمل العصا شيخ فأمسى * ولا يكفيه رجلان اثنتان

فسوف يزيدها حتى تراها * وقد تمت ثلاثتها ثمان

كناية عن الموت فان تابوته يرفع بأربعة رجال ومما قيل فيها

قوس الدهر قامتى * فاتخذت العصا وتر

وقال اسامة بن منقذ جفانى الدهر وأبلتنى الليالى والعبر

فصرت كالقوس ومن * عصاى للقوس وتر

أهدج فى مشيى وفى * خطوى فتور وقصر

وقال الشريشى لما تقوس منى الظهر من كبر * وابيض ما كان مسودا من الشعر

جعلت أمشى كأنى نصف دائرة * لاحت على الأرض أو قوس بلا وتر

وقوله وعمه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان هى عبارة عن ألوان الشعر فانه يكون أسود ثم يصير اشمط ثم يصير أبيض وهذا معنى رفيع فى كلام العرب قديما كما قال بعض العرب

قصر الليالى خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى

يا من لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء حالكة وشمطا مقرفا * وأجدلونا بعد ذاك هجانا

والموت يأتى بعد ذلك كله * وكأنما يعنى بذا السوانا

وله تآليف كثيرة أجلها شرح المغنى وهو تأليف جليل عما سواه مغنى وقال فيه انه هذب معانيه وأودع فيه حورا عينا فى جنة أبوابها ثمانية يشير الى قول بدر الدمامينى

ألا انما مغنى اللبيب مصنف * جليل به النحوى يحوى أمانيه

فما هو الا جنة قد تزخرفت * ألم تنظر الابواب فيه ثمانيه

وهو من قول الحسين بن مصدق الواسطى من شعراء الخريدة

دمشق فى أوصافها * جنة خلد راضيه أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانيه

وقلت أنا مغنى اللبيب جنة * أبوابها ثمانيه أما تراها وهى لا * تسمع فيها لاغيه

ومن البيوت العامرة بمصر بيت السادة الوفائية

فمنهم السيد على وفا وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده سادات السادات لهم المجد والزهد عادات لهم أنفس قدسيه أفيضت عليها العلوم اللدنيه لم يخالف أحد منهم ملة جده المختار الا انه نظم جواهر الاشعار ولهم شوارد مقال لها السمع مناخ والعقل عقال نخالها تربت فى سويداء البطاح وآباط الجبال بحار طمت وعلت بى المعالى والتلال فتوارت البحار فى منخفض الوهاد من الخجل و بيتهم الآن معمور ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور ولهم مساع ومآثر ورثوها كابرا عن كابر وري زندهم ولم يقدح فيه قادح فضربت لهم آباط المفاوز (وسالت بأعناق المطى الاباطح) وتوقدت من مشكاة الحقيقة مصابيحهم ذات اللألاء نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء فمنهم الاصاحب ديوان نافذ فى سبيل البلاغة بسلطان ألطف من الأمطار اذا وسمت بالنبت شفاه الانهار فمن ديوان السيد على وفا قوله

تغيبت عن عينى فغيبك شاهدى * ووجهك مشهودى وباعدك عاتق

فان غبت فالاشباح منى مغارب * وان لحت فالانوار منى مشارق

ولابى اليقظان الوفائى كأن وجهك مغنا طيس أنفسنا * فحيثما دارت نحوه الصور

ولابى التدانى الوفائى كل ما فى الوجود دونك ملح * ليس فيه يا نور عينى قبيح

مذهبى فيك يا وجودى وعينى * مذهب صادق قويم صحيح

لم تزل قائلا لكل محب * كلما بفعل الملح ملح

ولسيدى محمد بن أبى الفضل الوفائى من قصيدة له

ألا صاحب كالسيف حلو شمائله * يسائلنى عن قتيتى وأسائله

يدور غرام بيننا كلما انقضت * أواخره عادت الينا أوائله

رعى الله أياما أهاج بلابلى * الهن روض قد تناجت بلابله

فحاراتنى فى الماء الا صفاؤه * ولا شاقنى فى الغصن الا تمايله

كأن به القمرى صب له الصبا * رسول وأوراق الغصون رسائله

مصارف همى فى مناجاة طيره * اذا أنفذت لى ماحوته حواصله

ومنها رشا نبه قد أتمت مالا أناله * مغالطة حتى كأنى نائله

وكان حسابى أن غلطات خاطرى * تصح اذا بالجبر منه يقابله

وله أيضا على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى العيون الناس فيها تزاحما

(السيد على وفا وأولاده)

نف على مثل أبى سعد ورميح أبى سعد

مثل عمه الدهر ثلاثة عمائم

حمى وردخديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحما (حمى حمى)

والحماحم نوع من الريحان معروف فى اللغة والعرف وله أيضا قدس الله سره

ياعن يبالغ فى سقيه خده * ماء الحيا ولذاك قيل مورد
فى خده الراح التى بكؤسها * سكرت لحاظك فهى فى تعريد
سدت الانام غداة خدك أبيض * واليوم خدك بالعذار مسود
نسخ العذار ملاحة بملاحة * قلم بسعدك لايزال يجود
قلب يميل الى حديثك هل له * فيما يؤمل من وراثك مسعد
عكفت على مضناك أرواح الضنى * فلأنت للطرب المحرك مبعد
فعلى محياك السلام فديته * بالنفس بل بالعين فهو مؤكد
وعلى فؤادى المستجير تحيية * ماطار نحو ربى الرياض مغرد

وفيه مع التورية مراعاة النظير التى ليس لها فى الحسن نظير لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد المعروف بين المصنفين وكذا التحويد فان معناه التحسين ويطلق فى العرف العام على تحسين الخط وفى عرف أهل الاداء على تحسين مخارج الحروف وصفاتها ومما يحسن هنا قول القاضى الفاضل فى وصف المسودات المسودات للاقوال كالاحشاء للاجنة والحبور للاطفال ان خرج منها مالم تنضجه الارحام لم يبلغ التمام وان فطم قبل بلوغ أشده الفطام فربما كان عرضة للسقام وما جعلت الا ليستند لها صاحبها لانها بدلة الخاطر تارة يخلع الثياب فيكون عريانا وتارة يأخذ معول قلمه فينقب من الناس جدرانا

ومنهم الآن شيخ السالكين ورأس العلماء العاملين

﴿شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره﴾ ولما عاد من الحج أدركه الاجل فقلت أرثيه

قضى نحبه والحج قطب رحله * دعا ربه نحو الجنان فنالت
فمن حج للبيت العتيق على تقى * فروح أبى الاسعاد لله حجت
وقد أحرمت لله احرام حجة * مجردة عن جسمه دون موقت
فلا برحت سحب الرضى فوق قبره * مظللة هطالة سحب رحمة

(أبو المكارم وأبو الاسعاد)

ومن البيوت التى كانت بالفضائل آهلة ومن مياه النعيم المقيم ناهلة بيت الطبلاوى فهم ﴿العلامة ناصر الدين﴾ وقد أدركته فى زمن الطفولية فرأيت له رتبة عليه وآثارا فى التحقيق والتدقيق جليه وحفيده صديقى وفى زمن التحصيل رفيقى وهو

(العلامة ناصر الدين)

﴿العلامة منصور﴾ حامل علم المجد وناشره وجالب متاع الفضل وتاجره وكان ممن شدت اليه مساءلة الفضل رحالها اذ ورت من سماء المعالى بدرها وهلالها وحوى طارفها وتليدها وأرضع من درة العلوم كهلها ووليدها ووضع الهناء مواضع النقب وسفرت له خرائد العلوم رافعة النقب وتزينت بمنظومه ومنثوره صدور المجالس والمكتب مع رياض مكارم عطر نفحاتها عليل من فرط الدل نسماتها وكانت تهب على بالمكاتبة نسمات

(العلامة منصور)

أسحاره ولم أزل أتاقى الركبان لاشتراء أخباره حتى طن نعيه على آذانى فكدر على مشرب الحياة وآذانى ومن أتباعه وموالية الواردين لماء الحياة بنادية

﴿السيد محمد وأخوه عبد الله﴾ هما روضا فضل وبيان فيهما من الفضل عينان تجريان وبحرا مجد يحفهما مرجان ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما زهرتان من شجرة النبوة ونبعتان من وشيج الفتوة سقيا بماء المكارم ونمت على رياض مجيتهما غر العمائم حتى تدفقت جنباتهما واخضرت بالندى عذباتهما وكسيا من سندس الجنات ونشرا بخصيب أوديتهما الحسنات فاخضل بهما وادى الهدى حتى أثقلته ثمار المكارم والندى

تكاد يدى تندى اذا ما لمسته * وينبت فى أطرافها الورق الخضر

مصابيح فكرهما مشارق الانوار وأحاديث كلامهما صحيحة الآثار ومطارف ناديهما موشاة بالحبور ورياض نداهما مبتسمة النفور وطرف همتهما فى مضمار العلياء سابق ومخيم علاهما له على الاثير سرادق ولسان براعتهما بالبلاغة ناطق وجعفر فضلهما اذا وعد وارد عليه فيما له من جعفر صادق وشعرهما ونثرهما مأثور ولواء حمدهما على كاهل الدهر منشور وقصيدة السيد عبد الله التى مدح بها أستاذه ناصر الدين والتزم فى قوافيها تجنيس الخال التى مطلعها * يا سلسلة الصدغ من لوالك على الخال * مشهورة وعمارويناه للسيد محمد قوله

لم أنس يا روضة المحاسن اذ * خلى بك الصب والخلى جمعا
ونحن فى روضة ممنعة * يروقنا البحر والخليج معا

وقوله

لم أدر أيهما أحرى بمرحمة * قلبى وعينى على الاحراق والسهر
حتى أثار فؤادى صبح حجته * وقال انى على طول الزمان حرى (يق)

وقوله

يا ربة الخال كفى * عبديك عما أمرت
فقد سلبت العرايا * بأسحرى وسحرت

﴿وقوله رحمه الله تعالى﴾

يارب أطلبها وتنفر دائما * لما نرى منى تملق صائف
ان رمت أنظرها يقول عواذلى * أو رمت أمدحها تمل قصائدى

وقوله

سرقت نومى بعيد بين * فعز صبرى وقد تعسر
وسر ضدى بطول صدى * فكنت فى ذا أرس منسر

وهذا كقول صاحبنا يحيى الاسيلى

قيل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
ولمن قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

والمنسر قوم من المكابرين السراقين معروفون ومن البيوت بمصر بيت السادة البكرية وهو البيت المعمور

ان الذى سمك السما مبنا لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

(الاستاذ أبو الحسن البكرى)

﴿الاستاذ أبو الحسن البكرى﴾ وهو جامع الفضائل والمحاسن ومظهر اسم الظاهر والباطن الذى شيد لهم منار الطريقه وجاز من قنطرة المجاز الى الحقيقه وتآليفه وآثاره

وكلماته التامة وأخباره غنية عن البيان مسطرة فى صحف الامكان ثم خلفه من بعده ونشر فى الخافقين لواء مجده

(الاستاذ محمد بن أبى الحسن)

﴿ الاستاذ محمد بن أبى الحسن ﴾ وله فروع بسقت من دوحة المجد وربت فى رباه بين تهامة ونجد من كل من لبس رداء النجابة فى صباه ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ولم تقصر عليه أثواب مجده التى ورثها عن أبيه وجده فعلى جبينه نور نسب يخبر أن خلف الدخان لهب وتحت الرغوة الفصيح من اللبن الصريح غادة دولته سابغة المرط بعيدة مهوى القرط يصغى له الدهر اذا نهى وأمر اصغاء نشوان الى صوت وتر

مستيقظ الحزم وارى العزم ثاقبه * همومه حين تبلوهن همات
صافى الطوية من غل يكدرها * وأول المجدان تصفو الطويات

وقد جرت بينهم منافسات وامور تستكب عندها العبرات فلم يزل كل منهم ينقص أخاه و يغص منه و يقول لسان حاله أخولك البكرى فلا تأمنه كما قال الصنوبرى

أحمد الله قد ألاحت بروق * منك بالود لا تزال ملحه
حسن قول وسوء فعل كما سمى المسمى فى وقت ذبح الذبيحه

ومنه أخذ ابن الوردى قوله

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسيح * فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

(الاستاذ زين العابدين)

﴿ والاستاذ زين العابدين ﴾ زينهم ونور غرتهم وقائد جيش أسرتهم وحامل لواء عزتهم لم يزل سمح السجيه بسام العشيه لم تلن لغامز قناته ولم تغض بماء بشره عداته الى ان أصابته الرزايا ورمت فؤاده بسهام المنايا فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله وصم صداه وسرت عداه وله نظم ونثر وفضل طيب النشر وخلفه

(الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى)

﴿ الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى ﴾ بدر لاح فى سماء المناقب وسماء شرف على الكواكب فأورق روض نداه وأثمر ونادم العيش والعيش اخضر وله شعر منه قوله

عبد النبى قاتلى * بعينه وحاجبه * واعجبا لعبده * يقتل نجل صاحبه

أما أصل هذه الشجرة فهو نادرة الدهر * وغرة وجه العصر انسان عين الاقاليم فريد عقد المجد النظيم مورد فضل عذبت مناهل ورده وربيع كرم تقطف أيدى الآمال غض ورده سائله يرفل فى برود الغنى حاليا ويكفيه تسليمه عليه تقاضيا فالنيل يشير بالاصابع الى وفائه والعنبر الرطب عبد لحر جوده وثنائه

من ليس يشرق بالسؤا * لولا يغص من الندامه

جامع ما تفرق من شمل الفضائل تهزء الاريحية بشمائل الشمائل مالك أزمة البيان سابق ان يجاريه فى مضماره من الفرسان أوحد الفضلاء مجدا وأصفاهم من قذا الرياء وردا حديث أخلاقه الغر وغرر سماته الزهر عنوان كتاب المكارم ورياض فضائله الخضر ورقيق نائله الحر لما ترجاتم خاتم ناظم ما انتثر من المآثر فذلكة دفتر كمال الاوائل

والاواخر

والاواخر ترب الحدائق جر عليها النسيم أذياله فتنبهت عيون أزهارها ونثقت فسدودها الميادة الميالة والشمس وضاحاها والقمر اذا تلاها للارض بمس نعاله يفاخرا لعنبر الرطب ثراها فعاله حدث عن البحر ولا حرج وبراعة منقطه تنتج سلب الالباب والمهج مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الابصار وفيض نوال تضطرب لغيرته امنه البحار كم سارت الصبا معطرة بنشره ونشرت له صيت كرم طوى ذكر حاتم طى بنشره سار سيرة الملوك ونثر فرائد النصائح من اسلاك السلوك ليحسن نظمها فى عقد العلم والعمل وتصان فى حقاق الآذان ذخيرة للامل فلو فهمت الورق سجعه فى الخطب خلعت عليه أطواقها من الطرب وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الامثال ان ذكر جوده فحاتم الطاءى أو فصاحته فقس أبو تمام الطاءى أو حدة ذكائه فقس اياس أو همته الهاشمية فقس أبو فراس وزمانه كان عرس الفلك فكم قال له الدهر أما الكمال فلك

بحر من الفضل الغزير خضمه * طامى العباب وماله من ساحل

ولم يزل كذلك حتى غربت شمسه ووراها فى عين حمئة رمسه وقد رأيته وقد شدت بالصبا أمراسى وطيلسان الذوائب عباسى وتمائم الصبا فى جيد عمرى وماشب عن طوق الصبا عمرى ودخلت فى اجازته العامه مع جملة الخاصة والعامه فحمار ويته من آثاره وخبأت فى حقيبة الفكر من متاع أشعاره قوله

يا يوم بولاق وأنسى به * حكاك من شوال يوم الهلال
وأقبل النيل جنوبا وما * من عارض الانسيم الشمال
يا عارضا أوجب للنيل ما * سلسله وهو طليق الجمال
وقهوة تنضح مسكا ولا * بدع ففى الفنجان شكل الغزال
حبابها من فوقها مانع * نفاره فهو شباك اللآل
تديرها هيفاء معشوقة * خود تثنت فى برود الدلال
كاد يجى من أقبلت نحوه * يذهب من رنات تلك الجمال
بغرة أو طرة وزعت * أفكارنا بين الهدى والضلال
تقول للشمس وقد أقبلت * تلثمى ما أنت الا خيال

وبيت الغزال من السحر الحلال وهو بيت القصيد وقد قلت فى معناه

أقول وقد دارت بنادى قهوة * وقد سرنى منها الغداة صبوح
أسورة غزلان بفنجان قهوة * اذا زفها ساق الى صبيح
أم الظبى حقا قد تردى به فتن * دم طفح المسك الذكى يفوح

وقوله حبابها الى آخره كقول ابن حمديس

بكر حصان اذا ما الماء واقعها * أبدت لنا زبدا من شدة الغضب
كادت تطير وقد طرنا بها فرحا * لولا الشباك التى صيغت من الحبب

ومنه أخذ الغير الحلي قوله

صب في الكأس عقيق فجرى * وطغا النور عليه فطفح
نصب الساقي على حافاته * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وله أيضا ما أرسل الرحمن أو يرسل * من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه * من كل ما يختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذبه في كل ما ترتجى * فهو شفيع دائما يقبل
وعذبه في كل ما تختشى * فانه المرجع والموئل
وحط أحمال الرجا عنده * فانه المأمل والمعقل
* وناده ان أزمة أنشبت * أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل
ولن ترى أعجز مني فما * اشد قوة ولا أحمل
فيا الذي خصك بين الورى * برتبة عنها العلا ينزل
عجل باذهاب الذي أشتكي * وان توقفت فمن أسأل
فحياتي ضاقت وصبري انقضى * ولست أدري ما الذي أفعل
فأنت باب الله أي امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما لاح في * زهر الروابي نسمة شمأل
مسلما ما فاح عطر الحمى * وطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ما غردت * قمرية أملودها مخضل

ومما يقطر منه ماء الفصاحة وتمسح وجه جواده راحة الملاحة من السهل الممتنع والعذب السائغ في مذاق كل مستمع قوله في مناجاته وظهر أنوار التجلي بمشكاته

ان يوما يمر ذكرك فيه * ذاك عندي لأي يوم مبارك
رب اني عبد ذليل ضعيف * فلحالي باللطف منك تدارك
كل قطر أصابني منك بحر * كيف والحال في تجري بحارك
كل جزء مني لسرك دار * عمر الله يا حبيبي ديارك
من رآني رآك من غير شك * أي شك وقد جعلت مزارك

وقوله أقول وقد قيل لي كم مضى * أديب له حسن نظم جليل
دعوا كل ذي أدب ينقضي * ويحيى العسيلي ويحيى الاصيلي

وكان يوما في منتزه نضر تلاقى في شاطئه ماء الحياة والخضر في متنزه منازل انتظمت انتظام

النجوم في نهر المجره والنيل يجري مضطربا لما في مفارقة أوطانه من المسره ولسان النسيم يصف نشره ويعطر بالثناء عليه بره وبحره وحصباؤه تفوق الجوهر وسوط طينه يفاخر المسك والعنبر فكتب الى النور العسيلي ليتحلى بعفا كهته ويجتني من أدبه غض فاكهته يستدعيه الى أن ينزل بدره في بروج تلك المنازل ويسليه عن عرض ألم بجوهر ذاته من الدمامل (رقعة صورتها) سيدنا البر الذي يجري بحر الفضائل من بره ويعذب الورد والصدر بما يصدر من صدره ويفيض احسانه نهر الراجيه وآمله وتبتدر الأنام لتلقي تيار أنامله وتتزاحم على سبب زخار علومه تزاحم رقاب أعدائه على سيفه وخصومه ويخضر خضارة الدوح وقد أسبل عليها من صوب مدده برد الجو ليتنام الانام من ظله بوريفه وتأمن من صروف الدهر وحيفه أبقاك الله وبحر افضالك في مزيد يشار اليه بالاصابع والوفاء طبائع فغير المخلق برده اذا تخلق بمحبة اسمك لكل أصفر فاقع والجبر يمتاح من كسر عدوك تعامل الجمر من الرفع الى الخفض فالمد والاطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض مما لم يدركه فلكي ولو طرح في نهر المجرة شباك الجداول ولا رصدي ولو تجاوز المرظان والسماك من المنازل علم سيدنا لا زالت أمواج فضله تنشر لآلئ الاحسان وتتلى ولا تفنى نهر الله اذا كان غيره نهر معقل أن مدينة بولاق هي مجتمع البحور ومدار فلك السرور بفلك الجبور طفحت بالنيل لاجزر عن الجزر مده المديد واستلت سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد والمنتهى سعيد رشيد غير انها على طمو بحارها اشتاقت الى مدد تلك العين وقالت استنفت قليلك هل مذ يشغل عن هذا البحر الذي تقصر عنه الانهار من أين والى اين على اني أقسم بالفجر ان الفرج لحاصل وان معضل البطح لا يظهر فيه للكرة أثر هائل والله جل كبرياؤه مصغر الكبير بفضله فلا حاجة للمعونة بعصره وأهله وعلينا أن نلقي دلو الطلب ولو الى ما تحت الحوت عسى يفيض فتجري البحور في البيوت ويحصل توشيح هذا البيت بكل خرجة داخلة في الطرب نادرة على لزومها المقيس ولا يقاس عليها وهذا من العجب (والسلام) وهذا تسلية له عن دملة اصابته واليه أشار بقلب هل مذ وبالفجر ومنه في التورية قول ابن نباتة

لا تخش من هم كفيح عارض * فلسوف يسفر عن اضاء قبدره
ان تمس من عباس حالك راويا * فكأنني بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى مقتر بفكره
ولرب ليل في الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

ونهر معقل الذي ذكره بالبصرة وهو معقل بن يسار المزني البصري الصحابي واليه ينسب النهر المعقلي وفي المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والمراد بنهر الله المطر والسيل فانه يغلب سائر المياه ويطم على الانهار كلها وله أيضا سقى الله ثراه

باظباء بقاعة الوعساء * وسلاما يعم من بالجراعاء

نزلوا بالعقيق أنضر روض * نسجت برده يد الانواء
باكرته هوا طل المزن فافتر يرينا لآلئ الانداء
ماخيام على الثقا والمصلى * وقباب بالحلة الفيحاء
ماارتقاه من العلا لمقام * دون علياه أنجم الجوزاء
ماسليمى وزينب وسعاد * الغوانى عن الحلا بالبهاء

ومنها انه العبد لو تملك روحا * كان أعطى هدية الفقراء

وله من اخرى لا يحجبنك منه زخرف لهوه * أحواله أين الهبات من الهبا
فبعزتى آليت ما بعد امرؤ * عن نفسه الا وكان مقربا

وله من أخرى ولى رتبة تقضى بان مشاهدى * جميعا بها قلبى اليه منيب
فأبان عمت المعاهد يا تمنى * حبيب الى كل القلوب حبيب
تفاوحت الازهار من روض وصله * فرق نسيم بينها ونسيب

وله أيضا يا نسيم الصبا و يا عبقة الزهر أفاحت لنا شميم الحبيب
كيف قالت حمامة الايك لما * خرقت فوق بانة بالكثيب
هل ترى بلغت حديث غرامى * واشتياقى لمنيتى ونصيبى
أو تراها تخوفت من عذول * وعدو وحاسد و رقيب
لست أخشى اذا ذكرت لدى الحب مقالا للائم ومريب
أنا فى خطة السقام ولكن * عرض حالى على الحبيب طبيبى
عمرك الله يا حمامة جرعى * ان يقل كيف حالتى فاجيبى
ذاب من لوعة وفرط غرام * واشتياق وأنة ووجيب
علّ ليلى تمن بعد التجافى * ببلوغ المنى وفتح قريب
ليس والله بالمجيب انعطاف * من حبيب قوامه كالقضيب
لا ولا بالمجيب أيضا تلظى * مهجتى والخدود نار اللهيب

وله من اخرى حبيبك ان رقيب قريب * فلماذا البكاء وماذا النحيب
نعم هو دان ولكنى * بعيد تعيد طريد غريب
بكائى على تلانى بليت * بداء الصدود وعز الطبيب
وفاز المحبون دونى بما * به كل وقت لديهم يطيب
فهمى وفهمى زاد افما * بقائى فى النقص أمر عجيب
فيا هل ترى بعد هذا البعاد يزول الصدود و يرضى الحبيب
نعم هو ذا تستعطى منالك * بأوفر حظ وأوفى نصيب
وتهتز بالبسط فى مربع * به مرتع للامانى خصيب
وجلس الكواعب عيدانها * وجس رباب الغزال الربيب

وتقضى حقوق الفؤاد المشوق * بخمر بروق وساق أريب
بهز من الثنيه أعطافه * فتحسبه بانة فى كثيب
ونحن عكوف على لهونا * وليس سوى القبض عنا يغيب

وله استغاثات يعجبنى منها قوله

الى كم نحن فى ظمأ * وهذا المنهل الاعذب
وهذا المشرع الاحلى * وهذا المورد الاطيب
وهذا باب مولانا * وهذا بيته الأعجب
وهذا سره الاعلى * وهذا فجه الاقرب
وهذا السؤل والمأمو * ل والمقصود والمأرب
حبيب الله نور النو * ر كنز السر والمطلب
ومن فى لوح حضرته * بدائع سره تكتب
ومن فى تاء غرته * مرامات النهى تخطب
جمال عصابة الرسل الكرام طرازها المذهب
ألا يا خير مبعوث * لمولاه فدقرب
ومن بالعين أبصره * فعنه قط لا يحجب
و يا من لا يفى شخص * بمدحته ولو أطنب
اقلنى عثرة عظمت * فانى ضاق بى المذهب
وخلصنى وخصصنى * بسر منه لا أساب
أغث يا سيدى لهفى * والا من له أذهب
وقل لى أنت فى جاهى * فلا تخش ولا تتعب
بك استنصرت فانصرنى * فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لى * فمن ذنبى لك المهرب

ومن اشاراته قوله فيه تجردت عن وهم وعن شبه * لله أحرمت والتوحيد ميقاتى

وله أيضا لست أنسى يوم التفاخذ وهات * وأدرها بأكؤس اللذات
فاجلها الشمس فى برج زجاج * من سناها تأنق المزهرات
واسقنيها اذا النعاس نفى * بين صحبى وفتيتى ولداتى
لا تبالى بعاذليك علينا * وأدرها رغما لانف الصحاة
كيف أنسى وكيف تنسى حياة * قد دنا لك يا حبيبى حياتى
يوم لقياك عيد در وحى ومغنى * فيه أفعالك أشرف الجنات
فبحق الجمال اقسام صب * أحرقته لواعج الزفرات
أرسل الدمع من جفان لها المز * ن استهلت بها طل المنشآت

وبكى عذبكى الحمام عليه * ناشحا من تواتر الأنات
فكأنى مع الحمام شكالى * ناشحات لما دها ثانيات
لا أذوق الكرى وصل أنجم الليل وهذا النعام من بيناتى
فاغثنى فهل أتى خبر العين أفاضت سحائب المرسلات
أو أتاك النبا بأن فؤادى * لم يزل فى اللهيب والنازعات
لم تزل من كنانة الجفن ترمى * قرشيا بأسهم صائبات
انا اياه فاربح الاجر فى نفس نفيس الآباء والامهات
وتدارك فدتك نفسى روحى بروحى * أى شئ ننالة من عماتى
ان لى فى الغرام خير خلال * باقيات من الهوى سالمات
أنا فيه من ألطف الناس طبعا * وصفاتى به أجل الصفات
بى يفتر ثغر وقتى سرورا * ونسيم الصبا شقيق لذاتى
قم فهذا الشمال هب بشيرا * بتدانى اللقا وجمع الشتات
ثم من بعد لمحة شمت برقا * لاح للعين من جميع الجهات
قلت ما البارق المضىء وما نفحة هذا العبير فى النسمات
قيل سلمى أتت وهذا بشير * بالتدانى فقلت طابت حياتى
وابتدرت الطريق أسعى وأدنو * يا صحابى لهنكم لذاتى
أدركتنى عناية الله حتى * وصلتنى سلمى وتمت هباتى

وله أيضا أما ونسيم الروض ينفح عن ندّ * وريح الصبا تهفو بأعطافه الملد
لقد نعمت نفسى بغزة ليلة * لخفت بما تختار عن زمن السعد
وباتت تعاطينى المدام وتارة * حدينا كما هب النسيم من الورد
وأجنى مذاب الاتمحوانقه من فم * وأثنى رشيق الخيزرانة من قد
وقد مالت الصهباء سكرا بها وبى * فوسد تها زندى وألحفتها بردى
وألقت ذراعيها على حمائلا * فعانقت منها السيف جرّد من غمد
وما صدّنى طيب الوصال عن العلا * ولم يلهنى هزل عن الجدّ فى الجد
فعزمى كما زاحمت منكب يذبل * وبأسى كما انبئت عن أسد ورد
أنازل بالعضب الصقيل بواسلا * شدوا للوغى من فوق صاهلة جرد
وليتك شاهدت الرقاب تطايرت * بسيفى كما طار الشرار من الزند
ونظمى فى رمح الرئيس قلائدا * وناهيك من نظم وناهيك من عقد
فكن واثقا أنى وان كنت مفردا * اذا ما لقيت الجيش أهزمه وحدى
وأنى فتى الحىّ العزيز صحابه * وطالع من آهواه فى فلك السعد

وله من أخرى رب ورد قطفته يد اللثم من الوجنتين ورد الخدود

وقضيب عطفته يد الضم رشيق مهفهف أملود
ياسقى الله يومنا والامانى * منجزات لنا جميع الوعود
اذ بدت أنجم السعادة تزهو * طالعات لنا بسعد السعود
حيث كنا ولا رقيب وناما * كلما ابتغى بغيظ الحسود
بزياض مكللات بدر الدر تزهو على لآل العقود
كم بنات الدنان زوجن بالما * علينا وكنت بعض الشهود
وأقمنا من عرس الثهانى * بوريف من الهنا ممدود

وله أيضا يا أهيف القدّ جاوز * ت فى التمايل حدك
كم ذا تتيه على من * يرعى لك الدهر ودّك
والله ما مال قلبى * اليك ما خنت عهدك
كم نمت عندى أجنى * من روض خدك وردك
وبت تشرب نفسى * وبت أشرب خدك

وله أيضا وحياة العيون تنفث سحرا * وغصون القدود تثمر بدرا
وجمال سبى عيون البرايا * فهى سكرى به وليست بسكرى
ويمينا بمنطق ينثر الدر على مفرق البلاغة نثرا
ما أرى فى الورى سواك وانى * ملت أشهدتنى جمالك جهرا
لا ولا فى الفؤاد غيرك فانهد * ياحبيبى فصاحب الدار أدرى
أنت رب الجمال حسا ومعنى * ومليك الجمال نهيا وأمرا
رب صب بيت حيران حرّا * ن به فى الغرام أشعلت جمرا
ذل فى وجده لديك ولكن * بتصابيه عز قدرا وصبرا
فتدارك كوارح الاجر أولا * أعظم الله فيه عندك أجرا

وقال أيضا هل الجد الا عزمة ترشية * تطاطأ رضوى دونها وثبير
وصولة فتاك هزبر تطاولت * به رتب عنها السماك قصير
اذا استل ما بين السماطين سيفه * ترى الهام فوق الهام منه يطير
وان هز أعطاف القناة بكفه * ترى ذلة الشجعان كيف تصير
حليف المعالى ربها وامامها الخليق بها والمدعون كثير
فتى لا يؤم المجد غير جنابه * ونحو سواه المجد ليس يسير
مليك سرير العز حاكمه الذى * له النصر جند والفخار وزير

وله أيضا ان فى الشاروخ معنى * لذوى الالباب عبره
ان تعالى فهو فرد * أو تدلى فهو كثره

قلت والشاروخ لفظة مصرية وهى نوع من ملاعب النيران معروف وله أيضا

خليلي امامجتمعا حي قاتلي * فقولا له مضنا الملتمس نظره
فان ترياني الوجه ماء بشاشة * فاني لا أخشى خليلي ما أكره

وله أيضا انظر الى ثمر اخيار الشنبر * كالغيد تخطر في قباء أخضر
أكمامهن معصفرات أسدات * للرقص في روض الجنان المزهر

وقال من قصيدة يتشوق بها الى الكعبة المشرفة

أودعتك الله هلا ماعلى * وجه سليمى أيها البرقع
فليت اذ أدعو وقد شط بي * عنها مزاري للذي تسمع
أستغفر الله لقد أنعمت * بما أرجيه وما أطمع
حتى بذكراه وادائما * حمائم في حيها تسجع

وقال من قصيدة أخرى

ان قلت فالدر الثمين قلائدي * شرفت به الاعناق والاطواق
أو قلت في شرح الغيوب فانني * ثمر القلوب وغيري الاوراق
هذا لسان محمد الحمد الذي * من وصفه تتعلم الاخلاق

وله أيضا أأكون وافد ساحتك * وتزيل دار كرامتك
ويصيبني أدنى أذى * كلا وحق سيادتك

وقال أيضا صوح النبت فاسقه * قطرة من سحائبك واغثنا فاننا * في ترجي مواهبك

وله أيضا بين أهل القلوب والحق حال * وهو سر يدق عنه المقال
ما الشخص الى علاهم طريق * بل ولا في ميدانهم ذا مجال
احذر احذر أهل القلوب وسلم * أمرهم انهم فحول رجال
لا يكن منك ذرة بتكبر * فسيوفي الاحوال فيها سقال
فاذا ما رأيت نكرا فاؤل * لينزول الانكار والاشكال
لا ترد وسعة المقال بحال * رب حال يضيق عنها المقال
لو ترى القوم في الدياجي سكارى * وعليهم أديرت الجربال
كل بسط من بسطهم مستفاد * كل عطف بسكرهم ميال
شاهدوا الحق من عرايا نفوس * جل عن كشفها الرفيع المثال
انما العين بالحقيقة للعين تجلت فما لذاك خيال
تحت استار عزة وجلال * ملؤها جيمها أشكال
يا لقومي من سكرة بمدام * ما لعقل النديمان منها خبال
هاتها هاتها على كل حال * واسقنيها فما عليك وبال
كل ذنب لشاربيها مباح * وعثار لحتسيها يقال
لا تبالي بعاذل في هواها * لم يذقها فقوله بطال

فشمال

فشمال والكأس فيها يمين * ويمين لم يخل منها شمال

وله أيضا سر بي الى حيهم ودعني * لي أي طور فلا أبالي
فان مولى الكرام منهم * فابشروا أيها الموالي

وله أيضا حدثنا نفح عبير الخزام * عن وجنة الورد ذات البكام
عن عذبات الرند مسدولة * عن قامة الغصن رشيق القوام
عن ناظر الاعين من نرجس * عن ضاحك الزهر بدمع الغمام
عن سائل الجدول في روضة * بدوحها الأملد غنى الحمام
عن فتيات لحن وقت الضحى * فنادت الشمس هبوا الى لثام
عن نعس الأعين مكحولة * عن نعس فوق حباب المدام
أن سليمى اسعفت بالمنى * وأسعدتني ببلوغ المرام

وله أيضا ألا قل لربات الربا والمعالم * عقائل خدر الحي من آل هاشم
أياساكنات المنحنى من أضالعي * هواكن حرزي في الورى وتمائمي
فلا افتضت الا بكن فواتحي * ولا اختمت الا بكن خواتمي

وله أيضا من قصيدة

أزال من نوره حجب الجفا وجلا * من بعد ما ذبت من ذاك الجفا وجلا
كم عاذل قد لحاني في محبته * ومادري انني لم أسمع العذلا
تالله ما خطر السلوان في خلدي * أعيذ بالله قلبي أن يقال سلا
وبي مليح كغصن البان ذو هيف * سقيته الدمع حتى أثمر القبلا
أهوى هواه ولو ذقت الهوان به * وكيف والعز يهوى من به اشتغلا

وله من أخرى جرح لحاظ تلك العيون النواعس * طعن قنا تلك القدود الموائس
تزايد في لبي هواه وبثه * فصير قيسا ضحكة في المجالس
رأى والهوى يولي الفتى كل محنة * ثموسا تجلت في رواق الحنادس
دمى صانها عز الجلال توشحت * برود جمال من أرق الملابس

﴿القسم الرابع في ذكر الروم وما اتفق لي فيها وذكر من لقيته بها من رؤسائها وعلمائها وبقية دهمائها﴾

لما رأيت الدنيا ميدانا والاجساد فيها خيل عتاق والمسابقة فيها الى الخيرات من أجل السباق والله الملك الجواد المجازي كما قال تعالى والذين يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ونبت بي الاوطان وعادني الزمان والارض واسعة ان ضاقت صدور الرجال ولا يصلح النفس ان كانت مصرة الا التنقل من حال الى حال

وأقسم ان لم يحظني الدهر بالغنى * لأمتطين الصبر ان حزن الدهر
قمت لعنان العزم ثانيا والامل حادي وارتحلت للروم والقضاء والقدر سائق لي وهادي

وقلت اذا كان أصلى من تراب فكل الانام أقاربى وكل البلاد بلادى فان ضاق على ناقتى مرعى الغضى فزمامها بيدى وما ضاق الفضا وان ضاق الفضا على الركاب فانه سفن تجرى وبحر عباب فلم يكفنى البين حتى ابتليت بالبين والغراب

وقالوا ركبت البحر شرقا ومغربا * وقاسيت فى الاسفار هول قيامة
لحقت بما لاقيته من عجائب * وأغرب مالاقيت قلت سلامتى

وهو مركب كثير المعاطب والانسان مخلوق من طين والطين فى الماء ذائب ولكن الله تعالى من علينا بالسلامة وأنعم بلا كدر للوصول لدار الاقامة فرأيت فيها من العلماء والاشراف ما تنقطع دون بيانه النعوت والاوصاف فناقتهم فى مدارسة العلوم واستفدت منهم ما تسهر لمسامرته عيون النجوم لاسيما العلوم الطبيعية والرياضية ومقاطع الانظار المنطقية والكلامية فظفرت ولله الحمد بما حدثت به عقبى السرى وربحت فيها أنفقته من رأس مال العمر أنفس مشترى وقلت نور على نور وتجارة لن تبور فكان ممن لاقيته وأدرت معه كؤس المذاكرة فعاطانى وعاطيته على بن الحناءى وهم بيت علم وأدب فيه شرف نسب على وحسب وعما دذلك البيت الذى ليس فيه لوولبت

(على بن الحناءى بن أمر الله الحميدى) كامل أخلاقه نوأم نسيم السحر وعيون آثاره منازل عيون النوارغب المطر فهى فى مذاق النهى ألذ من الامل وأحلى من الحياة المقتنصة من يد الاجل واشعاره بالألسنة الثلاثة فى وجوه الطروس تفضح اللمى والحور وتجذب بأيادى لطفها عنان الفؤاد والبصر تشابهت معانيه الدقيقه بكلمات كلماته الرقيقه فسر الدهر ذكره وعطر برد الوجود نشره

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراه أخرج فديه من أحرما

أدار فى الروم من الادب كاس حمياه ونشر بأرجائها أرج أنفاسه حتى تعطرت برياه ببراعة يصف لسان براعها نفثات السحر وفضائل أرخصت صناعها بضائع الشحر وعلو قدر يعمم هامة الراسيات وسوابق عزم تقف دون مداه أصناف الصافنات تشرف قضاء العسكرين بمحكم أحكامه وتشرت على أعلام تلك الاقطار خافقات أعلامه وله رحلة لمصر ألبس نيها أعطاف مجده برودا ونظم بهامن الشعر العربى فى جيد الدهر عقودا فلما صدحت به حمائم فصاحته على قضب اليراع وتلت ألسن براعته ما تنى اليه أعنة الابصار والاسماع قوله

أرى فى صدغك للعوج دالا * عليها نقطة من مسك خالك
فصارت داله بالنقط ذالا * فيا أنا هائم من أجل ذلك

وهو أحسن من قول الخوارزمى

وأرالك خديه ولاح عليهما * صدغان ذو خال وآخر خالى
فكأن ذا ذال خلت من نقطة * وكأن ذا دال ونقطة خال

ومن قول أبى بكر الزوزنى

نقطت صدغك دالا * فالوبل مهشكل ذلك لو أن ذا للذ ذالى * مجدت شكر الله ذلك

وله أيضا

أسروه من ثغر العدو فأصبحوا * أسرى بمبسمه الشهى وثغره
أسروه كى يمسى أمير جمالة * فهو الذى ملك الفؤاد بأسره

وله أيضا

قالوا تبدى وجه من أحببته * فى عارض بخيال وجهك فارضى
شمس الجمال تسترت فى عارض * دع عنك دمعا مثل بحر فائض
فاجبتهم ياقوم ان محبتى * ذاتية ليست تزول بعارض

وهو كقول أبى حيان

راض حبيبى عارض قد بدا * ياحسنه من عارض رائض
فظن قوم أن قلبى سلا * والاصل لا يفقد بالعارض

وله أيضا

ولائم لام فى حبى لذى غنج * لما رأى فى حواشى خده لاما
فقلت ذى لام تعليل بوجنته * تبين علة من فى حبه لاما

وهو كقول ابن نباتة

لام العذار أطالت فيك تنهيدى * كأنها الغرامى لام توكيد

وقول ابن رشيق

يارب أحور أحوى فى مراشفه * لو جادلى بارتشاف برؤ اسقامى
خط العذار له لما بعارضه * من أجلها يستغيث الناس باللام

وله وان لم يكن مما نحن فيه

للثه تدريس ولكن * عين تدريسه لام

واصاحب الترجمة

وافى وأنفاسى تصعد من جوى * فقال أمن كأس الصبابة تغتبق
وهل تحترق الحب قلبك فى الظمى * فقلت أجل ان القلوب لتحترق

ونحوه لابن المبلط

يا ناعما وقنه * من فوقه كفحل جن
يحقنه بماثه * مالى أراك تحتقن

وللشهاب المنصورى

قلبى بحبك قد علق * فامنن له وصلا ورق
يامن يحمل مهجتى * فى حبه مالم تطق
ها قد ملكت جوانحى * فانظر تجدها تحترق
عيناك تسترق الحشا * ولكل حر تسترق

ولعلى الحناءى فى شرح الكشاف للسعد

لقد قلت لما أن تملكت نسخة * لفاضل تفتازان من شرح كشاف
عليك سلام الله ياسعد انما * فداوى عليل الجهل من شرحك الشافى

وله من قصيدة أخرى

سقى الله عيشا فى ظلال ربوعهم * حلاذ كره فى الذوق وهو مدام
ليال لنا فى مصر وصل كانها * على وجنة الدهر الممنع شام
يحن حمامى من حنينى ولوعتى * اذا ناح فوق الايكتين حمام

وتشبيه الليالى بالشامات هنا لا بأس به ولكن أين هذا من قولى لمن لاداعيه وله اذن واعيه

سقى الغمام وحيا صفو مزنته * عصرا تقضى مع الاحباب ألوانا
سود الليالى به شامات لو ظهرت * فى حسن وجه زمانى كن خيلانا

وله رسالة قلمية منها

لك الحمد يا من أكرم الناس بعدما * هداهم الى التقوى وعلم بالقلم
يؤالف بين الكاف والنون آمرا * وينقش لوح الكون من ذلك الرقم
ويحجب من التسليم بسكب و بلها * على مرقد فيه المر وأة والكرم
تجافى عن الاقلام طرف بنانه * وقد نسخت من دونه كتب الامم

صلات الصلاة والسلام عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام مالاحت علائم الاعلام فى وجوه الاماثل وناحت حمائم الاقلام من غصون الانامل (و بعد) فان بعض الموصوفين بالبراعه اعتنى بوصف البراعه وأحرز قصبات السبق فى مضماره وحرم على مصليه أن يؤم شق غباره ورسم بدائع المعانى على لوح البيان فصار مسطوته أنامله يشار اليه بالبنان وهذا نسخ على مثاله ونسج على منواله وشتان بين من اذا ركب القلم أنامله خضعت رقاب الانام له وبين من يكتب فيلغى ويقول فلا يصغى والله المستعان وعليه التكلان ياسائلى عن صفة القلم انه فى العلم علم يتراءى فى بيداء النور والطور وكتاب مسطور فى رق منشور يعجز عن بيان غرر وصفه بنان الافهام ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام ذوات اللسانين واللسن والبيان العذب الحسن فقيه فائق سرح فى رياض الهمه فاقتطف شقائق النعمان حكيم حاذق جلس على خوان الحكمه فالتقم حقائق لقمان درس العلوم الرسمية فهو المعلم الاول وجدد ما درس منها وما على رسم دارس من معول متداعه فى العلوم وقده قد شبر حبرها ذا رأيت أثره تقول ما أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتحبيره يتكلم فيذر على الكافور عنبرا فيا حسن تعبيره اذا أنشأ أغرب واذا أنشد أطرب واذا أعجم أعرب واذا أشكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال يترجم عن الوحى والالهام واذا رفعه الابهام رفع الابهام مزن منه شآبيب العلوم واكفه غصن عليه طيور الفهى عاكفه طالما جال وجاب وسأل وأجاب فابدى العجب العجاب طورا يشرب من كؤس المحابر فيتمايل كشارب ثمل وطورا يخطب على رؤس المنابر فتراه كشيخ عبرانه تنهمل وتارة يجلس فى الدست مثل الكرام الصيد ويبيت على كهف المحبرة باسط كفيه بالوسيد متجرد لخلى نفسه للتزهد متعبد رافع أصبعه للتشهد يحدث باحاديث الليالى للانام ويظهر ماجرى على لسانه فى صفحات الايام كانما يتنزه فى مراتع الطرب

ويتبختر فى ملابس القصب اذا نشطه داره فنشط عنه مزاره فهو يبكى كالغمامه وينوح كالحمامه يتذكر لداته وأترابه ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه

ينوح على رسوم دارسات * كنوح حمامة بالرقتين
وقد ينمى الى أهل التصابى * نوى الأحباب مثل غراب بين

ضربواعنقه فطال عناؤه وتجوار أسه فسال دماؤه أولج نفسه فى المهالك وأدلج فى ظلام حالك فارتعد من خوف ذلك صب ناحل متى يليل الفراق ترنح ولها أوكريم اجتداه معدم ماحل فهو يمتزلها على منبر الاصابع خطيب مصقع ألف تراه تارة فى الدواة وأخرى على الاصبع بث مصونات السرائر فاشيرا اليه بالسيف والقطع ومرق مخزونات الضمائر فحكم عليه بالقطع يصبر مثل أيوب على البوسى ويصير كليما اذا مر على رأسه موسى غريب هجر هنده و واسطه وصار بين الهند والروم واسطه يقوم فى خدمة الناس فاذا قلت له اجر يقول على الراس يتعيش بكسب يمينه و يفتات من عرق جبينه

أرضعه الجدول من بعدما * رباه فى منزلة شطه
ماظهر الشعر على وجهه * فاعجب له كيف بدا وخطه

يوسع كالاحرار جودا وطولا ورقبته كالعبيد فى يد المولى فهو على مايقاسيه من الحزن والسكآبه لايطاب من مولاه الا الكتابه مدّاح لكنه لايفارق النجا يستر طرة الصبح تحت أذيال الدجى معدل معروف بالاستقامة أمين مجرد لاعيل الى اليسار فهو من أصحاب اليمين ظل يطأ فى الطعان على الرؤس علم يأتيه الفتح والظفر وهو منكوس رمح من رماح الخط مارس الطعن ومانفك عنه قط طرف يجرى فى الميدان وهو معقود اذا قصدته لايحصل المقصود وسهم فى الاغراض مصيب وليس له منها سهم ولانصيب ثعبان لايزال يحرق ماحر عليه بأنفاسه تمشى الثعابين على بطونها وهذا يمشى على راسه أرقم يبلغ الاساود أدهم تقيده الاوابد حية تتغمس فى بحر رقى الماء وتخرج منها وفى فمها دودة سوداء يلدغ الاكباد كأنه عسال ذابل و يشفى الفؤاد كان فيه آريا اشتارته أيدعواسل أكمل أمره فى السياحه وأفنى عمره فى السياحه يقطع الفيافى وهو رجلان حافى تارة يخرج الفرائد من البحور ويجعلها قلائد بيض النحور عليه من السواد عمامه كأنه عباسى طالب للامامه سفاح ذو خلاعة ومجون رشيد أمين الا أن طغيانه غير مأمون يجرى من الهنود مجرى لا كالبحر ماجت راياته ولاتنقطع عن ممالك الروم دفاقته وماجرياته يرتب الكتائب فى المصاف و يصدر عنه بالرمح الرعاف شاد اذا غنى شفى المفؤود كأنه أوتى مزمارا من مزامير داود أشقر يجب أن يخب فى المرج ألف القطع الا أنه لايثبت فى المدرج ألف اذا فارق النون فهو صاد حرف نفى كل دال عن عينه الرقاد مطلق لايعتريه الاسر مرفوع الا أنه يدخل عليه الكسر يستعمل مفردا ويجمع و يكسر على قله أجوف و يعد ناقصا اذا كان فى حرفه علة ثلاثى عينه لام صحيح الا أن فاءه عين السقام مشتق يصدر من حرفه الافعال عامل اذا

كسر يبطل عن العمل فى الحال اسامه ذاق وقلبه ملق لفظوا باسمه فصيحا وهو محرف
وأراد أن يصفوه فلم يصف ميزاب عين الحكمة منه نابع مقياس بصر العلم عليه بالاصابع
أخرس لكن لسانه قارى يتكلم بعد ما جز رأسه وهذه حكمة البارى تتعجب من أمره
العقول و يسأل عنه الملغز و يقول

ما أمرد منه القوام مقوم * والرأس منكوس كشيخ فانى
أبصرته فرأيت منه عجائبا * حدث ترعرع سنه اثنان

كفى من رتبه أن الله أقسم به جل لو لم يكن قدره أجل لما قبل يد المولى الهمام ولما طوقت
أياديه رقبة الحمام مولى عيون ذوى الانظار الى مرود قلمه ميل وذرور تربة قدمه يجلو
جفون أولى الابصار مر رأس ميل اذا سح سحاب كماله ترى صحبان فى روض الفصاحة باقلا
واذا فاض معين افضاله ترى معنا الحوض السماحة مادرا باخلا اذا نثر نثر الدرر واذا نظم
نظم الغرر حرف من ذلك البنان وطرف من سحر البيان سطر من تلك الأنامل وشطر
من حقائق المسائل فى طرفه أدهم يجرى على سنن * من رأس أصبعه الغراء غرته
أبو العلاء اذا أضحى يعارضه * يبين عنه وقد بانت معرته

اذا ألقى الدروس يحيى رباع العلوم بعد الدروس واذا تعب براحته قلم الفتيا تصل الى
كل راحة الدنيا وتعلو كلمة الله العليا قلمه فى بنانه المدرار كأنه قضيب نبت فى الانهار
يسعى قدم العلم فى مداد محاسنه وهو كسير وينقلب بصر البصيرة خاسئا وهو حسير وانى
وان أعمل صوارم البراعة ومضاها وأبلغ من مسالك البراعة مداها وألمح من غرف الابداع
غوانى المعانى وأصمى بظبى الاقلام ظباء المعانى لو رمت تعديد نجوم بروج فضائله التى
تتنافس بها الاماثل وتتباهى وتتناهى الايام وهى لا تتناهى لعرفت أنى محصور فى غير
محصور ولاعترفت بأنى من جنان مدائحه فى قصور لقد غدا سابقا فى حلبة العلياء أمثاله
اذا تناولت الاقلام راحته تقول ما قصبات السبق الا له لازالت خمائل الفضائل برشحات
أنامله مخضله ونسائم الاماثل بنسمات أنفاسه معتله ولا برحت تضحك ببكاء أقلامه
الطروس و يرى فى صورة خطوطه حظوظ النفوس ما تغنت الأقلام بصريرها والانهار
بخريرها وضحكت الاسحار بشروقه والامطار ببروقه بحر مسة من لولا لم يخلق اللوح
والقلم ولم يعلم الانسان ما لم يعلم (وله رسالة سيفية) منها و بعد فان السيف فى حنادس
الوقائع شهاب ساطع والى ممالك المعالى صراط واسع وعلى مسائل العزائم بيان قاطع وان
كان فى أواسط الناس بالتقليد مشهورا فأردت أن أرصعه بجواهر التوصيف وأحليه
بعلائق التعريف ومنها يعرف ضروبا من فنون الحرب * وهو مجتنى كل كر وكرب
اذا شهر يشرق النور من غربه فهو المشهور بالشرق والغرب ذو علائق لكن اذا جرد يكون
من أصحاب اليمين وقد يعتكف فى خلوة القراب فيكون من المقربين جدول ربما يشق من
الدروع بحرا مواجا يفتح باب النصر فترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ذو وجهين له

طبع حديد و بأس شديد جدول ماهب عليه نسيم النصر شعلة نار ترمى بشرر كالقصر نار
يؤجج ضاربه ماء يغص به شاربه نهر ملآن تسقى به حمى الابدان فيجعلها حدائق
ذات ورد وشقائق عالم لا ينظر الى متن الا و يشرحه حاكم لا يحضره شاهد الا و يجرحه
شارح له متن متين يملى فى محائقه سورة الفتح المبين حده ذاتى وقوله قول شارح يبين بدقائق
فرقه وجلى شرحه مشكلات المطارح عالم فى الضرب والتفريق ماهر فى العلوم القطعية
على التحقيق اذا طاب منه شرح الخفايا ينشرح لها و يهتز طربا ماطيق المفصل فى الابانة
وأصاب المحز مرآة ينطبع عليها صورة الحتف ومنها
شروق غربه يسفر عن فجر يوم الحرب كأنه جدول ماء جرى فى ساحة روض فظهر منه رؤس
نباته أو لمعة ضياء دخلت من كوة بيت فبدت على صورة ذانه النبل له كالخدم والرمح يقوم
فى خدمته على القدم بل الرمح من جيه ذابل فهو كالملك الجليل والرمح له عامل اذا رآه
القوس يقول مالى من جنس سالك السهم واذا القاه الدرع يدخل حلقه بعضها فى بعض
من الوهم نهر من بحر الحرب تسقى به قصبات الرماح لم تبد على غدير الدرع أمواجه حتى
هبت من شطيه للنصر رياح ذكر له حيضه طائر يقع على البيضه أغرق الطلال وجود
العدا بسيل أقطار السهام وأنهار الصفاح وزج حمأة أرواحهم بدلاء المغافر وارشاء
الرماح يجرى بحارا من العساكر فيها أمواج الدروع وفواتح المغافر ومنها الازالت
ألف سهمه معونون قوسه المشدده لجملة خبر بسالته وايالته مؤكده ولا برح شكل دوسه
همزة لقطع الآجال وسين سيفه مقربة لعمر العدو من الاستقبال الى الحال ومنها
هذه جواهر مدح ترصع بها هذه السيفيه وحمائل تشد فى جيد الحمية الأدبيه (ومما يحسن
عنا ايراده الرسالة السكينية) وهى لابن حجة
يفيل الارض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه القفر يمسون عزائمها و ينهى
وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفا واضافها الى الادوية فحصل بها البرء
والشفا زرقاء كم شاهدت البيض منها ألوان خرساء ومن العجائب أنها لسان لكل عنوان
ما شاهدها موسى الأسجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الروس والرقاب كم
أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط كم وجد بها الصاحب فى
المضائق نفعا وأحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب
من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة الطرفين أنملة صبغ تنعت بسواد الدجا
معودتها بالضحى والليل اذا سجا ولسان برقت لهبته فى لهوات الليل فتشكرت أشعة الانجم
حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم
أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلنا تدخل فى مضائق * ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تفعله توجزه * والرمح فى تعقيده يطول

ان هجمت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسي حلاوة العسال فلا يظهر اطوله طائل وتغني عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان صرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعد الله أنها أقرب منه الى الصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكمل لها النصاب ماطال في رأس القلم شعرة لا سرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عمدة من العدد وعدته وتالله ماوقعت في قبضة الا أطالت لسانها وكلت بحده ان دخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من عقة كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس و باقامتها الحد حافظت الاقلام على الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف في بحر الغمد وهو غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق فلو عاصرها الكمال اعرك من فرسه الاذنين وقال له بحدث رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان لك يد تمتد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ماحملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لحمها الفاشل لحقق قوله أن خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وقل وقال اقلم رسالته أطلق لسانك بشكر موالك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز في رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة كحجمها لا زالت صدقات مهديها تخف بما يذبح نحر فقري وتأتي في كل حين بما يشفي داء الفقر ويبري بمنه وكرمه (تتمة) قوله ببيان الافهام استعارة تركيبة فيها السكنة رومية والطبع نزاع ولما قال الشاعر

نوائب غالتني فأبدت فضائلي * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا
فلولا علاه عشت دهري كله * وكيس كلامي لا أحل له عقدا

قال ابن بسام كيس الكلام يفحمك من برده ماء الملام وقد قال الصاحب كنا نعجب من ماء الملام في بيت أبي تمام حتى عذب عندنا بحلواء البتين في قول المتنبي

وقد ذقت حلواء ابتين على الصبا * فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

فكيف لو سمع استعارات هذا العصر كقوله (بقراط حسنك لا يرتوالي على) وقول المصيصي

اذا كانت جفانك من لجين * فلا شك الغنى فيها تريد

وقول ابن برد يا شاعر الحسن بي ترفق * لا تقتلني كذا بديها

وابن عمار وان تبعه فقد ضعفه في قوله

روى ليضرب وابتدهت بضربة * ان الطعان بداية الفرسان

انتهى وقوله حتى يتوارى بعضها في بعض هو كقول الآخر في كرسي المصحف

حملت على شعفى الذى كلماته * لهيبتها يصدع الجبل الراسى
تداخل مني البعض في البعض هيبة * لان كتاب الله أضحى على راسى

(قوله حتى يتوارى الذى يتقدم حتى يدخل اه)

واظافر

واظافر الحداد انظر بعينك في بديع صنائعي * وعجيب تركيبي وحكمة صانعي
فكانما كفاك محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع

ونحوه قول ابن رشيق في الدرع

كلما دارت بها أبصارنا * صورت فيها مثال الحدق
أو جست في الحرب من وخز القنا * فتسوارت حلقا في حلق

وعكسه قوله في سجة ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فيجمع من همته
اذا ذكر الله جل اسمه * عليها تفرق من هيبته

ولابن عبد الظاهر فيها

وسجة أنا ملى * قد شغفت بحبها مثل منا تيرغدت * ملتقطات حبها

وأما ذكره الحيض مع الذكورة فغني مشهور قديم كقوله

ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهي ذكور

وممن تشرفت به متنبي ذلك الزمان

(عبد الباقي) ربيع مجد هطلت سحائب فضله وبحر شعر استخرج جواهره غواص ذكائه ونبله مشحوذ أسل العزمات مصقول حد همة تكل عندها ألسنة المرهفات تضيق عن جيد معاليه عقود التفاصيل والجمل ويلقى ظمأ المادح منه ورداعذبا لا يسأمه العلل والنهل وهو معجزة تحدى بها آل ياغث وساحر ألقى العصا لكل من كان في عقد البيان ناغث أخلاقه تفضح نسيم الصبا في الصباح وتسكر بنشأة شمولها أرواح الاقداح فيضحك حبابها على ثغور الكؤس المملوءة برضاب الراح وهمته لم تغمد صوارمها الا في اجياد المطالب ولم تطأ أقدام اقدامه وعزائمه الا على هامات المناصب

قد حكى الصارم المحلى سوى أن حلاه جواهر الآداب

وكان في عنفوان عمره يحسن صناعة السروج وهو رخي اللبب طلق العنان لا يمسه في مضمارها لغب حتى رمقه ناظر السعد وابتسمت له مباسم المعالي والمجد فتشرف بخدمة خاتمة المفسرين أبي السعود فرنا اليه الدهر بعين الرضى وعيون الحظ برقود فانتبه طرف سعده من نومة الخمول وتيقظ وقال الدهر انظرا لي البخت والحظ في قصة شرحها مطول وعلى الجملة بعد معونة الله المعول فأظهرت ضمائر الايام ما كانت تنوبه وصرفت له الجدود العاثرة كل رفعة وتنويه حتى تولى قضاء العساكر وراقت له من مشارب آماله الموارد والمصادر ولله في تصريف الدهر ما يجعل الآمال أموالا ويقلب الامور حالا وحالا وكنت لما ألقيت بستة الملك عصا التسيار ونفضت عن وجه الهمة قتير الاصفار رأيته وقد أحالت الليالي بنفسجه ياسمينا وبدلت سبج شعره المسود لجينا

صبغة الله الذي جل ومن * يصبغ المسود مبيضا سواه

وأنا بالروم أسير وفي قيود الغربة أسرح وأسير

ملاعب جنة لوسار فيها * سليمان لسار بترجمان

وبها من الشعراء كل مصقول أطراف الحديث مشحوذ شبا اللسان اذا تليت لطائفه سجد لها اليراع وركع البنان مما هو أشهر من الامثال السائره وأزهى من عيون أنوار الرياض الساهره عيون ناضرة الى ربها ناظره ممن ابست بسامرته حلل المسرة وأخرجت بفاكهة العشرة من العسره ثم انقشعت تلك الغمامة وانجلت وتلا لسان الدهر تلك امة قد خلت

ان الكرام قصيرة * أعمارهم مثل الشباب
وأرى اللئام تجاوزت * أعمارهم حد الحساب
بالبيهم اذ يمرضوا * شمع تجد في التهاب
فاذا عرتهم مرضة * فشفاؤها ضرب الرقاب

والديار معلوءة بالفضلاء والاشراف معمورة الاقطار بالأعيان والاطراف ومن أجلهم استاذ زبدة المحققين ونتيجة مقدمات البراهين

﴿فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان﴾ كانت أيامه ربيع الافاضل وسدته محط رحال الآمال وسابلة المسائل تلقى عنده عصا التسيار وتنزل بحر سعادته قوافل الأسفار والاسفار فهي قرارة ما سالت به الاباطح ومعاد تلاقى كل سانح وبارح وقد جمع فيه من الكمال مالبس له مثال وان ضربت به الامثال أماخطه فابن مقلة بعينه وأما فصاحة لغاته فخالا بن دريد بجمهرته والخليل بعينه فلو رآه قس بن ساعده والاسود ابن يضة لديه ألقى له يد التسليم وساعده أيامه تواريخ النعم ومواسم الفضل والكرم فهو مجموعة مطارد ونسخة محاسنه التي قيد فيها غرر الاوابد جمع له من زهرة الدنيا من المال والبنين ما ملأ الملا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فاجتمع فيه وفي نسله مالم تشكحل بمثله العيون حتى تلا الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فهم ختام سلك العلوم والآداب (رب خير يجي من الخاتمات) ومقدمات هي نتائج العقول والالباب فهو مثل السلام في الصلوات فتم به وبنيه السعد حتى أصابتهم عين الكمال ونزلت نجوم سعدهم من سماء المعالي الى حضيض الزوال ففاجأتهم أم قشعم بغتة بلا اعتدال فقلت في ذلك وهو معنى لم أسبق اليه

مات من كان يستحي الدهر منه * وله السعد خادم في المنازل
والمنايا تهابه فلهذا * جاءه الموت فجأة وهو غافل

وكان ممن أخذ عن المولى أبي السعود بن محمد بن مصطفى العمادي الاسكابني ولد بقرية قرب القسطنطينية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ودفن بجوار أبي أيوب الانصاري وكان طويل القامة خفيف العارضين وتربى في حجر والده برضعه در فضله ويتيمه من منهل كماله حتى علا فرعه على أصله حتى رقي لمرتبة الافتاء بعد قضاء العسكر بن فتزين الدهر برشحات أقلامه واثمرت رياض الفضل بثمرات أرقامه وعيون سعده ناظره ورياض مجده ناضره الا أنه

أفرط في محبة المال والجاه قائلا في ظل الملك وبارد هواه يهز نخلات تساقطت عليه رطبا جنيا وتناثرت نضيرا نضارا ملينا وهو أول من جعل تقديم الاطفال سنه فبقيت تلك السيرة كما سنه فصارت سببا لانطفاء نبراس العلم ودروسه وتعطيل أطلال رسومه ودروسه مع افتنانه بآثاره ورواشح كتبه وأشعاره

والمرء يفتن بابنه وبشعره * لكن ذلك فتنة العقلاء

على أنه لو قيل انه أشعر أهل جلدته فالرائد لا يكذب أهله فانه أدرى بشعاب حلته فمن جزر مدته الذي رواه طالع سعده قصيدته الحمية التي عارض بها المعري

(وأين الثريا من يد المتناول) وهيهات هيهات العقيق من صم الجنادل وأولها

(أبعد سليمى مطلب ومرام) وستأتي ان شاء الله تعالى بتمامها ومن صحبته بالروم ابان الشباب فكان عونا لي على الزمان

﴿عبد الكريم بن سنان﴾ فكنا نتراضع ثدي الكؤس ونتجاذب أهداب الانس في الدروس وهو اذذاك ثاثر أردية الفضل والكرم وعامر أبنية الآداب والحكم فكان كما قلت في خطابه متنبا على غرر آدابه

وأنت الذي عرفتني طرق العلا * وأنت الذي أهديتني كل مقصدي
وأنت الذي بلغتني كل رتبة * مشيت اليها فوق أعناق حسدي

وكان ينظم وينثر بالألسنه ويكتب من الخط المنسوب أحسنه وله رسائل مشهوره وكلمات على لسان الدهر مأثوره مها قوله في ذي بطنه أحمدت نار الفطنه فلان ضاعت أوقاته وغليت على حسناته سيئاته متفحصا للتفحص عن أحوال الناس وأخبارهم متفرغا لنبش خبايا أسرارهم يسأل كل داخل عن الحوادث ويكثر من البحث عن الناس وفيه مباحث فليته يعرف أن من غربل الناس تخلوه وان من أظهر لهم العورة ذللوه فلهفي على اضاعة أوقاته في حديث غث وكلام بارد رث تمجه نفس السامع وتتلوث به المسامع ولو أكل لقمان عاد نجسا من التخم وألقاه الى حيث ألقت رحلها أم قشعم وله اخوان تخالهم كلاب أو ذئاب عليها ثياب وكان يتحرش بي حين سخنت عينه وحان حينه وقد قيل اذا جاء أجل البعير حام حول البير

يا سالكا بين الاسنة والظبا * اني أشم عليك رائحة الدم

ومن صحبته بالروم

﴿السيد محمد بن برهان الحيدري﴾ كان أخي شقيقي وصنو روحي ورفيقي فاضل حماه للمجد حرم وكريم يحلي بغرته صدأ الخطوب وتنكشف الظلم وكان يوما بمنزلي مع الاخوان فأرادوا الجري على العادة في الدخان فأبى ذلك لانه يراه من منكرات الزمان فقلت له بديها

قد قلت جد باذن للمدامي * ليأتوا بالدخان بلا توان
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان)
(عبد الكريم بن سنان)
(السيد محمد بن برهان الحيدري)

فقال بديها وأجاد اذا شرب الدخان فلا تلمني * على لومي لابناء الزمان
من الاخوان أهوى لطيب خلق * كمثل الملك فاح بلا دخان

﴿ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها وانتشار الظلم والعدوان بين امرائها ﴾

لما انهدم من الفضل بنيانه وانفضت عمده وأركانه وقوضت خيامه واندرست رسومه وأعلامه وصار أمر الفتوى والقضاء والمناصب العلميه بعد العلامة شيخ الاسلام أسعد ملعبة وشعبذة ومخربه والمدارس مأوى الجمير وقلد القضاء من ليس في العير ولا في النفير ظهرت اشراط القيامه ولبس لباس الجهل من النعل الى العمامة وولى الامارة الفجار الاشرار فضاروا أقسى من الحجارة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وقد قال أفلاطون اذا تسامح في القضاة والاطباء دولة فقد أدبرت وقرب انحلالها اقلت وكذا كثرة النزل والنصب وقد قيل آخر الدور سما حمى فما حدث بها المامجد الزمان فارتفع كل أسفل واتبعت نتيجة هذه الدولة الاخس الارذل أن فوضت صدارة العلماء ووجهت قيادة الفضلاء لشخص ملقب بأسود الحصى يفنى دون عد معائبه الرمل والحصى فجرت بيني وبينه مخاصمه أدت الى المكابرة والمحاكمه فقلت في وصفه مقامة هذه صورتها

اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخباثث وألوذ بك يا نور النور اذا دجت ظلمات الحوادث يوم تبيض وجوه وتسود وجوه و يبين كل منة وص حتى يفر منه أبوه وأخوه فانه مما سب من المصائب أن حمل على كاهل الدهر عيبة المعائب نسخة القبائح مسودة النحش والفضائح جريدة العيوب تمثال السيئات والذنوب اكسير الفساد وثمامة الاعداء والحساد أنموذج الهموم أظلم من ليل المرض والغموم قحط الرجال قائد جيش الدجال قبح الفعل والقول اذا اعتذر عن اساءته غسل الغائط بالبول لئيم غير ملوم أجور من قاضي سدوم فصدارته هجو الزمان واظهار لعدارة الاحرار والاعيان فلولم يخسف بأهاليه لما ارتفعت أسافله على أعاليه

كالبحر ترسب في أسافله * دروتعلوفوقه جيفه

جعل في بستان حنظل ان لاح انسان جهل فهو لعينه أو ابليس تلبيس فذلك استاذه وقرينه فلو عاين أحمد خداعه لحياه وأنشد

فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها في الحصا

ريقه الزقوم وأنفاسه السموم فهو لعين الدهر قذى لا ينطق بغير فحش وأذى الجهل رداؤه والجذام حليته وبواؤه والجنون مجنة له من الاعداء فذاته المكروهة عين السوداء ليس في خلقه من الحكم والاغراض الا أن تقف الاطباء على ما جهل من الامراض وتفحص به دقائق التشريح ويكثر رائيه من الاستعاذة والتسبيح تخرق منه الجسد فكله عيون تنظر من الحسد عرضه دنس مشقق ووجهه كقرطاس الرماة مخرق أقبح من عسر بعد يسر لا يعرف انه انسان الا أنه في خسر كله منة ن الافاه فاستغنه بخلا وكله بلاء

لو سئل عنه ابليس لقال بلى يغلب دلاح الوقاحة في المبارزه و يظن أن الرشوة مباحة لانها تسمى جائزه و يزعم لنفوذ أمره في الأنام ان القول ما قالت حذام لا ما قالت حذام أشأم من طويس وأثقل في السمع من ليس ومعنى يجعل لحيته التبس باعين الشوم وخليفة البوم وسلحة الزمان ونجاسة الديوان ألم يدر من صدرك ولم يخش عجرك و يحرك ان زوال الدول باصطناع السفل

ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب

يا خيبة الامل ويجمع السفل ونتيجة السقم وضن اليتم والغشم وعدو الادب وأسود اللقب أما استحى زمان حل في صدره الحصى وأصبح لقدر العلم والمعالي مرخصا مادر لديه حاتم والحجاج أعدل حاكم لو كان يدري جده انه * يخرج من احليله لاختصى

قربه أقبح من الحرمان و بعده ألذ من وصل الحور الحسان قد ينجس الارض نجاسة لا يطهرها الطوفان قرة عين أبي جهل فهو ينشده بكل لسان

نعلاي أطهر منه * والكلب أطهر مني

لا يهتدي الى ضواب حتى يشيب الغراب أو يستضيء شيطان شهاب سفيه الذم حلية فيه وكل اناء يرشح بما فيه أبعد من هدهد في خلونه خبير بأن يخفي العصا سائر خدمته نحوي كم نصب وجر وداوم على مذاكرة مشتقة من الذكر رئيس ليس له صيت وسمعه لم يبت الاوفي دهليزه شمعه أنف بالحجب في السماء واست من الابنة في الماء

كأنه فرعون الا أنه * من جانب الوجعاء ذوالاوتاد

كذاب فانظر وجهه وسواده كأنما ألبس الدين به حداده عار على السلف والخلف أكذب ما يكون اذا حلف حراقة فساد قدح شرر شره نساد فان كان أصله النار فهذا الخلف رماد مفلس من دينه وعقله يقول ابليس انما تركت السجود لآدم لانه من نسله أقبح من النقم وأسوأ من زوال النعم أزنى من ظلمه وأمر من نجمة على عنمه لم يزل يبدي بانتقاصه الافاضل غرضا لانه من قوم في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا لا خير فيه الا أنه لا يأثم له مغتاب بل يحمد و يجازى بجزيل الثواب لم يثلب وهو بهجر القول مغرم صب ومن ذا يعض الكلب اذا عضه الكلب

ان تهجه تهج من في الارض قاطبة * لانه من مياه الخلق قد جمعا

فان كان ذم الناس جلى مناه فما الناس الا هو لاسواه لم تبقه لصحة مزاجه السنون وانما ذلك لانه عادته المنون وقد رفع عن هذه الامة المسخ فما باله عاد مسوخا وتناهى النسخ للشرع فما باله عاد بصدارته منسوخا قاض لم يدر حجته فما آحوجه الى الصك وجوده غلط في صحف الدهر مفتقر الى المحو والحك تور به المانوية الكلام على أن موجد الشر هو الظلام والتناسخي البيان على أن روح الحيوان تحل في الانسان فلو لم يتقرض نسل آدم لما حكم هذا القرد في العالم

فان لقبوه بالرئيس سفاهة * فان الحصى تدعى رئيسا من الاعضا

واذا كان من الدين اعلان النصيحة لعامة المسلمين فعليك بالرأى الاسد فر من المجذوم فرارك من الاسد لانه محروم مجذوم ليس فيه من صفات العلماء الا أن لحمه مسموم حمى الله مزاج العصر من سارى مرضه وصان جوهر هذا الدهر من غرضه وأنار بالزوال كوفه وصرف بيد نقاد المنية زيوفه (والسلام)

(فصل) وقد أدى تصدر هذا وأمثاله الى اختلال فى الملك وفتن وكان ما كان حتى تضعضع الزمان ووهن وآل ذلك الى حصاد العلم والدين وان ورد فى الحديث لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين فظهرت أشراط الساعة وصارت كامنة النحش والشح مطاعه وفشا العجب والغرور وتقدمت أطفال صدرتهم أعجازهم فى الصدور واختلطت الاحساب والانساب وعمر ربوع المعالى ذوو العقول الخراب ووصدت تكرمة الشرع للاطباء وأهل النجوم وصار الصقور الضارية الغراب والبوم وصار شيخ السلوك طبيبا يحتسن من أتاه والطبيب شيخا يقرب من أتاه الى الله وعلت الجند المنابر والكراسى وقال العبد للحر رأسك كراسى وولدت الامة ربتها وحانت الدولة بعد اليأس فقضت عدتها وصار من فدى دينه بعبد المحل الذى حرث فدا دينه واستترت الاقطاب والابدال والنجبا واغترب أرباب العلياء واتخذوا سبيلهم فى البحر عجبا واعتمد بقية منهم الى ركن شديد اليه آوى وزكت الفرود الشهود لما تولى القضاء ابن آوى

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

(عجيبة) لما نام الرأى والهوى يقظان وورد الامر غير أهله تصدر امرؤ رطب العجان

كالقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فولى ابنه قضاء التخت واذا انفتح الحانوت بان العطار من البيطار وقال للملك اذا سأله عنه نعم القاضى قاضى جبول فانه من السادة الاخيار وقد كنوا يشددون على القضاة فى اثبات غرة رمضان ولا يبالون فى غيره بزيادة ولا نقصان فلما دخل شعبان وانقضى رجب خالف المثل وقال فى شعبان ترى العجب فأمر الناس بالامساك والصيام وقدم الغرة على المستهل بايام ولم يكتف بذلك حتى أثبت غرة رمضان بشهود زور وبهتان فحار الناس فى أمره وسكتوا خوفهم من شر أسيه ومكره فكتبت فى ذلك قصة رفعت للملك فى قصره وهى على لسان شهر رمضان

قصتى قد أتت امامك ما * تشتكى الظلم جيز ضرت مضاما
رقعة فى يد الهلال طواها * ليراها المليك فى العرزاما
أنا شهر الصيام قد زرت قوما * جانبا أبتغى لهم اكراما
ولى العيد حلة وهلالى * لى طوق من فوق جيدى تسامى

قوله على لسان الخ كذا فى النسخ والذى تقدم ان القضاة تشكى شوال اه

رمضان اعتدى على وأمسى * سارقا ذاك لا يخاف ملاما
أتقاضى ما كان شعبان منه * سارقا فاعتدى على انتقاما
أختشى ذبحه بنصل هلالى * ثم سلخاله وتركى المقاما
ان دعوا الطول قبل ذا بركات * أنا شهر مبارك صرت عاما
غرقوا زروق الهلال بشهرى * وبحر الدجا قد كان عاما
لا تضيع حقى بشاهد زور * هو أعمى بصيرة أو تعامى
جبهة الشاهد اكوها فهو وسم * لمكذوب عن زوره ما تحامى
ان كسوف الشمس ظلم * وكذا الدهر لم يزل ظلاما
دمت فى مطلع السعادة بدرا * يمحق الظلم نوره والظلاما

وكتبت بعد هذا

ياسيدا أضحى الزما * ن بائسه منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل * للناس أعيادا جميعا
حتى لأرشك بعدها * عيد الحقيقة أن يضيعا

أسبغ الله ظل الخلافة حتى يأوى اليها كل مظلوم وينتصف هلال شوال من رمضان فيعطيه حقه وينتقد له دنانير النجوم فان ما جرى عليه فى هذا العام ما سمعت بمثله الليالى والايام ولكنه ما جار واعتدى وانما القاضى المنقوص أتى ببدل غاط ظنه بدل بدا وقد أساء عليه كما أساء ابن الرومى فى قوله لما ضل وما اهتدى

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر طويل تقيل الظل والحركه
يمشى الهوينا فما حسين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثارا على فرس * أجد فى اثره مطلوب على رمكه
أذمه غير وقت فيه أحمده * من العشاء الى أن تصدح الديكه
ياصدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

ولبعض الظرفاء

أترى القاضى أعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كان العيد * أموال اليتامى

وقلت

سرق النجم والهلال أناس * فشكى الناس فرط جور القضاة
رب سلم شمس النهار فان هم * سرقوها نتيه فى الظلمات

وكانت هذه سببا لهلاك أبيه ووقع بعدها حريق اشتعل به الدهر وشابت نواصيه وعم ذلك بيوت علمائها فلم ينتبهوا من نوم الغفلة فى ظلمة بلائها وكم قرع لهم الدهر العصا وأمطرت السماء عليهم حجارة البلا وصب عليهم رجم سوط عذاب فما رجع أحد منهم ولا تاب كما قلت

لعمرك قد عم الحريق ببلدة * بها علماء السوء والجهل أظلما

ومن مالك واف رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا اجرتها * فان هدمت بيني الذي قد تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وماصرفوه في زمان تقدما
فقال لهم رأس الضلال ضمانه * عليهم وان الغرم قد صار مغنما
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم * أباح رشا قد كان ربي حرما

(فصل) من طرف الاخبار وتحف هذه الديار التي لم يرمثلها أبو الحجب وهو الغلك الدوار ماجرى على النسب العلوي من البليه وماعم من دخول أولاد النصارى في فروع هذه الشجرة العليه من كل مكروه وغير مكره أمه معرفة وابوه نكره غراب خرج من عش بلبل علوي صح نسبه عن الدليل على انه وحرمة البيت لو صح هذا الشرف لم يمت سري وقلبي على هذا النسب الطاهر من الاسف وكنت أتجاوز عن قولهم مولى القوم منهم فاقول حمار القوم منهم ولله در بشار فيما أبصره مع عماه اذ قال في دعي نسب ادعاه

ان عمرا فاعرفوه * عربي من زجاج
مظلم النسبة لا * يعرف الا بالسراج

وله أيضا
ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربي من قوارير
مازال في كير حداد يردده * حتى تداعى بناء مظلم النور

وله أيضا
هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء في العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين زيف لهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة * أعلم شئ بزايف النسب

وأغرب ما في هذا أن هذه الانساب المجهوله والدعاوى التي لا تقوم عليها أدلة مقبوله كان منشؤها من القرى وقد قيل لاهلها أطرق كرا و وظفت عليهم الوظائف السلطانيه وقد عم هذا سائر الناس الا العصابة العلية العلويه فلهرب من هذه الغرامه تعصبوا بهذه العصابة والعلامه والعلامة شأن من لم يشهر ونور النبوة يغني الشريف عن الطراز الاخضر وأكثر هؤلاء الاتراك لو طلب منهم الحسن والحسين درهما ما أعطوه وتبرأوا من نسبه وقطعوا اسبابهم من سببه وحق لمن قد صح تميز عقله * اذا ما رأى الدينار أن يترك الفلسا
وقد جعلوا خضرة العمامه علامة للسيادة المستلزمة للتقدم والامامه وربما جعلوا انها شطفه تدل على أن فيهم من النبوة والرسالة نطفه وقد يفرقون بين أولاد البنين والبنات ولم يفهموا مشاركة حطب الاغصان لهم والنبات ولم يدروا أنه حجة للنواصب وعدة لمصائب الدهر والنوائب كأن الله لم يخلقه الا * لتنعطف القلوب على يزيد
وقد قال أصحاب التواريخ ان أول حدوث هذه العلامة كان في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة لما أمر الملك الاشرف بمصر أن يميز الاشراف عن الناس بعصائب خضر في العمائم فقال فيه عبد الله بن جابر الاندلسي جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر
وقال شمس الدين بن المزين

أطراف تيجان أنت من سندس * خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا يمتاز وامن الاطراف

وفي الطبقات الكبرى للامام السبكي ان من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح التنبيه استنبط من قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ان مايفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاويهم وأقوالهم اه ومنه يعلم أن تمييز الاشراف بعلامة أمر مشروع أيضا لما سمعته آنفا أقول فيه أمران الاول أن قولهم ان أول ما جعل لباس الاخضر شعارا للعلويين في زمن الملك الاشرف يرد عليه ما نقله السخاوي في كتابه مناقب العباس من أن عليا الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عهد له الخليفة العباسي وجعله ولي عهده بعده وبويع فغير لباس العباسيين وهو السواد بلبس الاخضر فسماه ذلك العباسيين ولكنه عوجل فانه مات سنة ثلاث ومائتين في حياة المأمون وعد ذلك من الالطاف لما فيه من سد باب الفتنة انتهى الثاني ما نقل من أن زي العلماء والاشراف سنة رده ابن الحاج في المدخل بأنه مخالف لزيهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزي الاول عرفوا به أيضا لمخالفته لما عليه غيرهم الآن وأطال في انكار ما قالوه وقد يجاب عنه فتأمل فيه (تنبيه) العلامة التي توضع في العمامة تسمى شطفة وهو افظ محدث لم يذكره أهل اللغة وكأنه بمعنى خرقة صغيرة من قولهم في شطف من العيش أي في قلة وضيق فاعرفه فاني لم أر من تعرض له

(فصل) في أمراء الدولة وحكامها وما انتهى اليه حالها في عهد السلطان مراد فاعلم أن قسطنطينية بها حصون عالية البنيان محفوفة بالبساتين الزاهية والجنان والحب ذو العصف والريحان والاوصاف التي تمزق برود الامكان وقصور عالية البناء فيها الناس على مراتب الهمم مضمخة بعبير الثناء يفيض منها مياه الكرم وتجعل بشائر الشر للجود أتم سلم وحولها أنهار جاريه ومعادن بأنواع الجواهر حاليه ذات غور وأخاديد وأرحام حاملة أطفال الفلزات والمواليد تنبت اللجين والنضار وتبعث خواتيم الله في أرضه لاخذ كل درهم ودينار الا أنها أسداضار يا غير مقلم الاظفار يمنع يد كل جان من قطف تلك الازهار والتفكه بما في جناتها من لذيذ الثمار ويحمي من بتلك المساكن من أن يحوم حول جواهر المعادن الا اذا غفت فرصة لبعض شطارها على حين غفلة من الاسد اذا ذهب ببعض أقطارها اذا رام اقتناص الصيد أو ورد غير أنهارها فيختلس من تلك

الجواهر و يقتطف من أيادى الروض غض الثمر والازاهر فبينماهم على تلك الحال واقفين بين الآمال والاهوال رجفت الراجفه وجاءت سحابة تسوقها ريح عاصفه فيها وعيد وعود غامرة بالبروق منادية بالرعود فمدت ستائر السحاب وصبت على الارض سوط عذاب ونظمت بالرعد صاعقه ورمت ذلك الضيغم بأعظم ساعقه فانشبت المنية فيه أظفارها وأخذت الايام منه ثارها فلم يزل جاثما بغنائها باركا فى حومة فنائها والناس تهابه كلما عاينت جثته وتهرب منه وتخاف سطوته فلما رأوه وقد طال جثومه وقعوده طال انتظارهم لصيده وما كان يروده فدنوا منه قليلا قليلا فلم يروا له حركة تنفرهم فدنوا منه فرأوه قتيلا فجاسوا خلال الديار وردوا الانهار واقتطفوا الزهور والثمار وأخذوا نفيس الجواهر والاحجار ومكثوا شطارهم زمنا طويلا يأخذون تلك المغانم آمنين من بطش الاسود الضراغم فلما علم ذلك من بالحصن من دهماء الاراذل لكثرة تردادهم آمنين فى هاتيك المنازل خرجوا جميعا الى تلك الرياض واستولوا على البساتين والمعادن والغياض فاقتطفوا جميع أزهارها وتجاوزوا عن اجتناء ثمارها فقطع أشجارها وكان ما كان ان لم يدل على الحوادث ففيها النقصان ولله الامر من قبل ومن بعد واذا استولى النحس على قطر نفى السعد فما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود فبحدث أهوال المحشر وقال قائلهم انما أكلت يوم أكل الثور الاحمر

من حلفت لحيتى تجارله * فليسكب الماء على لحيته

واما مرض الفتح وكان الطبيب يهوديا واليوم يوم سبت قلت

عنك فؤادى وحقك ارتحلا * وكان بالصبر قبل ذا نزلا
ياعادلا عن رضاء خالقه * صدقت ان قلت انه عدلا
انت لعذلى أصيخ مرتقبا * أن يسبق السيف عنده العذلا
فانه قد أتى به مثل * واست ممن يكذب المثلا
سررت من دولة تطفرت بها * ومن سرور النفوس ما قتلا
نال مراد الورى ومالكهم * تبا لدهر بمثله بخلا
أبعده زهرة الحياة فزهت * أو أثمرت فى رياضها أملا
قالوا الليالى حبلى فقلت لهم * قد وضعت بومة بيت خلا
مابال مولاى فى وزارته * يرفع فوق الافاضل السفلا
يأذن لى حاجب بستته * وهو لباب الدخول قد قفلا
ولى انصراف عنه بلا سبب * فماله قد تكلف العللا
مرة تشهى مزورة * عنها احتمى ذا المريض حين قلى
كم جنب كنت قبل تخدمه * عادته اليوم ما الذى فعلا
ان أجنب الملك اذ دعا لى * خدمته هل أراه مغتسلا

ولما انتهت الرحله وساق الامل الى الوطن رحله غفرت ماجناه على الزمان وعلمت أن الدهر قدهم بالاحسان وعلمت بقول أبى العلاء المعرى أما فساد الزمان والناس فاحلف ماحلم الاديم وان ذلك لداء قديم والهرة بنت النمره والسمرة أخت السمره وبقول البديع لما شكى له ابن فارس فى رسالة له الاستاذ يقول فسد الزمان وأنا أقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لاتكسع الشمول باخبارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلا والحربات وكربلا أم فى الهاشمية والعشيرة تراس من بنى فراس والامام والبعير فى الحجاز والمبعوث على الاعجاز أم فى الامارة العدوية وصاحبها يقول هل بعد الركوب الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن بات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكنى ياقلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلادبها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك وقد روى عن آدم

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء مافسد الناس وانما الطرد القياس وما أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا بعد الصلاح و يمسى المرء الا عند الاصباح وهذا مأخوذ من قول على كرم الله وجهه فى بعض خطبه أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها تذمها وأنت المتجرم عليها أم هى المتجرمة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علات بكفيك ومرضت بيديك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد عباد الله ومهبط ملائكة الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمه وربحوا بها الجنه فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت لفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور وهى خطبة طويلة وقد حذا هذا الحذو صاحبنا الفاضل الكامل جامع شمل الفضائل القاضى أويس الرومى فانه لما ظهر الخوارج فى زمن السلطان أحمد سلاه كتب له رؤياواقعة باللغة التركية ولكونها ليست على شرط تاترکناها (تنبيه) قولى مزورة هى اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض الذى يحتمى ولهذا انظرف كشاجم فى شجو من ادعى الشرف فقال

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه
لو مسخ الله قلبه غنما * لم يعط منها السائل صوفه

فقوله نسبته الخ كناية فيها تذكايه

(سانحة) سميت هذه الرحلة ريحانة الندماء وشمامة الادباء الظرفاء وفاكهة الاعيان والفضلاء لانى ذكرت فيها الاحباب ممن هو موجود وفقدته فكانى بذكره أستنشق بالآذان طيب عطره وممن هو مفقود فبالثناء عليه والدعاء كأنى أهدى له ريحانا وأضع فى القلوب من طيب أحواله طيبا لان قلوب الاحرار قبور الاسرار بل قبور الاخيار لانهم سر من أسرار الله وفى كلام بعض الكبار اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا باصحاب القبور وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا فى أربعينياته وفيها موضوعات أخر فلا تغفل عنه كجهلة الاروام وقد قال لى بعض من رأيته من أرباب الاحوال المراد بالقبور فيه القلوب لما مر وانما خصصتها بالريحانة لانها يشبه بها المحبوب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين هما ريحانتاى وسأل أبو يزيد بعض ندمائه عن روائح الرياحين فقال رائحة النرجس كرائحة الشباب ورائحة الورد كرائحة الاحباب ورائحة الريحان كرائحة الاولاد ورائحة المنثور كرائحة الاصدقاء وانما خص هؤلاء بالريحان لان الله أنبته نباتا حسنا غضا طريا سريع الزوال ولا يتمتع به كغيره فاذن أقول (أمن ريحانة الداعى السميع) أو أقول قول محمد ابن المعتل

من يرد ريحانا فانى مهدى * ريحانة الحمد لاهل الحمد

أو كقوله

وريحان النبات يعيش يوما * وليس يموت ريحان المقال

فلا تلث موثرا ريحان شم * على ريحان أسماع الرجال

(تتمة) لم يزل الناس على وضع الريحان ونحوه من الخضر على القبور وقد ورد هذا فى الحديث وفى الاشعار كقول العتبى فى مرثية ابن له

كان ريحانى فأمسى * وهو ريحان القبور غرسته فى بساتين البلى أيدى الدهور

وعليه عمل الناس الى الآن حتى وقفوا لذلك أوقافا وأنكره ابن الحاج فى المدخل والخطابى فقال شق النبى صلى الله عليه وسلم له والقاؤه على القبر وقوله لعله يخفف عنهما مالم ييبسا كما فى البخارى وغيره انما هو ببركة مس يده له وجعل بقاء الرطوبة حد الماوقع به المسألة من تخفيف العذاب لان فى الجريد الرطب معنى ليس فى اليابس والعامة يفرشون الخوص على القبور فكأنهم ذهبوا الى هذا ليس له وجه انتهى وردّه العلامة ابن حجر فى شرح البخارى فقال انه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحدة الى آخره وأنكره الخطابى وغيره وقال انما هو ببركة يده أولا مرغيب عامل فى قوله ليعذبان الى آخره ولا يلزم من كونهما لا تعلم تعذيبه وغيره انا لا نتسبب فى أمر يخفف عذابه كما ندعوله بالرحمة ولم يصرح فى الحديث بمسه له وقد تأسى به بريدة الصحابى فأوصى بوضع الجريدة على قبره وهو أولى أن يتأسى به انتهى ولك أن تقول انه معقول المعنى أيضا ومما قلت فى هذا

غصن من الريحان رطب اذا * حاينته حزت نعيم الصفا

ولو على قبر امرئ عاشق * مر لاضحى قائما واشتفى

كذا رطيب الغصن من غرسه * يرى عذاب القبر قد خففا

وأنشد ابن عربى فى المسامرة مايدل لما قلناه وهو قوله

فى القبر أسرار يراها الذى * عنه غطاء الحسن مكشوف

عاينت قوما عذبوا فى الصدى * كان لهم نقص وتطفيف

فهل لغصن البان من غارس * بقبرهم اذ فيه تخفيف

مادام رطبا يانعا أخضرا * ولم يسم الغصن تجفيف

وفى تأسينابه عصمة * منجيسة منه وتشريف

وفى هذا تأييد لما قاله ابن حجر تغمده الله برحمته

(فصل) عزم عزمى على شد الرحال وزم مطى الامانى والآمال والهجرة عن مصر لما فقد فيها الدين والدنيا والكمال فقبطنى قول عبد المحسن الصورى لاحمد الفخرى لما كتب اليه

اعبد المحسن المرجو لم قد * جثمت جثوم منهاض كسير

فان قلت العيالة أقعدتنى * على مضض وعاقت عن مسيرى

فهذا البحر يحمل هضب رضوى * ويستثنى بركن من ثبير

اذا استحيا أخو لؤلا تظلما * فمثل أخيك موجود النظير

ففارقه لكى تلقى كريما * تزول بقربه احن الضمير

فما كل السرية من تراه * وما كل البلاد بلاد صور

فاجابه

جزاك الله عن ذا النصح خيرا * ولكن جاء فى الزمن الاخير

وقد حدثت لى السبعون حدثا * نهى عما أمرت من الامور

ومذ صارت نفوس الناس حولى * قصارا عدت بالامل القصير

فقلت لما حل العقل مبرم عقاله وقطع العزم شكال أشكاله لست برجل قعدة وتريد ولا حلساعهد للجائز والعبيد وهذا رأى فطير والارض واسعة ولست بعاجز ولا كسير ومن النواسخ ليت ولعل وكل كنتى يمل وقد قلت

ترحلت عن أرض يهان بها العلا * فقالت أبعد الشيب تنأى عن الاهل

فقلت مشيبى موقد فوق هامتى * مشاعل أسفارى وقد قربت رحلى

فان خفت طعن السن فالطعن قاتل * لفقرى محى للمآثر والفضل

فستعلم النجائب انى على طى آفانه لجسور وسيدرى الدهر انى على كثرة مكائده صبور ألم تسمع قول البرقعى

رأت عزمانى وطول انكماشى * وطول التململ فوق الفراش

وقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش

فهلا أقمت ولم تغترب * فقلت القناعة طبع المواشى

(فصل) لما بنى بهذه الدولة المدارس الجليلة ورتبت الوظائف والعوائد الجميلة ارتفع منار العلم والدين وتشرق شمس الفضل من مطالع اليقين قالت الدنيا الدنيه عكس القضية

قضيه فكان ذلك سبب اندراس معالم العلوم ومحو آثار أطلالها والرسوم ودروس الدروس وتقدم الجهلة ثم غاعة الرهبان والقسوس حتى آلت الى الاطفال والعبيد الى ان انتصب للتمييز كل جبار عنيد حتى تولى قضاء العسكر بن بعض العلوج وقام على رؤس الرؤس الموالى والزنوج

ولو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى موالياً

فكان اذا مر فى الطرقات قالوا عبد لبس ثياب مولاه فلو رآه مولاه أوجعه سياً ونفاه فتذكرت بهذا قول على بن محمد يهجو العباس بن الحسن لما تولى الوزارة

وزارة العباس من نحسها * تستقلع الدولة من أسها
شهنه حين بدا مقبلا * فى خلع تخجل من لبسها
جارية الكسوة قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

وفى تاريخ الاندلس فى اختلال دولة المنصور بن أبى عامر وتدرب اعداؤه فى كل مر كز أن تدور عليه الدوائر وظل سعده متعقبا بعد ما كان المثل السائر أن بعض الشعراء هجا دولته وجدها المدبر عاثر فقال اقترب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك
خليفة يلعب فى مكتب * وأمه حبلى وقاض بناك

حتى آلت الخلافة الى بيغاء فى قفص اذا رأى نقد الرشا نهق ورقص ولم يدر أنه من بنى أساس داره أعلاه فصارى قصره أن يهوى به فى الهاوية مابناه حتى تجبر وطغا وقال أنا ربكم الاعلى فأهلكه الله أشد الهلاك وأنزله الى حضيض المذلة بعد ما سما السماك ورد غربته فى دنياه الى الهاوية التى هى مقره ومأواه وخذل من كان اغواه كما قلت

ياعلماء السوء على مشكل * بقادح الاحزان يردينى
مالذة الكفر فترضونه * لاجل شهوات الشياطين
وغربة الدين كما قد بدا * وفقده الآن يعنينى
ومدة المفقود قد كملت * فرحمة الله على الدين

ونقلت من خط خاتمة العلماء الاعلام نور الدين العسيلى مما أنشدنيه غير واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الاعيان قصيدة واحد الزمان انسان العين وعين الانسان خاتمة المحققين ومسك ختام المدققين مولانا خوجا چلبى افندى مفتى الممالك الرومية وقاضى العساكر الاسلامية المترجم من قبل استاذنا جوهر الكمال المكنون وعالم الربع المسكون العلامة شمس الدين محمد القوصى التونسى يسمى منه غير مرة بما لفظه ما أحسب أن بعد السيد الجرجانى مثله وناهيك بمثل هذا التقريظ الغالى من مثل هذا الجناب العالى ولعمرى انه بمثل ذلك لجدير وانه على ذلك لقدير وهذه الميمية من أدل دليل على صحة هذا المدعى وأوضح سبيل لسلوك هذا المبتغى اذ مثل هذا النفس الذى لو وقع لمثل المتنبى لاقر الناس بمعجزته أولانى تمام ما أمكن لحاسديه الحاق النقص بمرتبته أو للبحترى لتبصر الاعمى خطأه من

وسم شعره بعيث الوليد وما عده غير لبيد أو لو أخطأه عبيد لما عد مع حر الكلام الامع العبيد خصوصا من لم يسلك ديار العرب ولا أطلع له بيت شعر ولا شرق ولا غرب ولا مضغ شيحها وقيصومها ولا اجتنى أراكها وتنومها أوضح برهان على رسوخ القدم فى فنون الادب وابين تبيان على بذل الجد والدأب حتى انقاد الأبى ودنى القصى وألماع العصى

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهذه الميمية المشار اليها

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها الوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة * ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات أن يثنى الى غير بابها * عنان المطايا أو يشد حزام
هى الغاية القصوى فان فات نيلها * فكل من الدنيا على حرام
سلا النفس عنها واطمأنت لنأيها * سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشده * فأمسى وما فى القلب منه هيام
صحا عن سلاف الغى بعد انهماكه * عليه فبان الكأس عنه وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح خاطرى * فأضحى كأن لم يجر فيه قلام
كذا أب ديار قد عفتها يد البلى * فلم يبق فيها أرسم وعلام
نسيت أساطير الفخار كأنها * حديث ليال قد محاه عيام
أنست بلأواء الزمان وذله * فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعانى تيهها ودلالها * ألم يأن عنها سلو وسآم
وقد أخلق الايام خلعة حسنها * فأضحت وديباج البهاء رمام
على حين شيب قد ألم بمفرقى * وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت على القوى * وثار بميدان المزاج قتام
فلا هى فى برج الجمال مقيمة * ولا أنا فى عهد المجون مدام
تقطعت الاسباب بينى وبينها * ولم يبق فينا نسبة ولئام
وعادت قلوص العزم عنها كليلة * وقد جب منها غارب وسنام
كأنى بها والقلب زمت ركابه * وقوض أبيات له وخيام
وسيقت الى دار الخمول حمولة * يحن اليها والدموع سجام
حنين عجول غرها البوفاثنت * اليه وفيها أنة وبغام
وما استهام ناه فى تيه حيرة * فلم يستبن خلف له وأمام
غريب عن الأوطان ناء عن الورى * مباعده عرض الفلا وأكام
يروح ويغدو فى دموع وغصة * وليس سواها مشرب وطعام
بأقطع حالا منه ان بلاءه * عظيم جسيم لا يطاق عقام

يسيح بتيماء التحير مفردا * ولى مع صحبى عشرة وندام
اعاشرهم والقلب ليس بحاضر * وهل هو الامحنة وغرام
فكم عشرة ما أورثت غير عسرة * ورب كلام فى القلوب كلام
لقد تمت ازمان المسرة وانقضت * لكل زمان غاية وتمام
فسرعان مازالت وولت ولبتها * تدوم ولكن مالهن دوام
عصور وأحقاب تمر وتنقضى * وليس لها فى الانقضاء نظام
دهور تقضت بالمسرة ساعة * وان تتولى بالمساءة عام
فلله در السغم حيث أمدنى * بطول حياتى والغموم سمام
أرى عمر نوح كل آن يمر بى * وما حام حام حول ذا السوسام
فما عشت لا أنسى حقوق صنيعه * وهيهات أن ينسى لدى ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت * عليه فشام اثر ذاك فشام
تبدلت الاوطار وانحل عقدها * وزال عن أدوار الزمان نظام
وراح عن الايام نور ورونق * وطبق أكناف البلاد ظلام
خبت نار أعلام المعارف والهدى * وشب لنيران الضلال ضرام
وكان سرير العلم صرحا ممردا * يناغى القباب السبع وهى عظام
متينا رفيعا لا يطار غرابه * عزيزا منيعا لا يكاد يرام
مهيبا ومحمى الحريم وأهله * أعزة أهل العالمين فخام
محط رحال للاجلة قبلة * لكل امام يقتدى به امام
مطاف الارباب الفضائل والعلا * فحتم جثوم حوله وقيام
يلوح سنا برق الهدى من بروجه * كبرق بدا بين السحاب يشام
له شرف قد جل عن أن يناله * غوائل أيدى الحادثات قدام
فخرت عليه الرامسات ذيولها * فخرت عروش منه ثم دعام
محى الذاريات الهوج آيات حسنه * فلم يبق منها آية ووسام
وسيق الى دار المهانة أهله * مساق أسير لا يزال يضام
كذا تحكم الايام بين الورى على * طرائق منها جائر وقوام
فما كل قيل قبل علم وحكمة * وما كل أفراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر على الورى * نعيم ويؤس صحة وسقام
ومن يك فى الدنيا فلا بد عنها * فليس عليها معتب وملام
أجدك ما الدنيا وماذا متاعها * وماذا الذى تبغيه وهو حطام
وماهى الا رحمة ومشقة * ولم ير فيها راحة وجمام
تشكل فيها كل شئ بشكل ما * يعانده والناس عنه نيام

فعز بهون والهوان بعزة * تنبه فهاتيك الحياة منام
وجانب عن اللذات واهجر زلالها * وأيقن بان الرى منه أوام
يرى النقص فى زى الكمال كاثما * على رأس ربات الخيال عمام
ولو زاحت استار الحقائق لانجلت * لديهم كنوز أبرزته كمام
وظلوا حيارى قارحى سن نادم * على ماضى والغافلون ندام
فما كان فيها غب مامر وانقضى * حلوم أراها للنيام نيام
وما هو عند السالكين الى الهدى * حقيقا بان يلوى اليه زمام
فدعها وما فيها هنيئا لاهلها * ولا يلك فيها رغبة وسوام
يعاف العرانين السماط على الخوى * اذا ما تصدى للطعام طغام
على انها لا يستطاع منالها * لما ليس فيها عروة وعصام
ولو أنت تسعى اثرها ألف حجة * وقد جاوز الطبيين منك حزام
رجعت وقد ضلت مساعيك كلها * بخفى حنين لا تزال تلام
هب أن مقاليد الامور ملكتها * ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة * وفزت بمالم يستطعه امام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة * أليس بحتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين * وبين المنايا والنفوس لزام
قضية انقاد الانام لحكمها * وما حاد عنها سيد وغلام
ضرورية تقضى العقول بصدقها * سل ان كان فيها مرية وخصام
سل الارض عن حال الملوك التى خلت * لهم فوق فرق الفرقدين مقام
أساطين معروفون فى كل مشهد * صناديد عز حاكمون كرام
مشاهير فى الآفاق شرقا ومغربا * يشير اليهم حاجب وبنام
بابوابهم للوافدين تزاحم * باعتابهم للعاكفين زحام
لديهم الوف من خميس عرمرم * لهشوكة تسبى النهى وعرام
ترد عيون الناظرين كليلة * وان كان فيها حدة وعرام
فهل هم على ماهم عليه وحولهم * من العز جند محضرون لهام
وما بال ذى الاوتاد ما خطب قومه * وما صنعت عاد وأين ارام
وما شاد شداد فهل هو خالد * بجنته والعيش منه مدام
وطف ببلاد خف عنها قطينها * فاوطنها يوم يصيح وهام
وناد قصورا قد عفت غرفاتها * كأن بقايا رسمهن رجام
تجبك عن اسرار الشؤون التى جرت * عليهم جوابا ليس فيه كلام
بان المنايا أقصدتهم نبالها * وما طاش مرميا لهن سهام

فسيقوا مساق الغابرين الى الردى * فأقفر عنهم منزل ومقام
وحلوا محلا غير ما يعهدونه * وليس لهم حتى القيام قيام
ألم بهم ريب المنون فغالهم * فهم تحت أطباق الرغام رغام
وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم * هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه * تناه وحد مبدأ وختام

﴿بيان حالي في خبر المبتدا وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيها بدا﴾

سألتني أعزك الله عن ابتداء حالي وما آل اليه أمري مما لم يجر على أمثالي ولولا الالحاح في طلب الجواب لما كان لهذه الجملة محل من الاعراب فها أنا رافع البك القصه ومسيخ بماء البشر هذه الغصه

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فقد كنت بعد سن التمييز في مغرس طيب النبات عزيز في حجر والدي متعابذ خائر طريفي ووالدي مربي بغذاء علمي الظاهر والباطن في النعيم المقيم بارفع المساكن ومقام والدي غني عن المدح والورق باوكارها لا تعلم الصدح فلما درجت من عشي قرأت على خالي سيبويه زمانه علوم العربية فجثوت بين يديه على الركب ونافست اخواني في الجد والطلب ثم ترقيت فقرأت المعاني والمنطق وبقية علوم الادب الاثني عشر ونظرت كتب المذهبين مذهب أبي حنيفة والشافعي مؤسسا على الاصلين من مشايخ العصر متنزها في حدائق السحر موشحا الآداب بحلل النظم والنثر

فلولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت الآن أشعر من لبيد

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام الشمس الرملي حضرت درسه الفرعية وقرأت عليه شيأ من مسلم فأجازني بذلك وبجميع مؤلفاته ومروياته بروايته عن شيخ الاسلام القاضي ذكريا الانصاري وعن والده وجلالة قدره أشهر من الشمس كما قلت فيه

فضائله عد الرمال ومن يكن * ليحصر معشار الذي فيه من فضل
تقل لفتى قد رام احصاء مجده * تربت استرح من جهد عد الرمل

ومنهم شافعي زمانه القطب العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين الزيادي زاد الله حسناته حضرت درسه زمانا طويلا وهو كما قلت فيه

لنور الدين فضل ليس يخفى * تضيء به الليالي المدلهمه
يريد الحاسدون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

ومنهم العلامة في سائر الفنون علي بن غانم المقدسي الحنفي حضرت درسه وقرأت عليه الحديث وكتب لي اجازة بخطه ومنهم العلامة الفهامة خاتمة حفاظ المحدثين ابراهيم العلقمي قرأت عليه الشفا بتمامه وأجازني به وبغيره وشمائي نظره وبركة دعائه لي وغير ذلك مما لا يعد

وممن أخذت عنه الأدب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمي والعلامة محمد الصالحي

الشامي والعنايتي وممن أخذت عنه العروض الشيخ محمد المغربي المعروف بركز ولد وممن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ علي بن جاد الله وعلى حفيد العصام وغيره ثم ارتحلت الى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم وهي اذذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغني ومصطفى بن عربي والحبر داود وهو ممن أخذت عنه الرياضات وقرأت عليه أقليدس وغيره وأجلهم اذذاك أستاذي سعد الملة والدين ابن حسن ولما توفي قام مقامه صنع الله ثم ولداه ثم انقرضوا الى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر وصار الدين ملعبة وسخريا وآل الأمر الى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء واهانتهم ولما عدت اليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الامر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد فاذا هو كما قيل

هو الوزير ولا أزري بشدته * مثل العروض له بحر بلا ماء

فكان ذلك سببا لعزلي وأمري بالخروج من تلك المدينة واظهار العداوة ممن هو في زي العلماء مع انه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة وفي أثناء ذلك بعد أن من الله تعالى علي بالسلامة من كيدهم ومكرهم كتبت رسالة لبعض رؤسائها وهذه صورتها

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كنسل البحر يغرق فيه حي * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واني * ويرفع كل ذي زنة خفيفه

الحمد لله الذي جعل الدنيا الخافضة الرافعة للسفل الانذال لا تستقر على حال فتسلم من الفناء والزوال والصلاة والسلام على من لم يرض لشئ منها يصطفيه وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به في كل ما يرتضيه وقد قيل ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه عقب واذا تعلم أدب وهذب ولم ير معلما أحسن تعليما من زمان ولا متعلما أسوء تعلما من انسان وكم أدبني وقرع لي العصا فغشني رائد الأمل وعمى وأنساني عظته أمراض لا تحس وعلل نبضها بيان البيان لا يحس حتى لزمت حمية الحمية ولازمت الازم عن ذوق نعمها الشهية ولكل شئ حمية فحسن الاعتقاد حمية الجنان ولزوم الصمت حمية اللسان كما أن التوقي من الطعام والشراب حمية الأبدان فان أكثر العلل والاوصاب يكون من الطعام والشراب

ومن يلق ما لاقيت في كل مجتنى * من الشول يزهد في الثمار الاطائب

والاخدان والخلان وان كانوا كهفة الزمان فهي سريعة الاستحالة شديدة الضرر لا محالة ومما يعين على الداء الذي لا ينفع معه الدواء البعد عن الارض الوخيمة الهواء كالمدينة البخراء معدن البلاء والاسواء وكم كنت أتمنى البعد عنها وأود الخلاص من أهلها ومنها حتى اتصلت بمولى امتن بالحرمان وقد كان الناس يعنون بروائع الاحسان فعاقبني بالبعد عن سدته ولم ير أن من أعظم المنن عدم رؤيته ولم أر مثلي ومثله الا مثل

اعرابى بواسط بال فيها فحبسه لذلك الحجاج مع مجرميها فلما انطلق خرج منها وقال بديها

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرجنا وبلنا الانخاق حقابا

ومؤمل النفع من اللئام كزارع السمسم فى الحمام وكنت منتفعا من دولته انتفاع ناكح عروس فى الأحلام هب من نومه بحيث ابة واحرة الحمام فكأنى لم أسمع قول القائل

اذا ما الليالى جاورتك بنا قص * وقدرك مرفوع فعنه تحول

ألم ترما لاقاه فى جنب جاره * كبير اناس فى بجاد مزمل

فكما أن الكامل بحبة النا قص ينقص (بجيرانها تغلوا الديار وترخص) ولكن الذى غر آمالى فى الترقى والصعود لرتب المعالى ما عهدناه من الشرف الباذخ فى سميم الموالى من كل عجيج النسب فسيح الأدب من أى أقطاره أتيت انتهى اليك بكرم المقال وحسن الفعال

جميل المحيا والفعال كأنما * تمثله أم المجد لما تمثلت

من ركب مطايا الامل اشكره رأى وراءه حاديا من برّه ظاهر الفضل والآداب سالم من دنس الجهل ووسخ الاحساب وقد كان هذا اذا أوعد وقعقع سنه وأبرق وأرعد أقول برق خلب و (سحابة صيف عن قريب تقشع) وما كل ذئب تسمع أعذاره ولا كل مجنون تصيب أحجاره وان كان قيل

واذا ما المجنون قال سأرميك فوبى للرأس منك عصابه

وقد سمع النحاة الأوائل يقولون اذا اجتمع فى لفظ عاقل وغير عاقل غلب العاقل فانتقضت الأحكام حتى فى الكلام فغاب غير العقلاء من الجمله وارتفع العدل مع السلسله وعلا قطاع الطريق وملك السيد الرقيق وصار الرعاة ذئابا والغنم والشياه كلابا وقد كان بعض الحكماء قال لسلطان لو جعلت حكماءك وزراءك وزراءك حكماءك لأصبت لان حكماءك يحكمون القتل ووزراءك لا يقدرون على ذلك وبرأى هذا الحكيم عمل الناس الآن فجعل المنجمون والحكماء حكام شريعة المصطفى وطرد رئيسهم العلماء ونفى

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

فصار المدّعى ينظر فى قارورته فان صفت قبل قوله وقيل ان القول الأصح فى مسألة الخنثى أن يحكم بوله وكان الشاهد يسأل عن الصلاة والقنوت والواجبات فصار يسأل عن القضايا والمختلطات فاذا زكى امرؤ بدعوة الجن سئل عنه من الحن والبن وكان الامتحان من كتب التفسير وشروح الهدايه فصار بالزايرجة السبتية ونقاية الحكيم السكندى للغواية وكان القانون يرجع فيه الى الطغرائى مفتيه فصار أمره لكل بناء وغواص سفيه وقيل لمن قرأ عيون الحقائق فى صنعة الدلك والطرائق محقق أدرك السلف ومسخ الله به علم الخلف ونصب له سد يأجوج ومأجوج فقرأ فى داخله على الاكراد والزوج فنقض القواعد وجدد رسوم الاوابد وكذب أهل المعانى فى أن الصدق مطابقة الاعتقاد أو الواقع وقال هو مطابقة النفاق ورأى الامر القاطع وعاب قصائد امرئ القيس وجهل فى النجوم

بطليموس وفى مجربات الطب جالينوس وقال بالشعوبيه وفضل اللغة النبطية على العربيه وزهد فى الحسن البصرى والابدال السائحين بالباديه وقال لو كانت رابعة زوجتى طلقتها ثلاثا ولم أرتهنها جاريه وجد درصد الطعام بالديوان وبنى مدرسة ينسكع فيها الغلمان وقال الدرس العام لا يعرفه غير العوام وشرح ديوان المتنبى باعجاز اللغة الكرديه وشرح لطافة اللغة الفارسية بالنوبيه وزاد فى اشكال اقليدس على الشكل الخمارى الشكل البغلى وصحح نسب السادات بالانتهاء للدلدل لا العلى وزاد فى براهين المجسطى وعلم المناظر والمرايا وزاد زاوية رابعة وكم خبايا فى الزوايا وادعى أن الجذر الاصم منطق وقال الارتماطيقى ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق وحكمة الاشراق وهيئات افلاطون والمريخ تؤخذ من كتاب سيبويه وخاطريات ابن جنى ومقتضب المبرد وزاد فى العروض شروباً وأعاريض لم يعرفها الخليل وحكم فى المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائى فطرد نحاتها وفرق على الاكراد عسلها وسأل عن مسألة الكحل العميان وسأل عن المناسخة وطرقها الثلاث حسان وفضل الصحابة بقول الحجاج وقرأ تهذيب المنطق على الحجاج وخطأ الاطباء فقال اذا مرضت الامعاء السبعة يحقن الغلام كما أنه اذا ضرط المقتدى فسدت صلاة الامام وقال ما يسر الله هذا كله الا بيقاء المولى أطال الله عمره وبنى نهيه وأعرب أمره وطلب من عزرائيل حجة شرعية على طول الاجل ودين المنيه فعجز عن الاثبات وقال له انك من المنظرين فعمل له دعوة وضيافة قرب له فيها أرواح الضعفاء والمساكين فحمده على ما أولاه ومدحه على أن خلصه من تعبه وعناه وأنشده

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد

فقل له ان رأيت طلعته * قد ضج من طول عمرك الابد

يا بكر حوّاء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة بالبلد

قد أصبحت دار آدم خربة * وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل عن بانيها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد

وجاءته ملائكة العذاب وقالت له استرحنا وأغلقنا الابواب وأنشدته

معمر كأنه * صالح صرف النوب * قد انقضى الدهر وما

كان به من عجب * فالناس جسم واحد * وأنت بعض الذنب

ثم جاءه الملكان وقالا له أنت دليل من قال بقدم الزمان وقالا لا كور بعد الحور تحكم بصحة التسلسل والدور فالحمد لله الذى حمانا من سؤالك وأقر أعيننا بسماع شعرك وضروب أمثالك وأنشداه قول الخوارزمى

لم أره الا خشيت الردى * وقلت يا روح عليك السلام

يبقى ويفنى الناس من شؤمه * فموا انظروا كيف تموت الكرام

كيف نراه سالما بيننا * يا ملك الموت الى كم تنام

قلت له ليس بطول الأعمار يتم الشرف والافتخار فقد سمعنا عن سادة الناس وأوائلها نجاح الامور وسعادتها بأوائلها وفى أمثال العامة ليلة العيد من العصر ماتخفى واليوم المبارك من أوله يبين والديك الفصيح من البيضة يصيح قال بامل

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

فدع الجدال وكثرة القيل والقال فان حياة الفاجر فضيحة الدهر وعلو الغثاء غير ضائر للنهر ولكل حزن سهل ولكل أحد أبو جهل وما كنت أظن الشمس تخفى وان مثلى ينفى ويهان ويخفى حتى تجاوز الدهر الحد وتمم تعريفى بالعكس والطرد فبعدا وسحقا لدار لا أجد فيها للعالى طرقا ولا يلمع فيها جوّها للفضل برقا

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقد ماقيل الرفيق قبل الطريق والجار ثم الدار ولذا قالت آسية رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فقدمت عندك لهذه المنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأى الدار الآخرة به أولى اللهم فى الرفيق الاعلى فطلب الرفيق فى الجنان قائما الدار بالسكان ثم بعد السكان بالجيران

وليس بعار أن أهان وانما * على الدهر عارى والعلا والمناصب

ولا خير فى دار مهان كريمها * ولا خير فى عون من خليل وصاحب

يهاب الاسد الضرغام فى غابه اختشى * كلا باقدا عتادت بصيد الثعالب

﴿تمت الرسالة﴾

وها أنا أتمم الجواب فان أردت مالى من المآثر فلى تأليفى الرسائل الاربعون وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات وحاشية شرح الفرائض وشرح الدرة وطراز المجالس وحديقة السحر وكتاب السوانح والرحلة وحواشى الرضى والجامى وشرح الشفاء وغير ذلك ولى من النظم ماهو مسطور فى ديوانى فلا حاجة لذكره وقد مر منه كثير فى هذا الكتاب ومن المنثور رسائل ومكاتيب لم أجمعها وها أنا أذكر لك منها هنا الفصول القصار والمقامة الرومية التى ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها وهى هذه

(المقامة الرومية) (مؤلفات المصنف)

أنبأنا النعمان بن ماء السماء عن شقيق وقد نظمنى واياه سلك المحبة بوادى العقيق قال خرجت مختبطا ورق الكرم وقد صوّح ربيع الآمال والهمم حتى عزا الحليم ورعى الهشيم فطوّحتنى الطوائح بأرجوحة الامانى وهزتنى الاشعبية الى ماجد يبارز الزمن الجانى سمح العجية بسام العشيات رحب الذادى اذا ضاق لبب العيش والتقت حلقتا الملمات جناه لليد الأمل دانى اذا اقتطف ثمر اللهو ورد بحبان التهانى نزهة النفس وشهامة الانس تعصر من شمائله شمول الفرح على رغم أنف الابريق والقدح فحاروض الجمال الرائع وماورد الخدود فى أكمام البراقع وماجاذر الاعاريب وشمس الحسن فى سحب الجلابيب

ولقد دعوت ندا الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندا أجاب ومادعى

فلم أزل أدأب فى الاسآد والاعتناق واقلد خلافة الخضر وسياحة الآفاق ولا أبرح فى ملاعب

الفضاء كرة الصولجان القدر والقضاء

يخيل لى أن البلاد مسامع * وأنى فيها ماتقول العواذل

أقدح بيد الجياد زند عزم وارى وأذرع شقة المهامه بأيدى المهارى أتلفع برود الاسحار والاصائل وأشمر عن ساق الجد لخوض بحر دجى ماله غير الفجر ساحل هل أن يفتح عينه عما تثنى عليه الحقائب و يبتسم فم الافق عن صبح وعد صادق أو كاذب

قيل لى ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يلتهم طرق

ولما بعدت شقة الالتماس وعميت عيون الاخبار تاهت جواسيس الحواس تتفوأ ثر بريد الانتظار فأتى جهينة خبرها بعد حين من سبأ بنبأ يقين رافعا عقيرة تبشير عريان صاحبا ذيلى برد وحرمان صائحا ارتحلت الاطماع وأقفرت الديار من السكان والجيران والكرم أفل نجمه وركدت ريحه وقل عزمه وتضعضع ركنه فما ثم أنيس ولا اليعافير ولا العيس ولم يبق من أثافيها الا ثلاث نقط يشلث الشك فيها

خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

فحللنا عقدة الحزم بأضراس الندم عن الجياد وامتطينا غارب العزم ومالنا غير المنى ماعوز زاد مابين غل من خمر السرى وراكع وساجد فى تهجد السكرى مختبر بمسبار عصا التسيار غور الاطلال والرسوم حتى حططت رحال الترحال بقسطنطينية الروم لما قالوا جاور ملكا أو بحرا وهما ماجبرا وخبرا والبحر قد مدّ لعنانها ساعديه والامواج تقبل الارض بين يديه فاهت فى رياضها سوانح النظر وأجلت فى حلبة الذهن قداح الفكر فاذا هى جنة ملئت بالحور والولدان وحفت بالشهوات اذ حفت بالمكاره الجنان من كل شادن سرق التفاتة الغزال وتسلل لترى لطفه الصبا والشمال لولا خوف الوشاة والعذال نسا قطت القبل على ورد خده سقوط الندى جرى فيه ماء النعيم والهيف وحار فيه الرأى فلو رآه سهيل تلعة لوقف فاق ذكاء سناه وسناه فلو حاكته حازت الشرف صيفا وشتاء اذا جاده صيب الحياء والخجل أنبت ورد يجتنى بأنامل أهداب المقل فى كثيبة حسن ان غزا القلوب كمينها (هزوا القدود وأرهفوا الاجفانا) وان هجمت على الصب عيونها (فاطلب لنفسك ان قدرت أمانا) يوسف حسن ودلال ليس له أخ يحسده على الجمال

ماقد فيه القميص من دبر * بل قد فيه الفؤاد من قبل

ان قطع النسوة الاكف فقد * قطع قلبى بطرفه الكحل

يستعير منه الورد خده استعارة مرشحة بالندا والسيف منه فتكا استعارة مجردة للردى ومن وراء تلك الظباء العين ملائكة من الكرام الكاتبين غاليتهم المداد وعبير نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد اذا راشوا بالبنان سهام البراعه أصابت قراطيس البلاغة والبراعه واذا افتخرت الرماح السمهر به انتسبت الى أقلامهم السمر فكانت خطيه وفرسانهم احلاس الجياد وغصون باهاذا حمى وطيس الجلاد كم ولجوا لجج الغمرات

على زوارق سروج السوابح التى هى قيد أوابد البوارح والسوانح سيل يخط من صبب
سيفه العنان وقور اللبب ان صعد فمستجاب دعاء أو هبط فبرم قضاء يسبق لمح البصر
و يكل دونه حديد النظر اذا جرى على مهله لم يسابقه غير ظله

و يكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

أسود غارب الرماح بدور تمام القتام و بروق الصفاح ما ترفع بطل عن لثم أعتابهم الابادر
رأسه لتقبيل ترابهم نبلهم رسل المنون و بيضهم بايدى النصر مفاتيح الحصون وسمر
الرماح أرشية لا تمتاح من قلب الابدان غير الارواح وسادة متصوفه عن الصدق متعففه
حرفتهم بيع الزهاده وحانوت تجارتهم السجاده من كل منكير كان يد الثريا له تشير فيه
شرطو يل تحت ذيل قصير لا يمس زهدا أوانى الفضة والذهب ولو وجدها فى خلوة بلعها
وكم مضغها منه فم الطلب له جند كالبراغيث أكل ورقص ودب

مشواعلى الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء

ثم عجت على معاهد ذلك الحمى فاذا دساكر وقصور هى سلم السما وقباب قنا ديلها الزهر
الدرارى فقلت لعل هنا يدو رايهتدى بها فى ظلم الخطوب السارى هى من السكرام بقايا
فكم فى الزوايا خبايا فاذا فى تلك المعالم برود وعمائم وأذيال تقبل التراب بين لدات جهل
وأتراب والدهر قد أرخص كل غالى وقال كل من خرب العير لنا موالى فقلت فستى ولا
كمالك وماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفياف نادت كل رائد لا فريقو راء
عبادان فالشاشية قبة على قبر مأثم والحلة غطاء ميت جهل خلفه مأثم من كل سفلة لو بات
حلس داره أقفر منه المنزل والجوف وأذاقه الله لباس الجوع والخوف لا يخشى لومة ناصح
ولائم ضحكة أعراس وقطرب ولائم كأمر الله يدخل كل دار حتى يصير قتيل أنمر اسه شهيد
قصعته وكاسه وعند جهينة منه الخبر اليقين وفى العجز له أياد عند القدور تستبين يسر نامنه
الفراق عسر وزورة ضب على يأس من التلاق اذ هو أمر من البين وفى ثقل الروح
ثانى اثنين يهودى بلا مال * وأعمى ماله صوت

اذا سلم على أهل نادر فيع فتحيته ضرب وجميع تستعذب الايدى مذاقة صفعه المكرر حتى
كان قذاله من سكر غضب الله على المشاهد والمجالس لا مشخص له غير جنس البرود وفضل
القلانس حمار على فرس له من تقعير المخارج جرس كأنما كلامه دعوة السكواكب
أو رقية الحيات والعقارب

برذونه صائم حتى فرس الشطرنج والصدق غير ملتبس
فكل يوم عليه يدرس منصوبة عدة البيوت بالفرس

وأطفال كأنما زينوا اللجنان أولا ستقبال دهقان سدوم اذ كان له مع الملائكة ما كان
مولود تقول قوابله هذا ما لم يسم فاعله لو درى الحكماء ان ماهيتهم على ذلك مجبوله ما وقع
بينهم اختلاف فى أن الماهيات مجعوله وقالوا ان الهيولى والصورة يتبادلان وان العناصر

متنا لكة قبل حلول الأبدان وان الكيفيات مابين فاعل ومفعول ولولاه كان تركيب
الامزجة غير معقول ولذا كان ميزان الخليل بين فاعل ومفاعيل

فان زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وشبان وكهول فيهم بلا فضل فضول جفاة أجلاف بنوعلات وأخياف ورثوا علم السلف
والخلف فأوصى لهم بتراث العربية سيبويه وخلف

خاطر يصفع الفرزدق فى الشعر وتحويبلك أم الكساءى

ومشايخ فى الطراز الآخر من السفل كم فيهم من نادرة المريخ وزحل كأنما يحمل غاشيته
دارا وزحل أشرف الكواكب دارا لو قارنه السعد الاكبر فى أعلى عليين حملته بنات نعش الى
أسفل سافلين أعمى البصيرة والبصر عار على آدم أبى البشر انما خلق اعتذارا لابليس
فى ترك السجود وأنى يقبل له عذر وهو كفور بجود وهو أول من حسد والحسد أدوأداء
فى الجسد داحس والبسوس ان نسبا الشؤم براق يتبرك بسعادة قدمه وقدومه والبوم
وابن دأية الأعور يتيمن بسوانحها ولا يتطير والزقوم عنده يهزأ بالسكر المكرر

قلت له لم هوالك فى سفل الناس وشر الامور سافلها

قال وجدت الكعوب من قصب السكر مختارها أسافلها

فربما يضىء لمح البصر اذا دار قورباء يسافر فيها النظر يردها الناس أفواجا أفواجا هى
برج ثور ولا يرضى الشمس والقمر سراجا فى جنة عاليه قطوفها غير دانيه جرى فيها
سلسبيل معين كدموع اليتامى فى عهده والمساكين تفتحت عيون أنوارها وهى الى ربها
ناظره وامتدت أوراق أشجارها داعية على من أعاد صفقة الدين خاسره يمرض فى كل يوم
سنه و يرجو عيادة من زمنه مقعد أعدى زمانه بالزمانه وسطيح نام فى عهده شق عن السحر
والكهانه مشؤم منحوس اذا علا نسبه انتهى للمجوس فبيته بيت نار تعبده الفجار والاشرار

غدا عالما يؤتى فيأتى بحجة * على ذاك من أخبار علم وآيات

تقول له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتى

فلما من الله على شمسه بالزوال عاد لمحله من هو أسوء منه فى الأقوال والافعال فى قوم
يعرف مالهم موصول من الفصول بما على رؤس الحمر وأعجاز الخيول كما يعرف الطبيب صحة
الابدان بما فى قارورة البول من الالوان

لو بال هذا الدهر فى قارورة * بان الذى يشكوه للمتطبب

كأنما أوحى الله اليه والى ذويه تمتعوا بأيامكم فانما خلقت متاعا لكم ولانعامكم
فاجتثت عروق النسب مبدأ ومنتهى فالطحلب عنده سدرة المنتهى فرفعته بلا طائل
وعلو قدره له قائل

لقد خرئ الزمان عليك حتى * علوت وكنت أسفل سافلينا

كرقم كان فى الاعداد فردا * يذرق ذبابة أضحى مئينا

فلو درى الكافر اذا حلت به الندامة وتسيرت الجبال فكانت سرابا انه خلق من تراب لاستحيى أن يقول لاهل القيامة باليتنى كنت ترابا فما أحسنه فى زوال النعم وأقبحه اذا قضى له الدهر بدولة وحكم فكم سعد له رفيق بحجة وبرهان لتدين ان ذكر له الفقه والحديث وما فيه من الغريب اهتز عجبا وأجاب بغزل رائق ونسيب أو أنشد له حوليات زهير وقلائد المتنبي وزهديات أبي العتاهيه نظر فى خزانة الفتوى والخلاصة وقال تلك أمة خاليه

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء

لا الى هؤلاء ان نسبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

فسكان الله أمره بتقديم الاجهل فالاجهل اذ قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وكان الرسول وكله أن جعل الدين ملعبة بنسخ الشريعة فرعها وأصلها

قل لى أما ترهب رب الورى * ولست تستحيى من المصطفى

اذا لم تسمح فاصنع ما شئت قد مات من كنت منه تستحى وأهيل عليه التراب ليجد الدهر ما ضاع من جواهره فى غابر الاحقاب (ومات من لا همره ماتا) وقد سئمت عتاب الدهر والشكوى ونفضت جراب الطمع هما جف من زاد المن والسلوى فلا يلام من أودع كيسه عند طرار ولا يرشد من سأل عن البراق الحمار فانصح السائل بغشه واجعله دار جاى عشه وبدل سعوده بالنحوس فان نقشه نقش الفصوص صحيحها المعكوس وقد أخرسنى العجز فما أقنع فما أفغير الله أبتغى حكما (اذا كان خصمى حاكمى كيف أصنع) وقد قنعت من صبيح الادام بعض السلامى والسلام فحتى متى أنا من سكرة الحيرة لا أستفيق كأننى مصحف فى بيت زنديق

فان تسألانى ما دواى فانى * بمنزلة أعيى الطبيب سقامها

كجهز ذى يوسف فى دار ذى مترب يأكل بالقرض لا زمار بضه فاذا انفد القرض وسد اليأس مذهبه (أكلت كتبى كأننى أرضه) رضيت من الغنيمة بالاياب وعدت الى طلب تمائم لى شيبها الشباب بين العنيب وبارق (بحر العوالى وبحرى السوابق) وقلت تعللا اذا سئمت الشيم وترفعت من حضيض المذلة الى أوج الشمم

ان جيدا سقطت من عقده * درة مثلى حقيق بالعطل

وعقدت أهداب التنبه بأهداب الظعن اذ هتف بى شق الكمانه (أصم أم تسمع غطريف اليمن) لما تجاذبت الآمال الداعية للنفس الى حب الوطن فانها بأحسن الراحتين وان عدت بخفى حنين

وان من أصعب ما مر بى * شماتة الحاسد والجاهل

فقلت لامل غير مستريح أنا بأنيابا تشق وسطيح فدع كل لو وعسى وليت وتمسك بأذيال الهمم تمسك الزوار بأستار البيت ولا تكن كمن أراني عذب الشراب لما تراءى له لمع السراب فقال شكر الله مسعاك وجعل أبى وامى فداك الكريم يغر ويخدع ولست بأول ذى حلم له العصا تقرع وتنفس الاعمار ثمين فانه قد يهدى لعلم اليقين فمن انغمس فى ماء حياته طهر من أحداث شهاته والعلم نعمة من نشرها شكرها ومن كتمها عن أهلها كفرها وكم

من ذنب عقابه فيه وكم عبد أبق من مواليه ثم آب ملتفتا بمستعترضميره من غيابة غيبته لحضوره فعج على سدة مخصبة للرواد وانزل فى ظل كرمها تظفر بكل مراد

وقلما أملت عيناك من رجل * الا ومعناه ان فتشت فى لقبه

فناهيك به من ملك يقاد له السعد والاسعاد وتهوى الافئدة طائعة خاضعة له قبل الاجساد فسدته كعبة الآمال ومقصد الهمم فاذا حجت لها الامانى تلاقت فى أمن حرم عمرى الذات والصفات فاورق حكمه دريا ق السموم والآفات

أرى الدهر ان يبطش فحلك عينه * وان تبسم الدنيا فأنت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

فورده عذب غمير وبشره ونداه روضة وغدير بشاشته الروض الانيق ورفيف الغصن الوريق وكم له سجيه وهزة أريحيه وثبات وقار خيم فيه الحلم والسداد تود الراسيات انها خيامه أوتاد ومساواة أحساب وأنساب تحير فيها المعانى لمساواة الايحاز والاطناب وطيب اصول وفروع زكى طلها وانشرها فدفطمت عن النقائص بعد رضاع لبان المعالى فلله درها رفيق حواشيه نسج وحده من الطراز الاول معلم برده نسخة مجده مقابلة الاصول منمنمة الطراز بنتائج العقول فذلكة مناقب السلاطين حامى حمى الحرمين جامع شمل الدين فاذا نزلت بى كربة شتتها القلب وملها قلت ان الذى عقد عقدة المكاره يحسن حلها ولعلها ان تنجلى بموجب رياح اقباله ولعلها

ما قد قضى سيكون فاصطبرن له * ولك الامان من الذى لم يقدر

وها أنا ذا أحدق فى صباح الظغر السرى وأنبه حظى من رقدة الخمول لاسنة اليكرى بعد ما وقفت على حبه فؤادى ورتبت فى جامع أمانيه وظائف وداى ولست لندا مستشعبا ولا لنبل نوال أهدى مديحا فسكاب طبعى لا يباع ولا يعار ولو نقدت له دراهم النجوم بكت الثريا فهو خسرو يوار على مذهب أبى الطيب فى قوله

وما رغبتى فى عسجد أستفيده * ولكنها فى مفخر استجده

ومذهب الطائى حيث قال

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم * فانى لم أخدمك الا لأخدما

فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن بمن أقر لنا عين المنى وأخذ لنا الثار من الزمن ثمت المقامة المعماة بعتاب الزمان فى سبب حجب بنى الاعيان بحجب حرمان ونقصان واستقناء الكرام فى مشكل الليالى والايام

﴿ وهذه فصول فيها أحكم ونصائح سميتها بالفصول القصار فى نتائج الاعمار ﴾ منسوجة على منوال ابن المعتز فى فصوله وهى هذه اقدار الله العبد على حمده وشكر احسانه من جملة انعامه على عبده وامتنانه شكر المنعم من الكرم لانه قرى الضيف النعم ساعد زينته بسوار المنائح حرى بأن يجرى للثناء وروع المدائح من كان وارف الظلال تقيل

الفصول القصار

هذه القلوب والآمال نعم بها الألسن تقر بها العيون والقلوب تقر رب موقد نار بها يحترق ومحسن فاسبح في اللجة غرق خلك أحلى من عسل غيرك كم طرق دون عضاب بلغت السماء وارتدت حلل السحاب اذا ملك نزار البلاد ألبسها بروداً من القتام مزرورة بالجياد مشدودة العرى بيد الحزم والسداد طلع البدر من ازاره ولم يعلق الوزر باز راره كيف ينجو من ظلمة الجهل المدلهمة ويبغي نسل الفضل والحكمة من كان مقعد العزم عقيم الطلب عنين الهمة فلان أخلق الدهر قشيب ديباجته وشرب اليأس من ماء بشاشته شجاعة الملوك الثبات وشجاعة الجند اقدام وثبات أخلاق الخلطاء ساربه والعادة طبيعة ثانيه الكيس بفتح الكيس كما بكسر الدين الدين في انغماض العين وانغماد اللسان عقاب العقلاء وبلساني السوط والسيف عتاب السفهاء سلوة الاحزان تسليم مقاليد الامور للديان وقدر وبناني حديث حسن الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن الشروع ملزم ومن تطوع لزمه أن يتم المعالي تملي المعاني بأفصح لسان والندى ينبت الشكر في حدائق الاذهان ذنب الحر الى ليال غدت اليه يدها وساعدها ذنب صدار شكلي فقدت واحدها كيف لا يشتي مطر في سفر والسفر بنقطه سقر هو أناني الاعمال السلطانية الدارس رسمها الاكالخمر نسخت منافعها وبقي خمارها واثمها أو الحالم رأى أنه خرئ لنقل ما حمل من العين فلما انتبه وجد روثه ولم يجد لسواه أثراً ولا عين أو كداخل بعروس في المنام لزمته في السحر جنابة واجرة الحمام ما الربيع الاحسناء في حلة خضراء فتحت يد الشمال أزرار زهورها لتشاهد عيون الانوار من الغدران حسن ترائبها وبياض صدورها الصديق والمكن من تأنس به انس العين بالوسن شتان بين من عنوان أخلاقه يصدق مخائله وصحيفة أحساب العصبة مقابله وبين الشيم اذا نظرت الى أحسابه فالطحلب أعرق من أنسابه من أمثال العامة حمار نزلت عنه لا تبال بمن يركبه وشهر لا خير لك فيه لا تعد أيامه

قلت وكل شهر لا خير فيه * عدك أيامه جنون

فلان لو تغنى لاهل الجحيم لصارت نار ابراهيم كثرة الاتباع عز ومن يكن مفرداً يحقر ولذا قال النحاة ان الجمع لا يصغر ما كل جندب يدعى لحيس ولا كل مهاجر مهاجر أم قيس ايالك أن تطلب عزيز الوجود فان الجود بذل الموجود وضيف السفاء انما يكرم بالماء وقد قيل ان حمار القصار ان جاع شرب وان عطش شرب قال خليل لي خليل دبيج مؤاجر خير من مليح خلف الستائر وشتان بين درهم النقد ودينار الوعد اذا اضطربت أمواج المقادير لم تنفع سباحة رأي وتدبير فن عارض تيارها بالسباحه لم يصل لساحل سلامة ولا قرار راحه (في الاثر) مداومة أكل اللحم عشبة وغدوه تورث القلب غلظة وقسوه وفلان يأكل ليلا من أبوار الغلمان ونهاراً بغيبة الاخوان انطلاق ألسن البرايا جاسوس النوائب والمنايا احذر أيدي الدعاء اذا قرعت أبواب السماء فلان مع بخله شقيق ابليس اللعين وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين لكل قلب هوى كما أن لكل داء دوا فما

اعتلال نسيم الصبا الاحب زهور الربا الغنى مسك لا يكتم شذاه فلان احتضر وأمسى لمع الملائكة شأن مستمر اسلمته ملائكة الموت لمنكر ونكير وهما أذيا أمانتهما الى مالك خازن السعير كتاب تنفس خطه عن بنفسج البطاح وافظه عن رياحين الارواح ومعناه عن سر الراح في ضمائر الاقداح فلولا ذيوله يجس بد الدهر وحلاوة ذوقه مخالتني منه نشوان بين روض ونهر ان دعت الضرورة الى مدح غير ذي شرف فلشعر يحور لا تسكدرها الجيف اذا خلت ضمائر الاكياس خلت من المسرة قلوب الاكياس اذا رفت أهداب النبات واختلجت عيون الازهار بشرتنا بقدوم نسمات الاسحار ان كان الرابط مزبلة الباطن فاللسان مزبلة القلب كم أخليت فؤاد القناني فأخلت فؤادي من اخواني لله كرم زمان أقرضت أسحاره والآصال هواجره برد النسيم على يد الشمال اذا جر ذيل الفناء على القباب والبيوت تساوت قصور الجنان وبيوت العنكبوت انا في مفارقة من اريد وصحبة من لم أرد كواجد مالا يشتهي ومشتهه مالم يجد أنعم بيارق رعود بتلوه وابل جود فسالم وأشرق حتى اخضر الامل وأورق كريم جعل الله طول عمره كحياة ذكره وشكره وعمر أعاديه كعمر مواعيد أياديه رطب عود الدهر بمائه من الآثار حتى كادت تجري الصخور والاحجار لوهم الفلك برفعة ماجد في الابد ما قدم الثور في منازله على الاسد من باع الجزع بالاسطبار فله على الزمن الاختيار نصح البليد عناء لا يفيد وصقل السيوف بلا جوهر * يبين من عيبها ما خفي

من قال الشر بالشر يطفا فمكانه عطر النار بالحلفا لا بد لكل امرء من صديق وسالك بادية العمر لا يستغني عن الرفيق الصديق شربك عنان في حالتي السرور والاحزان بقدر المثوبة عند الرضى * تكون العقوبة عند السخط

من لم يعرف زمانه عد الخمول زمانه ما سمى الزمن زمنا الا لانه يقول لك افعد كم فرخ من بيضه بلد ورماديان خلف الجمر وقد وقد ما انصف الشيب من ستر وقاره فسود وجهه وأطفأ أنواره الدهر خصم ألد وبلوغ الاشد البلاء الاشد أتبنى بالاساس علو الدار وترفع الجيب بأذيال الازار الفعل البازل لا يفزع من صوت الجلاجل والحوت لا يهتدي بالغرق والبحر لا يخاف من الشرق ظن المرء قطعة من عقله ومحسن الرمي أدرى بمواقع نبله السعد من غير دوام نحوس والفضل من غير سرور عبوس الشهم لا يجود التقبه وقطع سهم المؤلفة شهرة عمر به من سلم عنان اختياره للقدير انقاده الدهر بزمام التقدير وصرف الدهر قد يبدل الباء ميما فيتحد التدبير والتدمير أنا في شرط الوفاء للاخوان وهم في جزم جزائه بالهوان كالواو والنون صانتا الاسم عن التكسير نخصهما من بين حروفه بالنقص والتغيير هدايا اللئام تجاره وقبولها منهم خساره المعروف والصنيعه عند الاحرار وديعه أول هراش الخيل شمام وأول الحرب كلام كما ان وذ اللئام مقدمة الخصام أيادي الاحسان نخل عقد الاضغان من الشتم نصح غير الاكفاء وربما كان أمر من

الداء الدواء من الامراض رواتح العقاقير لاشرب الدواء وطول جلوس العوادو الثقلاء الحكماء الجهال رسل عزرائيل للاستجمال المطل لطليعة جيش الحرمان وسوء التدبير كمين الخسران وسع الله على الايام حتى تقضى دين المكارم وتنجز عدات تكفل بها الدهر والكفيل غارم الحر اذا استدان جميلا قضاه فالسهم طار بريش الطيور فأطعمها قتلاه ليس الصديق من اذا رآك قام بل من اذا أقعدك الحظ أقام من كان فصيح الشيم بليغ الكرم أوجز مقاله وأطنب أفعاله طرفا البحر برّ فهو كاسمه برّ انا من قوارض اللوم سليم ولولا الصبر أخلق الاديم اذا فرت الغزالة الى كناس المغارب ألفت فى سرور البطاح مسك الغياهب من كان بغير نفع فى نفيس الملابس كان كالصور المنقوشة فى الكنائس تمر الفجار وتسوء عقلاء الابرار

ياساتر اللشيب اذ خضبه * هلا خضبت الذبول والحدبه

المحجوب مسجون ذنبه وجوده فحاجبه بأذن ان يريده ويحجب من لا يريده ليس باتحاد الاسما تتحد ذات المسمى فحمرة الخدّ جمال وحمرة العين اعتلال قد يحتجب الحر لقلة اليسار كما احتجب البدر عند السرار

وقد يكره الضيف لاضنة * ولكن مخافة سوء القرى

من كان دليله الغراب رضى بالمنزل الخراب ومن كان طباخه الجعل فلا يسأل عما أكل من كان خياطه الخناقس كيف يكون حال الملابس اعتبر باسم البشر فان أكثره شر فى الترك غنى بلا من والحمية دواء بلا ثمن

﴿فصل﴾ أتحفنى بتحفة ابن جرموز وبئست التحفه فهو أهون من ضرطة عنز بالجحفة فلو لمحنت لى حبور النجوم الزاهره برحا الافلاك الدائره وخبزت منها قرص الشمس وشويت لى جدى البروج وحملها وقرنت ثورها وفرشت بساط كسرى منزلها لم أجب دعوتك ولم أتحمل تقلك ورؤيتك الاغترار بفاكهة الحياة جهاله وشم زهرة الدنيا ضلاله فان الزهرة سريعة الذبول والفواكه سريعة الاستحاله اذا تمشيخ الصبى ضاع واستعجل الفطام قبل الرضاع لا يقوم مقعد الايام الا بمساعدة أيادى الكرام عنوان اللئيم خادمه وصاحبه والعقرب بواب الضب وحاجبه

اعتبر الارض بأسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب

تعريف البخل عين اللئيم الواضع لانه الجامع المانع من لى بجليل همة أترك له كل حقير وأصرف الناس به صرف الفلوس بالدنانير مضى السابقون الى منازل العدم فظن المتخلفون أن السبق فى مضمار الكرم ومن جرى وحده مغرور وكل من يجرى بالخلاء مسرور نسمات اللطف تفتح أبواب المنى بايادى احسانها كما تفتح عيون الازهار بلطف الشمائل قبل أوانها الالحاح فى الامور ربح تجارة لن تبور ترك الجماعة عقوق للمؤمنين وقطع لرحم وصلة للدين اذا نزلت أرضا فلا تمدح زهرها حتى تشم رائحتها وعطرها انا فى زمانى

بتيم حضر مائدة جبار لئيم الجاه زكاة الشرف ومن أحسن ان أساء اليه فقد انتصف مقابلة من لا تقاومه خرف ولو لا مقابلة القمر للشمس ما انكسف اذا جن أمير لك فتذكيره بالحجارة عطب وان عبد النار فقدم له الحطب

(فصل) قالوا الحركة بركة وهذا اذا رافقها السعد وهداها رائد الجد والا فهى حركة النشوان ونتال الحبال وبنى اسرائيل فى التيه

قالوا ارتحل تظفر بفضل المنى * وأينما سافرت حظى معى

الكرم حبله رخيم والظلم مرتعه وخيم

(فصل) ماذا أقول لقوم اجتنوا منى ثمارا مقال دانية القطاف وقالوا فى ظلال الرأفة والالطاف فاذا عطف الدهر وهولهم مساعد كنت لديهم كسكف بغير ساعد فحالى معهم فى المبره كحال الناس والابره

كست قبصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وباتت وهى عارية الجسم

وكنت أعيب على الخوارزمى قوله

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الانداد خله كبر

فما نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا وافى على عسره اليسر

وماذاك الا رغبة فى وداله * والاحذار أن يبدل به الدهر

ظنا منى انه يدل على خبث الطويه وفساد العقيدة والنيه فاذا هو قد حاب الدهر أشطره وذاق بلسان التجربة حلوه ومره فلله دره ما أخبره

(فصل) رب معنى سار بلباس آخر ضار فهذا الرشيد رأى فى منامه انه قلعت جميع أسنانه فطلب لها معبرا فقال ترى مصيبة فى جميع أهلك وموت أحبابك فامر بنزع جميع أسنانه واستدعى آخر وقص ذلك عليه فقال عمر الخليفة أطال الله بقاه أطول من عمر كل من يلوذ به ويهواه فقال املأ وا فاه درا وخلع عليه خلعا أكبته فخرا ولما جعل أحد أبنائه وهو طفل ولى عهده وفوض اليه الخلافة من بعده جلس للتهنئة فقال له رجل مهنئا أقر الله عين كل عزيز بخلافة من لم يبلغ سن التمييز فسامه ذلك فقام أبو يوسف بعده مهنئا وقال الحمد لله الذى شرفنا بخليفة لم يكتب عليه شئ من الاوزار ولم يتعب كتاب أعماله بليل ولا نهار فاكرمه وأدناه وتهلل بالبشر محياه وقال هلا أحسنت اذ خاطبتنى العباره واحترست عما يكدر مشرب السياره ألا ترى أن من قال لآخر أطال الله عمره أعجبه ذلك وسره ولو قال له أذهب الله شبابك وجعلك شيخا متغير الهيئة والقوى ساءه ذلك وقال أبو العيناء لم أر أحسن أدبا من ابن أبى دؤاد كنت اذا انصرفت من عند غيره يقول يا غلام خذ بيده فاذ قمت من مجلسه يقول يا فتى امض معه فكان مما يجبنى من حسن أدبه وهكذا يحسن المعنى ويقبح كثيرا فى المركبات والمفردات كما تراه ان شاء الله تعالى

وقد افتديت فى ذكر أحوالى بابن الخطيب فى الاحاطة اذ ترجم نفسه فى آخره وقد أعجبنى قوله

فى ذلك لما فرغت من تأليفه التفت اليه فرانى منه صنوان درر ومطلع غرر خلد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم ونشر مفاخرهم بعد انطواء زمانهم فنافستهم فى اقتحام تلك الابواب وقنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب وحرصت على أن نال منهم قربا بالخريت على عثم أدبا وحيا كما قيل ساقى القوم آخرهم شربا انتهى قوله قنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب معنى لطيف قريب من قول الآخر

فانى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وقلت أنا فى معناه

ذهب الكرام وجلدتى الحزب الاولى * من قبل عهد الفارطين تغيرا
فاذا دعا داعى الغرام لقربهم * فى ظل أنس بالسرور تآزرا
أرضى تلاقى ذكرنا مع ذكرهم * فى روض طرس بالمعانى أثمرا

و يوجد هنا فى بعض النسخ زيادة لا باس بها وهى

صورة ما كتبه مؤلفه من الاجازة لعبد القادر المذكور فيه تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام المحيى مآثر الاعيان بنشر ثنائهم المخلد فى صحف الايام والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام وعلى آله وصحبه ما طرز البرق بروداً الغمام أما بعد فان الفاضل الاريب والماجد المهذب الاديب خليل روحى الشقيق ومن هو فى سبيل الطلب سميرى ورفيق حاوى المفاخر الاخ الاعز عبد القادر لما قرأ على كتاب الرحلة وغيره مما سوّدت به وجه الصحف وأخذته عن الاجلة وسمنى بسمة العلم ولست أهله

اذا كان الزمان زمان سوء * فيوم صالح منه غنيمه

فاجزته بما لى من التآليف والآثار ومارويته عن مشايخى الاخيار صانه الله عن عين الكمال وحماه وقلد جيد مجده بفرائد حلاه

(فصل) هذه ورقة من رياحين الالباب طارت باجنحة النسيم من وكور رياض الآداب فاهدت لنا نسمة ذكيه عرفتها من بين أصحابى وهزت معاطف الاريحيه فأعادت على غصن شبابى فيما كان أعطر تلك الصبا وأندى معاطف قضب تلك الربا فذكرنا بقديم العهود من قدم علينا من الوفود فأتى من سبأ اليأس بنبأ وحديث يجل بيد الفشاطة الحبا ونقدم بين يدى هذه الهمة السنيه مقامات نسجت على منوال المقامات الحريريه فنها مقامة الغربه المسماة بدفع الكربه بسلوة الغربه حدثنا الربيع بن ريان عن شقيق بن النعمان قال لما هززتنى أريحية الشباب الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب وقد أجدبت الارض من كل ماجد يجتنى جنى المجد وتجنى له ثمار المحامد وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل وتسير فى ظلال أعلامه القوافل وتبدلت بانسها وحشا فلا ترى غير جانح يتحشا أقسمت بيت سالت ببطحائه أعناق المطايا وثمل ركبانه بكأس السرى فى الغدايا والعشايا لاغتربن غربة فارطيه يخفق منها قلب الخافقين وتدبح

(مقامة الغربه)

أديم الجد على عمر الجديدين وتنسى صخرة السؤال عن حصين وتنسى غطفان غربة سنان فقال لى خبير الايام الهجرة من سنن الكرام كما فر موسى حين هم به القبط وقد كنت قرأت فى بعض الاسفار اذا أراد الله سعة رزق عبد حبب له الاسفار وروى فى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن فزجرت السانح والبارح والطائر الغادى والرائح حتى رأيت الصبح انبلج ومربى طائر أغر من البلج فمسكت بذيل الحزم وصممت على العزم وقلت

بقولك طب مسافر واتغنموا القصد * بدالى فأل فى المطالب رابح
فماخط فى رمل ولا طرق الحصى * كأيدى جياد فى السراب سوابح

وجنبت الجياد الى المهارى وابست حلة دجاذرة بالدرارى مع صقور على متون أعوجيات وركاب باقدام أقدام ترف بين غرز ورکاب على سفن ذود وزوارق وسروج سوابح فى بحار السراب غوارق فلم يزل يرفعنا الآل بين رفاق صحب وآل على عيس مالها غير النسب عقال وظهور سوابح مالها غير الكلال شكال حتى نزلنا على الخورنق والسدير وأنخنا مطايا العزم بين روضة وغدير فسألنا عن بيضة البلد وطودها الذى له بسفحها أرفع سند فقالوا هو النضر بن كنانه المقرطس سهام آرائه من أعز كنانه شيخ بلس عمائم دهره الثلاث فهى على هامة همته ثلاث من شجرة صورقة النسب مثمرة يانع ثمار الحسب جاهه عرايض طويل فائض على العدو والخليل وطيب شمائله فى كل نادانتشر فغمة روضات تردرى الزهر هيجها نفح من نفح السحر فقلت يخ يخ الجائز كاة الشرف ومن أحسن الى من أساء اليه فقد انتصف ومن تردى بساطع الانوار واحتبى بجباء الوقار ولم يبق له ليل يصبح بجانبيه نهار فالعادة له شعار ودثار فقالوا ان فيه عصبية اعرابية ولوثة عنجهية قد تهر بدنفه الأبيه فقلت مقاومة من لا تقدر عليه خرف ولو لا مقابلة البدر للشمس ما انكسف واذا جن أمير لك فتذكيره بالحجارة عطب وان عبد النار فقدم له الحطب وسأفيض له وعلى أجمل ردا واذهب اليه فى رفقتى غدا فلما عطس الصباح وشمته كل ذات جناح ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الانوار فأشرقت على عالم الكون والفساد لتشاهد ما فيه من الاسرار أتيت داره فرأيت بدور الها المتازل داره دار يسافر بها النظر و يتسابق فى محاسنها السمع والبصر داخلها بهجة وقصور ومرادق لا يعرف كماله القصور فى صدرها همام خلفه وساده أحدق به وجوه أعيان وساده يقتفون بأنفاس النعامى بين أوراق ريحان وخزامى

قطفوا الحلم من شمار يخ رضوى * وجنوا اللين من قنا الخيزران
حذا مبركة سفت كأخلاق أوذائه وعذبت عذوبة خدمه وندمائه
لو أنصفوه اقاموا فى مجالسه * على الرؤس قيام الظل فى الماء

فقلت له حياك الله وبياك ولازالت مشكاة انسك مشرقة بجمالك فرد التحية بأحسن منها

ومردها وأمدها بطلاقة بشر كانت سلما لكرامة أعدها وحوله من حواشيه نشام وأغصان غلمان بناديه قيام كأن على رؤسهم الطير يتهلل بشرهم بكل خير ومير فى روض ناد مثمر مورق عليه مخائل جود جود مغدق فتجاذبنا أهداب الحديث وأتى بنوادر رحارة من كل تليد وحديث حتى فاض المقال الى السؤال عن الداعى لشد رحال الترحال فقلت قحط الديار من الاعيان وعنق الدهر وكاب الزمان وفقد كل خل رقت شمائله ان سألته تهال حتى (كأنك تعطيه الذى أنت سائله)

انا فى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واقبال

فلما حما القلب وأنهر باطله (وعرى افراس الصبا ورواحله) وقوض بنيان المكارم ورفع منه العمد والدعائم قلت لم يقل الله ان أرضى واسعه الا لتسيرى منا كبها الى حرم الدين والدعه وفى المثل اذا ضر بتم فى الارض أميالا وجدتم بلالا فدعا بالدواة والقلم وأتمم بجزيل النعم حتى سدت طرق الآمال والمطالب وملأ المنازل والحقائب

فلو كانت له الدنيا * لأعطاها وما بالى

فأغنى عن السؤال وأراح الامانى والآمال ثم تأوه أهة الحزين وأجاب نفثة المصدور ومنه منه الحنين وقال هذه نائبة نابت ومصيبة عمت وما طابت وسيوف الله ما أزمت أفواه أغمادها ولا جبل الله اذا قيل لها اركبى بركب سابق جيادها وكم بين عودين كمين نار يورى بالقدح ويبدو له أوار وقد يأتى من الاحرار من يقول النار ولا العار الا أن خوف المنيه قد يدفع صدر الامنيه ورب ما أطفأ نار الحميه أما ترى عمرا ما بارز عليا وجدات شعوب كشف سوأته وليس عار اشق عليه الجيوب كما قال أبو فراس

ولا خير فى رد الردى بمساءة * كما رد ها يوما بسوأة عمرو

وأصابه مرة داء الذرب فاستناب عنه خارجة ففاجأته المنية اقتضاء وجب كما قال

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وثالثة الاثافى ما فى الاستيعاب من أن بسر بن أرطاة وهو من ابطال الأصحاب كان مع معاوية بصفين وعليه تدور رحاحربها كل حين فقال له لو بارزت عليا وسقيته كأس الحمام نلت مقام عليا وصار بعده ويمنيه ويديه بحبل الغرور فى قلب أمانيه حتى صرعه أبو تراب فى تراب تربته ولم ينج منه الا كما نجا عمرو بكشف سوأته فأعرض ضاحكا من فضيحته وقال فيه الحرين النضر السهمى

أفى كل يوم فارس ليس ينتهى * وعورته وسط الجحاجة باديه
يكب بها عنه على سنانه * ويضحك منها فى الخلا معاويه
بدت أمس من عمرو وقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا * سبيلكما لا تلقيا اللبث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه

ولولا هما لم تنجوا من سنانه * ونلتم بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها على قتر كا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا * غمور كما كان التجارب كافيه

فلما قصصت عليه القصص شفاء ماء بشر يسيغ جريض الغصص ثم قال لى لو حدثنى بحديثك مع الشيخ النجدى بدار الندوه وسعوده معتكفا على عصا رأيه كل ربوه فقلت هذا وقع فلته وقانا الله خوف شرها وقضى بليل من كيد طائفة وقع كيدها فى نحرها رأى ظن انه جذيله المحكك وعذيقه المرجب فلم ينتج له صوابا فتصعد فيه وتصوب فسولت له نفسه كل أمر غريب تارة يخطئ وتارة لا يصيب وغرته من علا فنزل أسفل سافلين ولم يقل أنا ابن جلا فلما عزت منه الحيل قلت لله جنود منها العسل وهو وان أظهر العداوة فالقلب مع هواه وهو حبيب تشفع له الوقحتى ترضاه فلما خضنا لجة الحديث ووقفت الاقلام على ساحل التمام قال لى هات من هفواتك وأنشدنى ما قلته من أبياتك فأنشدته منها

عقاربه منكم لا تزال لنا ترى * تدب ولا تدرى بأنى بها أدرى
وتأكل لحما لم يكن ثم نضجه * على نار حقد لا تنفى بها قدرى
وعندى نعل قد أعدت لمثلها * تعاهدها أن لا تدب الى الحشر
ولى همة لا ترتضى دفع شدة * بكشفى سوآتى بخل سوى صبرى
كعمرو ولحيق السوأتين وماله * سبيل الى غير السبيلين من شكر
وما أزمت منه سيوف بها اردى * أبو حسن والخارجيون من مصر
اذا اعتقلوا الخطى من فوق لامهم * ترى غصن الدنا على شاطئ النهر
أو الحية الرقشاء ألقت قشيبها * بمعترك حامى الوطيس على بدر
وما طلقاء الفتح مثل الذى اغتدى * رضيعا بدر الوحى من محكم الذكر
وليس بطيب العرف من ظربانه * اذا ما اصطلى بالعنبر الرطب فى الشحر
أبا حسن قد طبت حيا وميتا * وفى نجف أشرفت كالكوكب الدرى
فما جدث طافت ملائكة الرضى * به وله الزوار تسعى مدى الدهر
كنسل ضريح ليس يعرفه امرؤ * وليس سوى زيد النحاة به يدرى
فيا صاح لا تذكر أوابد معشر * اذا ذكرت فاضت دموعى على صدرى
وقل لابن هند من اسان مهند * أ آكلة الاكباد أغرتك بالوتر
وريحانة الزهراء قد فاح عرفها * وهبت بها النفحات طيبة النشر
عليهم سلام الله ما طنبت على * مضاجعهم سحب تحل عرى القطر
فهم فى منزل القلب جارهم * ومن جاور الاشراف لم يخش من ضر
ومن كان خير الخلق فى ملجأ الملى * له فرطا يظفر بآماله الغمر

فلما ارتوى الحديث من أعذب الموارد والمصادر ورجع الحوار حار النوادر يارد البوادر

قال لا نفض الله فاك ولا أقفى في مهد الهنا مثوالك فقد تركت بنيات الطريق وجلوت خرائد فكرك في معرض أنيق ولم تتثرد رر المدامع الامن درموضع في صدف المسامع وما أقصر الليل على الراقد وأهون السقم على العائد وقد أصبت دار المقامه فأنت جار أبي داود بدار السكرامه فالزمه لزوم الطوق جيد الحمامه فآمالك لا نظما بهذا المقام وكيف بظم من كان جار الغمام

ما بين عصر سابق متلفت * شوقا اليك ولاحق يتطلع

﴿فصل﴾ في فوائد تتعلق بهذه المقامة قوله سنام الارض هو خصبها كما في اساس البلاغة قوله غربة قارظية الى آخره كان ناس في الجاهلية تغربوا فافتقدوا ولم يسمع لهم بخبر وهم القارظي خرج ليأتي بقرظ الدباغة فتفقد وضرب به المثل ومنهم سنان بن حارثة الغطفاني من بني مرة وفي المثل أنذل من سنان ولا أفعل كذا حتى ترجع ضالة غطفان واياه عنى زهير بقوله

ان الرزية لا رزية مثلها * ما بتغى غطفان يوم أضلت

قوله أغر من البلج هو طائر يتيمن به يقال له بالفارسية همای وتمثاله ظله كذا في الاساس قوله غرز بغين معجمة وراء مهملة وزاي معجمة هو للابل كالركاب للخيل قوله بيضة البلد رئيسها قوله عمائم دهره الثلاث هي سواد شعر اللمة والرأس ثم اختلاطه بالبياض ثم بياضه كما قال

يا من لشيخ قد تجرد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وبيضاء مفرق * وأجدلونا بعد ذاك لهمانا
والموت يأتي بعد ذلك كله * وكأنما يعني بذاك سوانا

قوله ولم يبق له ليل يصبح الى آخره هو حل لقول الفرزدق

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب الليل هنا بمعناه المعروف وقيل الليل فرخ الكروان والنهار الحباري وهو وان كان صحيحا لغة غير مناسب هنا وهو مجاز لانه جعل الليل يكهزم يصيح خلفه من يهزمه كما جعله المتنبي قتيلا في قوله

لقيت بدرب القلة الليل لقية * شفت كبدي والليل فيه قتيل

وأحسن منه قول ابن هانئ المغربي

خليلي هبا فانصرا هما على الدجى * كتائب حتى يهزم الليل هازم
وحتى نرى الجوزاء تنثر عقدها * وتسقط من كف الثريا الخواتم

وسهله سبق الشماخ في قوله

ولاقت بأرجاء البسيطة أبلقا * من الصبح لما صاح بالليل نفرا

قوله كأنما على رؤوسهم الطير تمثيل لسكونهم بمن على رأسه طائر يريد أن يأخذه وقيل انهم شهوا بأصحاب نبي الله سليمان الذين كانوا معه يظلهم الطير قوله لو أنصفوه لقاموا الى آخره هو معنى بديع من قول البحتري

قل للامام أبي محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاه
من حول بركتك الشهية سادة العلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها في الماء

ومنه أخذ الارجاني قوله

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكي انقلاب لبا ليه بأهليه
غدير ما ترائى في أسافله * خيال قوم تمشوا في نواحيه
فالرجل ينظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

قوله ولم تتثرد رر المدامع الامن درموضع في صدف المسامع معنى بديع أصله قول الزمخشري يرثي شيخه أبا مضر

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقطها عينا الشيخ سمطين
فقلت لها الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

وتوارد معه الارجاني في قوله

لم يبكني الا حديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي ألفيته من مدمعي

ومما قلته مما نسجته على هذا المنوال

ما أنفس لا انفرد وض الانس والسمر * فمن حديثي به سل نسمة السحر
وقائل قال ما للشهب قد غربت * أمن حياء لما في الحي من غرر
فقلت غاصت بنهر الفجر حين جرى * حتى طلعن بروض الانس في الزهر

ولما قلت هذا رأيت في شعر ابن اللبان الاندلسي ما يناسبه وهو قوله

أديرها على الروض الندى * وحكم الصبح في الظلماء ماض
وكأس الراح تنظر من حباب * تنوب به عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقد وقع مثله في الشعر الفارسي الا اني لم أر أحدا من علماء الادب بين وجه اطافته مع انه من المعاني البديعة فلما أمعنت النظر فيه رأيته مبنيا على تشبيه بليغ أو استعارة لانه جعل ما سمعه من أبي مضر درر اذات نظم فائق وجعل ما جرى من دموعه أيضا درا في نسق رائق وهو كثير في كلامهم مشهور الا أنه بني عليه ما صيره بديعا مستغربا حيث صير الدر الذي كان مودعا في صدف الآذان لرقته دمعا جرى من العيون والاجفان وتصرف فيه تصرفا آخر أخرجه من باب آخر وهذا هو المحتاج للبيان فالظاهر انه من قلب الاعيان الجوهرية كقلب عصى موسى حية فلنسمه سحر الشعراء وقلب أعيان المعاني ومنه قولي في بعض الفتوحات العمرية

﴿فصل﴾ لما أتى عمر كنوز كسرى وجواهر النوبهار لم يعبأ بما فيها من زخارف الكفار فكان درها حنظلا وطعامه فأتاه لانه أعظم البحار بل مدائحه والثناء عليه في سائر الاقطار صارت مجسمة فصيرها تشارا على خرائد الحصون والامصار فقلت لتقبل ثرى أقدامه

بتلك الديار مخلد فخرها اذ تلك قد فنيت * لا الدر درّ ولا الاحجار أحجار

وفى معناه ما قلت فيمن أهدى له سبحة مرجان ودر

أحبب بسبحة مرجان مفصلة * بالدر تلثم بحر الجود أحيانا
كانت جواهر مدح فيك قد نظمت * والآن قد جمعت دراو مرجانا
كيما تقبل كفا فيه بحر ندى * والحر يشتاق بعد النأى أوطانا

ومثله وقع فى شعر فارسى

﴿المقامة السابعة﴾

حدثنا مالك بن دينار عن مسافر بن يسار قال كنت والشباب غرابه لايطار وثمراته الجنية تجنى من رياض الاخبار أهوى السياحة والناس ناس والديار ديار والدهر غرّ لم يفطن لتلون الليل والنهار

ولم أر يوما فى ظلام مفارق * شهاب مشيب لاح فى الاثر منقضا

لقول الله (سيروا فى الارض) أنظر آثار رحمته وأرى مآثر الطراز الاوّل فى أعلام حلته فان من جدّ وجد ومن توانى فقد قد رافعا عصا التسيار على كاهل الاعتبار رافض الاستراحة فى مهد الدعه مشيعا قلبا فارق حبيبا ودّعه فالطما أملا عن درّ أنس ارتضعه لابن الرومى

لما التفت الى الصبح له ساق بساق * فى نقاب ورداء من لثام وعناق

أضرب كرة الارض بصولجان الهمه لا أعبأ بقامة غير قائمة وهمة همه أتدرع برد الليل لانه أخفى للويل وأشق أديم النهار للسير ولم أقل ليس للعساسير كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور وورق جف فألوت به الصبا والدبور كانى على غصن بانة تخضل تنبهه مريح الصبا هنا وهنا أوقذى فى عيون البلاد أوعير شرود ترميه الروابى للوهاد أوعذل وامق فى مسامع سب شرقت بماء الوداد

كأنى من الوجناء فى متن موجة * رمتنى بحار مالهن سواحل

حتى أتيت كورة خراسان فاذا بها قبل نصب غرضه سهام الهوان مقلدا فى ترجيح النحل مذهب سهل بن هارون كانه لم يسمع قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فطويت حديثه على غره وأتيته لاقف على جلية أمره فلما جئت خلال ايوانه قرأت عنوان حاله على وجوه غلمانه وسمعته يقول لمن امترى اخلاق درته وشبع من خلته وحضه برؤية جرته ياهذا صناعتنا واحده ولم تدرج من عشك كانت الراحة فائده ألم تسمع نصح ناصح ولم تزو جر سالح وبارح

قال الحكيم فى قديم العهد * سواء السلطان ثم المكدى
كلاهما يطلب أموال الورى * لكن ذا بقهره والجند
وذا بألطاف الدعا شارعا * لما يرجيه بخفض الزبد

فلما رأى اليأس أغلق باب الرجا وسدّه سدّا بين بناقته وبين الارجا

أتى بجفينة لا خير فيها * فأجلبها بما ئدة الكلام

ثم قال لى أى البلاد تهدى سلامها وأى زهرة تحية فضحت لثالث النسمات أكمامها قلت المكنانة المعزبه والخطة التى هى فى حضانة نيلها المحببه رياضها تحيى بانهاره وأصابعه تشير لكنوز خصب تستخرج من معادن أقطاره الا أن أصابع الناس فى الراحة والايادى وفى أصابعه أيادو راحة لكل حاضر وبادى فان سألت عن حالى ففؤادى بها فؤاد أم موسى فارغ من آمالى وما حال وردة فارقت نسمات القبول فذراها الهموم وقادها الذبول

فتأمل كيف يغشى * مقلة المجد نعاس

فما ما حال سكانها ومن ألقى جرانه باعطانها فقد ذهب أرباب الهمم العاليه ولم يبق الا من يفتخر بالرمم البالية روح الشوم ونتيجة اللوم وخليفة اليوم وبعين الله ما يصنع الليل والنهار ويستر الثوب والجدار وما يستقر فى ضمائر البيوت وان طال التحمل والسكوت فكم بكت السماء أرضا فقدت حبيبا وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا

واطمت الخدود بها بروق * وشقّقت الرعود بها جيوبا

فقل لمن افتخر بالعظام ماوراءك يا عصام

اذا ما افتخرت بفضل الجدود * وما فيك شئ يسر النفوسا
فكل ما حواه كنيف الكرام * فقد كان أمس طعاما نفيسا

وانعطف على هذا النسق لبيان من بقى منهم طبق على طبق من أصناف لاتعد وأجناس لاترسم ولاتحد كرعاع بنى درزة بن ساسان كلاب سلوقية تصيد مخ كل جعد البنان من كل سائل بالالحاح التحف أودار بمزمار ودف أوتغنى بانكر الاصوات فنهق اذ رأى شيطانا يدعى الكرامات يقيمه المعتزلى دليل انكار الكرامه ويقول هل على بعد هذا ملامه أوحامل راية وعلم جعل القناعة عليا السقوط الهمم ومنهم من كبر وتكبرت قواريره وخبا نوره حين هبت أعاصيره وأعظمهم جرما وأقلهم دينا وحزما حرمستنفره يقرأون القرآن فى بقاع مستقذره بين رهط لايتدبرون ولايستمعون ولايعتبرون قول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وتجار رأس مالهم الافلاس يضربون الاخماس فى الاسداس يزكون كذبهم بالايمان الفاجره فيربحون خسارة الدنيا والاخره ان خاشنت أحدهم فى تقاضيه بادر بالحلف على دينه فيقضيه

يقول استمع حلفتى كاذبا * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم * يدافع بالله مالا يطيق

ورؤساء الفقهاء والكتاب الراشين من الغنيمة بالاياب وسعوا الاكمام وطولوا الذيول ومشوا فى ظلمات الجهل والعلم مصباح العقول قباب عمائمهم على قبور الاجسام دنيئات منكوسة اهراقت الالباب والافهام أثقل من الامانة التى أبى حملها الجبال من خوف سقوطها اليدين منهم كاتب الشمال حتى كاد لايجد لاحصاء عمله سبيلا وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اتخذوا سعة الاكمام زنبيلا للخزى والملام وطول الذيول مكانس

اطرق الغلول اذا جلسوا يلقون دروسا رأيت عزا لاخفش تقابل تيوسا فيبدى و يعيد
ثم يقول من يحلب التيس عليه يبول فاذا كبر وتكسرت قواريره هبت لتخريب
الاوقاف دبوره وأعاصيره اذا صام عن الخبز أفطر با كل أموالها وتجد ببيع أحجارها
واستبدالها انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لا من كان شيب العشيات
وحر باء الظهائر وقضاة بلغ سيل الظلم بهم الزبى وشرقت أفواه التلاع والربى من كل
منقوص لا يظهر رفعه اذرق دينه وجفا طبعه أحول عقله يرى الواحد مع الرشا اثنين
و يبيع دينه نسيئة بالدين و يستفتى فرعون فى قسمة الاحياء قبل الاموات يحكى أبا جهل
علما لو كان له بقليب بدر عظام رفات و يفوق قاضى معز الدولة الملقب بفسوة الكلب فى
الهوان وقد أحسن ابن شرف فى هجوه غاية الاحسان فقال

انا الى الله راجعون فقد * هان على الله أهل ذا البلد
وفسوة الكلب صار قاضينا * فكيف لو كان شرطة الاسد

فكم ركب بحر الاهوال حتى وصل الى ساحل الضلال وأمعن السير فى تيه فلم يجد للهداية
طرقا والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفيه تحت ابطه أجزاء رتقيها أفطر الجرذان
وتعشت العثة أعمى العين والجنان وأباز بر العمى ثم الصنان له أوراق تغرقت أيدى
سبا براو بحرا ومتن صنانه عماء تأبط شرا لئيم اذا شبع من النعم بات غرثانا من الكرم
فهو ينادى بكل حى وينادى

هى كتبى فليس تصلح من بعدى لغير العطار والاسكاف
هى امامز اود للعفا قسر واما بطان للخفاف

وقد فقد العلم لولا نفسة أنس من نفر بقايا فتح الله بهم خزائن كنوز هى خبايا فى الزوايا من
كل نفق العرض أبيض الضجايا اذا تدنست الاعراض فاعراضهم من العار عرايا

أبدت مآثرهم نقص الزمان فقى * خد الربيع لطلوع الورد من خجل

حمت شوكتهم ريا شافى ربى الدين العوالى وأحيا الله بانفاسهم العيسوية موات المعالى
ولما شرح الله بهم صدر الدين وفتح ببصائرهم عين اليقين أيدهم بابناء الاعيان من أمرائها
فقالت الخلافة تحت أنباء لوائها حتى حموهم من نوائب الحتوف وزهت جنة مثواهم تحت
ظلال السيوف فصارت بهم الاطراف من منازه منازل الاشراف ولهذا يشير البديع
بقوله فى معنى بديع

قيل لى لم جلست فى طرف القو * م وأنت البديع رب القوافى
قلت آثرته لان المناديل يرى طرزها على الاطراف
وكفانى من المفاخر انى * نازل فى منازل الاشراف

فأو وا من ذلك الظل لركن معتمد ونزلوا فيه بين العلياء والسند متعنا الله بهذه الدولة
وجعلها أطول الدول عمرا وأرفعها منارا وأعظمها اقدارا سماء مجدهم مكللة بنجوم تهتدى

بها الامانى و يستقر رجاء كل قلب عانى والدهر لسعدهم من الخدم وفيض أياديهم يغنى
عن الديم وسحبهم مغدقة على الراجين بالكرم

قلت للبرق اذ تألق فيها * يازناد الحماء من أورالك
ان تشبهت بالكرام وما قد * كان من جودهم فلست هنالك

ومذ عيى لسان برقهم الخلب وقال لا تخلابه وكلت دهم الاقلام من المشى فى الكتابه شكرت
مشيها على الرؤس وقالت لا عطر بعد عروس فقد جف القلم وكل شئ بلغ الحد انتهى وتم

﴿مقامة عارضت بها مقامة الوطواط وهى هذه﴾

حدثنا مبارك بن سعد العشيره وكان حسن السيرة سليم السريره قال لما هزنى الارتياح
ودعتنى دواعى الهموم والجيه الى تقلد صوارم الاعمال وجهت وجهه الطلب الى قبلة
الآمال سدة الوزاره وعند ظهور الصداره فاتيت الباب من بابها وقبلت الحجر
المكرم من أعتابها فلم أجد المقاليد بيد حر رشيد فراغ البصر وقال كلا لا وزر

من آلة الدست ما عند الوزير سوى * تحريك لحيته فى حال ايماء
فهو الوزير ولا أزرى بشدته * مثل العروض له بحر بلا ماء

ثم حللت عقدة من لسانى ومددت حبل بيانى قائلا لم تؤد الامانات الى أهلها وترم مهام
الاغراض بحوصر امها ألم تدر أن زوال الدول باصطناع السفل هلا ولیت فارتها من
تولى حارتها فاعتذر بابرام الشفيع ودعوى استحقاق عن قلده الصنيع وان كانوا أنعاما
بلا أذناب لم يعرف أنهم من الناس حتى علاهم التراب

ومن الجلد كبياء اذا ما * مس كلبا أخاله انسانا

ثم احتج فى المحافل لمن قدمه من الارذل بأن قصب السكر أحلاه كعوب الاسافل وما على
المحسنين من سبيل قلت لا بس ثوبى زور مكشوف السبيل وما مثلى ومثلك الا كمثل فاتك
أمير الحرم والنعمان هاتك الحرم لجمعه بين الرجال والنساء فى عكاظ الفجور صباحا
ومساء فلما سمع ما وشوا به أحضره ونثاه بعد ما هدده وزجره فذهب لوادى الاراك وأقام
مليا هنالك ثم أتى لزيارة البيت والمقام فلقى من كان يرضع معه ثدى المدام فتذاكروا مع ذلك
النديم عهد أنسه القديم ثم قال ان أردت أعدتها جذعة بدرهمين فى أحسن نزهة وقرة
عين كما قلت

ياصاح قد زار الربيع فقم الى * صفو المدام ونزهة الابصار
فلقد دعاك الى الرياض وطيبها * سجع البلابل دعوة الاسحار

فاستحسن ذلك المقال وأجاب دعوة اللهو فى الحال مقيما لسوق الفسوق قائلا من
فرص الفصوص ضجة السوق فاعلم به الامير ثانيا فحمله على الادهم بخلا خيل الرجال حاليا
وأبرق له وأرعد وأنذره صواعق عقابه الاشد فأنكر وطلب منه بينه أو بجحة على ما قالوا
بينه وقال الانكار من حصون الفجار ثم قال قائل للامير أرسل بواديه الحمير فان أثبت
داره لم تسمع انكاره فلما أسمعوا ذلك فاتكا تبسم ثغر القبول ضاحكا فقلت للوزير

قبول هذه الشفاعة كقبول الامير شهادة الحمير فترك دقيق الآراء لرأى فطير وأراق ماء سقائه لما رأى السراب وألغا السراج لما رأى بوارق السحاب ومن كان كذلك لا أقبل له عملا ولا أوجه نحو سدته أملا فقد استراح الامل وحل اليأس من الملل ونام العمل فى مهد البطالة واهتدى سارى الطلب بالضلالة

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وهذا مما نسجته على منوال رسالة رشيد الدين محمد بن محمد العمرى المعروف بالوطواط التى عملها الكاتب كان يزاحمه فى أدائه ودواته (وهى هذه) عذلتنى أدام الله بهجتك وحرس مهجتك على اعتكافى فى الزاوية والتجافى بالعافية وقلت لم تركت الاعمال وفوائدها والاشغال وعوائدها فاعلم أدام الله سعادتك وزين بالكرم عادتك انى ما طلقت منافع الديوان ولا ودعت مجامع الاخوان الا هربا من الحافك فى الاستماحة وشجرا من اسرافك فى الوقاحة كم أسبر على نهبك دواتى وقلمى واستهزائك بحاشيتى وخدمى أيها الكاتب أن دواتك وقلمك بل أيها الغاصب أين حياؤك وكرمك لاشئ أقبح من ذى صناعة لا تكون معه أداته ولا شئ أفضح من ذى كتابة لا يصحبه قلمه ودواته سمعت فيما يلغنى من النوادر المطربة والحكايات المضحكة انه كان بنيسابور مكار يعرف بأبى سعيد المعتوه كثير الجنون قليل السكون يغضب من الذباب اذ يطير ويضجر من الشرار المستطير وله حمار كحمار قبان بل أضعف قوة وأنحف بنية أضناه مس الآفات وأفناه قطع المسافات لم يبق من لحمه الا اليسير ومن عظمه الا الكسير فاتفق انه اكترى حماره هذا بعض التجار الفاسية لحمولهم والغاشية عيولهم الى بغداد وحمله من أصناف بضائعه وأنواع بدائعه حملا ثقيلا تفرق الجمال من ثقله وتشفق الجبال من حمله ثم علق على أحد جانبيه مطهرة مملوءة بالماء ومن الجانب الآخر سفرة محشوة بالخبز والحلواء وألقى عليه فروة وبارده وحشية ووساده ولا تسل عن القدر والمقرفة والفاس والمجرفة والفخ الذى يفرشه اذا نام والخلف الذى يلبسه اذا قام وغير ذلك مما يحتاج اليه التاجر ممسكة أحواله ويفتقر اليه المسافر فى حله وترحاله ثم بعد هذا كله استوى التاجر عليه وأدلى منه رجليه كأنه أصاب ملك تغليس أو استوى على عرش بلقيس والحمار تحت هذه الاثقال لا يمكنه السير ولا يرجى منه الخير اذا ضرب ضرط واذا حرك سقط والمكارى يبكى طول الطريق دما ويتنفس الصعداء عندما ويقاسى من وعثاء السفر ولأواء الخطر وجور المكترى وجفائه وتكدر العيش بعد صفائه ما يطيل العنا ويزيل الهنا الى أن وصل بهجته الحزينة وحشاشته المسكينة بعد التيه والتى الى بغداد ودخلها وقت السحر وطلب محلة يسكنها طوائف التجار وينزلها الواردون من الاقطار تحط فيها الرحال وتطرح الاحمال وشد الحمار ونفض عن عطفيه الغبار وتوضأ فى الساعة وصلى مع الجماعة وما ارغب الملهوف فى الصلوات وأحرص المظلوم على الدعوات فلما فرغ من صلاته ودعائه

وهدأ

وهدأ من تضرعه وبكائه وهم بالخروج من المسجد سمع صيحة هائلة من ناحية درب المحلة كادت تقطع لها الجيوب وتنشق من فزعها القلوب فعمد الى الدرب ليسأل عن المهم والامر المعلم فاذا المحتسب عند باب الدرب بدرقته وصاحب الشرطة لابس ثوب شرته والعامة أكثر من أن يحصى عددهم والنظارة أزيد من أن يستقصى مددهم فقال المكارى ماذا حدث فقالوا فى هذه المحلة تاجر قد أخذ البارحة مع غلام للخطيب كالغصن الرطيب يشرب المدام ويتيك الغلام فانتزعوا التاجر من داره واستخرجوه من وجاره وتضاعفت عليه الصفعات المؤلمة والجلدات المدمية وسودوا محياه وطلبوا حمارا يركبونه اياه ليطاف به حول البلده للنكال والعبره وكان حمار المكارى بمرأى من عيون العامة فتغادوا اليه وأجلسوا التاجر عليه والمكارى يعدو ويصيح حيث لا ينفع الصياح وقامت القيامة فى السوق واللعن على أهل الفسوق والعامة يرمون التاجر بالبعره ويشيعونه بالنعره الى أن طيف به فى جميع محال البلد والبلد بلد بغداد فلما حان وقت المساء وانسدل سجف الظلماء خلى عن التاجر وردا الحمار الى المكارى ساغبا لاغبا جائعا يكاد يسلمه الطوى الى التوى ويسوقه الصدا الى الردا فأخذه المكارى أخذ المترحم وندا ذنبه ومسح عينيه وقرأ فاتحة الكتاب وتفل عليه وزاد فى علفه خوفا من تلفه وبات تلك الليلة كما قال النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فلم يفرغ من صحابة الليل من الحرب والويل فلما تعرديك الصباح وصاح وزهر كوكب الصباح ولاح قام المكارى من مضجعه ووثب من مضجعه وكاد يشتغل بالوضوء اذ قرعت سمعه صيحة أشد من الصيحة الامسية فترك الوضوء وأسرع الى الدرب ليفتش عن الامر الحادث والخطب الكارث فاذا المحتسب بالباب وصاحب الشرطة كاثر الانياب والعامة أشد هجمه وأكثر وجمه مما كانوا بالامس فقال المكارى ماذا وقع فقالوا ذلك التاجر أخذ كرة أخرى مع غلام للقاضى كالسيف الماضى يشرب القهوه ويصعد الجهوه فقال المكارى انا لله وانا اليه راجعون قطع الله أثره وأزال خبره ورزقنا جارا غيره ثم عدا الى حماره ليواريه فى بيت جاره فسبقه بعض العامة اليه وأجلسوا التاجر عليه فشق المكارى جيبه واطم وجهه وشج رأسه وتمرغ فى التراب من فرط الحزن والاكتئاب وقال لا مرحبا بهذه السفرة المنحوسه والحركة المعكوسه فما أشد نحسها للعود وأبعد نجمها عن السعود وكان على هذه الصفة الى أن مد الليل رواقه وضرب الظلام طراقه فخلى عن التاجر وردا الحمار الى المكارى وقد تمزق اهابه واسترخت أعصابه وصار لا يقدر على الحراك وأتى وقد أنشبت به اظفار الهلاك فأخذه المكارى كالمجنون ونحى برذعته واكافه ومرخ أعضاءه وأطرافه وسقاه الماء وترك بين يديه الاناء وكان من صدر الليل الى عجزه مستلب القرار فى مداواة الحمار فلما انتشرت أعلام الضوء فى أقطار الجو أصاب ادمه

صحة أهول من الصيحتين الاولين فوثب من مرقده ليتفحص عن الحال والداء العضال فاذا المحتسب عند الدرب وصاحب الشرطة مشمر للضرب والعامة مجتمعة عليه والاصوات مرتفعة فقال المكارى ماذا أمرا قالوا ذلك التاجر أخذ كرة الثلج مع غلام المرئيس كالهر النفيس يشرب الخمر و يفعل ذلك الامر فقال المكارى استأصل الله شأفته ودفع عنا آفته وقفز اليه وعض الانملة عليه وأخذ باحدى يديه قلبه ولكمه بالاخرى لكمة ضعضعت أركانه وقعقعت أسنانه وقال بقلب حنق وصوت مختنق ياخبيث الفرج ان كنت لا تتوب من هذه الحالة القبيحة ولا ترجع عن هذه الخصلة الشنيعة الفضيحة فاشتر حمارا تركبه أوقات النكال وساعة الوبال فى هذه الافعال فقد أهلكت حمارى وأزلت قرارى فها أنا أقول لسيدنا قول المكارى للتاجر الفاجر ان كنت كاتب الملك فهيئ الطرس والنقس والا فالزم البيت والعرس فقد أفسدت دواتى وقلمى وأطلت عناءى وألمى

﴿المقامة المغربية﴾

حدثنا مؤنس عن زعيم تونس بأحاديث تسلى الكئيب وتونس وتهزأ بالمقامة المغربيه وتدعها لاشرقية ولاغربيه لركاكة مبانيها وغور معنيها فنها قوله تعالى كأس المنافقه وقد حنا زند المباحثه كقولى نازعناه كأس الخوار فأسكرتنا بلا صداع ولا خمار وقد حنا زند الافكار فأضاءت أنوارها بغير نار وظننا أن الفضل والادب المنجب شالت نعامته وطارت به عنقاء مغرب وحنظلة بن صفوان لم يره عقاب عزم منجب وشمس الهدى لمعت من مغار بها و باب التوبة أغلق وقد ضاعت مفاتيح مطالبها حتى لاحت من جانب الغرب قافله وفيها فتية اياب التوبة غير قافله صدقت حديث لا تزال طائفة من أهل المغرب تصدر الرعاء بعد ما استقوا بكل سجال وغرب وفيهم عيسى الجزرى أتى بكل وشى عبقرى الا أنه لما أطال توهم الملال فانه كان كما يقال

كلما ذكر شيأ * قال أملوه علينا

فلما بلغه تلك الاخبار بادر الى الاستعطاف والاعتذار وكتب دام سعد المولى فى صعوده وجده فى شرف سعوده وشهابه فى اشراق أضوائه وسحابه فى اغزار أنوائه وان مما روى أبو سعيد الخدرى فى الوسية بطالب العلم حديثه المشهور فى بابه وأنتم أهله وأولى به ثم قال

عيا ذا بصفو الحلم من كدر العتب * وغوثا بانواء الشهاب من الجدب
لقد قرع الآذان منا ملمة * تضاعف من مأثورها ألم الكرب
مقالة ان العبد فرق جمعه * ونكر من عرف وأبعد من قرب
فيا أيها البحر الخضم ومن غدا * يقيه به الشرق المنير على الغرب
حنانا ورفقا بالخويدم انه * ليضعف عما حملته يد العتب
فان أنت قد قارفت ذنبا فذمتى * بمولاى ما تنفك تمحو قذى الذنب
فمازال ضوء للشهاب مجليا * ومابرحت أنواء نعماه فى سكب

وحديث

وحديث نضر الله امرأ لا يعزب عن ذكر المولى وهو بتبليغ الوافد الغريب أحق وأولى فقومت مقاله وقبلت عذره وقلت لله دره

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

ولو سمع الحر يرى قول شامة الشام فيما أتى به فى الغرب من الجناس التام ما حوقل واسترجع وأنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه * ليروعنى وأحد غربه — حده
واستل من جفنى كرا * مر اعصما وأسال غربه — مجرى الدمع
وأجالنى فى الافق أطوى شرقه وأجوب غربه — مغربه
فبكل جو طلعة * فى كل يوم لى وغربه — غروب
وكذا المغرب شخصه * متغرب ونواه غربه — بعيده

وسيأتى من معانى الغرب ما تعلم أن بينه و بين هذا كما بين الشرق والغرب وانه قنع من الكثير بقليل ما قاله عملا بالمثل لم يحرم من فزده ولولا أن الحظ ابى دعاه ومرى من أخلاف المزن أنواه ما تهادته الركبان ولا شكر صنيعه صنعته الزمان ولكن النظم والنثر توأمان قد تراضعا بلبان وتربيا فى حضانة الحسن والاحسان فانهما ديوان العرب الذى لم يزل يحفظ به الحسب والنسب وتؤثر به القبائح والمحاسن وترفرف أهداب ريحانه على ما عفير آسن وله طبقان على مر السنين جاهلية ومخضرمين واسلاميين ومولدين ومحدثين ومتأخرين لحقوا حلبة المجلين والمصلين وكلهم استقوا بماء الكرم المعين من المكارم ضالته التى تنشد والمحامد غنيمة تجبى له ممن أتهم وأنجد ولم يكثر بهكة ذى قربى ولا بحقلد والآن قد اندرس النسب وذبحت الدجاجة التى كانت تبيض الذهب والليالى التى كانت حبلى ترجى ولادتها عقيم ولا أرض منبتة حتى يرعى الهشيم وتصم الندا وخرس الصدا ومن عرف ما بين الصحابة تجرى وذهب به دم الفاروق هدرا ولم يرتنا طمح عنزين اذ طل دم ذى النورين فمن يسمع شكاية الزمان وقول بديع الزمان الخلق النفيس لا يساعده الكيس ولا قرابة بين الذهب والادب وقد قامت الايام بين جمادى ورجب فصارت كلها عجائب فلا يسمع من يقول لها عجب وقالوا اذا ظهر السبب بطل العجب وأنا أقول اذا دام العجب صار عين السبب ومن أتى بعد الطبقة العالية شرب من عين صافيه واستعار منهم حلل المبانى والحلى شغل أهله أن يعار وصاغ من نضارهم زخرف المعانى فصار عجلا له خوار وأغار عليهم فسبا ماسبا وساق سائمة قالت فى كناس الظبى ألم تسمع بقصة الحاتمى مع أبى الطيب وظلامة أبى تمام التى تميز الخبيث من الطيب ولله در أبى اسحاق فيما شنع به على العراق

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع السكاد ويسرق

على انا نقول ان غابت الظنون ففى المثل الحديث تجون والمطامع لا تمل خائنة العيون ولنا فى الغيب آمال لا تمل الانتظار والسؤال والسلام

﴿فصل﴾ فى بيان ما فى هذه المقامة من الفوائد قوله حنظلة بن صفوان هو نبى الرس الذى أهلك عنقاء مغرب لما اختطفت الصبيان قوله روى أبو سعيد الخدرى هو الصحابى المشهور وما ذكر اشارة الى الحديث الذى رواه السلفى فى معجمه مسندا الى ابى سعيد الخدرى انه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع وانه سيأتيكم رجال من أقطار الارض يتفقهون فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه عنه أبو هارون العبدى وقال كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدرى يقول لنا مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا ما شئتم انتهى قوله شامة الشام هو صاحبنا أبو المعالى درويش محمد الطالوى أديب الشام والابيات المذكورة هى للحرير فى مقاماته أتى فيها بمعانى الغرب وأظهر فيها اطلاعه على اللغة وهى قطرة من غدير وزهرة من روض نضير عارضها صاحبنا الطالوى بقصيدة أبدع فيها وهى قوله

آمن رسم دار كاد يشجيك غربه * نزحت ركى الدمع اذ فاض غربه موق العين
عفا آيه نسج الشمائل والصبا * وكل هزيم الودق اذ فاض غربه ذهابه ومجيئه
به النوء عنى شطره فكأنه * هلال خلال الدار يجلوه غربه محل الغروب
وقفت بها صحبى أسائل رسمه * بحاجة صب طال بالدار غربه التمادى
على طلل يحكى وقوفا برسمه * على مثلها والجفن يذرف غربه الدمع
أقول وقد أرسى الفنا بعراصه * وأنزف أهليه البعاد وغربه النوى
سقى ربعك المعهود ريعان عارض * يسح على سحم الاثافى غربه دره
وليل كيوم البين ملق رواقه * على وتدجلى الكواكب غربه أوله
أراعى به زهر النجوم سوابحا * بحر من الظلماء قد جاش غربه اعالى الماء
يراقب طرفى السائرات كأنما * لطول دوام نيط بالشهب غربه مقدم العين
كأن جناحى نسره قص منهما * قوادم حتى ما تزايل غربه التنحى
ذكرت به لقيا الحبيب وبيننا * أهاضيب أحلام الحجاز وغربه شجره
فهاج لى التذكار نار صبابة * لها الجفن أضحى يقذف الدمع غربه مسيل الدمع
الى أن نضا كف الصباح حسامه * وأغمد من سيف الجرة غربه جذه
ووات نجوم الليل صرعى كأنما * أريق عليها من فم الكأس غربه خمره
وأقبل جيش الليل يغمد سيفه * بنحر الدجى والليل يركض غربه الفرس الكثير الجرى
وزمزم فوق الايك قمرى بانة * بروض كفاه عن ندى السحب غربه يوم السقى
فهب يدير الراح بدر يزينه * اذا قام يحلوها على الشرب غربه ساقه
من الروم خوطى القوام بثغره * سلاسل راح يبرئ السقم غربه سلافة الريق

يخد أسيل يجرح اللب طرفه * وطرف كحيل ينفث السحر غربه عينه
يريك نظيم الدر منه منضدا * كنطق داود اذا سال غربه الزبور
فتى قد كساه الفضل ثوب بهائه * اذا خصمه قد شنن بالفم غربه كثرة الريق
فيا من رقى هام المعالى وفكره * لدى البحث أمضى من شبا الليث غربه المدى
الك أتت تفلى الفلا بدوية * ولم ينضها طول المسير وغربه بعده
أرق من الصهباء فاعجب بسبيها * وأعذب من ثغر حوى الشهد غربه منقع الريق
اذا ما جرت فى حلبة الشعر لم يك الكميت يدانيها وان زاد غربه حدة الجرى
ولو عرضت يوما لغيلان لم يكن * بأطلال مى يغرق الجفن غربه انهلال الدمع
فدونكها الازمات تصمو الى العلا * مدى الدهر ما صب سقى الدار غربه الفيضة من الدمع
وما غردت ورق الحمائم بالضحى * وأشرق وجه الكون وانجاب غربه المغرب

قوله لم يحرم من نزله هذا مثل يضرب لمن طلب شيأ لم يتيسر له وقيل له اقنع بما تيسر من القليل وأصله أن الضيف فى زمن القحط يؤمل أن من نزل عليه ينحر له فيقصد رب الدار راحلته و يجعل الدم فى المصارين وتشوى وتقدم للضيف و يقال اقنع بهذا فانى لا أقدر على أكثر منه وأصله فصد بضم الفاء وكسر الصاد فكنت للتخفيف وحينئذ يجوز بقاؤه على أصله وابدال صاده زايا أو يشم وهى لغة فصيحة فى الصاد بشرط سكونها سكونا أصليا أو عارضا كما هنا وفى كتب العربية ان هناك شرطا ثانيا وهو أن يكون بعدها دال وبه قرئ فى نحو فاصدع وفيه نظر لانه قرئ به فى صراط ومصيطر ولا دال فيه فلعله شرط لما هو مطرد مقيس قوله بنهكة ذى قربى ولا بحقلد هذا اشارة الى قول زهير فى قصيدة له أولها

غشيت الديار بالبقيع فمعهد * دوارس قد أقوين من أم معبد

ومنها

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق اليها يسود
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه السراع وان يجهد يجهد فيبعد
تقى تقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد
سوى ربع لم يأت فيها مخانة * ولا رهقا من عابد متهود

ومعنى قوله تقى تقى الى آخره أنه تقى فى ذاته تقى فى عرضه لم يكثر مال الغنائم بجور وغارة على من يقرب منه من القبائل وقوله بحقلد بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام المشددة ورواه أبو عبيدة بفاء بدل القاف والمشهور والاول ومعناه السيء الخلق لا يؤمن شره والطلق السخى المطلق كفه بالعطا ياو غير مجلد أى يسبق من غير جلد وسوط ولا زجر والنهكة الجور بما ينهك و يضعف والربع جمع ربعة وهو من يعطى ربع الغنيمة كما كانوا يعطون الرئيس الربع أو هو مفرد بزنة خمس ومعناه متشح والمخانة الخيانة والظلم و بحقلد عطف على متوهم أى ليس بمتكثر ولا بحقلد فهو معطوف على مجرور بباء زائدة متوهم كما ذهبوا اليه والمعنى انه

براءمن النقص ولم يكتف بما يغنمه ممن يغير عليه وينهكه ويضعفه باخذ ماله وانما يأخذ ما كانت الملوك تأخذه فى الجاهلية وذلك أن تقول انه معطوف على نهكة من غير تأويل بما قالوه والمعنى انه لم يكثر مال غنائمه بجوره على أقرباته ومن يجاوره ولا باخلاقه السيئة من الشح وجوره على من يجاوره فتدبر واختر لنفسك ما يحلو قوله الدجاجة التى كانت تبيض الذهب قليح لمثل عامى فى قصة وهو أن بعضهم كان يرسل لانسان فى كل سنة ذهبا على هيئة بيضة ثم قطعه عنه فلما طلبه منه قال له الدجاجة التى كانت تبيض الذهب بعناها يضرب لكل من طلب شيأ بعد فوات زمنه ونظمه الثعالبى بقوله

من كان ينفعه الادب * ويحله أعلى الرتب
فلقد خسرت عليهما * ورثت من أم وأب
كم ضيعة كانت تصو * ن الوجه عن ذل الطلب
أتلفتها لا فى القيا * ن ولا هوى بنت العنب
بل فى الحوادث والحوا * ج والشوائب والنوب
كم قلت لما بعتها * وحصلت فى أسر الكرب
ذهبت دجاجتنا التى * كانت تبيض لنا الذهب

قوله بين جمادى ورجب اشارة الى الكلام المشهور وهو بين جمادى ورجب ترى العجب وهذا مثل ذكره الجاحظ فى كتاب الاضداد فقال أول من قال كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبى وذلك أن الخنيس بن الخشرم كان أغير أهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ اسمه عبيدة عزيزا فى قومه فهوى امرأة عند الخنيس فلما بلغه ذلك ركب اليه فر آمراجعا من عندها فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه فى أواخر جمادى قبيل رجب لانهم كانوا لا يقاتلون فيه فانطلق حتى أتى باب خنيس ليلا وناداه أجب المرهوق فقال لماذا فقال انى دخيل من شبة والعجب كل العجب بين جمادى ورجب غصب أخ لى امرأة فذهبت استنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيس له راكبا فرسه معتقلا رمحه وهو مغضب فلما دانا منه قنعه السيف فابان رأسه وفى معناه المثل الآخر وهو سبق السيف العذل وقائله فهم بن عمرو التغلبى انتهى قوله بقصة الحاتمى مع أبى الطيب الى آخره أما قصة الحاتمى فهو كما قال ان المتنبى لما دخل بغداد صعر خده ونأى بجانبه يرفل فى بردائه ولا يلقى أحدا ألا يزدريه يخيل له ان العلم مقصور عليه والشعر بحر لا يغترف الا منه ونور روض لم يجنه غيره فتوخيت أن يجمعنى واياه مجلس يعرف فيه منا السابق من المسبوق فلما لم يتفق لى ذلك قصدته فاذا هو على فرش باليه قد أكلها الدهر فهى رسوم خافيه فلما رآنى نهض الى بيت بازائه حتى جلست فاقبل وعليه سبعة أقبية كل منها بلون فى أشد ما يكون من الحسن يحفها أفضل اللباس فوفيته حق السلام غير مشاح له فى القيام مع علمى انه لم يدخل المخدع الا ليتهض عنده موافاتى فلما جلس أعرض عنى ساعة طويلة لا يعيرنى طرفه ولا يسألنى عما قصدت له

فعكدت

فعكدت أحمر من الغيظ ولمت نفسى على قصده واستخفيت رأيى فى زيارة مثله وهو مقبل على جماعة يقرؤن عليه شيأ من شعره وكل منهم يوقظه ويغمزه ويومى اليه بما يجب عليه أن يفعله ويعرفه مكانى وهو لا يزداد الا ازورارا ونفارا ثم ثنى بصره الى فقال أى شئ خبرك فقلت خبر لولا ما جنيته من قصد مثلك وكانت قدمى فى المشى البك ثم تحدرت عليه تحدر السيل وقلت أبن لى عافاك الله ما الذى أوجب ما أنت عليه هل لك نسب فى الابطح تبجحت به بحبوحة الشرف وتوسطت به واسطة السلف أو علم أصبحت به علما يومى اليه وتقف الهمم عليه هل أنت الا وتد بقاع وانى لأسمع جعجعة ولا أرى طحنا فسقط فى يديه وقال لى لم أعرفك فقلت له هب الأمر كذلك أما رأيت تحتى بغلة رائعة وبين يدى غلمان عدة أما شممت نشرى أما شاهدت لباسى أما رأيت من أمرى ما أتميز به عندك عن غيرى فقال لى خفض عليك فاعرضت عنه ساعة ثم قلت له عندى أشياء تختلج فى صدرى من شعرك أحببت ان اراجعك فيها فقال ما هى قلت أخبرنى عن قولك

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة * ففى الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك وأخبرنى عن قولك

ولا من فى جنازتها بحار * يكون وداعها نفض النعال

أهكذا ترثى أم ملك أما والله لو قلت هذا فى أدنى عبيدها لكان قبيحا وأخبرنى عن قولك فى صفة كلب

فصارتا فى جلده للمرجل * ولم يضرنا بعد قصد الاجدل

أترى أعجبك من هذا عذوبة لفظه أو لطف معناه واخبرنى عن قولك فى هجاء ابن كيغلغ

واذا أشار محدثا فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما فى أفانين الهجاء التى أبدعها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذى يجه كل سمع ويعافه كل طبع أما قرأت رجز الحسن بن هانئ وطرديات ابن المعتز أما فى غرر الالفاظ ما تتشاغل به عن بقيات صدرك فاقبل على وقال أين أنت من قولى فى وصف جيش

فى فيلق من حديد لو قذفت به * صرف الزمان لما دارت دوائره

ومن قولى

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم * لما يخطرن الا فى فؤاد

وقولى

فما كنت آمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدى الرجال تسير

أما يكفيك احسانى فى هذه عن اساءتى فى تلك فقلت ما أعرف لك احسانا فيما ذكرت وانما أنت سارق متبوع وآخذ مقصر أما قولك كأن الهام الخ فأخوذ من قول منصور النمرى

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك فى فيلق من حديد فأخوذ من قول أرسطو فى آخر مقالته قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت على صروفه وأما قولك ما كنت آمل البيت فأخوذ من قول ابن المعتز

قد ذهب الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو العباس فى نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

فقال أحدهم حضرما أحسن قوله (قوموا انظروا الخ) فقال المتنبى اسكت ما فيه حسن انما أخذه من قول النابغة الذبيانى

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * فكيف بحصن والجبال جنوح

فقلت ان أخذه فقد أحسن المأخذ وأخفاه وأما قولك أنت فأخوذ من قول أبى تمام فقال من أبو تمام فقلت الذى سرقت منه ونجمت به قولك

شرف يناطح السماء بروتيه وعز يقاتل الاجبالا

فجعلت شرفه قرنه لان الروق القرن فقال انها استعارة فقلت لكنها خبيثة فقال أقسم بالله ما رأيت شعره أليس هو القائل

سبعون ألفا من الاتراك قد نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب

والقائل كانوا رداء زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

فقلت له من الدليل على قراءتك شعره تتبعك مساويه فقال أكثرت على من ذكر أبى تمام لا قدس الله روحه فقلت لا قدس الله روح السارق منه والواقع فيه ولكن ما الفرق فى كلام العرب بين التقديس والقداس والقادس فقال وأى شئ غرنك فقلت المذاكرة فقال لابل المماتنة ثم فكر ساعة وقال التقديس التطهير وكل هذه الالفاظ تؤول اليه فقلت له ما أحسبك أمعنت النظر فى اللغة ولو عرفتها ما جمعت بين هذه المعانى مع بعد ما بينها القداس حجر يلقى فى البئر ليعلم كثرة ما فيها من قلته والقادس السفينة فلما علوته بالكلام قال ياهذا أنا أسلمك أمر اللغة فقلت أتسلمها وأنت ابن بجدتها ثم سكت عنه ملما علمت ان الزيادة على هذا ضرب من الاشر وكان فى نفسى شئ بلغته ثم قمت فقام معى مشيعا فأقسمت عليه حتى رجع ثم وفدت عليه بعد ذلك فرأيت من فصاحته وحسن عبارته ما حدانى على عمل الحاتمية وأما طلامة أبى تمام التى صنفها الخالدى فهى قال انى مخبركم عن سرى سريتها ومنام رأيته وكلام حفظته فيه فحضرته طال به الليل حتى تجانف عن قصره ومال به القول عن مواقف حصره فبت فى عثاره غاليا وقد تعترى الاحلام من كان نائيا ومن حق تأويله أن يقال (خيرا رأيت وخيرا يكون) وهو انى رأيت فيما يراه الحالم الراءى أبا تمام بن أوس الطائى فى صورة رجل كهل كامل من الفضل عار عن الجهل العربية تعرب عن شمائله والالمعية تلمع من مخائله فجعل يرمقنى فى اعراض ويستتيب لقتى عن اعتراض ثم سعى الى بأقدام الاقدام على معرفتى بنفسه وبعدان عرفنى بثاقب حدسه

فقمت للزور مرتاعا فأرقنى * حقا أرى شخصه أم عاد فى حلم

فلما سلم على وحيا وجاورت منه كريم المحيا قال أأليت ابن نصر شاعر العصر وغارماء وجهه وانتضب وآثار حقده على الغضب وقال يامعشر الادباء الفضلاء الالباء متى أهملت بينكم الحقوق وحدث فيكم هذا العقوق وأضيعت عندكم حرمة السلف

وخلف

وخلف فيكم هذا الخلف أأنهب وتغضون و بغاره على وترضون ألست أول من شرع لكم البديع وأنبع لكم عيون التقسيم والتصريع والترصيع وعلمكم شن الغارات على ما سن من سنن عجائب الاستعارات وأراكم دون الناس غرائب أنواع الجناس وكل شاعر بعدى وان أغرب وزين أبكاره فأعرب فلابد له من الاعتراف باحالبى والاغتراف من بنابيع فليبى وهذا حق لى على من بعدى لا يسقط موتى ولا بعدى

ومن الحزامة لو تكون حزامة * أن لا تؤخر من بعثة تقدم

قال فلما ملكتنى سورة دعواه وحركتنى فورة شكواه قلت أيها الشيخ الاجل خلبت المهل وألبست الخجل فما ذاك ومن ذاك قال كنت بحضرة القدس ومستقر الانس اذ جاءنى عبدان لم يكن لى بهما يدان فأزلفانى الى مقر الخلفاء وأوقفانى بين يدى الائمة الاكفاء فاذا لديهم جماعة الوزراء والقضاء ومن كنت أمتدحهم أيام الحياء فأوفوا بالدعوى على الى ابن أبى دؤاد وكان على شديد الانتقاد سديد سهام الاحتقاد فحكم على برد صلاتى والفدية لجميع صومى وصلاتى فقلت قول المدل الواثق عائذا بالمأمون والمعتصم والواثق يا أمير المؤمنين ما هذه المؤاخذة بعد الرضى وقد مضى لى فى خدمتكم ما مضى فقال المأمون وقد صمت الباقون يا ابن أوس انك مدحتنا والناس باشعار منحوله وقصائد مقولة منقوله وكلام مختلق مرتقبه من قائله قبل أن يخلق فلما آن أوانه وانتسق زمانه استردودا نعمته منك وهو غير راض عنك فقلت ومن الذى أعدمنى بعد الوجود وعاشنى العدم بالجود وملك على نفى وأصبح أحق به منى فقال كأنك لا تعرف الواعظ الموصلى البلاد الحوصلى الولاد الغريب العمه القريب الهمه البعيبى الايراد اللوذعى الانشاد

كأنما بين خياشيمه * مفكر يضرب بالطبل

الذى انتزعك مدائحه وارتجعك منائحه واستقبلك بقلائده واحتلبك بقصائده بعد ما كنت تغير أسماءها وتحلى بغير نحورها سماءها فأصبح يتقرب الى ملوك عصره بما كنت تدعيه و يبغى منك ما لم تكن تعيه نازعا عن وجهها استور الثقب واضعا هناها مواضع الثقب قد جعل اليه عقدها وحلها وكان أحق بها وأهلها فقلت خاب الساعون انا لله وانا اليه راجعون قد كان عهدى بهذا الرجل فارضا فحتى أصبح قارضا وأعرفه يبتر بالحشويه فحتى بين البديعة والرويه وكان ذا طبع جافى عن التعرض لنظم القوافى وقد كان أخرج من الموصل وليس معه قوت يوصل فاشتغل بترهات القصاص نصبا على ذوات الاعين من وراء الخصاص

وعاش يظن نشر الافك وعظا * و ينصب محرما ثم الشبالك

وأين منابذة الوعاظ من جهابذة الالفاظ بل أين اشعار الكراس من قولى مالى وقوفك ساعة من باس والعبد يسأل الامراء عنه ليتلطفوا فى ارتجاع ما انتزع منه فقال اذهب واتقى يقين وادفع عنك بوادر الظنون و بادر فى النصرة وانتصح واستعن بقومك وصح

يا آل جلهمة تدارك انما * أشعار عتبك ذابل ومهند

قلت قد بدت بيني وبين قومي جراح فأتيتهم شاكي السلاح جادين في الحاق الحكيك بصاحب الشويك وقد بدؤا بكسر رجله

وكنت اذا قومي غزوني غزوتهم * فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

وقد كان بلغني انه امتدح في ذا العام شكر البعض سوابغ الانعام بعض الرؤساء بقصيدة تليق بالحال وتأنف من تأفيق المحال أنشدت من امتداحها بعد الثناء على افتتاحها

كيف لا آمن العداو كريم * الملك لي من نوائب الدهر جار
ما حدحل في سماء المعالي * غاية لا تنالها الابصار
فاذا رامت الجياد مداه * صدها عنه عثير وغبار
أربحي اذا احتذاه الاماني * صغرت عن نداه وهي كبار
تتغادى من فيض راحته السحب وتمتار من يديه البحار
ويرى ماله بعين جواد * لم يفتها تزاهة واحتقار
عجب الناس اذ أراه والله * يسع الارض كيف تحويه دار
أي دار تعتز فيها المعالي * حلبة فهي للعلا مضمار
كل يوم يحاقنها من العلم بحار لفيضها تيار
ومناجيد في مناهبة الفضل اذا ما تناظروا أنظار
وربيع من ربعه زهرات الروض فيها البهاء والاعتبار
ولأي القرآن فيها مجال * يقتضيه الاعذار والانذار
والتقى والاناة والمجد والسو * دد والمال والنهى والوقار
مجلس فيه من مناقبك الغر جلال من عزة واقتدار
منزل الفضل منك منزلة الاهل تحامى بربعه وتغار
قد غرست المعروف في كل كف * فاجتن الحمد يا هناك الثمار

ومن مدح بهذا الشعر النفيس فما حاجته الى المدح البئيس ومن بنى بهذه الابكار مل سمعه غيرها من الاذكار

والحمد لا يشترى الا له ثمن * مما يضن به الأقوام معلوم

فقلت يا أبا تمام ان سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسن جعلها موسما لأعلاق الثنا ومسماه باعناق المنى وسوقا لكل شاكر وحامد محفوفا ببيع المناقب فيه والمحامد مجلوا باليه نفائس الافهام مجلوا عليه عرائس الاقلام وليس بهذا المجلس ولا فيه الا من أوجب الشكر لصاحبه على فيه فكلهم قد أغناه عن الدهر وأفقره الى الشكر وما كان المنظوم أنبه ذكرا والموزون أنبل شكرا وما كل أحد يملك النظر سبيله وما علمناه الشعر وما ينبغي له عدل المقل الى المكثر وعول المحتاج على الموسر ورجع البلك

في

في النفقه وما يقص مال من صدقه

وان امرؤ قد ضن عني بمنطق * يسد به فقر امرئ الضنين

فقال اسمع ما لا يدفع اذا كان الأمر على ما ذكرت ووقع اعترافك على ما أنكرت فلم وقع هذا الذنب على بختي وكيف لم يسكن غيره ملابس تختي ولم خصني بازالة معروفي وحفني بنحيف غصوني وهلا قصد في النهب ابني وهب وهما نعماما الزمن الجديب وهما ما اليوم العصيب وما هذا الانفراد بيناتي والانخضاد لناشر حياتي والانقضاض على قصائدي والاقتناص من حبائل مصائدي

سرقات مني خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار

ولم لم يعدل عن شعري الى شعر ابن الرومي وهلا كان يجتري في مثل هذا على البحتري وكيف آثر قربي على قرب المتنبي وليته قنع ورضي بشعر الشريف الرضي أو استدرك ما فاته من شعر أبي تمام أو انتحل المختار من شعر مهيار على أن مثل هؤلاء الفضلاء لا يجب عليهم الزكاة وليس في الشعر نصاب حتى تجب فيه الزكاة وليس على فكري اغتصاب

وان أتصدق به حسبة * فان المساكين أولى به

فقلت له ان هذا الرجل لم يكن للقريض باصا ولكنه قريب عهد بحمص وكان أقام بها جامح العنان طامح العينان ولو أنصاف فلائد النحور اليه لم يجد من ينكر عليه فهو يقول ماشا من غير أن يحاشا

لانهم أهل حمص لا عقول لهم * بها تم أفرغوا في قالب الناس

ولم يزل حتى انتدب له من سراة جندها من بحث عنه ونقب فخرج منها خائفا يترقب ولما ورد دمشق رمى في اغراضها بذلك الرشق

وما يستوي المصران حمص وجلق * ولا حمص جيرون بها والخورنق

وكانت قادة حمص وسادة دمشق تروعه حتى كوشف وفوشف ورجع به الفهقرى ودفع في صدره الى ورا وقيل أين يذهب بك وما هذه الشقشقة في محبك أفي مجلس هذا الشريف المنيف قدره العالي ذكره الغالي شكره تهرج لباس الايام وتبرج عرائس الغلام وتطوى من القوافي ما خلق ورث وتورى فيها أنهكه العث ولم تزل تضطره كثرة التوبيخ وقلة الناصر والصريخ الى أن أشهد على نفسه منذليا الى بالبراءة من أناشيده الخوالي والتوالي وأذعن بالاقرار بما دافعت عنه يد الانكار

وقد ذهب ما زال مستهجنا * في الحرب أن يقتل مستسلم

وأزيدك فيما أفيدك ان هذا الرجل من الانحراف عن شعرك على شفا وكاد ينثه عنك فدانكفا لعلمه انه أخلق منه ماجة والى متى يتحمل هذا اللكع المردد وقد كان طما البني منذ أيام باعارة شعر ابن المعتز مطالبة مضطربا اليه ملتزا وقد استرجعت من شره وضيره والسعيد من كفي بغيره

رب أمر أتاك لا تحمد الفعال فيه وتحمد الافعالا

فقال ان كان الامر على ما ذكرت فقد أثرت بالرأى ونجحت ولكن متى انجاز هذا الوعد والخلف منوط بخلق هذا الوغد فانه يقول ويحول وأنت تعرف ما تلقى فردوه الى الله والرسول ولو أمكن اقامة هذا الامر المتآد بحضرة ابن أبى دؤاد أبرأت عند الجمهور ساحتى وعدت من أمر الله تعالى الى مستقر باحتى ولكن دون الوصول الى الحاكم عقبة كؤود ولا حاجة بنا الى الاشرار بالشهود واذا قد ضمنت عنه ما ضمنت وأمنت منه على ما أمنت فلا حاجة لبث وما أريد أن أشق عليك وهو أن تعدل بيننا فى القضيه والحالة المرضيه وتتفضل على بمدتديها الى وتأذن لى فى انشاد أبيات مدحت بها هذا الرئيس قلتها خدمة له وقربة اليه لعل أن تكون الجائزة نخروج الامر العالى باخراج الخصم الى مجلس الحكم وأن يوكل به من اجلاد الساعره من يسيره معى الى الدار الآخره لا أبرأ باقراره لى عند قاضى القضاء بما شهدت به هذه القاضاه وليسلم عند الخلفاء الراشدين عرضى ويحسن على الرب الكريم عرضى ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام فضمنت له عن سيدنا ما اشتهى وانتهيت من اقتراحه الى حيث انتهى ولم يزل يكرر على أبياته حتى وعيتها فرب قائل ما هى وقائل ما هى

يا معمل اليعملات فى ظعنه * سرى وسير امقاما فى قرنه
يجوز جوز الفلا به أمل * جافى جفون الوسنان عن وسنه
لا يعتلى ساكن المطى ولا * يبيت طيف الخيال من سكنه
اذا استكنت السراب خادعه * عاد بفيض النداء على سننه
وان أجن الظلام مقلته * أمسى صباح النجاح من جننه
يبيت عرف السكرام فى يده * ينسيه عرف الجنان فى أذنه
ان يا عدته الارزاق قربه * جود ابن عبد الرزاق من سننه
فقز بنحل العلا وقل كرم * الملك مقال البديع فى لسنه
يا مشترى الفاخر النفيس من الحمد بأغلى العطاء من ثمنه
عمرت ربع الندى لرائده * بعد وقوف الرجاء فى دمنه
يثنى لسان الثناء نحوك ما * أحييت من فرضه ومن سننه
خلقا وخلقا قد أتعبا فكرى * ما بين احسانه الى حسنه
يحكى معد الندا لوارده * لا يحوج المستقى الى شطنه
فرع سماء تبيت أنجمها * تلوح لوح الشمار فى غصنه
اذا جنته أيدى العفاة رأت * أقرب من ظله الى فننه
ينافس الوشى فى جلالته * منه ثياب التقى على بدنه
يرى بعينى قلب له يقظ * مستقبل الكائنات فى زمنه

أروع يبدو منه مهذبة * ما تعب الالهى من فطنه
مقتبل الوالدين يورثه * ميلاده والصريح من لبنه
فاحتل هذه الرياستين وقد * أفصح فيه القريض عن لقنه
واستغن من لبه بغانية * تغنيك عن لهوه وعن ودنه
والبس لباس الثناء مقتبلا * يسحب من ذيله ومن ردنه
برده لا ليس من معادنه * صناع صنعائه ولا عدنه
تانف أن تنتمى الى يمن الارض وان كان من ذوى يمنه
وانما ضاحى الجلباب من دنس الظنة صافى الاديم من درنه
فاسلم لدار العلا تعمرها * ما حن ذو غربة الى وطنه

وشعر المعرى فى معنى المثل المذكور فى الاغانى قال لما أمر الشنفرى قالوا له أنشدنا فقال انما انشد على المسرة فذهبت مثلا انتهى

﴿خاتمة﴾ لما تمسكت بذيل التمام أردت أن أعطره بعمل الختام من فوائد سنيه ومسائل علية وأدبيه منها انا تجاذبنا فى بعض الايام أردان المذاكره وتنازعنا قضب ريحان المحاوره فى اختلاف وجوه القرا آت وما وقع فيها من محاسن التوجيهات فذكرنا ان قالون همز النبى حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى فأبدلها ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما ذكره الشاطبى الا أن الشاطبى لم يصرح باختصاصه بحال الوصل وكان عليه أن يذكره وبذلك اعترض عليه النويرى فى شرحه للطيبة وسلم له جماعة فظنوه واردا عليه فقلت انه لم يعلله الا أن المعترض لم ينتبه له فانه يعلم من قوله مبدلا فان ابدال الهمزة اما لسكونها وتحركت ما قبلها فتبدل من جنس حركة ما قبلها الزوما كما فى آدم أو جوازا كما فى يومنون ونحوه أو لاجتماع همزتين كما فى أيمه على الاصح ففهم من ذكره الابدال انه اجتمع فيه همزتان وذلك لا يكون الا فى الوصل فلذلك رجع الى أصله فى الوقف لعدم السبب فيه وهو أظهر من الشمس فان قلت فلم لم يسهلها كما سهل غيرها قلت لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس فيه رجح ما وافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبىء الله بالهمز وهذا مما لا غبار عليه وقد نظمت ذلك فقلت

همز النبى لقالون كما نقلا * فى غير موضعى الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه سبب * يجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا سواه فهو أرجح من * تسهيلها ولهذا عنه قد عدلا

فلله در التنزيل وما فيه من دقائق التأويل فان الحسن وقف عليها والسحر اذا شاهدها آمن بها ورمى حباله لديها فناداته حى على الفلاح فالساحر لدى فلاح ولا نجاح فان كل رسول أرسل الى قومه بما له فى سوقهم رواج ورعى سائمتهم ليظفر منها بالنتاج الا ترى أن عيسى لما بعث لقوم فنهم الحكمه أحيى الموتى وأبرأ الابرص والاكمه ونبينا صلى الله عليه

وسلم لما ظهر من العرب وهم فازوا من البسالة والبلاغة بأعلى الرتب وقاموا بين أظهرهم بالشعر والخطب كان أعظم معجزاته القرآن الذى أخرس شقاشق البيان فتحداهم بإعجازه فضلوا فى تيه الحيرة ولم يهتدوا والحقيقة معجزة فرأوا حنين الجذع وهم خشب مسنده لم تورق ولم تثمر فهم حطب النار الموقده فصحة الاعجاب السعير الذين رجع بصر بصيرتهم خاسئا وهو حسير

(فصل) اعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية الجاهلية الاولون ثم المخضرمون ثم الاسلاميون ثم المولدون ثم المحدثون ثم المتأخرون والعصريون فهذه الطبقات الست ثلاث منها حاز واقصب السبق فى حلبة الرهان معرفة كلامهم فرض كفاية فى الاسلام * لانه يستدل به على الكلام العربى الذى يستنبط منه أحكام الحلال والحرام * والحق به بعضهم ما بعده كاثبات لطائف المعانى دون الالفاظ المحكمة المبانى ومن حققه لم يكن منه على ثقه واذا صحت لما تلوناه عليك فاعلم أن فى الشعر دقائق لم يكشف عنها الغطا وها أنا ألقى اليك مالم تهتد له لها القطا مقلد اجيد الذهن منها فرائد تؤاما ولو ترك القطا ليلا لنا ما * فهما أن أهل المعانى قالوا ان التعقيد المعنوى واللفظى يناقى الفصاحة فقال بعض المتأخرين ان الالغاز كلها غير فصيحة لما فيها من التعقيد المعنوى وليس كما قال لان ابن هلال العسكرى قال فى كتاب الصناعتين انها فصيحة وان التعقيد انما يكره اذا لم يقصد فان قصد فهو فصيح ومما يؤيده أن الاسنوى قال فى كتابه طراز المحافل ان من السنة أن يلقى الالغاز على من فى مجلسه لتشحيذ الاذهان لما رواه البخارى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الاشجار شجرة لا يسقط ورقها وانها صنو المسلم فحدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة واستحييت فقالوا ماهى يارسول الله قال النخلة انتهى قال ابن هلال ومنه نوع بديع سميته شبيه الالغاز وهو أن يوصف شئ بصفات تساق على نهج اللغز وليس المقصود الالغاز كقول القاضى ناصح الدين الارجانى لبعض الوزراء يطلب منه خيمة

فيا شمس بل يا ويل هل أنت منقذى * ومنقذ صحبى من يد الشمس والويل
بحق اباء ان ثوبت خبرت لوجهها * سريعا وان نوخت قامت على رجل
من البلق يعلو ظهرها هام أهلها * وفى السير تعلو أظهر الخيل والابل
وتصلح عند الناس للضرب وحده * فتضرب بها مادمت فى الحزن والسهل
ومن عجب ان لم تقم قط قومة * اذا هى لم تربط بشئ من الشكل

وهذا وان كان فارسى الاصل له طبيعة عربيه ورويته من ماء الفصاحة رويه وورد من الفصاحة عذب المشرب ومذهب يزخرف البراعة مذهب كقوله من قصيدة أولها

رأيت الطريق الى الوصل وعرا * فقدمت رجلا وأخرت اخرى

ومنها

عليك بتفريغ قلب الودود * لكى يجد الود فيه مقرا
وسر غير ملتفت انما * الى الله تخطو من العمر جسرا
لك الشهب والدهم مخلوقة * فاحسن بمن اليه المفرا

وله

وله أيضا تذم زمان السوء ياصدر أهله * ولولا زمان السوء لم تتصدر

﴿طبقات الشعراء﴾

اعلم أن معجزة كل نبى على وفق زمانه وقومه ولما كان أشرف الخلق العرب وأعظم ما عندهم الشجاعة والفصاحة والكرم كان أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز بفصاحته وبلاغته ولما كان خاتم الرسل ولا نبى بعده جعل له معجزة باقية الى القيامة لا تزال تتلى وجديدة على كثرة الترداد لا تخلق ولا تبلى وقال ان دريد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع الصحابة اذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون نواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمسكها قال كيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال كيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال كيف ترون برقها أومضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال كيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سوادة فقال الحيا فقالوا يارسول الله ما رأينا أفصح منك قال ما عنى غنى وانما أنزل القرآن على لسان عربى مبين قال القالى القواعد الاسافل جمع قاعدة والقواعد من النساء التى لا تلد جمع قاعدة ورحاها وسطها ومعظمها كرحا الحرب وبواسقها ما علا وارتفع ومنه بسق اذا شرف وكرم ووميض البرق لمعه الخفى ومنه أومض اذا غمز والخفى البرق الضعيف والجون الاسود والابيض وهو من الاضداد والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء بالمد * وبلغاء العرب فى الشعر والخطب على ست طبقات الجاهلية الاولى من قوم عاد وقحطان والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والاسلام والاسلاميون والمولدون والمحدثون والمتأخرون ومن ألحق بهم من العصريين والثلاث الاول هم ماهم فى البلاغة والجزالة ومعرفة شعرهم رواية ودراية عند فقهاء الاسلام فرض كفاية لانه به تثبت قواعد العربية التى بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الاحكام التى يتميز بها الحلال والحرام وكلامهم وان جاز فيه الخطأ فى المعانى لا يجوز فيه الخطأ فى الالفاظ وتركيب المبانى اذا عرفت هذا فاعلم أن الطبقات الثلاث الاول جمعوا أشعارهم فى كتب كثيرة غير الدواوين كالحماسة والمفضليات وأشعار هذيل وغيرها من الكتب المفيدة وها أنا أورد منها ما تقر به عيون الأدب وتنشرح به صدور الطلاب من كل ما يدخل الاذن بغير اذن وأورد من نثرهم ما يكون نثارا على عرائس الافكار وعقدا فى جيد البصائر والابصار من عهد عاد وقحطان وملوك حمير وعبد مدان الى فوارس الارباع الى ذى فايش الحميرى قال القالى كان ذو فايش يحب اصطناع سادات العرب ويقرب مجالسهم ويكرم مجالسهم فجاءه علية وكان شاعرا حدثا فقال له ألا تحدثنى عن أبيك وأعمامك فقال بلى أيها الملك هم أربعة زياد ومالك وعمرو ومسهر ولذلك قيل لهم الارباع فأما زياد فانه استل سيفه مذ ملكت يده قائمه الا أخمده فى جثمان بطل أو شوامت جمل وكان اذا حملوا النجيد وصلصل الحديد وبلغت النفس الوريد اعتصمت بحقوته الابطال اعتصام العصم بذرى التلال فحذاتهم الابطال ذياد القروم عن الاشوال وأما مالك فكان عصمة الهوالك اذا شهت الاعجاز

بالحوارك يغرى الرعيل فرى الاديم بالازميل ويخبط البهم خبط الذئب نقاد الغنم
وأما عمر وفكان اذا عصبت الانواء وذبلت الشفاه وتفادت الكماه خاض ظلام الهجاج
وألطف أنار الهياج وألوى بالاعراج وأردف كل طفلة معياج ذات بدن رجاج ثم قال
لاحماه عليكم النهاب والاموال الرغاب معطاء لاضيق شكس ولاحقلد عكس وأما
مسهر فكان الذعاف المسقر والليث الخادر يجيء الحرب فيسعر ويبيح النهب فيكثر
ولا يحجز فيستأثر فقال له الله أبوك مثلك من يصف أمره (وهنا فوائد) قال أبو على الحدث
بالضم الحسن الحديث والحديث بكسر فتشديد الكثير الحديث والحدث الشاب والجثمان
الشخص والجسمان جماعة الجسم والتجيد الحمائل وصلصل بمعنى صوت والوريد حبل العاتق
والاشوال جمع شول وهو جمع شائلة بمعنى ناقة ارتفع لبنها والعيل جماعة الخيل والازميل
بزاى معجمة الشفرة والعيسمة التامة الخلق أو السريعة ويفتحى بمعنى يعتمد والصرف صبغ
أحمر والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى والصمت الذى لا صداع فيه
والتفاد جمع نقد وهى صغار الغنم وعصب بمعنى غلظ ريقه ولصق بفمه وتفادت استتر بعضهم
ببعض وألوى بمعنى ذهب والاعراج جمع عرج من الابل نحو حمامة والطفلة الناعمة والحقلد
السيئ الخلق كما قاله يعقوب والعكس والعكس بالسين والصاد العسر الاخلاق والذعاف سم
سريع القتل والمقر الشديد المرارة أو الحموضة ويحنجز بمعنى يختفى والحقلد لغة يمانية
ووقعت فى شعر زهير بن أبى سلمى فى قصيدته التى مدح بها هرم بن سنان أولها

غشيت الديار بالنقيع نهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد
أربت بها الارواح كل عشية * فلم يبق الا آل خيم منضد

ومنها
اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد لم تسبق اليها بسودد
أليس بفياض غداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد

ومنها
تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

وهذا مما لم يسأل عنه وعن اعرابه ومعناه تقدم وقد قيل انه من عطف التوهم وتقديره ليس بمكثر
غنائمه بالغارة على أقاربه أو من هو بجواره فعطف بحقلد على بمكثر المتوهم ولو قيل انه معطوف
على قوله بنهكة وفسر بالخلق السيئ والمراد انه لم يكثر غنائمه بجوره على اقربائه وجيرانه
ولا بسوء خلق يحمله على التعسف والشح لم يبعد من غير تكلف وفى لسان العرب بحقلد بالقاء
والمشهور خلافه ومن قصيدة لعمرو بن حسان أخى بنى الحارث بن همام ذكر فيها
الاكاسرة وآل المنذر

ألا يا أم قيس لا تلومى * وأبقى اللوم ان ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال حياته النعم الركام
وكسرى اذ تقسمه بنوه * باسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له يوم * أنى ولكل حاملة تمام

قال

قال التبريزى فى تهذيب الاصلاح يقول لعاذلته لا تلومى فان المصير الى الموت وهام بمعنى موتى
يقال فلان هامة اليوم أو غد والرأكام الكثير وقبيس تصغير قابوس تصغير ترخيم وهو النعمان
وقوله وكسرى الخ يشير الى قتل ابنه مشيروبه له وقوله تمخضت من المخاض وهو الطلق والماخض
الحامل جعل المنون حاملة على التشبيه وجعل يوم موته ولد المنية وكل حامل تنتهى الى وقت
تضع فيه حملها فكذلك المنية تنتظره كانتظار وضع الحامل والمنون مفرد وجمع قال

من رأيت المنون عدتين أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

وأنى وآن بمعنى حان وقال بعض الاعراب

قوم اذا الشجر القنا * جعلوا القلوب لها مسالك
اللابسين قلوبهم * فوق الدروع لدفع ذلك

انظر لبس القلوب على الدروع وما فيه من المبالغة التى لا يوجد مثلها وفى معناه قلت

اذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا * فما الدرع الا مجن من هو حامله
لها أعين ان حدقت فى الوغى ترى * بمخنقها الخطى هزت مقاصله

وقال أدباء الكوفة لامرىء القيس لم يرو قول الكلابى

سقى الله دهرا قد تولت غيا لمه * وفارقنا الا الحشاشة باطله
ليالى خدنى كل أبيض ماجد * يطيع هوى الصابى وتعصى عواذله
وفى دهرنا اذ ذاك والعيش غرة * ألا ليت ذاك الدهر تنتى أوائله
بما قد فقدنا والصباح جلى همنا * بما يلنا ريعانه وغمايله
وجرانا أذياله الدهر حقبة * يطاولنا فى غيه ونطاوله
فتى اله من صاحب خذلت بنا * مطيقا عنه ووات رواحله
أسد عن البيت الذى فيه قاتلى * وأهجره حتى كأنى قاتله

والغياطل جمع غيطلة وهى الظلمة والاصوات المختلطة والشجز الملتف وأنشد المبرد فى
الكامل وثعلب فى أماليه لسلم بن غزية

عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عينى * ومنحبا فما أغنى النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب * نعاه الشيب والرأس الخضيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

وفى الشيب اشعار كثيرة ومعان بديعة واشعار المولدين فيها عقود درر وأرضاح غرر
كقول الاتجيع فى قصيدة مدح بها الرشيد

قصر عليه تحية وسلام * ألفت عليه جمالها الايام
قصر تصوف المزن حول سقوفه * فيه لاعلام الهدى اعلام

ومنها
يثنى على آبائك الاسلام * والشاهدان الحل والاحرام

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وهذا معنى بديع أخذه من كلام الاخطل مشهور ومن فصيح كلامهم قول بعض شعراء المغار به يمدح من جاءه من البحر

ان امرأ قذفت اليك به * فى البحر بعض مراكب البحر
تجرى الرياح به فتحمله * وتكف احيانا فلا تجرى
ويرى المنية كلما عصفت * ريح به للهول والذعر
* لمستحق أن تزوده * كتب الامان له من الفقر

ونحوه ما كتبه الحصرى لابن عباد

أمرتنى بركوب البحر مغتربا * عليك غيرى فامره بذا الراى
ما أنت نوح فتنجينى سفينته * ولست عيسى أنا أمشى على الماء

ومن أمثال المولدين (المورد العذب كثير الزحام) وهو من قول بعض بنى تميم (ان النداحيث ترى الضفادع) ومنه أخذ بشار قوله

يسقط الطير حيث يلتقط الحب * و يغشى منازل الكرماء

وفى معناه قولى وفود الكريم الخيم حجاب بابه * وهم منعوا منه دخول المعائب

وليس عليه حاجب يحجب الورى * سوى أنه اغناهم بالمواهب

وقال أبو العتاهية من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطى الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما اخط * واجر مع الدهر كما يجرى
ليس لمن ليس له حيلة * موجودة خير من الصبر

ومن شعراء الجاهلية زياد بن زيد فى شعره قوله من قصيدة

رأيتك من ليلى كذى الداء لم يجد * طبيبا يداوى مابه فتطببا
فلما اشتفى من دائه كر طبعه * على نفسه من طول ما كان جربا

وقال المبرد فى الكامل كان العباس أجهر الناس وأشدهم صوتا ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لما ولوا عن القتال اصرخ بالناس فصاح مرة فاسقطت الحوامل وقد طعن الناس فى قول النابغة زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

بانه اذا كان هذا فى السباع مع شدتها فما حال الغنم وأجيب بانها أنست بصوته لكثرة سماعها له بخلاف السباع وقيل انه من أكاذيب العرب انتهى قلت أبو عروة هذا ليس كنية العباس كما فى شرح الكشاف للطيبى فاعرفه وقال الجاحظ ان أبا عفيف البصرى كانت الجبال تسقط من صوته وفيه يقول أبو ربيعة

فاسقط احبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بصوت مطردا

وكتب الابيوردى للطغرائى

ألا ياسنى الملك هل أنت سامع * نداء عليه للحفيظة مبسم
أتاك غلام من أمية يرتدى * بظلك فانظر من أتاك ومن هم
وقد لفت الشم الغطاريف عرقه * بعرقك فالارحام ترعى وتكرم
أينبذ مثلى بالعراء ومارنى * بما أتوقاه من الذل يحطم
ومن يحتلب درّ الغنى بضراعة * فلا بد أسعى حيث يحتلب الدم
فقل لك فى شكر تحدث معرفا * بما راق من ألفاظه الغر يبسم
ولولا ارتفاع الصيت لم يطلب الغنى * وأنت بما يبقى لك الذكر أعلم

فاجابه بقوله فديتك قد أسعفتنى متحرجا * نداء عليه للحفيظة مبسم
وان هما ماما من أمية ضامنى * لتعفو عن الجانى المسىء وتحلم
فمالى فى جود يجرم محجب * على بابه الاملاك لولا التجرم
أعد نظرا فيما أقول ولم أكن * كذى العر يكوى غيره وهو يسلم
أعيذك بالحلم الذى أنت أهله * وانك أولى بالجميل وأكرم
فهب لى مالم أجنه متكرما * فأنت بعذرى ان تأملت أعلم
فثق فى اعتقادى فى ولائك وارع لى * امام العلا انى بحبلك معصم

ومن البديع التضمين ولابن تميم فيه طريق لم يسبق اليها كتضمينه قول المتنبى فى الناقة

و يغير فى جذب الزمام اقلها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فقال وقد استعاره عباءة فردها ديباجة فى وردة أهديت اليه قبل أوانها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

ولو قال طمعت بلثم يديك حتى جمعت كما لا يخفى على من له المام بالادب كان أحسن ومما يشبه هذا المعنى ما حكى أن أبا العلاء صاعد بن الحسن امام أهل اللغة فى عصره كان يخادم المنصور بن أبى عامر سلطان المغرب فجىء اليه بوردة فى مجلس من مجالس أنسه فى أول ظهور الورد فقال أبو العلاء صاعد بديهة أتتك أيا عامر وردة * يحاكى شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فاستحسنه المنصور وكل أهل مجلسه فحده أبو القاسم بن العريف وكان حاضرا فقال انهما من شعر العباس بن الاحنف وقد أنشدنيها بعض البغداديين بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يبحث حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال أبياتا ودس فيها بيتى صاعد وأتى قبل انقضاء المجلس وهى عثرت الى نصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهى فى خدرها * وقد صرع السكر آنامها
فقالت أسارعلى هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها

ومدت الى وردة كفها * يحاكى شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها
وقالت خف الله لا تفضحن فى ابنة عملك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسى ولا ناسها

فخلف ساعد انه مارآها فلم يصدقوه وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها فطار ابن العريف وتحيل على ان علقها على ظهر كتاب بخط مصرى وتحيل حتى غير المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على ساعد وقال للعاصرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق فى موضع لى فيه سلطان فلما أصبح وجه اليه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه الى مجلس حفل قد أعد فيه طبقا عظيما جعل فيه سفائف مصنوعة من جميع النوابر وصنع على السفائف مركبا من ياسمين فى شكل الجوارى وتحت السفائف بركة ماء قد ألقى فيها لؤلؤا مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل ساعد ورأى الطبق قال له المنصور هذا يوم اما أن تعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتى به دعوى وقد وقفت على حقيقة من ذلك وهذا الطبق ما توهمت انه حضر بين يدى ملك قبلى شكا فصفه بجميع ما فيه فقال ساعد بديهة

أيا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاد الى الناس خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشايع نور صاغها صيب الحيا * عليها لها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهى الوسائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * يظللها بالياسمين السفائف
وأعجب من ذا انهن نواظر * الى بركة شمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الرعانين راجف
ترى ما تشاء العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية تلك السفائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاديف من ذهب لم ير هما ساعد فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة يهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء انتفى * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديها المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * يثقلها فى الراحتين الوسائف
ولا غرو أن ساقت معالى ملك روضة * وشتها ازاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل منالع * ورضوى ذرتها من سطاك العواصف

اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكانى لها انى لجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بديوان الندماء

واعلم أن المتأخرين وان تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالركب وكادوا أن يرقوا الى أعلى الرتب لاسيما شعراء المغرب فقد أتوا بمعان بديعه وارتقوا الى مرتبة رفيعه كيزيد بن خالد الاشبيلى له فى وصف السفن معانى لم يسبق اليها كقوله

اذا انشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت بها روضا ونورا ومكمما
وان لم تهبه الريح جاء مصافحا * فذلله كفا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤوسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يقبض العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صبغت من عندم أو بكت دما

وفى معناه قول أبى الحسن بن حريف

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

ومن شعرائهم ابن خفاجة وقرأت فى ديوانه قصيدة قرائيه لم يطرق على آذان الدهر مثلها وهى

أما والنفحات الروض عن أزرق النهر * واشراق جيد الغصن فى حلية الزهر
وقد نسمت ريح النعامى فنبهت * عيون الندامى تحت ريحانة النهر
وخمر فتاة قد طرقت وانما * أبحت به وكر الحمامة للصقر
وما قد خلعت البرد عنه وانما * نثرت به طى الصحيفة عن سطر
لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرف * يفتم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم به برق الحديد وربما * عثرت بأطراف الردينية السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت نضيب قد أطل على نهر
ولا شعث الاغرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
ودون طروق الحى خوضة فتكة * مورسة السربال دامية الظفر
تطلع فى فرع من النقع أسود * وتسفر عن خد من السيف أحمر
فسرت وقلب الليل يخفق غيرة * هنالك وعين النجم تنظر عن شزر
فطار اليها بى جناح صبابة * وطار بها عنى جناح من الذعر
فقلت رويدا لا تراعى فانما * نطوى بسلوع الليل منا على مر
وسكنت من نفس بجيش مروعة * ومسحت عن عطف تمايل مزوقة

ومزقت جيب الليل عنها وانما * رفعت جناح النسر عن بيضة الخدر
وقبلت ما بين المحيا الى الطلى * وعانقت ما بين التراقى الى النحر
وألعب مجمع الحلى من خيزرانة * تميل بها ريح الشبيبة والسكر
غزالية الالحاظ ربيبة الطلا * مدامية الالمى حبابية الثغر
ترجح فى موشية ذهبية * كما اشتبكت زهر النجوم على البدر
تلاقى نسيبى فى هواها وأدمعى * لحسن لؤلؤ نظم ومن لؤلؤ نثر
وقد خلعت ليلا علينا يد الهوى * رداء عناق مزقته يد الفجر
ولما تجلى ضوء صبح كأنه * مشيب بفوذ الليل طالع عن قطر
وحط رداء الغيم عن منكب الصبا * ونم على ذيل الدجى نفس الزهر
صددت ودون الحلى ستر غمامة * يشف كما كشف الرماد عن الجمر
ولا ليل الا بالنسوبة أقمر * تنفس فيه السكر عن نفحة النشر
ولا كف الا للامير كريمة * تبسم فيها النصل عن مبسم النصر

ولعمرى ان هذا سحر يصلب له هاروت وماروت و بلاغة قسية تقبعها الاوصاف وتنقطع دونها النعوت تهز المرء هز أريحية الصبا وهز قدود الغصون يد الشمال والصبا فتتعثر الافهام باذيال لوعة وغرام كما قال

وعقد جمان فى حديث علاقة * يهز اليه الشيخ عطف غلام
اذا ما استحثتنى لها أريحية * عثرت بذيلى لوعة وغرام
لقد هزنى فى ربقة الشيب هزة * أرتنى وراءى فى الشباب أمامى

وفى تذكرة العلامة أحمد بن مكتوم تلميذ أبى حيان قال أنشدنى أبو جعفر بن الزبير قال أنشدنى لقمانى الاديب أبو العباس بن خليل قال أنشدنى أبو جعفر عمر بن عبد الله الحكمى قال أهديت لى جارية فتبين لى انى قد ملكت أمها وطئتها فردتها لمن أهداها وكتبت معها أبياتا ضمنت فيها بيت عنترة فى معلقته وهى

يا مهدى الرشأ الذى ألحاظه * نزكت فؤادى نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن فى اجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم
يا ويح عنترة يقول وشغله * ماشفنى وجرى وان لم أكتم
ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وعلى ذكر الهدية نهدى اليك فائدة سنية كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأهدى اليه اعرابى هدية فقبلها فجاءه وقال يارسول الله انى كنت اهديت هدية فأعطاه عطية فذهب ثم أتاه مرة فأعطاه ثم أتى مرة أخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عزمت أن لا أقبل هدية الا من قرشى أو ثقفى فقال حسان رضى الله عنه

ان الهدايا تجارات الانام وما * يرجو الكرام لما يهدون من ثمن

وكان عمر رضى الله عنه لا يقبل هدية العمال واذا قبلها وضعها فى بيت المال فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية فقال انها كانت هدية وهى الآن رشوة ولذا قال الزاهد بن عمران * توق وحاذر من قبول هدية * وان جاءنا فيها حديث مرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرناعنها وعنها ترغب
وكانت هدايا فى الأوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المن بعدها * تفرق فيما بيننا وتجنب

ولم تزل بحور الشعر تقذف عنبرا وتعطى من غاص فيها درا ومن كان ذا فطرة سليمة علم أن أم المعانى غير عقيم ألا ترى قول ابن الصفار فى مرثية غريق

يا أيها الرشأ المكحول ناظره * بالسحر حسبك قد أحرقت احشاءى
ان انغماسك فى التيار حقق ان الشمس تغرب فى عين من الماء

وقوله فى غريق أيضا

غريق كان الموت رق لحسنه * ولان له فى صفحة الماء جانبه
أبى الله أن يفناه قلبى فانه * توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

وقال عمران الطوالقى

ألا أيها الشخص المغيب شكله * بمنك هذا الدهر يبخل عن مثلى
كأن صفاء الماء شا كل جسمه * فجاذبه فانقاد شكل الى شكل
نأى عن تراب الارض نورها ئه * ولو كان من ترب لعاد الى الاصل

ولما أنشد فى الدمية قول أبى جعفر البجاءى فى غريق

ولما لم يسعها البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

قال أما أنا فقد عجبت اذ سمعت أن بحرا قد أغرق بحرا فقلت أنا فى معناه

لا تعجبن البحر * اذ كان أغرق منله * لانه غار لما * لم يحل فى الناس فضله

ومما أبدع فيه ابن تميم قوله فى غريق

قالوا أيلبسه الغدير مفاضة * منه ويهلكه فقالا بل لا
فأجبتهم ان الحمام اذا أتى * طبع الدروع أسنة ومناصلا

وأجاد الوزير أبو القاسم فى قوله فى مليح يسبح فى الخليج

انى رضيت من الحيا * ة بأسرها نظرى اليه
وعرفت أسباب النعيم بقبلة فى عارضيه
ولقد أراه فى الخليج يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهو فرنده فى صفحتيه
وكأنه فى الماء قلبى بين أشواقى اليه
لا تشمتوا من مائه * أبدا ولا ترد واعليه

فذاب فيه السحر من * حركاته أو مقلتيه
صبغت بياض الماء صبغة حمرة في وجنتيه

وقال الادباء بدئ الشعر بملك وختم بملك والاول امرؤ القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه ونسج نسيبه ورتبه والثاني ابن المعتز فانه ممن أوتي جوامع الكلام نظما ونثرا وانشاء وشعرا والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس والاول أقرب الى القياس أما ابن المعتز فهو كما في كتاب الورقة للصوري شاعره فاق واسع الفكر في العلم والنظم والنثر من شعراء بني هاشم وعلمائهم وكان اماما في الادب ومعرفة كلام العرب وكان المبرد يجله ويسعى اليه ويستفيد منه الا أنه كان له هنات في حب بني هاشم والغلو في تقديمهم على غيرهم وله في ذلك قصايد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره وكان يحب لقاء أحمد بن يحيى فكتب اليه عن ترك اتيانه أبياتا منها

ما وجد صادق في الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يطرق ولم يزاق * جاد به أخلاف دجن مطبق
صريح غيث خالص لم يمذق * الا كموجدي بك لكن أتقى
يا فاتحا كل علم مغلق * وصيرفيا ناقدا للمنطق
أتاهلي البعاد والتفرق * لنلتقي بالذكر ان لم نلتقي

وله يارب اخوان صحبتهم * لا يملكون لسلوة قلبا
لو تستطيع نفوسهم نقدت * أجسادها وتعانقت حبا

وله عرف الدار خيفا وبا لحا * بعد ما كان محلوا واستراحا
ظل يلحاه العذول ويأبى * في عنان العذل الا جماحا

ومنها من رأى برقا يضيء السماحا * ثقب الليل سناه فلاحا
وكان البرق مصحف قار * فانظر يا قامر قرانفتاحا

وله من اخرى قد دست كيدا له يخفى مسالكه * يقظان بصري اذا كيدا لعداهجعا

وكتب لابن وهب يا جوهر الاخوان * وحلية الزمان
ودولة المعاني * وروضة الامانى * عش لي كعمر شكري
فيك فقد كفاني * أريت عين وذي * معاتب الاخوان

وله كما طريق الحج في كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

وله كم حاسد حقني على بلا * جرم وليس يضرني الحنق
منضا حكا نحوي كما ضحكت * نار الذبالة وهي تحترق

وله من معانيه الغريبة يا بخيلا ليس يدري ما الكرم * حرم اليوم على فيه نعم
حدثوني عنه في العيد بما * سرني من لفظه حين حكم * قال لا قربت الا بدني
ذاك خير من أضاحي الغنم * فاستخار الله في كربته * ثم ضحى بفتاه واحتجم

وله

وله لي صاحب مختلف الالوان * متهم الغيب على الاخوان
منقلب الود مع الزمان * يسرق عرضي حيث لا يلقاني
حتى اذا القيته أرضاني * فليته دام على الهجران

وله من قصيدته المشهورة ألا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها

ومنها وما ينقص من شباب الرجال * يزدني نهاها وألبابها

ومنها دعوا الاسد تفرس ثم اسبعوا * بما يترك الاسد في غابها

وله من قصيدة شجتك لهند دمنة فديار * خلاء كما شاء الفراق قفار
ولو شئت أو فرت البلاد حوافرا * وسالت وراءي هاشم ونزار
وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وله من اخرى أيا ويحه ما ذنبه ان تذكرا * سوالف أيام سبقن أواخرا

ومنها وقالوا كبرت وانتضيت من الصبا * فقلت لهم ما عشت الا لأكبرا
لبست أخلاء الهوى فنزعتهم * وما كنت أهوى بعدهم أن أعمرا
فاخلوا هموما من سواهم وأطبقوا * جفوني فما أهوى من العين منظرا

ومنها كأن الصبا تهدي اليه اذا سرت * على تربها مسكا فتيتا وعنبرا
سقتها السواري والغوادي قطارها * فجاء كما شاء القطار ونورا

ومن أخرى له ومهمه كرداء الوشي مشتبه * قطعته والدجى والفجر خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما * أفضى الشقيق الى تثنيه وسنان

ومن أخرى له شفع يد الساقي وطيب زمانه * في السكر كل عشية وغداة
فالريح قد نمت بأسرار الربى * وتنفس الريحان في الجنات

وله في الارشة لم أبك ربع عفا ولا طلل * ولا شبابا خان وذي وارتحل
بل دفترا فيه حديث وغزل * ما عابني ولا رأى مني زلل

قد دب فيهن دبيبا من أكل * عصا سليمان وظل منجدل * يأكل أعمار العقول لا أكل

ومن قصيدة له وملح الدل ذي غنج * لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته * بلنان الحسن عنابا

ومنها خضبت رأسي فقلت لها * فاخضبي قلبي فقد شابا

قلت عدي أثمرت وقد أنكره صاحب الدمية وله

ودونكه موشي نمنمته * وحاكته الانامل أي حوك
بشكل يأخذ الفدح المعلى * كأن سطوره أغصان شوك

وله يا نفس صبرا لعل الخير عقبانا * خانتك بعد لذيذ العيش دنيانا
مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوبى لك يا ليتنا ايانا طوبانا
لكن هو الدهر فالقيه على حذر * فرب مسلكه والحب اشراك

ومن نثره قوله قلبي فحي ذكرك ولساني خادم شكرك وله في مريض اذن الله في شفائك وتتابع ذلك ببقائك ومسحك بيد العافية ووجه اليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك ومضاعفة في ثوابك وله في العفو لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام ولا تجاوز عن مذنب لم يسلك باقراره طريقا حتى اتخذ من رجائك رفيقا ولم يصر ميلا حتى اتخذ حسن الظن دليلا (ومن نثره) المعروف رق والمكافاة عتق الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملك طالب لما لا يجد ﴿خاتمة﴾ تشبيه ابن المعتز السطور بالاغصان والشكل بالشول صحيح لكنه قبيح ومعيب من مثله كيف يخفى عليه ركاكته فانظره بعين الانصاف مع قوله في معناه

بعثت كتبي الى الاحباب ناثبة * عن العيون اذا اشتاقت الى النظر
فالخط في الطرس والالحاظ ناظرة * سنوان في شبه المعنى وفي الصور
فان هذا سواد في البياض له * شكل كاهداب أجفان من الشعر

وانظر موقع الشول في قوله

اذا نسكبات الدهر وافتك فاصطبر * تراها تجلت فالزمان أبو الغبر
اذا مزق الورد النسيم صحيفة * ترى في أيادي القضب من شوكها ابر

ومما عابوه عليه قوله طوبالك قالوا صوابه طوبى لك وفيه نظر عندي فانه اذا استعمل لفظ في كلامهم على وجه من وجوه الكلام ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ فان اللام هنا مقدرة والمقدر في حكم الملفوظ فما الفرق بين طوبى لك وطوبالك حتى يقال ان الثاني لحن وهذا كما قيل ان كافة لا تكون الا نكرة منصوبة حالا كما ذكره الحريري وقال ان غيره لحن كقول الزمخشري بكافة الابواب وهو غير مسلم ولم أر من تعرض له من المتقدمين * وأما الامير أبو فراس بن حمدان فهو فارس الهيجاء وواحد البلغاء والفصحاء وهو من الذين هم في الفصاحة والشجاعة والصباحة لا يدانيهم مدان ولا يبارزهم مدان ومن طالع ديوانه عرف في البلاغة مكانه ألا ترى قوله

علونا جوشنا باشد منه * وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى * ظننت البر بحرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر * تخاطبنا بأفواه الرماح

وقوله

غيري يغيره الفعال الجاني * ويحول عن شيم الكريم الوافي
لا أرتضي ودا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف
تعس الحريص وقلما يأتي به * عوضا عن الالحاح والالحاف
ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولوانه عارى المناكب حافي
ما كل ما فوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافي
وتعاف لي طمع الحريص أبوتي * ومروأتي وقناعتي وكفافي
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي * مأوى الكرام ومنزل الاضياف

لا أقتني لصروف دهري عدة * حتى كأن صروفه أحلافي
شيم عرفت بهن اذ أنا يافع * ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وسمع وهو أسير سجع حمامة فقال

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بت حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة البوى * ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد توادم * على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدى ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد صرت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد لحن في قوله تعالى اذ كان حقه فتح اللام لان أصله تعالي يا عين يا مفتوحة وهو ياء ساكنة فأعلت الاولى وحذفت لالتقاء الساكنين وممن ذكر هذا ابن هشام في شرح الشذور من غير خلاف فيه بين أهل العربية أقول هذا هو المعروف بين أهل العربية وعندي انه غير مسلم فان قتادة روى عن الحسن البصري انه قرأ تعالوا بضم اللام كما ذكره ابن جني في المحتسب وقال وجهه انه حذف لام تعاليت استحسانا تخفيفا فلما زالت لام الكلمة ضمت اللام لوقوع الواو بعدها كقولك تقدموا وتأخروا ونظيره ما باليت به بالة وأصله بالية كالعافية والعافية ثم حذفت كما تقول اسعوا أمر امن سعى ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائي في آية على أن أصله آيية تزنة فاعلة ونظير ما نحن فيه قراءة الحسن أيضا في قوله عز وجل الامن هو سال الجحيم بضم اللام حذفت تنابذلك أبو علي وذهب الى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافا والى أنه يجوز أن يكون أراد صالون الجحيم فحذف النون للاضافة وحذفت الواو التي هي علم الجمع لفظا لالتقاء الساكنين واستعمل لفظا حملا على المعنى كقوله ومنهم من يستمعون اليك وأما حديث تعال والقول على مانبيه وتصريفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدم فأمر يحتاج الى فضل قول كما ذكرناه في غير هذا الموضع الا أن من جملته انهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد من ذلك قولهم قدمته الى الحاكم وهو كقولك ترافعنا الى الحاكم فكذلك قولك للرجل تعال كقولك له تقدم وأصله أن التقدم تعالى والتأخر انخفاض وتراخ فافهم أقول ان تعال استعملوه على وجهين أحدهما وهو الفصيح المشهور أن تحذف الياء التي هي لام الكلمة لالتقاء الساكنين بعد قلبها ألفا فتبقى اللام التي قبلها على فتحها الان المحذوف لعلة كالموجود والثاني أن تحذف ابتداء للتخفيف نسيا منسيا يبقى ما قبلها آخرا لكلمة فيحرك بحركة تجانس الضمير المتصل بها فيقال تعال بكسر اللام كعطام وبه قرئ في الشواذ الا أن الظاهر انه غير مقيس فهل يقال ان التكلم بمثله في تركيب آخر لحن وخطأ أولا محل نظر وهذا جار فيما قاله أبو فراس ثم انه أشار الى أن تعال أمر بالعلو أريد به الحضور والتقدم وشاع حتى

صار حقيقة فيه وهو تحقيق نفيس ينبغي حفظه في خزائن الاذهان وفي الدر المصون استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين أو قلبت لتحركها وانفتاح ماقبلها ألفا وحذفت لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام ووجهت بأن الضمة استثقلت على الياء فنقلت الى اللام بعد حذف حركتها وعندي انهم تناسوا المحذوف حتى توهموا انها بنيت كذلك وان اللام آخرها حقيقة حتى ضمت مع الواو وكسرت مع الياء كما قالوا لم أبل وقال الزمخشري وعلى هذا قول الحمداني وعاب هذا عليه من قال انه مولد لا يستشهد بكلامه وليس بعيب فانه انما ذكره استئناسا به ولا يعاب عليه ما عرفه وتنبه عليه انتهى وكأن هذا الشعر مما قاله لما أمره الروم وله في ذلك اشعار كثيرة بليغة هي في ديوانه وأحسن ما قيل في السجن قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأو باش السباع ترقد
والبدر يدركه السرار فينجلي * أيامه وكأنه متجدد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والراغبية لا يقوم كعوبها * الا الثقاف وجذوة تتوقد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * و يزار فيه ولا يزور و يحمد
لولم يكن في الحبس الا انه * لا يستذل بالحجاب الاعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا وما ت طبيبه والعود

وكانوا يقولون القيود خلاخيل الرجال ومن بديع قوله في السحاب

وسارية لا تمل البكا * جرى دمعها في خدود الثرى
سرت تقدح الصبح في ليلها * ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت في السما * رعدا أجش كصوت الرحا
ضحان عليها ارتداع البقاع * بانوائها واعتجار الربى
فما زال مد معها باكيا * على القرب حتى اكتسى ما اكتسى
فاضحت سواء وجوه البلاد * وجن النبات بها والتقى
وكاس سبقت الى شربها * عذولي كذوب عقيق جرى
يشير بها غصن ناعم * من البان مغرسه في نقا
اذا شئت علمني بالجفو * ن من مقلة كحلت بالهوى
له شعر مثل نسج الدروع * وجفن سقيم اذا مارنا

ويحكى عن أفحوان الرياض * يغله بالعشي الندى
ومصباحنا قمر مشرق * كنرس اللجين يشق الدجى

وأشعاره كلها أوضاح وغرر وعقود فرائد ودرر لم نورد منها ما فيه اغراق لان أكثرها في طرق الفصاحة مهراق ألم تر هم عابوا قول أبي نواس

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقي
وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تخلق

كما ذكره أهيل المعاني وان اعتذروا عنه بما لا يجدي لانه انما يحسن منه اذا اقترن بكاد كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء الآية ومما عيب منه قول ربيعة بن مقلول من قصيدة يرثي بها كليبا

ولولا الريح لم أسمع بحجر * سليل البيض تقرع بالذكور

والبيض جمع بيضة وهي المغفر والذكور السيوف وضمنه المهدي بن محمد العكبري بهجو ابن وهب ونقله لمعنى آخر فقال

وسائلة عن الحسن بن وهب * وهل فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أني * أراه كثير اسيال الستور
وأكثر ما يفنيه قتاه * حسين حين يخلو للسرور
فلولا الريح لم أسمع بحجر * سليل البيض تقرع بالذكور

(تتمة وفائدة مهمة) قد عرفت مما ذكره أهل المعاني ان الاغراق غير مقبول ما لم يقارن كاد ونحوها وهذا مما شهد به الذوق السليم وزكى شهادته الطبع المستقيم وهذا وان سلمه علماء المعاني والبيان الا انه محتاج الى الايضاح والبيان فانه قد يعترض عليه بما يعارضه ويكدره ورود ما ناقضه كقوله عز وجل واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فانه بمعناه اذا خراج الذرية من الظهور قبل الخلق والظهور وأخذ المواثيق والعهود مما يقتضي الترغيب والترهيب وهذا أشد مما في البيت لانه على سبيل التخييل والتقدير وهذا على سبيل التحقيق وقد ذكر هذا في حديث الصحيحين المعلوم عند علماء الحديث وانهم فيه طريقان مشهوران وهو مما خفي على كثير من العلماء وانهم فيه كلام محتاج للايضاح فاقول لعلماء التفسير فيه طريقان الاول انه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وعلى هذا لا يبقى فيه اشكال ولا للبحث عنه مجال الثاني ان له معنى جليل قام عليه أقوى برهان ودليل فهم من ذهب الى أنه استعارة وتمثيل نزل فيه وضوح الادلة القائمة على توحيده تعالى وصحة أحكام الشريعة المركوزة في الفطرة السليمة منزلة بروزهم في الخارج وأخذ العهود منزلة اتباع ما ذكر وتسليمه والعمل بمقتضاه فلا يرد عليه شيء مما ذكر في الشعر ونحن نقول ان الأمر الذي وقع فيه المبالغة لا يخلو اما أن يقع بعد زمان بعيد كالساعة أو لا يقع وهو اما محال متعذر الوقوع له نظائر ومشابه أو لا الاول مقبول لتنزيل المتحقق الوقوع منزلة الواقع وكذا الثاني لامكان أن يراد مجازا أو كناية والاخير هو محل الكلام

والذى عليه أهل المعانى انه مردود مالم يقترن به مسوغ مثل كاد ونحوها والآية ليست من هذا القبيل لاسنادها لله الذى أبرز المعدومات من أرحام العدم ولا يقتضى قدرته شئ فى القدم فما علينا الا الايمان بذلك ومالم تصل له أفهامنا نكله اليه ونسأله أن يهدينا للوقوف عليه وكفى هذا الاحتمال فى مثل هذه الحال وما بعد الهدى الا الضلال فان قلت كيف أنكروا على أبى نواس هذا واستحسنوا قوله وقد عشق بعض أولاد الخليفة

انى صب ولا أقول بمن * أخاف من لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هواى له * أجس رأسى هل طار عن جسدى

مع انه مثله فى المبالغة والاغراق لان الامر الذى خطر بباله ولم يخطر على لسان مقاله كيف يخافه ويخشاه وهو ما تعدى خاطره وتخطاه ولا فرق بين هذا وذاك لمن له أدنى ادراك قلت الفرق مثل الصبح ظاهر لمن نور الله منه البصر والبصائر فان النطفة لا ادراك لها أصلا وهى قبل خلقها أبعد عقلا فركاكته أظهر من الشمس وأبعد من أمس أما ما فى فكره من الامر المهول فقد تهتدى اليه العقول لشدة اضطرابه وقد يظهر على محنته آثار أوصابه وقد تدرك الفراسة ما يطق به لسان الحال وربما نم عليه لسان المقال وقد قلت فى معناه ما هو أحسن منه

صار الاعادى من مهابة بطشه * عقمى بلا نسل ولا أعقاب
فكأنما اللطف التى قرنت ثنوت * من خوفها بمغازة الاسلاب

وقد تلطف وأغرب فى قوله أجس رأسى هل طار عن جسدى لجعله ما يترقبه واقعا به حتى فتش عن رأسه وجسها بيده ليعلم هل قطعت أولا وهذا نوع من البديع بديع كقول المنازى فى وصف نهر

يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وفيها التعبير عن المقال بالفعال كقوله (وتشتم بالافعال قبل التكلم) ومثله قول ابن رشيق

فبانى محتشما شادن * أحوج ما كنت لتقبيله
أو مأت اذ جاء بأترجة * عرفت فيما كنه تأويله
لما تطيرت بمعكوسها * ضمت بنانا نحو تقبيله

وقد بسطنا الكلام عليه فى كتاب المجالس وهذا لم أر من ذكره وهو مما استخرجته وسميته نطق الافعال ومنه قولى

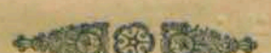
ومعذر كتب الجمال بوجهه * هذا طراز الله لاح طرته
لما بدا فى الورد منه بنفسج * فى الخد أطرق رأسه من خجلته

ولما بلغ عبد الملك أن الحجاج لا يراعى الشعراء نقم ذلك عليه وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد بلغنى عنك أمر كذب فراستى فيك وأخلف ظنى بك من اعراضك عن الشعر والشعراء فكأنك لا تعرف فضيلة الشعر والشعراء ومواقع سهامهم أو ما علمت يا أخا ثقيف أن بقاء الشعر بقاء الذكر وغناء الفخر وأن الشعر

طراز الملك وحلى الدولة وعنوان النعم وتمام المجد ودلائل الكرم وانهم يحضون على الافعال الجميله وينهون عن الاخلاق الذميمه وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها ودلوا العفاة على أبوابها وان الاحسان اليهم كرم والاعراض عنهم لؤم وندم فاستدرك فرط تفريطك وامح بصوابك وحى أغاليطك والسلام وبهذا علمت وقع الشعر عند الملوك وانه سبيل الى المكارم مسلوك وان الشعراء قافلة تحمل الذكر الجميل وان بضائعهم نافقة عند الكرام كاسدة عند اللئام والسلطان سوق تجلب لها الرغائب وتجبى لها المحامد تمثلا بها الحقائب ولابى اسحاق الغزى من قصيدة

جحود فضيلة الشعراء غى * وتفخيم المديح من الرشاد
محت بائت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه فى كل ناد
وما افتقر النبى الى قصيد * مشيبة بين من سعاد
ولكن سن اسداء الايادى * وكان الى المكارم خير هاد

هذا تمام ريحانة الالباء المشتملة على أحاسن الادباء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والاصحاب الطيبين الطاهرين الانجاب ما هبت نسمة وهنانه وفاح شذا ريحانه آمين



بحمد من أنبت فى رياض الافكار رياحين الادب وخص بمحاسن الصفات وسفات المحاسن لغة العرب قد تم طبع هذا الكتاب الذى هو روضة أدب غردت على أفنانها بلابل المعانى فازرت بالمثالث والمثانى بالمطبعة الوهبيه احدى المطابع المصريه وقد صرفت العناية الى ضبطه وتصحيحه وتخليصه وتنقيحه فجاء بتوفيق الله فذا برقة طبعه ودقة وضعه أوائل ذى الحجة الحرام ختام عام ١٢٩٤ أربع وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من هو للرسل ختام صلى الله عليه وعلى آله والناسجين على منواله آمين

ولما فاح مسك ختامه * ولاح فى افق المحاسن بدر تمامه * قال فيه مؤرخا تمام طبعه * ومقرظا حسن صنعه حضرة الفاضل الاديب * والكامل اللبيب * من أقرت له بالبراعه * ألسن البراعه * الذكى الالمعى * البليغ اللوذعى * حضرة الشيخ أحمد سعيد الرافعى الطرابلسى أقبسه الله النور القدسى

بالطبع فاح لنا شذا الريحانه * فغدت به مهج الورى ولهانه
وازدان من روض البديع طرائف * أبدت لطائفها اليك يمانه
من كل معنى كالنسيم لطافة * يخفى على ذى فكرة وسنانه
وقصيدة رقت كما الصهبا فكم * منها عقول لم تزل نشوانه
هذى الرياض أولو النهى راضوها الارواح لطفا الارياض البانه

ان شئتها فهى الخليل بحيث لا * تلقى المفرج عن أخ احزانه
أو رمتها فهى الحبيب بحيث لا * حب يخفف من ثج أشجانه
ان كان بالادب الزمان فقد انطوى * فسينشر المطوى بها أزمانه
فله منشيها وناشر طيعها * فقد استحق كلاهما شكرانه
نفحت فنفح الطيب ليس بطيب * عندى ولا مستظرف نفحانه
أسعد بطالعها اصطباحك واغتبق * من دنها المغنى عن ابنة حانه
فبمثل ذا يلهو الاديب فلا تكن * تشتاق من بان الحمى غزلانه
من كل من فتن الغزالة والغزا * لبوجهه والمقلة الفتانه
كالظبى فى الحركات والاقمار فى الطلعات والاغصان فى الميلانه
مافيه عيب غير أن نظاره * فيه على المشتاق نوع خيانه
ظبى بما فى هذه يغنى الفتى * من أن يحير فى هواه جنانه
من لؤلؤ الادب الذى رقت جوا * هردره فعلا يدل شانه
ياطالبا غرر الخصائص منه ما * هى من أعز حسانه ملآنه
ومريد نظم جواهر الياقوت من * منثوره فيها ترى عقيانه
والكتب فيه كما الربى مستلطف * فيها الذى منه الشذا فد زانه
ورواتع الريحانة الغراء لى * أمثالها من كتبه فردانه
فلذاك لما فاح طيب كمالها * بالطبع وهى بغاية الاتقانه
قالت حلا الآداب بالتاريخ لى * طبعا ترى أزهى الرياض بجانه

٤٠ ٨٢ ٦١٠ ٢٣ ٢٣٤ ٣٠٥

١٢٩٤
سنة

مكتبخانه
مجلس مبعوثان